

بسم الله الرحمن الرحيم

- تبارك الذي بيده ملكوت كل شيء ، واليه يرجع الأمر كله ، وهو العليم الحكيم ، كلما جال الفكر في تيار هذا الوجود ، انقلب العقل راجعاً الى الاقرار بوجوده ووحدانيته تعالى قهراً . فلا ينكره الا جاهل لم ير لمحة من أسرار الكون ، ولم يذق قطرة من كوثر حكمته .
- يظهر الأشياء ثم يطويها ، ويخفي ساعتها ثم يجليها ، ويفيض على قلوب من يشاء بيانها ، ٥ واليه الحكم في كتمانها وتبيانها ، ويعطي كل عصر ما يليق بقابليته ، وما يلائم مدنيته الحاضرة . فهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم . والمعرضون عن آثار حكمته الباهرة صم بكم عمي فهم لا يعقلون ، يناديهم من يؤتي الحكمة : « قَبَائِيْ آلَاء رَبِّكُمْ تَكْذِبَان » وهم لا يسمعون ، فله الحمد على ما أولانا من المكاشفة على أسرار ما أودعه من الحكم . وإياه نسأل المزيد من افاضة أنوار لاتنقضي عجائبها ، ولا تنتهي ١٠ غرائبها . والصلاة والسلام على نبيه حكيم الحكماء ، وسيد الأنبياء محمد المبعوث الى جميع الامم ، وعلى آله وصحبه البدور الكاملين ما نسخت آية من آيات سر الوجود فأنسيت ، أو أتى الله بخير منها أو مثلها ، فأتت الصحف على تذكّار ذلك المنسي تحمل أخبار الماضين للآتين ، ليتذكر أولو الألباب ، وليكون لهم جدولاً يبنون على كل فرد منه الفصول والأبواب . وتذكرهم الأطلال والذّمن ما كان لأسلافهم من الآثار ، وينادهم ١٥ الخيال فيهبوا للجد والتذكّار .

وبعد ، فيقول السائل من واجب الوجود أن يطلعه على أسرار الحكمة ، ويجعله مظهراً لتلك النعمة عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد ، الشهر كاسلافه بابن بدران السعدي الدمشقي :

عبد القادر
ابن بدران

لج بي السهر ليلة من الليالي منفرداً أنادم الاطلال والخيال ؛ فتجلت لي دمشق عادة
حسناء مسفرة عن جمال وجهها ، تقول : ألا لفتة لأحاديث آثاري ؟ وهلا ساعة في تذكاري
أخباري ؟ فقلت : أنا كما تعلمين غريب حل مأوى الغرباء ؛ كما قال أبو سليمان الخطابي :

وما غمة الانسان في شقة النوى ولكنها والله في عدم الشكل
واني غريب بين بست وأهلها وان كان فيها أسرتي وبها أهلي

من قوم تلاعبت بهم الأقطار ، فحلوا جيراناً بغوطتك الفيحاء . فنادمي أبناءك يا ليلي
الغرام ، وحيي أحبائك المدعين بك الهيام ، فقالت : ألم نربك فينا وليداً ، ولبثت فينا
من عمرك سنين ؟ ألم تتقلب في مدارسني ، وتلتقط ثمار الحكمة من مغارسي ؟ أما
ضممتك الي ، ورمقتك بنظري ، وسقت اليك خيري حتى تبنييتك وما تركتك ، وكلما
تباعدت عني طلبتك ؟ أما هجرتني الى الفرنجة متجولاً ، وأبت الي سواحل افريقية
متحولاً ، فأضمرت في قلبك نار غرامي ، وجذبتك الي بمغناطيس هيامي ؟ ثم لججت في
الهجر قافلاً الى دوماك (١) جرثومة الهمجية العريقة ببغض الحكماء والعلماء ؟ فذقت
بها ألم التعدي والحسد ، وأضنى حمرها المستنفرة منك العقل والجسد ، وتألب
أولئك المتوحشون عليك يريدون أن يطفئوا نور الحكمة الذي أطلعه الله في فؤادك ببغيتهم
وحسدهم . ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره هؤلاء الجاهلون . قلبوا لك ظهر المجن ،
ورموك بالافك ليسوقوا لك المحن ، ويخلوا من فضلك ربع الوطن ، فمددت لاسعافك
ساعداً أقوى من الحديد ، وأخرجتك من بينهم رغماً عن أنف كل جبار عنيد ، ورميت
حسادك بسهم من سهم القهَّار ، وصلت عليهم بسيف قد سل من سطوة الجبَّار .
فذاق فريق منهم عذاب الهون ، وأرصدت للآخرين : وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون .
ثم اصطنعتك لنفسني ، فما أثمرت من ثمر الا وهو من غرسي ، فبنعمة ربك حدث .
فخلب لبي لطيف كلامها ، واتقدت فيه جذوة غرامها ، وقلت :

ما بعد جلق للغرام مَرام وغيرها وطن علي حرام
لكن هي الأقدار تفعل ما تشا صبراً جميلاً والكلام كلام

ليبك يا ليلي الجمال ، ويا سلمى المحاسن ! أنا الخاضع لما تأمرين ما دمت عبد القادر

(١) هي بلدة دوما شرقي دمشق تبعد عنها سبعة عشر كيلاً

وذعيت بأبن بدران . أنا الهائم في أظهار صفاتك ، المقيم على محبتك مآكر الجديدان
فقلت : انك لتعلم هذا العصر الزاهر ، وما تجلى فيه من العلوم ؛ وترى مسلك أبنائي
وكيف يتهافتون على القشر ، ويتركون اللباب ، نبذوا العلم ظهريا فضمه الغريبيون اليهم ،
واذا انتبهوا من رقدتهم وجدوا أنفسهم عالة عليهم . فذكرهم بأيامي الماضية عليهم
يتذكرون ، وخاطبهم بما كان بي من الآثار ، وما أنفق في رياضي على العلم من الدرهم ٥
والدينار ، وأعلمهم بما كان بي من المدارس ، وأنبئهم بتلك المعاهد الدوارس ، وذكرهم
فان الذكرى تنفع أولي الألباب . فلعلهم يجدون ويجهدون ، ويتركون التفاخر بالماضي .
وقل لشيخهم : خل كان (١) ، ولناشئتهم اترك أنا ابن فلان ؛ فان المرء ابن تحصيله ، وشرفه
علمه وحكمته .

- ١٠ فمثلك من يدعى لكل عزيمة ومثلي من يفدى بكل منسود (٢)
- فطوينا ، بعد الوعد باجابة الطلب ، الأحاديث ، وقلت ان لم يف المحب لمحبوبه بما أمر
استحق الهجر في شرع المحبين . وطفقت أقلب الطرف في أسفار المؤرخين ، وأتطلب
ماكان من أحاديث الماضين ، وأطوف لرؤية المعاهد والآثار التي بقيت في تلك الدار
مما نبأ عنه سيف القدم ، وصبر على طلوع الشمس والقمر ، فأرسم ما اهتدى اليه
على صفحات هذا السفر الذي هو قسم من الأسفار الثلاثة لتاريخ دمشق . وخصصته ١٥
باسم « منادمة الأطلال ومسامرة الخيال » ليطابق اسمه معناه . ثم انني سلكت فيه
مسلكاً وهو انني اذا ذكرت مدرسة أو أثراً ما أحافظ على ترجمة منشئه ، ولا أعرض
لتراجم المدرسين في المدارس ، كما فعله العلامة عبدالقادر النعيمي في كتابه « تحفة
الطالب والدارس » . لأن المدرس ان كان من المشاهير فمحل ترجمته السفر الثالث
من هذا التاريخ ، وان كان من غيرهم فليس من شرط كتابي أن أذكره . وأيضا انني ٢٠
جعلت هذا السفر أقساماً :

أولها : لمدارس القرآن الكريم .

وثانيها : للمدارس المختصة بالحديث ، وللمشتركة بينه وبين تعليم القرآن العظيم .

وثالثها : للمدارس التي أسست للعلوم الفقهية والأدبية . وهذا القسم أربعة أبواب :

أولها : لمدارس الحنفية .

وثانيها : لمدارس المالكية .

(١) يقصد المؤلف : خل ما كان في الماضي وانظر الى الحاضر .

(٢) البيت لابي فراس من قصيدة يعاتب بها سيف الدولة .

وثالثها : لمدارس الشافعية .

ورابعها : لمدارس الحنابلة .

وليس القصد من هذا الترتيب على حسب التقدم في الزمن والوجود . ولو
اشتهرت مدارس للظاهرية أو للزيدية أو لغيرهم ، لم تجدني متقاعساً عن
اعطائهم حقهم في الترجمة .

ورابعها : لمدارس الطب والحكمة .

وخامسها : لزوايا العبادة وخوانق الصوفية .

وسادسها : للآثار التي ظهرت في هذا العصر .

وكل هذه الأقسام مرتبة على حروف المعجم ليسهل الكشف عنها .

وسابعها : للمساجد . فما كان مشهوراً منها أعطيته من حقه ما اتصل بي من ترجمته ،

وما كان منها صغيراً أو مندرساً اكتفيت باسمه .

وختمت الكتاب بخاتمة لبيان ما كان في دمشق من المتنزهات الشهيرة ، وهذا أول

المقصود . وبالله تعالى أستعين وعليه أتوكل .

القسم الأول في دور القرآن الكريم دار القرآن (الخضرية)

هذه الدار لم تزل الى الآن على رونقها وبهائها . ومحلها ، كما في « تنبيه الطالب وارشاد الدارس » للفاضل عبدالقادر النعيمي ، شمالي دار الحديث السكرية بالقصاعين . اهـ
وقد صحف الناس اليوم اسمها فقالوا لها : الخضرية ، نقلوا الياء المثناة من بين الخاء والضاد المعجمتين الى ما بعد الضاد . ومحلتها الآن تعرف بالخضرية ، وهي معروفة مشهورة في زمننا تقام فيها الصلوات الخمس ، ويتعاهدها في بعض الليالي ، وبعد صلاة الفجر ، جماعة من المتصوفة الشاذلية الفاسية فيقيمون بها الأذكار ، ويقرؤون الأوراد . وفي رمضان يقرأ « صحيح البخاري » ، وبعضاً من الكتب ، أستاذهم في زمننا العالم الأديب الكاتب الشاعر ، الشيخ محمد بن الشيخ المبارك .

١٠

وأما نعتها : فانها واقعة في الجانب الشرقي من الزقاق المسمى بالخضرية بالتصغير ، يصعد اليها بمرقاتين ، وجدارها الغربي مبني بالحجر الأبلق ، وتحتة سقاية ، وفيه الباب ، وقنطرتة من الحجر الأبلق أيضا وهو متين ، وفي وسطه صحيفة من النحاس مستديرة ، وقد رسم عليها ما صورته :

رسم باب المدرسة التي أمر بانشاء بابها الأمير العالي المولوي القاضي القطبي ابن الخيضي قاضي القضاة ، أسبغ الله عليه ظلاله مما عمل .

وتحت هذه الصحيفة شبكة من النحاس قائمة على هيئة مثلث ، زاويتها العليا تسامت قطب دائرة الصحيفة ، وهذا الوضع على هندسة لطيفة جدا . فاذا دخلها الداخل وخلص من دهليز لها قصير ، رأى بركة ماء للوضوء في وسطها ، وفي الجدار القبلي محراب ، وفي الجهة الغربية شباك (١) مطلان على الطريق ، وبجانبهما حجرة واسعة . وبالجانب الشرقي حجرتان ، تحت احدهما خلوة ، وبجانبهما خلوة أيضا .

٢٠

(١) نافذتان

وبالجانب الشمالي ايوان ، وفي صدره حجرة ، وقد كتب على الجدار فوق الباب منها ما صورته :

بحمد الله تعالى اللطيف ، أنشأ هذه المدرسة المباركة على الفقراء المتعلمين للقرآن العظيم ، الفقير قاضي القضاة قطب الدين الخيزري خدام السنة النبوية ارضاء لله تعالى سنة ثمان وسبعين وثمانمائة .

وبزاوية ملتقى الجدارين الشمالي والشرقي باب يدخل منه الى مكان متسع ، وفيه ثلاثة بيوت خلاء ، وفي دهليزها باب يصعد منه الى غرفة لطيفة . وقال في « تنبيه الطالب » : رتب فيها واقفها الجوامك (١) والخبز للفقراء . اه يعني الذين كانوا يتعلمون بها القرآن الكريم . ولم نر لهذا أثراً في زمننا !؟

ترجمة الخيزري

محمد الخيزري
٨٩٤-٨٢١

محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر بن سليمان بن داود بن فلاح بن ضميدة بضم الضاد المعجمة مصغراً الزبيدي بضم الزاي البلقاوي الأصل الترملي الدمشقي الشافعي ، ويعرف بالخيضري نسبة لجد أبيه . هكذا نسبة الحافظ السخاوي في كتابه « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » ، وترجمه بترجمة مطولة كلها ثلث وطقن فيه وفي مؤلفاته ، كما هي عادته في أقرانه . ولكن نادى على نفسه بالتهمة في آخر الترجمة فقال : وانه فعل معي ما أرجو أن يجازى بمقصده عليه . اه وهذا دليل على انه تحامل عليه فيما كتب عنه . ولنلتقط من كلامه ما صفي واليك هو ؛ قال : ولد ليلة الاثنين منتصف رمضان سنة احدى وعشرين وثمانمائة بقرية بيت لها القريبة من دمشق ، ونشأ يتيماً في كفالة أمه ، ثم فارق سلفه الذين هم عرب البلقاء ، وانحاز الى طائفة الفقهاء ، فحفظ « التنبيه » و « ألفيتي الحديث والنحو » ، و « ملحة الاعراب » ، و « مختصر ابن الحاجب » الأصولي . ثم اشتغل على علماء عصره بالفقه والأصول والحديث والنحو ، وهذه العلوم التي كان لها رواج في زمنه . ثم ارتحل الى بعلبك سنة ثلاث وأربعين ، ودخل القاهرة مراراً ، ومكة والمدينة ، وبيت المقدس ، ودمياط ، فأخذ عن علمائها . وبعد أن ذكر السخاوي ما رأيت خلاصته قال : ومع ذلك فلم يتميز

(١) المرتبات للمنقطعين الى تعلم القرآن الكريم .

في الطلب ، يعني في الحديث ، فضلا عن هو أعلى منه في الرتب : من حفظ ، وضبط ، وغريب ، ومعرفة باصطلاح ، وما يذاكر به بين العلماء . غير أن له يقظة في الجملة ، وكتابة تروج عند من لا يحسن أو يحسن ، ولكنه يداري أو يرجو . والرجل حين كان موجودا في القاهرة لم يكن يتحاشى الكلام في شيء ولا يتوقف لأجل تحرير أو تحقيق .

وقول شيخنا الحافظ ابن حجر في « الأنباء » : انه الفاضل البارع ، سمع الكثير ، وكتب الكثير من الأجزاء ، وجد وقد حصل في مدة لطيفة شيئا كثيرا ، وخطه مليح ، وفهمه جيد ، ومحاضراته تدل على كثرة استحضاراته ، يحتاج الى تأويل في بعض الكلمات ! وكذا وصفه له بالحفظ بعد ذلك ليس على إطلاقه !

كذا قال السخاوي ، وأقول : ما عهدنا الحافظ ابن حجر الا منصفاً فيما يقوله في تراجم العلماء . وما وجدنا السخاوي الا متحاملا على كل من يفوقه ، ومن رأى كتب الرجلين يعلم ذلك يقيناً .

ثم قال السخاوي : وقد استعار من شيخنا ابن حجر نسخته من « الطبقات الوسطى لابن السبكي » ، فجرد ما بها من الحواشي المشتملة على تراجم مستقلة ، وزيادات في أثناء التراجم مما جردته أيضا في مجلد ، ثم ضم ذلك لتصنيف له على الحروف ، لخص به « طبقات ابن السبكي » مع زوائد وصل اليها بالمطالعة من كتب أمده شيخنا بها : « كالموجود من تاريخ مصر للقطب الحلبي » و « نيسابور للحاكم » و « الذيل عليه لعبد الغافر » و « تاريخ بخاري لفنجان وأصبهان » ، وغير ذلك مما يفوق الوصف ، وسماه « اللمع الأملية لأعيان الشافعية » .

أقول : أي مطعن على مؤرخ جمع مؤلفه من أسفار المتقدمين سواء كانت بالاعارة أو بالملك ؟! وان كان الطعن فيه من جهة ما جرده من كلام ابن حجر ، فالسخاوي نفسه فعل ذلك فتأمل ! ثم قال : وكذا جرد ما لشيخنا من المناقشات مع ابن الجوزي في « الموضوعات » مما هو بهوامش نسخته وغيرها ، ثم ضم ذلك لتلخيصه الأصل وسماه « البرق اللامع لكشف الحديث الموضوع » ، ولخص أيضا « الأنساب لابن السمعاني » ، مع ضمه لذلك ما عند ابن الأثير والرشاطي وغيرهما من الزيادات ونحوها ، وسماه « الاكتساب في تلخيص الأنساب » ، وما علمته حرر واحدا منها . واشتد حرصه على الوقوف عليها فما أمكن ، ثم رأيت أولها في حياة شيخنا ، وانتقدت عليه اذ ذاك شيئا

فتأمل أيها المنصف كيف طعن في كتب الرجل ، ثم أقر بأنه لم يرها ، ثم قال : والف معجماً سماه « الرقم المعلم في ترتيب الشيوخ والسماع والاجازة على حروف المعجم » و « المنهل الجاري من فتح الباري شرح البخاري » ، وشرع في شرح « الفية العراقي » و « الصفا بتحرير الشفا » و « مجمع العشاق على تنبيه الشيخ ابي اسحاق » و « اللفظ المكرم بخصائص النبي صلى الله عليه وسلم » و « الروض النضر في حال الخضر » و « اللواء المعلم في مواطن النبي صلى الله عليه وسلم » و « زهر الرياض فيما شنعه القاضي عياض على الامام الشافعي » و « تقويم الأسل في تفضيل اللبن والعسل » و « بغية المبتغي في تبين قول الروضة : ينبغي » .

١٠ وأول ما ولي : مشيخة دار الحديث الأشرفية ثم نزلت منه ، واستقر في وكالة بيت المال ، وفي نظر الخوالي منها . ثم ترقى لكتابة السر ؛ ثم أضيف إليها قضاء الشافعية ، وصارت أكثر الامور الشامية منوطة به . واتسعت دائرته في الأموال ، والجهات ، والأملاك ، والوظائف ، والكتب وغيرها .

١٥ وحدث ببلده ، وأملى ودرس ووعظ ، وخطب ، وأفتى ، مع الوجاهة والاعتلاء . وولي السيمساطية وغيرها من المدارس ، زيادة عن المدارس التي تتعلق بالقضاة كالغزالية والعذراوية .

وكانت له صدقات زائدة ، واحسان للغرباء . وبنى بجانب بيته مدرسة ، وبنى تربة عند باب مقام الشافعي ، ورتب بها صوفية مع شيخ لهم من الطلبة . وما زال ملازماً لخدمة السلطان حتى مات في ربيع الثاني سنة أربع وتسعين وثمانمائة ، ودفن بتربته هذه ، وتأسف السلطان عليه . هذا ملخص كلام السخاوي .

٢٠ ١ وترجمه الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه « انباء الغمر » فقال في حوادث سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة :

٢٥ ورد - ابن المترجم - الى القاهرة لطلب الحديث ، ووصفه بالفاضل البارع ثم قال : سمع الكثير ، وكتب كتباً كثيرة وأجزاء ، وجد وحصل في مدة لطيفة شيئاً كثيراً ، وكتب عني في مدة يسيرة المجلد الأول من « الاصابة في تمييز الصحابة » ، وقرأه وعارض علي به وأتقنه ، ونسخ أيضاً « تعجيل المنفعة في رجال الأربعة »

وقراه كله وأتقنه ، وسمع عدة أجزاء ، وحضر مجالس في « الأمالي » . وخطه مليح ، وفهمه جيد ، ومحاضراته تدل على كثرة استحضاره .

هذا كلام الحافظ ابن حجر ملخصاً ، ومن خطه نقلته . ووصفه للمترجم انما كان أيام طلبه للعلم . فاذا قابلته مع كلام السخاوي وجدت الحافظ قد أتى بالانصاف ، كما هي عادته ، وعلمت أن التعصب هو الذي أودى بالعلوم وأهلكها .

وترجمه صاحب « تنبيه الطالب » بنحو ما تقدم ، وعد من مؤلفاته « شرح التنبيه في فروع الشافعية » . وقال أبو البقاء أحمد البقاعي في « مختصره » : أن المترجم رتب على تربته لصيق المنجكية بمحلة مسجد الذبان : الجوامك ، والخبز على الفقراء ، وعمل مطبخاً بباب الفراديس ومطبخاً بالمدينة المنورة . اه فجزاه الله خيراً .

١٠

دار القرآن (الجزرية)

هي دار أظهرها الدهر برهة ثم طواها ، وجلاها في وقت ثم أخفاها ، ذهبت أحاديثها إلا من القرطاس ، وتبدلت أحوالها بانتقالها من أناس إلى أناس .

أمراتع الغزلان غيرك البلا حتى غدوت مراتع الغزلان

والذي أفاده كلام المؤرخين أن هذه الدار قد انطمست آثارها ، وخفيت رسومها منذ دهر طويل . فقد قال النعيمي في « تنبيه الطالب » ، ووفاته سنة خمس وأربعين ١٥ وتسعمائة : قيل انها بدرب الحجر ، وكذا قال الشيخ عبد الباسط العلموي في « مختصره » ، ووفاته سنة إحدى وثمانين وتسعمائة . وهذا الصنيع يقتضي انها لم تكن موجودة في زمن أحد منهما . ولما اختصر أبو البقاء البقاعي « تنبيه الطالب » أسقطها من « مختصره » إشارة منه إلى انه لا فائدة في ذكرها لاندراسها . والكتاب موجود في ديوان الاوقاف بدمشق إلى الآن ، فهي خارجة عن الاوقاف رسماً .

٢٠

ودرب الحجر هو في أواخر السوق الكبير (١) قريباً من الباب الشرقي ، وعلى التحقيق

(١) المسمى الآن بالسوق الطويل وشارع مدحة باشا .

انها صارت داراً للسكنى . فصارت مراتع غزلان بعد ان كانت مراتع علماء وطلاب الا ان ترجيع الالحان بالقرآن قد فقد منها . ونحن أثبتناها في « منادمة الاطلال » تذكراً لها وبياناً لترجمة واقفها .

ترجمة شمس الدين محمد ابن الجزري

هو الامام الحافظ محمد بن محمد بن محمد علي بن يوسف الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي المقرئ المحدث ، ويعرف بابن الجزري نسبة لجزيرة ابن عمر ، وترجمته في كثير من كتب التاريخ .

محمد ابن الجزري
٧٣٣-٧٥١

قال الحافظ ابن حجر في حوادث سنة أربع وثلاثين وثمانمائة :

١٠ ولد المترجم سنة احدى وخمسين وسبعمائة بدمشق ، وتفقه بها ، ولهج بطلب الحديث والقرآن ، وبرز في علم القراءات ، وعمر مدرسة للقراء سماها دار القرآن ، واقرأ الناس . وعين لقضاء الشام مرة ، ثم عرض عارض فلم يتم له . وقدم القاهرة مراراً . وكان مثرياً ، وشكلاً حسناً ، وفصيلاً بليغاً . وأطال في ترجمته ، وهو من المعاصرين له .

١٥ وقال الشيخ رضي الدين محمد بن احمد بن عبد الله الغزي العامري ، وهو من معاصريه أيضاً ، في كتابه « بهجة الناظرين الى تراجم المتأخرين » :

هو الشيخ المحدث الفاضل ، الأديب (١) المفنن ، القاضي شمس الدين ثم ذكر تاريخ مولده سنة احدى وخمسين وسبعمائة . ثم قال : قال القاضي علاء الدين ابن خطيب الناصرية في « تاريخه » : كذا رأيت بخطه . اهـ . قال الغزي : وحضر على ابن الخباز وروى لنا عنه . واتهمه في ذلك المصريون ومنهم الحافظ ابن حجر .

قلت : ولا وجه لاتهامه ، وحضور ابن الجزري عليه ممكن ، بل سماعه كما هو معروف عند اهل الحديث . واخذ عن جماعة من علماء الاسلام ، وبرع في علم القراءات

(١) كذا في الاصل والاصح ان يقال : اديب متفنن .

وأثقفها ، وأخذها على وجهها من أئمتها ، وبرع في زمانه وشكره الأئمة . وولي خطابة جامع التوبة بالعقبة ، ثم قضاء الشافعية بالشام من قبل الظاهر برقوق الجركسي، لكن لم يتم له الأمر . ودخل القاهرة وأخذ عن أئمتها ، وكان له صيت في ذلك الوقت . ثم ولي الصلاحية في القدس الشريف (١) ثم ذكر أسفاره في الاقطار ، وتنقلاته على سبيل الاجمال ، ثم قال :

٥

ولما قدم المترجم دمشق اجتمعت عليه ، وكان مسنا عنده تواضع ، وله رئاسة ظاهرة . وجلس بجامع دمشق عند باب الخطابة ، واجتمع عليه بعض القراء والطلبة ، فأخذوا عنه ، وسمعوا منه . وكانت بضاعته مزجاة في العلوم ، سوى القرآن فانه كان فيه علامة زمانه . ثم رحل الى بلاد العجم وكان آخر العهد به ، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة عن اثنين وثمانين عاماً .

١٠

وقال في « البدر الطالع » : جد المترجم في طلب الحديث بنفسه ، وقرأ الفقه ، والأصول ، والمعاني والبيان .

وترجمه العلامة طاش كبري في « الشقائق النعمانية » بترجمة طويلة حاصلها : انه جمع القراءات السبع ، والعشر ، والاثنى عشرة . ودخل الديار المصرية فنشر بها العلم والقراءات . ثم تألب عليه الأعداء حتى ناله ظلم شديد أدى الى اخذ ماله وغيره . فخرج منها الى مدينة بروسا فأكرمه السلطان بايزيد ، ثم أتى دمشق ، فلم يكد يصف له المقام بها حتى دهمتها الفتنة العظيمة من قبل تيمورلنك سنة خمس وثمانمائة . ولما رحل عنها ، أخذه معه في جملة من أخذه من الفضلاء الى ماوراء النهر ؛ وانزله بمدينة كشي ثم بسمرقند فاشتهر بهما ، وأقرأ جماعات لاتحصى ، وكثر نفعه ، واشتهر فضله ، حتى أن تيمور لما كان بسمرقند اتخذ وليمة عظيمة فجلس في ديوانه ، وعين جانب يساره للأمراء ، وجانب يمينه للعلماء . فقدم في ذلك المجلس الشيخ (الجزري) على السيد الشريف الجرجاني المشهور ، وكان وقتئذ مدرسا بسمرقند ؛ فقالوا له في ذلك . فقال : كيف لا أقدم رجلا عالماً بالكتاب والسنة ، وما يسأل عما أشكل على السائل منهما الا حل الاشكال بالذات بلا تأخير !. اهـ

٢٠

(١) وقد جعلت الآن كنيسة مع أن وقفيتها مازالت على يابها وجدرانها . وبها بشر يزعم النصارى أن عيسى عليه السلام كان يشفي بها المرضى .

٢٥

قلت : تأمل ! وأمعن النظر في هذه القضية ، وادر أنه ان كان ما فعله تيمور
لأمر سياسي ، فقد نشأ عن فكر عال ، ومرتبة في السياسة سامية . وان كان عن حب
للسنة ، فله در رجال تعرف مراتب أصحاب الكمال ، ولا تنقص الرجال شيئاً من
حقها .

٥ ' والذي يظهر أنه قصد الأمر الثاني: لأن تيمور ، مع عتوه وظلمه وبغيه ، كان مغرمًا
بحب العلماء ، ولاسيما الكاملون منهم .

قال في « الشقائق » : ثم لما مات تيمور سنة سبع وثمانمائة ، فارق المترجم بلاد
ماوراء النهر فدخل خراسان ، وهراة ، وشيراز ، وينزد ، ونواحيها ، ونشر في تلك
الأماكن فن القراءات . وألزمه صاحب شيراز القضاء بها فأقام مكرها . ولما قضى الرحمن
١٠ له بالخلاص سافر الى البصرة ثم الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . اهـ

وترجمه السخاوي في « الضوء اللامع » ترجمة مطولة ، وطعن فيه وفي روايته ،
كما هو دأبه في علماء الحديث الذين لم يعظموه ، وخلاصة ما قاله :

انه جعل نفسه عمريا وقال : كان أبوه تاجرا ، وحفظ القرآن وهو ابن تسع سنين ،
وصلى به في السنة العاشرة . ثم ولي القضاء بدمشق على مال يدفعه ، فلما تولاه
١٥ لم يف به ، فامتحن لذلك ، وفر الى مصر سنة ثمان وتسعين ، ثم لحق ببلاد الروم
واتصل بالسلطان بايزيد ، فأكرمه وعظمه وأنزله عنده بضع سنين ، فنشر علم القراءات
والحديث ، وانتفعوا به . فلما دخل تيمورلنك الروم (١) أخذه معه الى سمرقند ، فأقام
بها الى أن مات تيمور ، فتحول حينئذ الى شيراز فنشر بها القراءات والحديث ، وانتفع
به أهلها ، وولي قضاءها وقضاء غيرها من البلدان من جهة أولاد تيمورلنك . ثم قصد
٢٠ الحج سنة اثنتين وعشرين ، فنهب في الطريق ، وتعوق عن ادراك الحج ، فأقام يبيع
ويشتري ، ثم تيسر له فأقام بمكة مجاورا ، وحدث بها . ثم سافر الى بلاد العجم . ثم
قدم القاهرة واتصل بالسلطان الأشرف فعظمه وأكرمه . وتصدى للأقراء والتحديث .
ثم سافر الى مكة ثم الى اليمن تاجرا ، فأسمع بها الحديث ، وأكرمه صاحبها ، ووصله
بحيث رجع ببضائع كثيرة . وعاد الى مكة ثم الى القاهرة ثم الى البصرة ، وإلى شيراز
٢٥ فمات بها ، ودفن بمدرسته التي أنشأها هناك .

(١) أي بلاد الروم .

ثم سرد السخاوي مصنفاته فقال هي :

- « النشر في القراءات العشر » مجلدان ، واختصره بكتاب سماه « التقریب وتخبیر التيسير في القراءات العشر » و « التمهيد في التجويد » ، وهما مما ألفه وله من العمر سبع عشرة سنة ، ونظم الهداية في تنمة العشرة ، وسماها « الدرة » وله من العمر ثماني عشرة سنة ، وربما حفظها أو بعضها بعض شيوخه ، و « اتحاف المهرة في تنمة العشرة » و « اعانة المهرة في الزيادات على العشرة » نظم ، و « طيبة النشر في القراءات العشر » في ألف بيت ، و « المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه » وهي نظم أيضا ، وقل من يعاني فن التجويد في زمننا الا ويحفظها ، و « منجد المقرئين وطبقات القراء » في مجلد ضخيم ، و « غايات النهايات في أسماء رجال القراءات » و « الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين » في الأذكار والدعوات وهو غاية في الاختصار والجمع ، و « عدة الحصن الحصين » و « جنة الحصن الحصين » و « عرف التعريف » مختصرة و « التوضيح في شرح المصابيح » وهو ثلاثة أسفار ألفه فيما وراء النهر ، و « البداية في علوم الرواية والهداية في فنون الحديث » نظم ، و « الأولوية في أحاديث الأولوية » و « عقد اللآلي في الأحاديث المسلسلة العوالي » و « المسند الأحمد فيما يتعلق بمسند أحمد » و « المقصد الأحمد في رجال أحمد » و « المصعد الأحمد في ختم مسانيد أحمد » و « الاجلال والتعظيم في مقام ابراهيم » و « الابانة في العمرة من الجعرانه » و « التكریم في العمرة من التنعيم » و « غاية المنى في زيارة منى » و « فضل جبل حراء » و « احاسن المنى » و « أسنى المطالب في مناقب علي ابن أبي طالب » و « الجوهرة في النحو » وغير ذلك من الرسائل والتعليقات .

٢٠

- وقد ذكره الطاووسي في مشيخته وقال : انه تفرد بعلوم الرواية ، وحفظ الأحاديث والجرح والتعديل ، ومعرفة البرواة المتقدمين والمتأخرين . اه وترجمه الحافظ ابن حجر في معجم شيوخه الذي سماه « المجمع المؤسس للمعجم المفهرس » فذكر نحوه مما سبق ، وقال : كان له توقيع الدست بدمشق وعين لقضاء الشافعية ، ثم فر الى بلاد الروم واتصل بالملك بايزيد بن عثمان ، وأقام عنده بضع سنين الى وقعة الكائنة العظمى التي قتل فيها الملك بايزيد ؛ فاتصل بعدها بالأمير تيمور الى أن قال : وليس له في الفقه يد ، بل فنه الذي مهر فيه القراءات ، وله عمل في الحديث ، وله نظم وسيط . اه

٢٥

قلت : وفن القراءات في دمشق ومصر وغيرهما ، إنما يدور على مصنفات ابن
الجزري في زمننا هذا ، وعلى « الشاطبية » وشروحها . ورأيت له كتابا في نظم السيرة
النبوية وأنا في سن الصبا وقد غاب الآن عني . ومن لطيف نظمه ما قاله عند ختم كتاب
« الشمائل » للامام الترمذي :

أخلاي ان شط الحبيب وربعه وعز تلاقيه وناءت منازلها
وفاتكم أن تبصروه بعينكم فما فاتكم بالسمع هذي شمائله

قال المقرئ وقد مدحه النواجي بقوله :

أيا شمس علم بالقراءات أشرقت وحقك قد منّ الإله على مصر
وهاهي بالتقريب منك تضوعت عبيرا وأضحت وهي طيبة النشر

وكتب اليه المولى خضر بك يقول :

لو كان في بابه للنظم معجزة ألقت في مدحه ألفا من الكتب
لكنه البحر في كل الفنون فما أهداء در السى بحر من الأدب

فأجابه بقوله :

في در علمك بحر الفضل ذو لجب ودر نظمك عقد في حلى الأدب
الدر في البحر معهود تكونه والبحر في الدر يبدي غاية العجب

دار القرآن (الدلالية)

ترجمها صاحب « تنبيه الطالب » و « الدارس » بقوله : هي بالقرب من الماردانية
بالجسر الأبيض بالجانب الشرقي من الشارع الآخذ الى الجسر المذكور بالصالحية . زاد
العلموي في « مختصره » : وهي معروفة . انتهى

وفيها تربة الواقف . أنشأها الشهاب الخواجكي^(١) الرئيسي الشهابي أبو العباس
أحمد بن المجلس الخواجكي زين الدين دلالة بن عز الدين نصر الله البصري أجل
أعيان الخواجكية بالشام الى جانب داره . وترجمه السخاوي في « الضوء اللامع » فقال :

(١) من القاب الاعيان .

أحمد بن دلامة الخواجا البصري ، ثم الدمشقي ، أنشأ مدرسة بصالحية دمشق ، وتفقه ، وبرع ومات في ثامن عشر المحرم سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة ، ودفن بعد العصر من يومه . انتهى

- قال البقاعي : وقد قارب الثمانين . قال في « التحفة » : وقفها سنة سبع وأربعين وثمانمائة ، ورتب بها اماما وله من المعلوم مائة درهم ، وقيما وله مثل الامام ، وستة
- أنفار من الفقراء الغرباء المهاجرين في قراءة القرآن ، ولكل واحد منهم ثلاثون درهما في كل شهر ، ولشيخهم عشرة . ومن شرط الامام الراتب أن يتصدى شيخا لقراءة القرآن الجماعة ، وله على ذلك عشرون درهما زيادة على معلوم الامامية ، وستة أيتام بالمكتب على بابها ، ولكل واحد منهم في كل شهر عشرة دراهم . وقرر لهم شيخا ، وله من المعلوم ستون درهما في كل شهر . ورتب أيضا قارئاً « لصحيح الامام البخاري » في
- ١٠ كل من شهر رجب وشعبان ورمضان ، وجعل له من المعلوم مائة وعشرين درهما ، وناظرا وله من المعلوم في الشهر ستون درهما ، وعاملا وله من المعلوم في السنة ستمائة درهم . ورتب للزيت في كل عام مثلها . وجعل للشمع ولقراءة البخاري وامام التراويح مائة درهم ، ولأرباب الوظائف خمسة عشر رطلا من الحلوى ، ورأسي غنم أضحية ، ولكل يتيم جبة قطنية ، وقميصا ، ومندبلا في كل سنة . وقرر قارئ
- ١٥ ميعاد في يوم الثلاثاء من كل أسبوع ، وله في الشهر ثلاثون درهما . وشرط على أرباب الوظائف حفظ حزب الصباح والمساء لابن ابي داود ، يقرؤونه بعد صلاة الصبح والعصر . وأن يكون الامام هو القارئ البخاري ، والقارئ على ضريح الواقف ، والقيم هو البواب والمؤذن . حكى هذا ابن طولون في كتابه « القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية »
- والنعمي وتبعه في « التنبيه » . وأول من باشر الامامة بها والمشيخة ، شمس الدين
- ٢٠ البانياسي ، وقراءة الميعاد شمس الدين بن حامد . وذكر بعضهم أن سبب انشائها ان الخواجا ابراهيم الأسعدي عمر مدرسة بالجسر الأبيض ليس لها نظير ، وجعل بها خلاوي (١) . فطلب بها رجل من جماعة ابن دلامة خلوة بشفاعة ابن دلامة فلم يعطه الخلوة التي طلبها ، وأعطاه غيرها فلم يقبلها . فقال الخواجا ابراهيم له : قل لابن دلامة : يعمر مدرسة مثلها ، ويعمر لك خلوة تريدها . فأخبره بذلك ، فلم ينم تلك الليلة
- ٢٥

(١) كذا في الاصل وصوابها خلوات .

حتى رسم مكانها وقاسها . فقال الخوaja ابراهيم : ما أردت بذلك الا تنهضه لفعل الخير .

قلت : وقد شاهدت تلك الدار اثناء كتابتي لهذه السطور ، وهي معروفة باسم الدلامية الى الآن في الطريق الآخذ الى الصالحية في الجهة الشرقية ، وهي عامرة مشهورة ، وحائطها الغربي مبني بالحجارة السوداء والصفراء على نمط جميل ، وبابها مبني على هندسة لطيفة واتقان يدل على ما كان للفن المعماري في ذلك الزمن من التقدم ، وكان المتقدمين كانوا يتفننون في بناء الأبواب ، فيجعلون لأبواب دور القرآن طرزا غير طرز أبواب دور الحديث ، ولأبواب الحديث شكلا غير شكل أبواب مدارس الفقه والعلوم . ويميزون أبواب أبنية السلاطين والأمراء لمعاهد الخير عن أبواب أبنية غيرهم . ومن تأمل مآثرهم رأى ذلك عيانا . ثم انك اذا دخلت من الباب أفضى بك الى صحن لطيف في وسطه بركة ماء ، وفي الجهة الشمالية ايوان لطيف أيضا ، وفي الجهة القبلية حرم جميل ثلاث عشرة خطوة في سبع . وفي الحائط الشرقي حجرة ، وفي الغربي حجرة أيضا ، وبها قبر الواقف ، ولها شبك مطل على الطريق . وتلك الدار الآن معدة لإقامة الصلوات الخمس ، والأوقات التي اصطلح عليها أتباع الشيخ ابراهيم الرشيد من المتصوفة (١) . وأخبرني أحد المقيمين بها أن أيدي المختلسين تناولتها قديما ، فجعلوا نصفها دارا ، والنصف الآخر جنيحة للورد والأزهار التي يزرعها أهل الصالحية ويبيعونها . فلما كانت سنة ثلاثمائة وألف انتدب لها السري المحسن علي بك ابن مردم باشا المؤيد العظمي (٢) فاستخلصها من يد مختلسيها ، وبنائها على الطراز الذي هي عليه الآن .

دار القرآن (الرشائية)

كانت هذه الدار شمالي الخانقاه السميساطية ، وكان الطريق الذي يمر امام مدفن السلطان صلاح الدين فيأخذ الى الشرق يقال له : درب الخزاعين ، وباب الجامع الشمالي يقال له باب الناطفين (١) ، فتغير الاسم وبقي المكان على حاله .

(١) ويدرس فيها الآن فقيه المذهب الشافعي في الشام الشيخ صالح العقاد .

(٢) هذا الاسم يجمع بين أسرتي مردم والمؤيد العظم . ومن الرجوع الى الاسرتين لم يعرف أحد يجمع بين اللقبين وانما كان في أسرة العظم شخص يدعى علي بن مؤيد باشا العظم ، وفي أسرة مردم شخص يدعى علي بن محمد مردم وكان متزوجا من آل العظم . وعلى هامش مصورة الاوقاف قوله : ابن مردم باشا سبق قلم .

ترجمة واقفها

علي السنجاري
٧٣٥-٠٠٠

أنشأها علاء الدين علي بن اسماعيل بن محمود السنجاري .

قال الحافظ ابن كثير في ترجمته : هو أحد التجار المشهورين ، والأتقياء الورعين ، ومن الأخيار ذوي اليسار المسارعين الى الخيرات . توفي فجأة في القاهرة ليلة الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ، ودفن عند قبر القاضي شمس الدين الحريري ، ومات عما ينيف عن ثمانين سنة من العمر .

وقال الحافظ البرزالي في ترجمته : كان رجلا جيدا ، فيه ديانة وبر ، أنشأ دار القرآن السنجارية ، ورتب فيها جماعة يقرؤون القرآن ، ويتلقونه . وكان له مواعيد حديث ، يعني أوقاتا يحضرها الناس لسماع الحديث .

وقال العليمي : أنشأها سنة ثلاثين وسبعمائة . وقال أيضا في تعريفها : وهي الآن متصلة ببיתי بباب فتحته من حائط مشترك بين بيتي وبينها ، غير بابها المخصوص بها . انتهى

وانظر أيها العاقل مراده بهذه العبارة التي قصد بها أن يعرفنا مكان بيته ، فتوجه عليه اعتراض ، وفتح عليه فتح ذلك الباب بابا وهو : أنه أشار الى أنه أول من سارع من القوم الى التلاعب بها ، وأول من انتظر فرصة لضمها الى بيته . وقد شاء له الزمان ذلك . فانه بهذا تصرف بها نوعا من التصرفات ، ثم جاء من بعده فبالغ ، وهكذا الى أن صارت ملكا تباع وتوهب وتورث . وربما استبدلت بها قراءة القرآن بنغمات الأوتار ، وتلون الألحان ، ومغازلة الفادات والغزلان . فبانيها سن سنة حسنة فكان له أجرها ، ومختلسها سن سنة سيئة فكان عليه وزرها . ولا يضيع عند الله مثقال ذرة .

٢٠ دار القرآن (الصابونية)

هي الآن موجودة مشهورة عامرة .

قال النعيمي : هي خارج دمشق قبلي باب الجابية ، غربي الطريق العظمى ، ومزار أوس بن أوس الصحابي الجليل رضي الله عنه . وبها جامع حسن بمنارة تقام فيه الجمعة ، وتربة الواقف وأخيه وذريتهما . انتهى

وقد رأيتها أثناء كتابتي لهذه السطور لأصفها عن مشاهدة : فإذا هي مقابل تربة باب الصغير ، غربي الطريق الأعظم الآخذ الى باب المصلى والميدان . وجدارها الشرقي شاهق متين ، مبني بالحجر الأصفر بناء متقنا ، وبه نقوش بديعة محفورة بأحجاره . وفيه الباب وهو مرتفع أيضا يماس أوجه علو الجدار . وصدر قنطرتة مزخرف بحجارة محفورة معجنة ، وهو على شكل محراب ، وفيه باب المدرسة وهو صغير بالنسبة اليه . وهذا العمل يدل على اتقان الفن المعماري وقتئذ . فإذا دخلت من الباب صرت في دهليز ، وكان عن يسارك جامع للمحاسن : جامع تقام فيه الجمعة والجماعة ، وعن يمينك قبة لها شباكان مطلان على الطريق الأعظم . وفي الجنوبي منهما فسقية ماء يردها المارون ؛ وفيها قبر الواقف وأخيه وأحد أقاربه . والقبور الثلاثة مبنية بالرخام الأبيض . وأعلى القبة كان متهدما ، فعمر عمارة لطيفة ، وجعل له شبابيك من البلور . وبجانبها من الغرب حجرة قد سقط سقفها ، وبقيت جدرانها ، ولها باب الى الدهليز . وفي داخلها باب الى القبة . فإذا خلصت من الدهليز ، وصلت الى صحن المدرسة ، وطوله تسع عشرة خطوة في عرض سبع عشرة خطوة ، وفيه بركة ماء مربعة مأوها دائم الجريان كما هي عادته في دمشق . وقابلك من الغرب ايوان في صدره ثلاث حجرات ، وبجانبه الشمالي حجرة ، وعن يمينه دار للسكنى ، وعن يساره كذلك . وفي الجانب الجنوبي ايوان أيضا ، وفي صدره محراب ، وحجرتان عن يمينه وعن يساره ، وفي جانبه الشرقي حجرة أيضا ، وفيه باب يصعد منه الى المنارة ، وهي شاهقة البناء حسنة الوضع . وفي الجانب الشمالي بيوت الخلاء ، وحجرة أمامها قبران . فجملة ما هو موجود بها عشر حجرات .

قال النعيمي : وهذه الدار أنشأها المقر (١) الخواجكي شهاب الدين أحمد الشهابي القضائي ابن علم الدين سليمان بن محمد البكري الدمشقي المعروف بالصابوني . ابتداء في عمارتها سنة ثلاث وستين وثمانمائة ؛ وفرغ منها سنة ثمان وستين وثمانمائة . وشرط الواقف النظر لنفسه ، ثم لذريته ، ثم من بعد انقراضهم يكون النظر نصفين : نصف منه لحاجب دمشق ، يعني واليها أو مالکها كائنا من كان . والنصف الآخر للامام . وشرط قراءة «البخاري» في شهور رجب وشعبان ورمضان . واشترط في الخطيب أن يكون شافعي المذهب ، وفي الامام أن يكون من الطائفة الجبرتية ، وسيأتي بيانهم ،

(١) المقر من ألقاب أرباب الاقلام والسيوف والعلماء والكتاب كما ذكره صبح الأعشى ٤٩٥/٥

- وأن يكون حنفياً ، وأن يكون معه تسعة عشر فقيراً من جنسه يقرئهم القرآن . قاله أبو البقاء أحمد البقاعي في « مختصره » . وفي « التنبيه » : عشرة ، ولعله هو الأصح . وجعل لسكن الامام وعياله قاعة ، وللفقراء عشر حجرات ، يعني خلاوي (١) . قلت : وهذه الحجرات والقاعة موجودة الآن كما مر بيانه . فان لم يوجد امام من الجبرتية الحنفية فيكون يمانيا . فان لم يوجد (٢) فيكون آفاقيا . ورتب ستة مؤذنين ، وجعل قيما وبوابا ، وفراشا ، وجابيا الموقف . وبنى أيضا تجاه المكان المذكور من الشرق مكتبا للأيتام ، واشترط أن تكون عدتهم عشرة . ورتب لهم شيخا يقرئهم القرآن بمعلومات (٣) شرطها لهم ، تصرف عليهم من جهات عديدة منها : عدة قرى غربي مدينة بيروت اسمها الصابونية ، ومنها جميع قرية مديري بفتح الميم وسكون الدال المهملة وفتح المثناة التحتية آخرها ألف مقصورة ، وهي بالقوطة من المرج الشمالي ، معروفة مشهورة ، ومنها قرية ترحيم بالبقاع ، وعشرة أفدنة ونصف فدان وأربعة فدادين بقرية الضويرة ، وربع قرية القرعون بالبقاع ، وستة فدادين من قرية كحيل بحوران ، وعشرة أفدنة ونصف فدان من قرية الخيارة قبلي دمشق ، وعشرة أفدنة ونصف فدان من قرية السبينة الغربية ، ومزرعة السيف الكائنة بقرب بيت الأبيار ، وربع بستان بقرية جرمانا ، وبستان الوثاب بالوادي التحتاني ، وبستان بعين ثرما ، وسبع قطع أرض بقرية سقبا ، وبستان بقرية حمورية ، وعدة بساتين ببرزة ، وأربعة بساتين بجوبر ، وعدة بساتين بالنيرب الفوقاني ، وأربعة بساتين بأرض المزة ، ومثلها بقرية كفرثوثا (٤) ، وثلاثة بساتين بأرض قبنية . فهذه هي الأراضي والبساتين .

- وأما المسقفات فمنها : خان كان يسمى بخان البقسماطية ، وقاعة واحدة بعين اللؤلؤة ، وحانوت بالدباغة ، وأربع طباق بالعقينة الكبرى ، وخان طولون بها ، وثلاثة حوانيت شركة الحرمين بسوق العمارة التحتاني وكانت تسمى عمارة الاخنائي ، وستة حوانيت بمحلة مسجد الأقصاب ، وقاعتين بجوار الجامع الاموي ، وأربع طباق جوار المارستان النوري ، وطبقة واحدة جوار باب الفراديس بدمشق ، وأربعة حوانيت بالقضمانية ، وستة حوانيت بباب الجابية ، وخان بمحلة سوق الهواء ، وخان بمحلة قصر حجاج ، وطبقة فوقه ،

(١) تقدم بيانها .

(٢) في نسخة ميونيخ من « الدارس » زيادة : فحجازيا فان لم يوجد . انظر الدارس ١٥/١

(٣) مرتبات .

(٤) المعروفة الآن بكفرسوسة .

وحاثوت غربي النخلة الطويلة قبلي جامع حسان (١) وهذه النخلة كانت في زمن النعيمي والبقاعي ، وأما الآن فلم يقدنا التعريف بها شيئا !؟

هذا ماوقفه الواقف واحتسب أجره عند الله تعالى .

ثم جاء بعده مملوك له يقال له يوسف الرومي فحذا حذو سيده في أفعال الخير .
والتربية الحسنة تفيد المربي والمربي . فأوقف على الصابونية بستانا غربي مصلى العيدين
جوار بستان صاحب ، ومعصرة زيتون بكفرتوثا ، وقاعة لصيق الجامع ، وفي علوها
طبقة ، وقاعة أخرى قبلي ذلك ، وفوقها طبقتان .

الجبرية

حيث أنه قد سبق ذكر الجبرية أثناء شرط الواقف ، كان اللماع الى تعريفهم
وبيان مواطنهم متمما للفائدة ، موقفا على مزيد بيان ، تفكهة وتنقلا ، واللذات في التنقل .
ولذا وضعناها بحسب ماكانت عليه من قبل ، وبمقتضى ماهي عليه الآن ، واليك ذلك :

قال الفاضل عبد الرحمن الجبرتي ، في تاريخه المسمى «عجائب الآثار» :

بلاد جبرت هي بلاد الزيلع بأراضي الحبشة تحت حكم الخطا ملك الحبشة . وهي
عدة بلاد معروفة تسكنها هذه الطائفة، وهم المسلمون بذلك الاقليم، ويتمذهبون بمذهبي
أبي حنيفة والشافعي لاغير ، وينتسبون الى سيدنا أسلم بن عقيل بن أبي طالب . وهم
قوم يغلب عليهم التقشف والصلاح . ويسافرون من بلادهم بقصد الحج والمجاورة في
طلب العلم . ويحجون مشاة ولهم رواق بالمدينة المنورة ، ورواق بمكة المشرفة ، ورواق
بالجامع الأزهر . ثم قال الجبرتي : وظهر منهم علماء أفاضل كالزيلي شارح « الكنز » ،
وغيره . وسرد تراجمهم ، ثم قال : وللحافظ المقريري مؤلف في أخبار بلادهم ، وتفصيل
أحوالهم ، وللشيخ علاء الدين محمد بن عبد الله البخاري كتاب سماه « الطراز المنقوش
في محاسن الحبوش » ، وللحافظ عبد الرحمن بن الجوزي كتاب « تنوير الغبش في
فضائل السودان والحبش » ، وللجلال السيوطي كتاب أيضا سماه : «رفع شان الحبشان» .
انتهى

(١) الطبقة التي فوق الخان الاخير والحاثوت الذي يليه ليسا في الدارس .

هذا بحسب ما كانت عليه من قبل . وأما ماهي عليه بحسب (١) من جهة جغرافيتها :
 فان تلك الاصقاع يقال لها: بلاد الصومال . وهي بلاد واقعة في الشرق الأقصى من افريقية
 الشمالية بين خليج عدن والمحيط الهندي ، تقابل شبه جزيرة العرب من الجنوب . وهي
 هضبة بها جبال مرتفعة في الشمال وجوها حار جدا في النهار ، وبارد جدا في الليل .
 وليس للأمطار فيها انتظام . وأنهارها وقتية تستمد من الامطار . وتبلغ مساحتها ٥
 سبعمائة وخمسين ألف كيلومتر مربع . ويزرع فيها البن ، واللبن بكثرة . وتجارتها
 رائجة مع الحبشة وبلاد اليمن . وأهم صادراتها : الصمغ ، واللبن ، وريش النعام ،
 والعاج ، والجلود ، والبن . وسكانها يقدرون بثلاثمائة وخمسين ألف نفس ، كلهم مسلمون
 حمر الوجوه . وهم قبيلتان : ففي الشرق الصوماليون ، وفي الغرب قبائل الجالة .
 ١٠ والفريقان في قتال مستمر ، لاتجمعهما الا كراهة الأجنبي ومقاومة الغريب . ولم يتمكن
 الأوروبيون من دخول البلاد لمقاومة أهلها لهم ، فاحتلوا السواحل . فاختصت انكلترا
 بالسواحل الشمالية التي على خليج عدن وبين خليج تاجورا وبندر قاسم . وهواء هذه
 السواحل جيد .

ويتولى ادارتها القنصل الانكليزي المقيم في بربرة . ويحافظ على سلطة الحكومة
 فيها جنود هنود ضباطهم من الانكليز ، وعاصمة هذه المستعمرة بربرة وهي مدينة جيدة
 ١٥ الماء والهواء ، ذات مرفأ أمين ، ولها تجارة مع اليمن والحبشة . وكانت تابعة لحكومة
 شرقي السودان المصري قبل استيلاء الانكليز عليها . وأشهر مدنها : زيلع وهي ميناء
 تجارية على خليج عدن ، وبلهار مثلها .

وأما شواطئ المحيط الهندي فالنفوذ فيها لأيطاليا . وأشهر المدن فيها بروه ومركه
 ٢٠ ومغدوش .

ثم ان انكلترا أرادت بسط سلطتها على قبائل الصومال الداخلية ، كما هي عاداتها ،
 ليقوى سلطانها هناك ، وليقوى نفوذها في شرقي افريقية . فأخذت ترسل وسواسها
 وتتبع طريقتها ، الى أن دخلت بحجة مقاومة المنلا أحد رؤساء هذه القبائل . وما زالت
 تتوسع في مطاردته وتحاوله وتطاوله ، الى أن تم لها ما أرادت ، وحازت على ما شاءت
 ٢٥ وشاء لها الحظ ، وهمجية السكان ، وتفرق الكلمة ، وتشعب الآراء . والله يقضي ما يريد
 ويفعل ما يشاء .

(١) كذا وردت بالاصل ولا لزوم لها .

دار القرآن (الوجيهية)

كانت قبلي المدرسة العسرونية والمسروية ، وغربي الصمصامية التي كانت شمالي الخاتونية التي زقاقها يسلك منه الى البيمارستان النوري ، والى ذلك الزقاق يفتح بابها .

هذا ما حكاه النعيمي ، وتبعه العلموي ، والبقاعي . ولعلها كانت موجودة في زمنهم .
٥ واما في زمننا فلا رسم لها ولا اثر ! وسأفصل موضعها وأقول :

انك اذا وقفت على درج باب البريد ، ثم سرت مغربا ، فانك لاتسير قليلا حتى ترى عن يمينك مبدأ سوق العسرونية ، فاذا دخلت وسرت الى نحو من نصفه كانت المدرسة العسرونية عن يمينك ، ثم بعدها الى الغرب الخاتونية الصغرى ، وأمامها في الجهة الشمالية العادية الصغرى ، وبعدها الى الغرب دار الحديث الأشرفية . وسيأتي الكلام على هذه المدارس في محالها ان شاء الله تعالى . ثم اذا خلصت من السوق ، وجدت القلعة أمامك . فاذا اتجهت الى الجنوب ، وسرت الى طريق البيمارستان النوري ، لم يكن هنالك مدارس أبداً ، ولم تجد الا البيمارستان ، وبجانبه باب وله أسكفة (١) من الحجر مكتوب عليه ما يدل على أنه باب المدرسة الخاتونية لكنها صارت الآن داراً للسكنى ! وأخبرني بعض الثقات أنه كان يعرف زقاقا بجانب العسرونية الجنوبي ، وفي آخره دار على هيئة مدرسة . فلما فتحت سوق الحميدية ، ادخل هذا البناء في السوق ، ولم يبق له رسم ولا طلل . ومهما يكن ، فانها اما أن تكون قد صارت دورا للسكنى ؟ . وأخبرني بعض الثقات أنه كان يعرف زقاقا بجانب العسرونية الجنوبي ، وفي التنصيص على أنها كانت أثراً في محلها ، وذخرا لواقفها .

ترجمة واقفها

أنشأ هذه الدار الشيخ وجيه الدين محمد بن الامام الرئيس ، شيخ الأكابر ، وشيخ الحنابلة في وقته أبو المعالي عثمان بن المنجا التنوخي الدمشقي . ولد المترجم سنة ثلاثين وستمائة ، وتوفي سنة احدى وسبعمائة . وكان صدرا محترماً ، دينا ، ذا ثروة ومتاجراً ، وبر وأوقاف . أنشأ دار القرآن هذه ، ورباطا بالقدس . وكان محدثا فاضلا . ولتي نظارة

وجيه الدين
ابن المنجا
٧٠١-٦٣٠

٢٠

(١) الاسكفة والاسكوفة خشبة الباب التي يوطأ عليها .

الجامع الأموي تبرعا وحسبة لله تعالى . ودرس بالمسمارية . وكان مع سعة ثروته مقتصدا بملبسه . وتوفى في تلك الدار التي أنشأها . هذا كلام النعيمي في ترجمته .

وقال الشيخ برهان الدين ابراهيم بن مفلح في كتابه « المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الامام احمد » في ترجمة الواقف :

- ٥ هو محمد بن عثمان بن أسعد بن المنجا الشيخ الامام صدر الرؤساء ووجه الدين ابو المعالي التنوخي . حضر علي ابن اللتي ، وابن المكير ، ومكرم . وسمع من جعفر الهمداني والسخاوي ، وكان شيخا عالما فاضلا ، كثير المعروف والصدقات والتواضع ، وله هبة وسطوة وجلالة . درس بالمسمارية والصدرية ، ثم تركهما لولده ومات في حياته ، وحدث ، روى عنه جماعة . مات في شعبان سنة احدى وسبعمائة . انتهى
- ١٠ ورايت بخط الشيخ عبد الباسط العلموي على هامش ترجمة جد الواقف أسعد ابن المنجا ما صورته :

هو واقف الوجيهية التي برأس باب البريد . وهي مدرسة قريبة من المدرسة الخاتونية الجوانية ، وبها خلاوي كثيرة ، ولها وقف، كثير فأخذ واختلس . اهـ

- وهو خطأ . والصحيح ان واقفها هو المترجم لاجده ، كما زعم العلموي على انه نفسه . قال في « مختصره » : ان واقفها محمد بن عثمان . ووفاته سنة سبعمائة وواحد .
- ١٥ وجده أسعد توفى كما في « طبقات ابن رجب » سنة ست وستمائة . فتنبه ! وهذا آخر الكلام على الدور التي كانت مختصة بتعليم القرآن .

القسم الثاني في دور الحديث الشريف

حرف الهمزة

دار الحديث (الأشرافية الأولى) (١)

عرف النعيمي وغيره محلها بأنه جوار باب القلعة الشرقي غربي المدرسة العسرونية،
وشمالى القيمازية الحنفية . انتهى ٥

أقول : هي الآن مشهورة معروفة ، وهي في أوائل سوق العسرونية من الجانب
الغربي ، وتعريفها الأول معروف الآن . إلا أن القيمازية لم نر لها أثرا . والأشرافية جنوبى
الطريق المخترق للسوق . وقد جدد لها باب قنطرتة من الحجر المزى الأحمر والأسود؛
فاذا دخله الداخل ؛ أفضى به الى دهليز لطيف بجانبه الشرقى حجرة . ثم يصل منه الى
صحن لطيف ، في وسطه بركة ماء . وفي الجانب الغربى مواضع الطهارة ، وحجرتان . ١٠
وفي القبلى مسجد حسن البناء والوضع . وفي الشرقى ثلاث حجرات . وفي الشمالى
سلم من الحجر يصعد منه الى الطابق العلوية وهي ثلاث في الجانب الغربى ، وخمس
في الشرقى . وكان سكنى في غرفة علوية من هذه المدرسة أثناء طلبى للعلم . فنلت بها
من الانشراح ، والفتوح ما يجعلنى حامد الله تعالى ، وشاكراً له مدة حياتى . والفت بها
بعض الكتب . وبجانبها الجنوبى دار لطيفة معدة لسكنى المدرس بها . وهو الآن العالم ١٥
الفاضل المحدث الصالح الشيخ محمد بدر الدين ابن الشيخ يوسف بدر الدين البيبانى
الشهير بالمغربى . لكن تلك الدار قد أجرت لبعض التجار ، وجعلت محلا للتجارة .
وفوق شباك الحجرة الثانية السفلية الشرقية منها بلاطة طويلة محفور فيها ما صورته
بعد البسملة :

٢٠ مما أوقفه السلطان الملك الأشرف أبو الفتح موسى ابن الملك العادل
رحمه الله على هذه الدار المباركة، وهو ثلث قرية حزرما ، وقيسارية العلو بكما لها، وعشرة
حوانيت ، وفرنان واصطبل جوارها ، وحانوتان ، وحجرة جوار كنيسة مريم ، وأربع

(١) فيها الآن اعدادية للعلوم الشرعية ينفق عليها جماعة من أهل الخير وتقام فيها الجمعة .

حصص في أربعة حوانيت بباب البريد ، وحصتان في حانوتين في الجزيرة ، وحصّة في حانوت الحدادين .

هذا ما قرأته على البلاطة المذكورة .

قال ابن كثير في « تاريخه » : كانت هذه المدرسة لصارم الدين قايمار بن عبد الله النجمي واقف القايمازية ، وله بها حمام ، فاشترى ذلك الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن العادل ، وبنّاها دار حديث وخرب الحمام وبناه سكنا للشيخ المدرس . وأتم بناءها في سنتين ، وجعل شيخها الشيخ تقي الدين ابن الصلاح ، ووقف عليها الأوقاف . وكان بها نعل النبي صلى الله عليه وسلم . واشترط في الشيخ أن تجتمع فيه الرواية والدراية . اهـ

١٠ وكان بناؤها سنة ثمان وعشرين وستمائة . وقال الحافظ ابن كثير في « طبقاته » :

وفتحت سنة ثلاثين وستمائة ليلة نصف شعبان ، وأملى بها الشيخ تقي الدين ابن الصلاح الحديث . وبها نعل النبي صلى الله عليه وسلم . وكان عند الامام نظام الدين أبي العباس أحمد بن عثمان بن أبي الحديد السلمي ، مولده بدمشق سنة ستين وخمسائة ، وكان ورثه من آبائه ، وكان الأشرف يقربه ويجله لأجله ، ويؤمل أن يشتريه منه ويضعه في مكان ليزار . فلم يسمح بذلك ، وسمح بأن يقطع له قطعة منه ، فامتنع الأشرف حذرا ١٥ من التطرق الى اعدامه ، ثم أقطعه الأشرف وقدر له معلوما ، فاستمر كذلك الى أن توفي . وأوصى بالنعل للأشرف فأقره بدار الحديث الأشرفية . ويقال انه كان الفردة اليسرى ، وان الفردة اليمنى كانت بالمدرسة الدماغية ولم تزل الى زمن تيمور ، فلما دخل دمشق أخذهما . وفي كتاب « الفتاوى الكبرى للسبكي » ماصورته :

٢٠ وقف دار الحديث الأشرفية مختصرا : هذا ما وقفه السلطان الملك الأشرف أبو الفتح موسى ابن العادل أبي بكر محمد بن أيوب بن شادي جميع ما يأتي ذكره : فمنه الدار ، ومنه جميع الحانوتين من شرق بابها ، وجميع الحانوت من غرب الشباك ، وجميع الحجرة من غرب ما يأتي ذكره . ومنه جميع القيسارية السفلى والعلو ، وجميع الساباط قبالتها ، ودار أيضا . ومنه ثلث حزرما وقفا مؤبدا . فالدار دار حديث ، وأما جميع العقار فموقوف على مصالح هذه الدار ، وعلى أهلها .

٢٥

يبدأ الناظر في هذه الأماكن بعمارة الدار ، وعمارة ما هو موقوف عليها وعلى

اهلها قدر الحاجة اليه من زيت ، وشمع ، وقناديل ، ومصابيح ، وتغاليق ، وحصر ، وبسط برسم المسجد ، وسائر ما لا يختص أحد بسكنائه من سفلى الدار ، وما يحتاج اليه من آلة تنظيف وكنس ونحو ذلك ، وما تدعو الحاجة اليه من تقوية فلاح ، واقراضه ، وشراء دواب وآلات .

٥ ويتعهد كتب الوقف وحججه بالاثبات ، ويصرف في ذلك من فعل الوقف مقدار الحاجة . وله أن يصرف من فعل بعض الأماكن الموقوفة في عمارة مكان آخر منها مما وقف الآن ، ومما سيوقف ان شاء الله تعالى .

وما فضل بعد ذلك كان مصروفا الى اهل الدار من اصحاب الحديث ، والمشتغلين بعلمه ، والسامعين له ، والقراء للسبع ، والشيخ المحدث والامام ، وسائر المرتبين بالمكان المتعلقين به على ما سيأتي شرحه . ١٥

فمنه ما هو مصروف الى الامام ستون درهما عن كل شهر ، ففي السنة سبعمائة وعشرون . وعليه القيام بوظيفة الامامة في الخمس ، وفي التراويح ، وعليه عقد حلقة الاقراء ، والتلقين . وشرطه في هذا ان يكون حافظا للقراءات السبع ، عارفا بها . وللشيخ الناظر ان يجعل حلقة الاقراء الى شخص غير الامام ، ويوزع المقدار المذكور عليهما على حسب ما يرى فيه المصلحة . ١٥

ويصرف الى الشيخ المحدث في كل شهر تسعون درهما ، وهو ابو عمرو بن الصلاح ، ولنسله خمسون درهما الى أن ينقرض آخرهم .

ويصرف الى اولاد الشيخ ابي موسى ، ونسله كل شهر ستون درهما . ولهم ، أو لمن شاء منهم ، سكنى الحجرة التي من شمالي الدار . ويصرف الى خادم الأثر الشريف النبوي ، وهو الحاج ريطار واسمه غلام الله ، في كل شهر أربعون درهما ، وتجري بعده على نسله ، فاذا انقرضوا ، عاد ذلك الى سائر مصارف الوقف وجهاته . ويجعل شيخ المكان بعد انقراضهم خدمة الأثر الى من شاء ، ويجعل له ما يراه . والمصروف الى هؤلاء الثلاثة ، وهم اولاد ابي موسى وعقبه ، وعقب ابن الصلاح ، وعقب ريطار ، من فعل ما سوى الثلث المعين من حزرما لكونهم لم يذكروا حالة انشاء هذه المدرسة . ٢٥

ويصرف في كل شهر مائة درهم الى عشرة أنفس من قراء السبع ، لكل واحد عشرة . ويصرف الى قاريء أربعة وعشرون درهما كل شهر .

ويصرف الى خازن الكتب ثمانية عشر درهما في كل شهر ، وعليه الاهتمام بترميم الكتب ، واعلام الناظر أو نائبه ليصرف فيه من مغل الوقف ما يفي بذلك ، وكذا اذا مست الحاجة الى تصحيح كتاب ومقابلته .

ويصرف الى شخص يكون مرتبا ونقيبا ثمانية عشر درهما . وللشيخ أن يضم اليه في بعض ذلك شخصا من الجماعة ، ويزيده على ذلك شيئا على ما يراه .
والمؤذن في كل شهر عشرون درهما ، وللبواب خمسة عشر درهما .

ويصرف الى قيمين ثلاثون درهما . وللشيخ الناظر أن يفاوت بينهما على حسب عملهما ، وان وقع الاستغناء بواحد اقتصر عليه ، وصرف اليه بعض ذلك على ما يقتضيه حاله .

ويصرف كل سنة ألفان من الدراهم من مغل ثلث حزرما في مصالح النورية ، والقائمين بمصالحها ، والمشتغلين بالحديث من أهلها ، على ما يقتضيه رأي الواقف ، او من يفوض ذلك اليه .

ويصرف في شراء أوراق وآلات النسخ ، من حبر وأقلام ، ونحو ذلك من أدوات الكتابة ، مما تقع به الكفاية لمن ينسخ في الايوان الكبير أو قبالة الحديث ، أو شيئا من علومه ، أو القرآن العظيم ، أو تفسيره . ويصرف الى من يكتب في مجالس الاملاء ، والى من يتخذ لنفسه كتبا أو استجازة ، ولا يعطى من ذلك الا لمن ينسخ لنفسه لقرض الاستفادة والتحصيل دون التكسب والانتفاع بثمنه .

وما فضل عن الأصناف المذكورين ، والجهات المذكورة ، الى تمام ألف ومائتي درهم ، يصرف الى المشتغلين بالحديث ، والسامعين له . فيجعل لكل من المشتغلين ثمانية دراهم ، ومن زاد اشتغاله زاده ، ومن نقص نقصه . ويجعل لكل من السامعين أربعة أو ثلاثة ، ومن ترجح منهم زاده ، ومن كان فيه نباهة جاز الحاقه بالثمانية . ومن حفظ كتابا من كتب الحديث ، فللشيخ أن يخصه بجائزة . ومن انقطع منهم الى الاشتغال بالحديث ، وكان ذا أهلية يرجى معها أن يصير من أهل المعرفة ، فللشيخ أن يوظف له تمام كفاية أمثاله بالمعروف . وإذا ورد شيخ له علو سماع يرحل الى مثله ، فله أن ينزل بدار الحديث ، ويعطى كل يوم درهمين ، فاذا فرغ أعطي ثلاثين دينارا كل دينار بسبعة دراهم . هذا إذا ورد من غير الشام . فاذا كان ممن هو مقيم بالشام كان له دون ذلك ، على ما يراه

الشيخ . فاذا كان صاحب العلو من المستوطنين بدمشق ، واقتضت المصلحة استحضاره في الدار لاستماع ما عنده من العالي ، فللناظر أن يعطيه ما يليق بحاله من عشرة دنانير فما دون ذلك .

واذا اقتضت المصلحة أمراً دينياً يناسب مقاصد دار الحديث ، زائداً على مانص عليه في كتاب الوقف ، فللشيخ الناظر أن يصرف ذلك من مغل الوقف ما يليق بالحالة .
ومن قام بشرط جهتين ، وقدر على اتيانه بهما ، فللناظر أن يجعل له ذلك .

وللشيخ الناظر أن يستنسخ للوقف ، أو يشتري مائدعو الحاجة اليه من الكتب والأجزاء ، ثم يقف ذلك أسوة بما في الدار من كتبها .

وعليهم أن يجتمعوا في خمس ليال ، ويبتدؤوا بعد صلاة الظهر . وللناظر أن يتخذ لهم طعاماً ، وله أن يجعل بدل الطعام كل ليلة مائة . وله أن يشتري ما يليق من شمع ، وعود يبخر به ، وكيزان ، وثلج ونحو ذلك . وله أن يتخذ في شهر رمضان طعاماً ، أو يفرق عوضاً عنها ألف درهم بالسوية على جميع من بالدار من المرتبين والساكنين ، وذلك إذا رأى في مغل الوقف اتساعاً . ومهما كان في مغل الوقف نقص بحيث لا يفي بجميع الجهات المذكورة ، فليجعل النقص في الأمور الزائدة دون الأصلية المهمة .
وليكمل المؤذن ، والقيم ، والخازن ، والبواب ، والقارئ ، والشيخ ، وقراء السبع ، وطبقة المشتغلين ، ويخص بالنقص والحرمان السامعين . وان زاد النقص ، وتناهى الى الأهلية والقائمين بها ، وزع عليها بحسب ما يراه الناظر . وإذا فضل من مغل الوقف فاضل ، فللناظر أن يشتري به ملكاً يقفه على الجهات المتقدمة . وله أن يستفضل شيئاً من المغل لذلك . وإذا رأى صرف الفاضل على أهل الدار أصلح كان له ذلك . وللناظر شراء حصر للبيوت المسكونة في علو الدار .

هذا ما اتصل بي من كتاب وقف هذه المدرسة . وتاريخ هذه الشروط في يوم الأحد التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، ونقلته من نسخة كتبت سنة خمس وأربعين وثمانمائة . وقد انقطع هذا كله في زمننا ولم يبق منه رسم ولا أثر . وانما كتبه ليرى قارئ كتابنا ما كان عليه القوم من الاعتناء بالعلوم ، واقبالهم على ترقيتها وعلى حب الحضارة والعمران ، ومن الاقبال على نصره المدنية ، ومحو آثار الهمجية ، اللذين لا يتمان الا بالعلوم ونشرها . وحبذا لو كانت المطابع موجودة في ذلك

العصر ، إذ لو وجدت فيه وفي العصور التي قبله لأهدت إلينا كتباً وعلوماً وأخباراً
ليس لدينا اليوم منها سوى شيء يسير !.

- ثم ان دار الحديث هذه بقيت عامرة الى قبيل مجيء غازان أحد ملوك التتار . فلما
دخل الشام ، وأتى دمشق ، رام أن يقصدها بسوء ، وكانت تهدمت زيادة تهدم ، فقام
في حمايتها الشيخ زين الدين أبو محمد عبد الله بن مروان الفارقي ، المتوفى في سنة
٥ ثلاث وسبعمائة ، فتولى شؤونها ، وكف عنها يد الذين أرادوا اختلاسها . قال الشيخ
أبو نصر عبد الوهاب السبكي في «الطبقات الوسطى» في ترجمة الفارقي خطيب دمشق،
وشيوخ دار الحديث الأشرفية ، ومدرس الشامية البرانية : أخذ الحديث عن جماعة ،
وكان فقيهاً فاضلاً ، ديناً خيراً ، وقوراً مهيباً ، قوي النفس ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن
المنكر ، مصمماً في دينه . وكانت ولادته سنة ثلاث وثلاثين وستمائة . ١٠ هـ

- والذي علمناه ممن درس بها من الكبار : تقي الدين أبو عمرو ابن الصلاح ، ثم عماد
الدين عبد الكريم ابن الحرستاني ، ثم الشيخ عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي المعروف
بأبي شامة ، ثم الشيخ محي الدين أبو زكريا يحيى النووي ، ثم زين الدين الفارقي ،
فصدر الدين محمد بن عمر العثماني المعروف بابن المرحل وبابن الوكيل ، فكمال الدين
محمد بن علي المعروف بابن خطيب زَمَلْكا^(١) بفتح الزاي وسكون الميم وفتح اللام قرية
١٥ في غوطة دمشق ، فأحمد بن محمد البكري المشهور بالشريشي ، فالحافظ الكبير
جمال الدين يوسف القضاعي الحلبي الدمشقي المعروف بالمزني ، فالقاضي علي السبكي،
فجماعات لم يصح الترتيب فيهم ، منهم :

- الحافظ الكبير عماد الدين اسماعيل بن كثير ، والقاضي تاج الدين والقاضي بهاء
الدين السبكيان ، فولي الدين عبد الله السبكي، وزين الدين عمر بن مسلم القرشي المَلْحي
٢٠ بفتح الميم واللام الدمشقي، وشمس الدين محمد بن بهاء الدين عبد الله المعروف بالحافظ
ابن ناصر ، ورأيت مجلداً يشتمل على ما أملاه الناصر في دروسه وكله في تفسير قوله
تعالى :

- « لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ
يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ
٢٥ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ » ١٦٤/٣

(١) وتنطق الآن بفتح الزاي والميم وتسيكين اللام .

وعلي بن عثمان الصيرفي شارح « منهاج النووي » ، والحافظ الكبير شيخ الاسلام
أحمد بن حجر العسقلاني ، ولما ولي تدريسها ، استناب قطب الدين الخيزري المتقدمة
ترجمته في مدرسته ، قاله السخاوي ، وقال : لكونه أمثل أهل الفن بدمشق حينئذ .
ويقال أنه استقر بها بعد الحافظ ابن ناصر علاء الدين الصيرفي ، وان ابن حجر أخذها
منه . انتهى . ومنهم سيف الدين أبوبكر بن عبد الله الحريري البعلبكي . ثم درس بها
جماعة يطول سرد أسمائهم .

وتلاشني أمرها الى أن صارت بعد المائتين وألف في حالة مخزنة . فاستولت أيدي
المختلسين على دار مدرستها ، ولم يبق منها الا الحجرات التحتانية ، الى أن آلت الدار
لأمرأة . فجاء العالم الفاضل الأديب الشيخ يوسف بدر الدين البيباني الشهير بالمغربي ،
وكان محباً لدار الحديث لما كان يسمع من تاريخها وتراجم كبار المدرسين بها ، وكان
ذلك بعد الستين ومائتين وألف بقليل . ولما زارها وجدها في حالة تنذرهما بمحو آثارها ،
فهزته الحمية العلمية ، وجد في خلاصها من يد مختلس دارها ، فلما علمت المرأة بذلك ،
آجرتها لرجل مسيحي يقال له : يانكو ، وتبعته غير عثمانية ، وكان يبيع الخمر ، فجعلها
حانة للمسكرات ، وأخذ قسماً من مسجدها ، وهو ماتحت القبة ، ففتح له باباً الى الدار ،
وجعله مخزناً لدنان الخمر . فاغتاظ الشيخ من ذلك ، وادعى لدى الحاكم أن البيت وقف
على مدرس المدرسة ، وأثبت ذلك بالبراهين والأدلة القاطعة . فحكم الحاكم بذلك ،
وأعطاه حجة بثبوت مدعاه . ورام يأخذ الدار بدون عوض ولا ثمن ، فلم يتيسر له ذلك
لفقره واحتياجه ، ولم يصادف مسعفاً . وحصل له بسبب ذلك معاكسات ، فنظم
قصيدة طويلة يذكر فيها الواقعة ، ويهجو من لم يساعده ، وهي طويلة جداً ووجودها
الآن قليل .

ولما ضاق به الحال ، خرج من دمشق وحلف أن لا يعود إليها أو يجد سبيلاً لضم
الدار الى المدرسة . فسافر الى القسطنطينية ، فمر في طريقه على رودس ، وكان
العارف الكبير الأمير عبد القادر الجزائري مسجوناً بها . بعد ما أخرجته فرنسا من القطر
الجزائري ؛ فتعرف به وزاره ، وشكى إليه أمره . فسأله الأمير عن البلاد التي دخلها أيها
أجمل وأحسن للاقامة ؟ فقال له دمشق . فقال له : ان قدر الله لي الخلاص ، لأسكن
دمشق ، ولأخلصن لك الدار . ثم انه سافر الى القسطنطينية ، فاجتمع بها بشيخ
الاسلام وقتئذ عارف عصمت بك ، فتعرف به وتقرّب إليه ، ونظم هناك قصيدة في

- فُن الرسم ، وشرحها بشرح سماه « الدر المستطاب بشرح تحفة الطلاب » . ثم أن عارف بك أحبه لما رأى من فضله ، فقرأ عليه ، وأخذ عنه بعض الفنون ، وكان يحفظ مولد الشيخ الدردير ويجعله وردا له ، فشرحه له الشيخ شرحا مطولا . وفي هذه البرهة استحصل على براءة شريفة سلطانية بخطبة دار الحديث وتدريسها ونظرها وامامتها . وفي هذه المدة قدر الله الخلاص للأمير عبد القادر ، واستوطن دمشق . فعاد الشيخ يوسف إليها في حدود سنة خمس وستين ومائتين بعد الألف . فاشترى الأمير الدار من ماله ، وجعلها وقفا على الشيخ وعلى ذريته من بعده . وتبرع الوجيه السري سعد الله حلاية البيروتي التاجر بعمارة باب المدرسة ، واصلاحها . ثم صارت الى الصورة التي هي عليها الآن . وحاصل أمرها أنها بنيت أولا ، ثم تهدمت واحترقت ، فقام بأمرها الفارقي ، فرممها وأصلحها ، ثم اختلس جانب منها ، وكاد الباقي أن يتبعه ، فقيض لها الله أهل الخير بواسطة الشيخ يوسف المغربي . وفي سنة ثلاثين وثلاثمائة بعد الألف احترق السوق الذي وراءها واحترق جانب منها . فسعى بعض أهل الخير في أعمالها وهي الآن تعمر . وأما أوقافها ومرتباتها ، فقد اختلست منها من أمد بعيد ، وأصبحت فقيرة . ورايت فوق بابها بالحائط حجراً مكتوباً فيه بعد البسملة : عمرت هذه الدار المباركة بعد احتراقها وانهدامها بنظارة الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام ١٥ بركة الشام زين الدين عبد الله بن مروان الفارقي الشافعي وذلك في سنة (١) وستمئة ومكتوبا بجانبه هذه الأبيات :

- هذه دار حديث المصطفى من عليه الله صلى كل حين
جد في تجديدها قاضي القضا مخلصاً لله رب العالمين
ولسان السعد نادى أهلها أدخلوها بسلام آمنين ٢٠
شكر الله له السعي بها وحباه النصر والفتح المبين
فهي أفق لبدور العلم كالنووي الحبر والسبكي المكين
فأتى تاريخها نعم أجر العاملين
هنا كلمات لم تظهر لي . سنة ١٢٦٦

(١) كذا في الإصل .

وبجانبها أيضاً :

هذه مدرسة قد أشرقت بحديث المصطفى الهادي العظيم
جد سعد الله في تجديدها مخلصاً لله مولانا الكريم
فجزاه الله من أفضاله أرخن بجدة الأجر العظيم
سنة ١٢٩٠

وهو تاريخ بناء سعد الله أفندي حلايه لبابها .

وأطلعني الشيخ أحمد بدر الدين ولد الشيخ يوسف بدر الدين على قصيدة لأحد
أدباء حلب واسمه الشيخ مصطفى ، يمدح بها والده ، ويشير بها الى أن الشيخ كان سببا
في تجديد جامع العفيف الذي هو في صالحة دمشق . منها :

والجامع البدر أنشأ العفيف عفا فكنت محي له اذ زدته مددا

ومنها :

والقطب شمس نوى أولاك مظهره فقامت فيه بحق واضح وهدي
يتمت ساحة دار للحديث وقد صارت رميما وباب الغير سددي
فساعد الله في بدء عيشي كرما يتم بالحسن والاحسان كيف بدى

وبيت التاريخ :

دار الحديث زهت منه مؤرخة شمس الضحى أوجها أرخت سرغدا

ومن هذا يعلم تاريخ السعي في انشائها ، وتاريخ انشائها ، وعمارة بابها ، فجزى
الله المحسنين خيراً .

دار الحديث (الأشرافية الثانية)

وهي الأشرافية البرانية المقدسية . وهي ، كما في « تنبيه الطالب » وغيره ، بسفح
قاسيون على حافة نهر يزيد ، تجاه تربة الوزير تقي الدين التكريتي ، وشرقي المدرسة
الأسدية الحنفية وغربي الأتابكية الشافعية . بناها الملك الأشرف مظفر الدين موسى
ابن العادل باني دار الحديث الأشرافية المتقدمة لأجل الحافظ ابن الحافظ جمال الدين
عبد الله بن تقي الدين عبد الغني المقدسي ، ووقف عليها خمس ضياع بالبقاع : الدير ،

والدوير ، والتليل ، والمنصورة ، والشرقية ، ولها بيت ابن النابلسي المعروف بالشكك ،
والجينة ، وحكر حارة الجوبان . ومات الحافظ المبنية لأجله قبل اتمام بنائها .

قال الذهبي : بنى له الملك الأشرف دار الحديث بالسفح ، وجعله شيخها ، وقرر له
معلوما ، فمات قبل فراغها . وأول من درس بها : القاضي شمس الدين محمد بن أبي عمر ،
ثم محمد بن عبد الواحد ، ثم شرف الدين عبد الله المقدسي ، ثم سليمان بن حمزة ، ثم
ابنه عز الدين محمد ، فولده بدر الدين ، ثم صار كل من يتولى قضاء الحنابلة يتولاها ،
وان لم يكن أهلا للتدريس بها ، كما استقرت عليه عادة المدارس في عدم الأهلية الى
يومنا هذا . وكان للمدرسة وظيفة اعادة .

أقول : وقفت على هذه المدرسة أثناء تألّفي لهذا السفر وقفة باهت متحير مما
انزلها من أوجها بعد عزها . فرأيتها عن يمين الطريق العظمى التي تمر أمام الأتابكية ،
وتذهب الى جهة الغرب الشمالي ، الى المحلة التي أنشئت حديثا وسميت بحارة المهاجرين .
ورأيت جدارها الشمالي قائما لم يغيره طول الزمان ، ولا كر الحدثان . وهو مبني
بالحجارة الصفرة . ومحلّتها الآن يقال لها حارة عروذك . وبجانبتها الشرقي الجنوبي باب يصار
منه الى قبة مبنية ببناء متين ، لكنما أعلاها قد تهدم ، وبها باب يدخل منه الى المدرسة
وقد اتخذها الآن الناس الذين هناك مخزناً لقش الحصر . وأما المدرسة فانها
اختلست ، وصارت دورا للسكنى ، وجنائن لزور الزهور والرياحين ! وأمامها ساحة
فسيحة ، وهي متنزه عجيب أبدع من اختها المتقدمة ، واتقن بناء وأتم هندسة .
غير أن الحظ ساعد اختها ، فبعث الله لها من أحيائها بعد اندراسها ، وهذه تبكي على
أيامها وتستغيث فلا تجد مغيثاً ، وتستنصر فلا تجد ناصراً فسبحان الدائم ! وفوق
بابها حجر محفور فيه ماصورته بعد البسمة :

أوقف هذه المدرسة المباركة ، ابتغاء لوجه الله تعالى ، المولى السلطان ، العالم العادل ،
المظفر المؤيد المنصور ، الملك الأشرف مظفر الدين أبو الفتح موسى ابن المولى السلطان
الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب تقبل الله منه وأثابه الجنة ، على الحنابلة
المحدثين . وأوقف عليها نصف دير أرغى بالبقاع العزيز ، وريعتها ومزارعها في سنة أربع
وثلاثين وستمائة .

ونص هذا الوقف هنا لا ينافي ما تقدم ، لأن هذا كان عند البناء ، والزائد عليه كان
بعده . ولو استطعنا وصفها بالمعاصرة ، لظفرنا بإيضاحات أكثر من هذه . ولكن تغير

أحوالها ، وتبدلها منع من ذلك . وكأني بمعاهدها تندب أهلها ، ورجالها الذين كانوا بها ،
وتنشد قول أبي العلاء :

كأنما الخير ماء كان وارده أهل العصور فما أبقوا سوى العكر

وممن اتصل بنا خبره من أساتذتها شمس الدين عبد الرحمن ابن أبي عمر محمد
ابن أحمد بن قدامة المقدسي شارح « المقنع » في عشر مجلدات . وهو أول من رتب لها ،
وأول من ولي قضاء الحنابلة . فالامام محمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسي
المعروف بابن الكمال ، فالقاضي حسن بن أبي بكر المقدسي ، فتقي الدين سليمان بن حمزة ،
فشرف الدين الفائق النابلسي ، فتقي الدين المقدسي ، فولده عز الدين ، ثم صار
تدريسها لمن يتولى قضاء الحنابلة .

ترجمة واقفها

الملك الأشرف
موسى
٦٣٠-٥٧٦
قد علم مما مر أن الذي بنى هذه المدرسة ، والتي قبلها الملك الأشرف مظفر الدين
موسى ابن العادل وترجمته في القسم الأول السياسي من هذا الكتاب فلا نطيل بها
هنا وكانت وفاته سنة ثلاثين وستمائة (١) .

حرف الباء

دار الحديث (البهائية)

بهاء الدين المظفر
٧٢٣-٦٢٩
هي داخل باب توما ، وكانت داراً للشيخ بهاء الدين أبي محمد القاسم ابن الشيخ
بدر الدين أبي غالب المظفر ، فأوقفها آخر عمره دار حديث . وولي تدريسها الشهاب
الأذرعي المشهور ، ثم شمس الدين أبو المحاسن الحسيني الدمشقي . هذا ما رأيته في
« تنبيه الطالب » (٢) .

(١) كذا في الاصل وفي رواية أخرى : كانت وفاته سنة ست وثلاثين .

(٢) بعد هذا الكلام يوجد في الاصل بياض قدره أحد عشر سطرا ، لعل المؤلف تركها ليضيف معلومات
جديدة فما تيسر له ذلك . وهذا كثير في طيات الكتاب وسننبه اليه - ان شاء الله - في حينه .

حرف الحاء

دار الحديث (الحمصية)

- هذه لم تكن دار حديث مستقلة ، وإنما كانت حلقة في الجامع الأموي لأقراء الحديث . وكان لها وقف يقوم بمصالحها . قال في « تنبيه الطالب » ، وتبعه البقاعي : لم نقف لواقفها على ترجمة . ودرس بها الحافظ المزي ، ثم الحافظ صلاح الدين العلائي خليل ابن كيكلي في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة . قال في « العبر » : أورد العلائي بحلقة ابن صاحب حمص درسا بآهرا نحو ستمائة سطر ، وكان ذلك بحضرة القضاة . ١٥ هـ وستأتي ترجمته في محلها .

حرف الدال

دار الحديث (الدوادرية) والمدرسة والرباط

١٠

- وقفها الأمير علم الدين سنجر التركي الصالحي الدوادر داخل باب الفرج . وكان مكانها رواقا له أولا ، فجعله دار حديث ومدرسة سنة ثمان وتسعين وستمائة . قاله ابن كثير . وأول من وليها : الشيخ علاء الدين علي بن إبراهيم الشهر بالعطار ثم الشيخ نور الدين محمد بن نجم الدين أبي بكر محمد الشهر بابن قوام البالسي الدمشقي ولد سنة سبع عشرة وسبعمائة ، وسمع جماعة وتفقه ، وكان يحب السنة ، ويفهمها جيدا ، ١٥ توفي سنة خمس وستين وسبعمائة .

- أقول :** ان هذه المدرسة درست ، ولم يعلم مكانها على سبيل التحقيق ، ولكننا نشير إليه على سبيل الإشارة . فأما باب الفرج فهو الباب الموجود الآن بالقرب من القلعة ، في السوق التي يقال له الآن الماخلية المركب بعضه على نهر بردى الذي يتوصل منه الى درب العمومي (١) . وهو باب متين قال الحافظ ابن عساكر في « تاريخه » : باب الفرج من شامي البلد ، يعني من جهتها الشمالية ، أحدثه الملك العادل نور الدين ، وسماه بذلك تفاؤلا لما وجد من الفرج لأهل البلد بفتحه . وكان بقربه باب يسمى : باب العمارة ،

(١) المسمى الآن بشارع الملك فيصل .

فُتِحَ عندَ عمارةِ القلعةِ ، ثم سُدَّ بعدَ ، وأثره باقٍ في السور . انتهى . وباب الحديد بالحاء المهملة ، من شأمه أيضاً . وهو الآن خاص بالقلعة التي أحدثت غربي البلد في دولة الأتراك . سمي بذلك لأنه كله حديد ، فقليل له : الباب الحديد ، ثم تركت الألف واللام تخفيفاً ، ثم صحفته العوام فقالوا الباب الجديد بالجيم . وكان الأتراك ينزلون منه ، ويطلعون منه سرا . ويجوز الخارج منه على جسر من خشب ، من تحته الخندق الدائر بالقلعة ، ينوف عمقه على مائة ذراع بذراع العمل . به يتخزن الماء ، وينبت الشوص ، وغير ذلك . وهو غير خندق المدينة . واصطلاح في آخر دولة ابن قلاوون أن من يلي نيابة دمشق يصلي عند هذا الباب ركعتين ، مستقبلاً للقبلة ، بحيث يبقى الباب عن يساره ، وتقف أجناد القلعة ، وأرباب الوظائف والإدارات في منازلهم على حسب العادة ، حاملين السلاح إلى أن يفرغ من صلاته ودعائه . فإن أريد به شر قبضوا عليه ، ودخلوا به ، وقلبوا الجسر بينه وبين أعوانه . والجسر بلوالب ، فيحال ما بينه وبين أعوانه . وإن أريد به خيراً زكب في عزة ، ومعه وجوه الدولة ، وهم في خدمته ، إلى أن ينزل بدار العدل التي أنشأها المرحوم نور الدين وكانت تسمى بدار السعادة وهي تلي باب السر . وعلى بابها باب النصر فتحه الملك الناصر ابن أيوب للمدينة . وبهذا علم محل باب الفرج . ثم أنك إذا خرجت منه متوجهاً نحو الجنوب ، اعترضك طريقان : أحدهما عن يسارك ، ومنه تصل إلى سوق العمارة ، وليس فيه مدرسة ولا أثر لها ، إلا أن يكون ثمة أثر داخل الدور . ثم بعد كتابتي لهذا هدمت الحوانيت التي كانت هناك فظهر باب المدرسة وقد صارت دوراً . وثانيهما عن يمينك ، ويمر إلى شرقي القلعة . وعن يسار الذي يجتازه طريق آخر ذو شعب ، توصل شعبة منه إلى المدرسة العادلية ، ثم الظاهرة (١) . وغربي العادلية ، في شمالي الزقاق ، تجاه الزقاق الذهاب إلى العسرونية باب يشير بنفسه إلى أنه باب مدرسة . وبجانبه من الغرب جدار مبني بالحجارة المتينة ، وهو شاهق ، ويدور مع الزقاق إلى الجانب الغربي الموصل إلى باب الفرج . وهو يشير أيضاً إلى أنه كان جداراً لمدرسة عظيمة تشابه العادلية الكبرى . وهذا المحل كله قد اختلس ، وصار دوراً للسكنى ! فيمكن أن يكون ذلك الأثر هو الدال على مكان المدرسة الدوادارية ، ودار الحديث التي كانت بها ، وعلى الرباط الذي بني بها ، لأن ذلك المكان واسع ، يمكن أن يحتوي على جميع ذلك والله أعلم .

(١) كذا في الأصل والأرجح أنها الظاهرية المعروفة .

ترجمة واقفها

علم الدين سنجر
٦٢٠-٦٩٩

هو الأمير علم الدين سنجر المتقدم . قال الحافظ الذهبي في « العبر » : كان من نجباء الترك وشجعانهم ، وعلمائهم ، وله مشاركة جيدة في الفقه والحديث ، وفيه ديانة وكرم ، وله في دمشق والقدس أوقاف كثيرة تحيز إلى حصن الأكراد . ولد سنة نيف وعشرين وستمائة ، وتوفي سنة تسع وتسعين وستمائة . وقال الصلاح الصفدي في « تاريخه » :

- قدم من الترك في حدود سنة أربعين وستمائة ، وكان مليح الشكل ، مهيباً ، كبير الوجه ، خفيف اللحية ، صغير العينين ، ربيعة من الرجال ، حسن الخلق والخلق ، فارساً ، شجاعاً ، ديناً ، خيراً ، عالماً ، فاضلاً ، مليح الخط ، حافظاً لكتاب الله . حفظ « الأشادة في الفقه لسليم الرازي » ، واعتنى بالحديث وحفظه ، وكان من الأسراء في أيام الظاهر ، ثم أعطي الإمرة بحلب ، ثم قدم دمشق وولي الشدودة ، ثم كان من أصحاب سنقر الأشقر ، ثم أمسك ، ثم أعيد إلى رتبته ، ثم أعطي خبزا وتقدمة على الف . وتقلبت به الأحوال ، وعلت رتبته في دولة الملك لاشين ، وقدمه على الجيش في غزوة سويس . وكان لطيفاً مع أهل الصلاح والحديث ، يتواضع لهم ، ويحادثهم ، ويؤانسهم ، ويصلهم . وله معروف كثير ، وأوقاف بدمشق والقدس . وكان مجلسه عامراً بالعلماء ، والشعراء ، والأعيان ، وسمع الكثير بمصر والشام والحجاز . وروى عن زكي الدين عبد العظيم المنذري ، والرشيد العطار ، وجماعة . وسمع جماعات بمكة ودمشق ، والاسكندرية ، وحلب ، وأنطاكية وبعبك ، والقدس ، وقوص ، والكرك ، وصفد ، وحمص ، والفيوم ، وجدة ، وطيبة^(١) . وقل من أنجب من الترك مثله . وسمع منه خلق ، وشهد الواقعة وهو ضعيف ، ثم التجأ بأصحابه إلى حصن الأكراد ، فتوفي فيه ليلة الجمعة ثالث شهر رجب . فانظر إلى ما كانوا يعتنون به من العلم ، ويطوفون لأجله البلاد البعيدة ، مع قلة الوسائط في زمانهم ! وانظر إلى أمرائهم كيف كانوا ! وقال الصفدي : وكان الشيخ فتح الدين خصيصاً به . ينام عنده فقال لي يوماً : كان الأمير علم الدين قد لبس الفقيري وتجرد ، وجاء مكة فجاور بها ، وكتب الطباق بخطه ، وكان في وجهه آثار الضروب من الحروب ، وكان إذا خرج إلى غزوة خرج وإلى جانبه شخص يقرأ عليه أحاديث الجهاد ، وقال : إن السلطان حسام الدين لاجين رتبته في عمارة جامع

(١) تكرر ذكر طيبة في الأصل والظاهر أنه سبق قلم من المؤلف .

طولون ، وفوض اليه امره ، فعمره وعمر أوقافه ، وقرر فيه دروس الفقه والحديث ، وجعل من ذلك وقفا يختص بالديوك التي تكون في مكان مخصوص من سطح الجامع ، وزعم انها تعين الموقتين ، وتوقظ المؤذنين بالأسحار ، وأثبت ذلك ضمن كتاب الوقف . فلما قرىء على السلطان أعجبه ما اعتمده في أوله ، ولكنه لما انتهى الى ذكر الديوك أنكر ذلك ، وقال أبطلوا هذا لا يضحك الناس علينا . وكان سبب اختصاص فتح الدين به انه سأل الشيخ شرف الدين الدمياطي يوما عن سنة وفاة الامام البخاري فلم يستحضر التاريخ ، فسأل الأمير سنجر عن ذلك فأجابه ، فاختص به . وغالب رؤساء دمشق ، وكبارها وعلمائها نشاؤه في ذلك الزمن . وقد ترجمه ابن الزمكاني وأثبت القصائد التي مدح بها في مجلدين . وكتب اليه علاء الدين الوداعي في وفاة ولده عمر :

١٠ قل للأمير وعزّه في نجله عمر الذي أجرى الدموع أجاجا
حاشاك تظلم ربع صبرك بعدما أمسى لسكان الجنان سراجا

وقال فيه لما أخذ في دويرة السميساطي بيتاً :

١٥ لدويرة الشيخ السميساطي من دون البقاع فضيلة لا تجهل
هي موطن للأولياء ونزهة في الدين والدنيا لمن يتأمل
كلت معاني فضلها مذلها العلامة الفرد الفياث المؤئل
اني لأنشد كلما شاهدتها ما مثل منزلة الدويرة منزل



أبواب (دمشق)

لما كان لمعرفة أبواب دمشق فائدة كبيرة أثناء التعريف بالمدارس القريبة منها ،
وتقدم بعض من بيانها ، ردفنا هنا بيان ذلك بالباقي منها ليكون كاللتممة والايضاح .
فقلنا : من تأمل الآثار الموجودة بدمشق ، علم يقينا بأنها كانت في سابق اعوامها معقلا
حصينا ، وموطنا حرييا مهما بالنسبة الى الفن الحربي الذي كان في تلك الأيام . ومن
وقف امام ابوابها ، ورأى سورها الذي كان محيطا بها احاطة السوار بالمعصم ، والخندق
المحيط به ، تجلت له ابهة الجلال ، وتصور تحصينها أيام كانت فيها محاصرة وهي
تدافع عن حوزتها ، واسودها يحمون ذلك العرين ، ويحنون لصلصلة السيوف ، ويرتاحون
للمعانها ، ورأى سطور البطش والسطوة مرسومة على سورها وابوابها . كما أنه اذا
تأمل مدارسها ، علم منها شدة اعتناء أهلها بالعلوم ، واعتناء ابطالها بآلات الحرب ،
وشغفهم بها ، ومهارتهم في تحقيقها ، ومعرفة طرق ادائها ، وشغف أسودها ومهارتهم
بفنون الحرب ، والشجاعة ، والاقدام . فليعلم المتأمل الجهتين ، وليتفكر في آثار
الموضوعين . ولنرجع لما كنا بصدد فنقول :

قد تقدم التعريف بباب **الفرج** ومكانه . وهذه الابواب الخمسة المتقدمة جميعها
حادث ، وهي فيما بين باب الجابية وباب الفراديس الا باب السلامة . ولم يبق موجودا
منها الآن الا باب الفرج وأخبرني الثقات انه كان باب عظيم في اول السوق المعروف
الآن بسوق الأروام من جهة الغرب بالقرب من سراي العسكرية ، فلما بني السوق على
الهيئة الموجودة الآن ، هدم فلم يبق له اثر .

وأما باب **الجابية** فهو من غربي البلد . قال ابن عساكر في « تاريخه » : هو منسوب
الى قرية الجابية لأن الخارج اليها يخرج منه لكونه مما يليها . وكان هذا الباب ثلاثة
أبواب : **الأوسط** منها كبير ، ومن جانبيه بابان صغيران ، على مثال ما كان الباب الشرقي .
وكان من الثلاثة أبواب ثلاثة أسواق معقدة من باب الجابية الى الباب الشرقي ؛

كان الأوسط من الأسواق للناس ، وأحد السوقين لمن يشرق بدابته ، والآخر لمن يغرب بدابته ، حتى أنه كان لا يلتقي فيها راكبان . فسد الباب الكبير والشمالي منهما ، وبقي القبلي إلى الآن .

٥ أقول : وهذا الباب الباقي مبني بحجارة ضخمة ، وفوقه صخرة عظيمة قد وضع طرفاها فوق عضادتيه ، ومكتوب فوقها ما يشير إلى أنه تطرق إليه بعض انهدام ؛ فجدده الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل ، وهو الذي بنى سور دمشق بعد انهدامه ، وبنى طارمة على باب الحديد . وهذا الباب يقرب من جامع السنانية ، وبجانبه عن يسار الخارج منه تربة يقال للمدفونة بها الست جابية ، وبجانبها سويقة ، حوانيتها صغيرة ، وطريقها ضيق جداً ، وهي الباشورة التي بناها نور الدين الشهيد ، ولها باب بجانب باب جامع السنانية الشرقي الصغير . وهذا الباب مبني بالحجارة الضخمة أيضاً ، ومحفور على الحجر الذي بأعلاه من الخارج بعد البسملة :

امر بعمارة الباشورة والقبو مولانا الملك العادل السعيد نور الدين أبو القاسم محمود ابن زنكي بن آق سنقر ضاعف الله له الثواب وغفر له ولوالديه يوم الحساب ابتغاء مرضاة الله سنة سبع وستين وخمسمائة .

١٥ وآثار الأبواب ظاهرة من شماله ، وكذا آثار الأسواق الثلاثة التي أشار إليها ابن عساكر . وقد ظهر منذ عهد قريب أعمدة ضخمة جداً مطمورة في محلة الخراب ، فنقل واحد منها إلى الجامع الأموي حين بنائه كما سيأتي ، فما وصل إليه إلا بعد الجهد لعظمه . وهذا مما يدل على أن تلك الأسواق الثلاثة كانت معقودة بالأحجار العظيمة . ثم يلي باب الجابية **الباب الصغير** وهو الباب القبلي للبلد . قال ابن عساكر : سمي بذلك لأنه كان أصفر أبوابها حينما بنيت . ١٥ هـ وهو باق إلى الآن بمصلبة الشاغور . ومن جانبه الغربي زقاق يقال له زقاق الصمادية ، ومن شرقيه طريق يوصل إلى حارة الزط ، وبناءه قوي متين . وأخبرني بعض سكان تلك الجهة أنه كان في قبلته باب آخر نظيره ، فهدم في حدود تسعين ومائتين بعد الألف ، وجعل مكانه حوانيت للبيع والشراء . والظاهر أن هذا كان هو الأصل ، وأن الموجود الآن أحدث بعده .

٢٥ ثم يلي هذا الباب من القبلة إلى الشرق **باب كيسان** . قال ابن عساكر : ينسب إلى كيسان مولى معاوية . وذكر هشام بن محمد الكلبي أنه منسوب إلى كيسان مولى

بشر بن عبادة بن حسان بن جبار بن قرط الكليبي الكليبي ، وهو الآن مسدود . ولم يزل مسدودا الى عهدنا هذا .

ثم يليه **الباب الشرقي** سمي بذلك لأنه شرقي البلد ، وكان ثلاثة أبواب : باب كبير في الوسط وبابان صغيران الى جانبه ، سد منها الكبير والباب الصغير الذي من قبلته ، وبقي الصغير الشمالي . قاله ابن عساكر . وهذا الباب لم يزل موجوداً الى الآن ، وهو ٥ على نمط باب الجابية الباقي .

ويليه **باب توما** وهو من شمالي البلد ، ينسب الى عظيم من عظماء الروم اسمه توما وكانت له على بابه كنيسة جعلت بعد ذلك مسجداً ، وهو مسجد لطيف وموجود الى الآن .

١٠ **وباب الجنيق** من الشمال أيضاً منسوب الى محلة الجنيق وكانت محلة كبيرة وبها كنيسة فجعلت بعد مسجداً . قال ابن عساكر : وهو الآن مسدود . ١٠ هـ وهذه المحلة هي ما بين باب توما وباب السلامة خارج السور وتسمى محلة الفرايين . والباب لم يزل مسدوداً الى زمننا .

باب السلامة وهو مشهور الآن بباب السلام ، وهو من شمالي البلد أيضاً ، سمي بذلك تفاؤلاً ، لأن القتال كان لا يتهياً على البلد من ناحيته لما دونه من الأشجار والأنهار . ١٥ وهذا الباب مما أحدثه المرحوم نور الدين محمود بن زنكي ثم تهدم مما توالى عليه من الحروب ، ثم جددته الملك العادل كما يظهر من آثاره . وقد رأيت فوجدته باباً متيناً عظيماً نظير غيره من الأبواب الباقية ، ومعلق داخله من الشمال حجر من أحجار المنجنيق ، ومكتوب على الصخرة التي فوقه بعد البسملة :

٢٠ جددت عمارة هذا الباب السعيد في أيام مولانا السلطان ، الملك الصالح ، السيد الأجل ، العالم العابد ، المجاهد المؤيد المظفر المنصور ، نجم الدنيا والدين ، سلطان الاسلام والمسلمين ، منصف المظلومين من الظالمين ، قاتل الكفرة والمشركين ، ماحي البغي والفساد ، دافع المفسدين في البلاد ، مقر الاسلام ، غياث الانام ، ركن الدين والملة والأمة ، علاء الأمة ، سعد الملوك والسلاطين ، السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب الناصر أمير المؤمنين ، بتولي العبد الفقير يعقوب بن ابراهيم بن موسى سنة احدى وأربعين وسبعمائة . ٢٥ وغالب الأبواب مكتوب عليها كتابات تشبه هذه ، وقد تركت نصها خوف التطويل ، ولعدم جدواها .

وباب **الفراديس** من شمالي البلد أيضا . وهو الآن في سوق العمارة الممتد الى جامع بني أمية . وهو باب متين أيضا بالقرب من نهر بردى ، وفي داخله باب أيضا عند المقدمة . وكلاهما مبني بالصخر العظيم . قال ابن عساكر : وهذا الباب منسوب الى محلة كانت خارج البلد تسمى الفراديس ، وهي الآن خراب . وكان للفراديس باب آخر عند باب السلامة فسد . والفراديس بلغة الروم البساتين . ٥

وقال أيضا : **باب الجنان** من غربي البلد ، سمي بذلك لما يليه من الجنات وهي البساتين ، وقد كان مسدوداً ثم فتح . انتهى

أقول : يمكن أن يكون هو الذي كان عند سوق الأروام ثم هدم ، أو غيره . وبالجمله فلم يبق من الابواب ظاهرا للعيان ومشهورا ، سوى سبعة أبواب : باب الجابية ، باب الصغير بالشاغور ، باب شرقي ، باب توما ، باب السلامة ، باب الفراديس ، باب الفرج . ١٠ وما بقي فهو إما مسدود أو مهديم . وأما السور فمن باب الجابية الى باب الفراديس قد بقي على حاله ، لم يطرأ عليه سوى بعض الانهدام والنقض . ومنه الى باب الجابية لم يوجد سوى شيء يسير من أطلاله .

قال ابن عساكر : وفي السور أبواب صفار غير مذكرونا ؛ تفتح عند وجود الحاجة اليها ، منها : باب في حارة الحاطب يعرف بباب ابن اسماعيل ، وباب في المربعة انتهى . ١٥ وغالب هذه الابواب القديمة بنى نور الدين عليها منائر ، وجعل لكل منارة مسجدا ، وجعل لكل باب باشورة كالسويقة ، بها حوانيت مملوءة بالبضائع . فاذا حصنت المدينة ، وقفلت الابواب ، استغنى أهل كل باب من هذه الابواب بما عندهم . وهو مقصد جميل . وقال الفاضل حسن ابن المزلق المعروف بالتقي البدرى في كتابه «نزهة الأنام في محاسن الشام» : كانت صور الكواكب على هذه الابواب ؛ فزحل على باب كيسان ، والشمس على الباب الشرقي ، والزهرة على باب توما ، والقمر على باب الجنيق ، وعطارد على باب الفراديس ، وعلى باب الجابية المشتري ، وعلى الباب الصغير المريخ . هذا كلامه ؛ وليس بمستبعد في نظر التاريخ لأن الاقدمين سكان سورية كانت لهم عناية عظيمة بالكواكب ، وبناء الهياكل لها ، واستخدامها بزعمهم ؛ كما تدل على ذلك الآثار الباقية من القرون الخالية . ومن مثل هذا نشأت عبادة الكواكب ، والاوثن والاصنام . فكانوا يضوون كل كوكب بصورة شيء يميل ذلك الكوكب بدلالته عليه . وجاماسب الحكيم لما تكلم على قرانات الكواكب أشار اليها برموز صورها التي توجد أحيانا في الحفريات . ٢٥

فكانوا يصورون **زحل** في صورة شيخ في يمينه رأس رجل ، وفي يساره يده ، وهو راكب على ذئب يحرك له بعصاه . وتارة يصورونه راكبا على فرس ، وفي رأسه مغفر ، وفي يساره ترس ، وفي يمينه سيف .

ويصورون **المشتري** في صورة كهل ، في يمينه سيف مصلت ، وفي يساره قوس ، وهو راكب على فرس ، وفي عنقه سبحة . ويصورونه أيضا بصورة رجل جالس على كرسي ، عليه اثواب ملونة ، وفي يساره خيزرانة .

ويصورون **الريخ** بصورة شاب راكب على أسدين ، وفي يمينه سيف مصلت ، وفي يساره طبرزين^(١) . ويصورونه أيضا بصورة شاب أشقر ، راكب على فرس أشقر ، في رأسه مغفر ، وفي يساره رمح فيه علامة ، وفي يمينه رأس رجل ، ولباسه أحمر .

ويصورون **الشمس** بصورة رجل ، في يمينه عصا متكى عليها ، وهو راكب على وردتون يحمله على أربعة ثيران ، وفي يساره خرز . ويصورونها أيضا بصورة رجل جالس ، وجهه كالطوق ، ومعه تمثال أربعة افراس .

ويصورون **الزهرة** بصورة امرأة ، عندها عود تضرب به . أو بصورة امرأة جالسة ، مرسلة شعرها ، وذوائبها في يدها اليسرى ، وفي يمينها مرآة تنظر فيها ، ولباسها أصفر وأخضر ، وعليها الطوق والسوار والخلخال .

ويصورون **عطارد** بصورة شاب راكب على طاووس ، وفي يمينه حية ، وفي يساره لوح يقرأ فيه . ويصورونه أيضا بصورة رجل جالس على كرسي ، وفي يده كتاب ، وعلى رأسه تاج أو شيء من الملابس ، وعليه ثياب ملونة .

ويصورون القمر بصورة رجل في يمينه حربة ، وقد عقد في يساره ثلاثين كانه يحسب ثلاثمائة ، وفي رأسه تاج ، وهو راكب على ورديون يحمله أربعة افراس .

هذا ماكان عليه أصحاب فن أحكام النجوم . ويمكن أن تكون الصور التي كانت على الابواب من هذا القبيل ، وضعوها لغاية لهم اقتضتها صناعة فن النجوم والله أعلم .

(١) الطبرزين والطبر الفأس من السلاح والكلمتان من الدخيل .

حرف السين

المدرسة (السامرية)

هي بالقرب من محلة مؤذنة الشحم بزقاق المرحوم الشيخ المسلك الدسوقي ، وبها خانقاه أيضاً ، وهي التي الى جانب الكروسية الآتية والسامرية بفتح الميم وكسر الراء مشددة ، نسبة الى بانيها الصدر الكبير سيف الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي جعفر البغدادي السامري ، نسبة الى « سر من رأى » بلدة على الدجلة . وينسب اليها أيضاً بلفظ السرمري . وكانت قديماً تعرف بدار ابن قوام . وكان بناؤها من حجارة منحوتة كلها . فاشتراها السامري ، وجعلها دار للسكنى ؛ ثم وقفها دار حديث وخانقاه بعد ان قام بهذه الدار مدة . ودفن بها .

قلت : وهذا الزقاق مشهور الآن بزقاق السلمي ، وهو مقابل للزقاق الذي وراء سوق البرورية من جهة الشرق . وقد صارت الآن دوراً للسكنى ؛ فانمحي أثرها ، واندرست اطلالها ، ولم يبق منها سوى أحجار في أساس جدار تشير اليها ! وسيأتي ايضاح لمحلها عند الكلام على اختها الكروسية التي أصابها ما أصاب هذه .

ترجمة واقفها

أوقفها وأوقف الخانقاه التي كانت بها ، الصدر الكبير سيف الدين أبو العباس أحمد ابن محمد بن علي بن جعفر البغدادي السامري بفتح الميم وتشديد الراء نسبة الى مدينة سرمن رأى كما تقدم . وكان المترجم كثير الاموال ، حسن الاخلاق معظماً عند الدولة ، له اشعار رائقة ، ومبتكرات فائقة ، توفي سنة ست وتسعين وستمائة . وكان له ببغداد حظوة كبيرة عند الوزير ابن العلقمي ؛ وامتدح المعتصم وخلع عليه خلعة سوداء سنية . ثم قدم دمشق في أيام الناصر صاحب حلب ؛ فحظي عنده أيضاً ؛ فسعى به أهل الدولة ، فصنف فيهم أرجوزة فتح عليهم بسببها باب مصادمة ؛ فصادمهم الملك لأجل ذلك بعشرين ألف دينار ؛ فعظموه جداً وتوصلوا به الى أغراضهم . وله قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم .

١٥ سيف الدين
السامري
٦٩٦-١٠٠٠

٢٠

- قال الحافظ عماد الدين ابن كثير في « تاريخه » في سنة ست وثمانين وستمائة :
 وفيها استدعي سيف الدين السامري من قبل الناصر من دمشق الى الديار المصرية ؛
 ليشتري منه ربع قرية حزرما الذي اشتراه من بنت الملك الأشرف موسى . فذكر لهم أنه
 وقفه ؛ وقد كان المتكلم في ذلك علم الدين السجاعي ؛ وكان قد استنابه الملك المنصور
 بديار مصر وجعل يتقرب اليه بتحصيل الاموال . فقرر لهم ناصر الدين محمد بن عبد
 الرحمن المقدسي أن السامري اشترى هذا من بنت الملك الأشرف وهي غير رشيدة ؛
 واثبت سفها على زين الدين بن مخلوف ، وأبطل البيع من أصله ، واسترجع على
 السامري بمغل عشرين سنة مائتي ألف درهم ، أخذوا منه حصة من الزبقية قيمتها
 سبعون ألفا وعشرة آلاف مكملة ، وتركوه فقيرا على برد الديار . ثم أثبتوا رشدها ،
 واشتروا منها تلك الحصص بما أرادوا . ثم أرادوا أن يستدعوا بالدماشقة واحدا بعد
 واحد ويصادروهم ، وذلك أنه بلغهم أنه من ظلم بالشام لايفلح ومن ظلم بمصر افلح .
 وطالت مدته ، فكانوا يطلبونهم الى مصر ارض الفراعنة والظلم ، ويفعلون بهم ما أرادوا .
 انتهى كلامه .

دار الحديث (السكرية)

- هي بالقصاعين داخل باب الجابية ، وبها خانقاه ؛ قاله النعمي والبقاعي وقالوا : لم
 نقف لواقفها على ترجمة .
 أقول : هما لم يقفا لواقفها على ترجمة ؛ ونحن لم نقف لها على اثر ! ولقد وقفت
 حذاء باب الجابية ، فرايت بجانبه من القبلة زقاقا يسمى الآن زقاق البرغل ، ثم مشيت
 مشرقا نحو من سبعين خطوة ، فرايت بجانب القبلي مسجدا ، سقفه معقود بالحجر ،
 وهو قديم قد بدا لأعلاه أن يسقط . وفي جانبه قبر ، مكتوب على الشباك المقابل له : هذا
 قبر سيدي سر كس ، بخط حديث . وأمام هذا الجامع من الشمال بركة ماء ، عليها آثار
 القدم . فلعل هذا الجامع هو الخانقاه ، والمدرسة هي الدور التي بجانبه . ويمكن أن
 تكون المدرسة والخانقاه في جانب تلك البركة ، ثم أخنى عليها الزمان ، ودخلت في السوق
 فصارت حوانيت . والحاصل أنها قد اندرست آثارها ، وذهبت رسومها ، وأخنى عليها
 الذي أخنى على لبد (١) .

٢٥

(١) أصل البيت وهو للناطقة الديباني :

أضحت خراباً وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد .

وقد تولى مشيختها قديما العلامة شهاب الدين عبد الحليم ابن تيمية ، ثم ولده
الامام شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية (١) ، ثم الامام شيخ المحدثين قدوة
الحفاظ والقراء محمد بن أحمد بن عثمان بن قايمار الذهبي ، ثم صدر الدين سليمان
المالكي . ثم بعد كتابتي لذلك ، اطلعت على رسالة سماها صاحبها «الكلام على بناء التدمري»
فكان محصلها : أن الامام شيخ الاسلام أحمد بن تيمية كان ساكنا بمحلة القصارين داخل
باب الجابية ، في مدرسة تعرف بالسكرية ، وهي دار حديث ، وهي صغيرة ضيقة حرجة .
وقفها ضعيف جدا يبلغ في السنة خمسمائة درهم ، وهي تحتاج خمسين ألفا . فانتدب
لذلك رجل بدمشق يقال له محمد بن عبد الكريم التدمري وهو من أعيان التجار ، ومن
المحبين لشيخ الاسلام ، فكتب محضرا بأن جدران المدرسة تعيبت ، وسقوفها تحتاج
الى فك . فعارضهم زين الدين عبد الرحمن بن رجب بدعوى أن النظر مفوض اليه من
بعض القضاة . وبعد أمور يطول شرحها بناها ابن التدمري ، وزاد فيها قاعة له كانت
بجوارها ، وجعل لها ميساة . وبنى فوق القاعة حجرات وأتمها سنة خمس وثمانين
وسبعمائة . وكان المصرف على بنائها من ماله . وقرره القاضي ناظرا عليها . قال ابن مشجرة
صاحب الرسالة المذكورة : ويجب أن تسمى هذه المدرسة الشمسية لأن واقفها شمس
الدين ابن التدمري . والرسالة المذكورة في نحو خمسين ورقة ، ولكن هذا ملخصها .

حرف الشين

دار الحديث (الشقشقية) (٢)

قال في «تنبيه الطالب» : هي بدرب البانياسي . كانت دارا للشيخ المحدث نجيب
الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي العبر مظفر بن عقيل الشيباني الدمشقي الصفار الشاهد
فأوقفها دار حديث . وقال ابن كثير : وقف داره بدرب البانياسي دار حديث . وهي
التي كان يسكنها شيخنا المزي الحافظ قبل انتقاله الى دار الحديث الأشرفية . انتهى
أقول : لم أدر ما درب البانياسي ، ولا في أية ناحية هو ، ولم أجد من يخبرني عنه .
وذلك عذري في ترك التحقيق عن موضعها .

(١) سبق القلم المؤلف فذكر شهاب الدين والصحيح تقي الدين .

(٢) كذا في الأصل وذكرها النعيمي في الدارس « الشقشقية » .

ترجمة واقفها

نجيب الدين ابن
الشقيشة
٦٦٦-٠٠٠

هو نصر الله بن مظفر المتقدم . قال النعمي : ولد بعد الثمانين وخمسمائة ، وكان ادبياً ظريفاً ، مليح البزة ، واعتنى بالحديث ، ورماه أبو شامة بالكذب ورقة الدين ، توفي سنة ست وستين وستمائة . انتهى

- ٥ وقال أبو شامة : هو مشهور بالكذب ، ورقة الدين ، وغير ذلك ، وهو أحد الشهود المقدوح فيهم ؛ ولم يكن بحال أن يؤخذ عنه . وقد أجلسه أحمد بن يحيى بن هبة الله الملقب بالصدر ابن سني الدولة في حال ولايته أفضى القضاة بدمشق ؛ فأنشد فيه بعض الشعراء :

- ١٠ جلس الشقيشة الشقي ليشهدا بأيكما ما ذا عدا فيما بدا ؟
هل زلزل الزلزال أم قد أخرج الدجال أم عدم الرجال ذوو الهدى ؟
عجبا لمحلول العقيدة جاهلا بالشرع قد أذنوا له أن يقعدا !؟
قال النعمي : ولم أقف على أحد ولي مشيختها .

حرف العين

دار الحديث (العروية)

- ١٥ كانت زمان وجودها بالجانب الشرقي من صحن الجامع الأموي قبيل الحلبية . ويعرف مكانها قديماً بمشهد علي ، وعرف بعده بمشهد عروة . قال ابن كثير : ان الناس يقولون مشهد عروة بالجامع الأموي . وانما نسب اليه لأنه أول من فتحه بعد أن كان مشحوناً بالحواصل المجموعة للجامع ، وبني فيه البركة ، ووقف فيه على الحديث دورساً ، ووقف خزائن كتبه فيه ، وصنع له محراباً ، وبيضه .
- ٢٠ أقول : اذا وقفت عند باب جيرون متجها الى الغرب ، كان عن يسارك مشهد كبير يسميه الناس اليوم مشهد الحسين ، وبجانبه من الجهة الشمالية آثار بناء قديم . وفي زاوية نهاية المكان باب فتحه بنو الغزي لبيتهم . وبجانبه في الحائط الشمالي التربة الكاملية ، وهي أيضاً منضمة الى دار بني الغزي . ووراء ذلك الحائط المدرسة السيساطية ، ثم الاخنائية ، ثم دار بني الغزي . فيمكن أن تكون العروية ادخلت في

المشهد الحسيني ، أو هي والحلبية أدخلتا في الدار المذكورة لكونها عظمة متسعة جدا
والله أعلم .

ترجمة واقفها

شرف الدين ابن
عروة

٥ ٦٢٠-٠٠٠

هو شرف الدين محمد بن عروة الموصلي ، نسب اليه مشهد عروة كما تقدم .
وكان مقيما بالقدس ، ولكنه كان من خواص أصحاب الملك المعظم ؛ فانتقل الى دمشق
حينما خرب سور بيت المقدس ، وأقام بها الى أن توفي . وقبره عند قباب طفتكين قبلي
المصلى . وتوفي سنة عشرين وستمائة .

وأول من ولي مشيخة هذه المدرسة فخر الدين عبد الرحمن المشهور بابن عساكر،
ثم الحافظ الكبير الرحال محمد بن يوسف البرزالي الاشبيلي ، ثم فخر الدين عبد الرحمن
بن يوسف البعلبكي الحنبلي . قال ابن كثير : كان يفتي ويفيد الناس ، مع ديانة وصلاح،
وعبادة وزهادة .

وقال برهان الدين ابراهيم بن مفلح في « المقصد الارشد » في ترجمته : هو الفقيه
المحدث الزاهد ، سمع الحديث ، وتفقه على الشيخ تقي الدين ابن العز وعمر ابن المنجا ،
وحفظ علوم الحديث ، وعرضه من حفظه على مؤلفه ابن الصلاح ، وقرأ الأصول ، وشيئا
من الخلاف على السيف الآمدي ، والنحو على ابن الحاجب ، وصحب اليونيني والنووي .
توفي سنة ثمان وثمانين وستمائة ، وولادته سنة احدى وعشرين وستمائة . وانما
ترجمته هنا لأنني أفردت السفر الأخير من هذا الكتاب لتراجم المشاهير فمن كان مشهورا
أخرت ترجمته الى ذلك السفر ، ومن كان متوسطا أترجمه بالمناسبات لئلا أسهو عنه
هناك .

حرف الفاء

٢٠

دار الحديث (الفاضلية)

كانت أيام مجدها بالكلاسة ، وأما الآن فقد صارت بيوتا للسكنى . وقد شاهدت
من آثارها الايوان وقاعتين بجانبه والمطبخ من ضمنه .

قال أبو شامة في كلامه على وفاة صلاح الدين : أن تربته مجاورة للمكان الذي زاره
القاضي الفاضل في المسجد . انتهى .

- ونحن الآن لم نر الا زقاقاً ، بين التربة المذكورة والجامع ، يوصل الى دور معدة
للسكن . والوقف عليها مزرعة برتايا لصيق أرض حمورية ، يفصل بينهما النهر . ثم
كانت بعد ذلك بيد الزعني عبد الغني بن السراج بن الخواجا شمس الدين بن الزلق ،
ثم صارت بيد محب الدين ناظر الجيش سنة خمس عشرة وتسعمائة . وأول من درس بها
التقي البلداني ، ثم النجم أخو البدر ، ثم الحافظ الذهبي ، ثم الحافظ المتقن أبو المعالي
محمد بن رافع بن هجوش السلافي بتشديد اللام الصميدي المصري ثم الدمشقي ، ثم
شمس الدين محمد بن محمد بن رضوان البعلي المعروف بابن الموصلي .

١٠

ترجمة واقفها

القاضي الفاضل
٥٢٩-٥٩٦

نحن الآن لم نرد استقصاء ترجمة هذا الفاضل لأنه من زينة المشاهير ، ومحل طلوع
كوكبه أوج سفر المشاهير . ولكننا نأتي على نبذة منها هنا ؛ وفي محلها نزيد ما لم نأت
عليه في هذا الموضع ، اذ لا يليق بالمقام اخلاء هذا السفر من ترجمته ، فنقول :

- هو عبد الرحيم بن علي بن حسن بن الحسين بن أحمد بن الفرج بن أحمد القاضي
محي الدين ابن القاضي الأشرف أبي الحسن اللخمي البيساني العسقلاني المولد المصري
المنشأ ، صاحب العبادة ، والفصاحة ، والبراعة والبلاغة . ولد سنة تسع وعشرين
وخمسائة . انتهت اليه براعة الانشاء ، وبلاغة الترسل ، وله في ذلك معان مبتكرة لم
يسبق اليها مع كثرتها . اشتغل بصناعة الترسل على الموفق يوسف بن الجلال شيخ
الانشاء في زمنه ، ثم أقام بالاسكندرية مدة . قال عمارة الفقيه اليمني : ومن محاسن
العاظم ، خروج أمره الى والي الاسكندرية بتسيير القاضي الفاضل الى الباب ،
واستخدامه في ديوان الجيوش . فانه غرس منه للدولة ، بل للملة ، شجرة مباركة ،
متزايدة النماء ، أصلها ثابت وفرعها في السماء . سمع جماعة من المحدثين ؛ وكان
كثير الصدقات ، والصوم ، والصلاة . ورده كل يوم وليلة ختمة كاملة .

- قال الحافظ عبد العظيم المنذري : ركن السلطان صلاح الدين الى القاضي الفاضل
ركونا تاماً ، وتقدم عنده كثيراً ، وله آثار جميلة ظاهرة ، مع ما كان عليه من الاغضاء
٢٥

والأحتمال . وروى موفق الدين أحمد ابن أبي أصيبعة في تاريخه « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » في ترجمة موفق الدين عبد اللطيف البغدادي عنه أنه قال :

توجهت الى زيارة القدس ثم الى صلاح الدين بظاهر عكا ، فاجتمعت ببهاء الدين ابن شداد قاضي العسكر يومئذ ، وكان قد اتصل به شهرتي بالموصل ، فانبسط اليّ وأقبل عليّ ، وقال : نجتمع بعماد الدين الكاتب ؛ فقمنا اليه وخيمته الى خيمة بهاء الدين ؛ فوجدته يكتب كتابا الى الديوان العزيز بقلم الثلث من غير مسودة ، وقال : هذا كتاب الى بلدكم ؛ وذاكرني في مسائل من علم الكلام ، وقال : قوموا الى القاضي الفاضل ؛ فدخلنا عليه ، فرأيت شيخا ضئيلا كله رأس وقلب ، وهو يكتب ويملي على اثنين ، ووجهه وشفته تلعب انواع الحركات ، لقوة حرصه في اخراج الكلام ، وكأنه يكتب بجملته أعضائه . وسألني القاضي الفاضل عن قوله سبحانه وتعالى : « حتى اذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها » ٧١/٣٩ آية أين جواب اذا ؟ وأين جواب لو في قوله تعالى : « ولو ان قرآنا سرت به الجبال » ٢١/١٣ آية وعن مسائل كثيرة ؟ ومع هذا فلا يقطع الكتابة والاملاء ، وقال لي : ترجع الى دمشق وتجري عليك الجرايات ؟ فقلت أريد مصر ، فقال : السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا ، وقتل المسلمين بها . فقلت : لابد لي من مصر . فكتب لي ورقة صغيرة الى وكيله بها . فلما دخلت القاهرة ؛ جاءني وكيله وهو ابن سناء الملك ، وكان شيخا جليل القدر نافذ الكلمة ، فأنزلني دارا قد أزيحت عللها ؛ وجاءني بدنانير وغلة ، ثم مضى الى أرباب الدولة وقال : هذا ضيف القاضي الفاضل ؛ فوردت الهدايا والصلوات من كل جانب . وكان كل عشرة أيام او نحوها تصل تذكرة القاضي الفاضل الى ديوان مصر بمهمات الدولة ، وفيها فصل يؤكد الوصية في حقي . انتهى ٢٠

وقال موفق عبد اللطيف البغدادي ايضا : كان للقاضي الفاضل غرام في الكتابة ، وتحصيل الكتب ، وكان له العفاف والدين والتقوى ، مواظبا على أوراده . ولما ملك أسد الدين شيركوه ، احتاج الى كاتب ، فأعجبه سمته وتصوره . فلما ملك صلاح الدين استخلصه لنفسه ، وحسن اعتقاده فيه . وكان قليل اللذات ، كثير الحسنات ، دائم التهجد ، مشغلا بالأدب ، قليل النحو ، لكن له دربة قوية فيه توجب قلة اللحن . وكتب في الانشاء ما لم يكتبه احد . وكان متقللا في مطعمه ، ومنكحه ، وملبسه ؛ يلبس البياض ، ولا يبلغ جميع ما عليه من الثياب دينارين ، ويركب معه غلام وركابي ، ولا يمكن

أحداً أن يصحبه، ويكثر لقي الجنائز، وعيادة المرضى، وزيارة القبور. وله معروف معروف، في السر والجهر. وكان ضعيف البنية، رقيق الصوت، له حدة يغطيها الطيلسان. وكان به سوء خلق يكمد به في نفسه، ولا يضر أحداً به. ولأصحاب الفضائل عنده نفاق (١) يحسن اليهم ولا يمن عليهم. ولم يكن له انتقام من أعدائه إلا بالاحسان اليهم، أو الأعراض عنهم. وكان دخله ومعلومه في السنة خمسين ألف دينار، سوى متاجر الهند والمفول وغيرهما. وأحوج ما كان إلى الموت عند تولي الاقبال، واقبال الادبار. وهذا يدل على أن الله به عناية. ويقال: إن مسودات رسائله في المجلدات، والتعليقات في الأوراق، إذا اجتمعت، لاتقصر عن مائة مجلدة، وله نظم كثير. وقيل: أنه ملك من الكتب مائة ألف مجلدة. وقد أثنى عليه العماد الكاتب ثناءً عظيماً، توفي سنة (٢)

١٤

وبنى للشافعية مدرسة بالقاهرة، وشرك معهم المالكية بها، ومكتبا للأيتام. وترجمه الذهبي في «تاريخه» في ورقتين ونصف. قال ابن كثير: والعجب أن القاضي الفاضل مع براعته وفصاحته التي لا يداني فيها، ولا يجارى، لا يعرف له قصيدة طويلة رنانة. له ما بين البيت والبيتين والثلاثة في أثناء الرسائل وغيرها. هذا كلام الأسدي؛ واعترض عليه بأن له قصيدة طويلة رنانة مطلعها:

١٥

لله روض بالحدائق محقق وبكل ما تهوى النواظر مونق

وهي فوق الثلاثين بيتاً وله غيرها مما هو أطول منها.

حرف القاف

دار الحديث (القلانسية)

هي بالصالحية. قال النعمي: بها رباط ومثذنة وتعرف الآن بالخانقاه، غربي مدرسة أبي عمر. قال العلموي: قلت: هي نهر يزيد جار في وسطها، وينزل إليها من درج. انتهى

أقول: فتشت عنها أثناء كتابتي هذه الأسطر؛ وذهبت إلى الصالحية؛ فدللت على

(١) نفاق جمع نفقة.

(٢) في الاصل بياض وكانت وفاته سنة ست وتسعين وخمسمائة.

مكائنها ، فرأيت جيرانها قد اختلسوا أكثرها ؛ وبقي منها بقية من جهة نهر يزيد ! وتلك البقية كانت سابقا خربة ترمى بها الزبالة ، فهيا الله لها الشيخ اسماعيل بن علي التكريتي الصالحي فعمر تلك الخربة ، وجعل لها مسجدا لطيفا ، وعمر الدرج الذي ينزل منه اليها ، ثم الى نهر يزيد بالحجر . فكان النهر تحت مسجدها ، ينزل اليه المصلون من طرف المسجد من الشرق فيتوضؤون منه . وجعل لها صحنًا لطيفا ، وبجانبه مطبخ ، وعمر بالعلو من الجانب الغربي والشمالى ثماني غرف ، وأعدها لسكنى الفقراء الذين لا مأوى لهم ، وجدد بابها وكتب فوق أسكفته :

مدرسة ذي عمرت	من بعد ما قد دثرت	١٠
أنعم باسماعل من	شيدها فظهرت	
ابن علي التكريتي من	يوجر ما قد بقيت	
شاد لأن يبقى له	أجر مدى أن نفعت	
أعطاه ربي أرخوا	أجرا ببره ثبت	
دعى فارخ الذي	حبنى بجنة علت	

فتاريخ بنائها سنة ست عشرة وثلاثمائة والـ ف . فجزى الله مجددها خيرا . واسمها الآن الخانقاه . وقال النعمي بعد أن حكى ما نقلناه عنه سابقاً : ولم أقف على أحد ممن ولي مشيختها .

ترجمة واقفها

هو صاحب عز الدين أبو المعالي أسعد ابن عز الدين غالب بن المظفر ابن الوزير مؤيد الدين أبي المعالي أسعد ابن العزيد أبي يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي الدمشقي الشهير بابن القلانسي أحد رؤساء دمشق الكبار . ولد سنة تسع وأربعين وستمائة ، وسمع الحديث من جماعة وأسمعه .

هو الدين بن القلانسي
٧٢٩-٦٤٩

قال ابن كثير : سمعنا عليه ، وله رياسة باذخة ، وأصاله كبيرة ، وأملك هائلة كافية لما يحتاج اليه من أمور الدنيا . ولم تنزل صناعة الوظائف معه الى أن ألزم بوكالة بيت السلطان ، ثم بالوزارة في سنة ست عشرة وستمائة ؛ ثم عزل ، وقد صودر في بعض الأحيان . وكانت له مكارم على الخواص والكبار ، وله حسنات على الفقراء ، وعلى

- المحتاجين . ولم يزل وجيها معظما عند أرباب الدولة من الملوك ، والنواب ، والإمراء ، وغيرهم ؛ الى أن توفي ببستانه سنة تسع وعشرين وسبعمائة عن ثمانين سنة ؛ ودفن بتربته بسفح قاسيون ، وله في الصالحية رباط حسن بمئذنة ، وفيه دار حديث . قاله ابن كثير . وهي دار الحديث التي ترجمناها سابقا . وله بر وصدقة .
- وقال الحافظ الذهبي في ترجمة الواقف : كان محتشما ، معظما ، متنظما على الوزارة وغيرها ؛ وروى عن البرهان وابن عبد الدائم .

مسامرة خيال

- لاح في خيالي قبل الشروع في هذا التأليف ان استقصي أوقاف كل مدرسة ، وأصفها وصفا تاما . فلما شرعت في الكتابة ، فاذا أنا كالقايض على الهواء ؛ لأنني لم أجد من آثار غالب المدارس الا هباء منثورا ، ومن اسمها والتعريف بمحلها الا ما هو مسطور
- ١٠ في بطون الكتب . فكنت اقضي الأيام متجولا ، وأكثر التسأل حتى أجد بعض أثر أو اهتدي الى اسم مكان ، خصوصا وأنا نزيل تلك المدينة الزاهرة . وربما كان يدلني على الأثر قبر الواقف ، ان كان ؛ لأن أصحابنا اصطلحوا على اختلاس المدرسة ، ووقفها ، ومسجدها ؛ ولم يجسروا على ابتلاع قبر الواقف فله در صلاحهم ! ولو سمحت نفوسهم بابتلاع القبر أيضا ، لآيسنا من مشاهدة . طلل ! فمن ثم ترى بستانا وهو نزهة الناظرين،
- ١٥ وفيه قبة عالية بها قبر عظيم ؛ فاذا سألت عنه قيل لك : هذا قبر الولي الفلاني ، أو الصحابي ويسميه باسم غريب . ويكون أصل ذلك البستان مدرسة أو جامعاً ؛ فاختلس مكانهما ؛ وغرس بالأشجار ، وأعطى القبر لقب ولي أو صحابي ، وربما قيل عنه : نبي ؛ ثم مع مرور الزمن يخترعون له مناقب وكرامات ؛ ويعلقون الخرق فوقه
- ٢٠ لصرف أفكار البسطاء نحوه ، واقبالهم على زيارته ، وبذل الدراهم لخدماته ؛ فيجعلونه كشجرة يقصدون ثمرها بكرة وعشيا . وحينا كنت أستدل على المدرسة باسم الزقاق، أو الدرب المسمى باسمها ، أو باسم واقفها . كما اني حرت في معرفتي للمدرسة الكروسية ، فلم أقدر على معرفة محلها لاندراسها ، ودخولها في الدور . فبينما أنا أفتش ، اذ برجل قال لي : هذا مقام السلمي وهو صحابي جليل ، وهذا الزقاق يسمى باسمه . فنظرت في ترجمة واقف الكروسية ؛ فاذا هو السلمي . فاهتديت الى مكانها ،

وأريت صاحبي ترجمته ، وأعلمته بأنه ليس بصحابي . وصاحبي هذا من أهل العلم الذين لهم تلامذة في زمننا فما ظنك بالعوام !؟ الى غير ذلك مما كنت أعانيه واتعب به .
 وأما الأوقاف ، فأريت ظفري بها ضربا من المحال ، لأنا اذا اعتبرنا دمشق وما حولها ؛ نجد الغالب عليه أنه وقف . وهذا شي يطول ، ولا يمكن استقصاؤه . وهب أنه استقصي ، فليس في ذكره فائدة الا الأسف ، وضياح الوقت . وكان بعض أصحابنا من الأشراف قال لي : ان أحد أجداده له كتاب سماه « التذكرة » يذكر فيه المدارس كلها ، ويذيل كل مدرسة بفهرست أوقافها . ووعدني بأن يطلعني على ذلك الكتاب . وبعد ملاحظة طويلة ، أسفر الوعد عن « مختصر العلموي » ، وكان عندي سابقا ، فشكرت سعيه . وعلمت أن الكتاب كان في عالم الخيال لافي عالم الشهود . فلذلك اقتصرت على ما وصل الى يدي ؛ ولا يكلف الله نفسا الا وسعها . ١٠

واني أقدم للناظر في كتابي هذا لمعة من الكلام على أوقاف دمشق ليري عذري واضحا ، وهي ما قاله أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي ثم الطنجي المعروف بابن بطوطة في رحلته « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » من فصل له أثناء كتابه وهو : والأوقاف بدمشق لا تحصر أنواعها ، ومصارفها لكثرتها ، فمنها : ١٥

أوقاف على العاجزين عن الحج ، يعطى لمن يحج عن الرجل منهم كفايته .
 ومنها أوقاف على تجهيز البنات الى أزواجهن ، وهن اللواتي لا قدرة لاهلهن على تجهيزهن .
 ومنها أوقاف لفكالك الأسارى .

٢٠ ومنها أوقاف لأبناء السبيل ؛ يعطون منها ما يأكلون ويلبسون ويتزودون لبلادهم .
 ومنها أوقاف على تعديل الطرق ورصفها ، لأن طرق دمشق لكل واحد منها رصيفان في جنبه يمر عليهما المترجلون ، ويمر الركبان بين ذلك .

وقال : مررت يوما ببعض أزقة دمشق ، فأريت به مملوكا صغيرا قد سقطت من يده صحيفة من الفخار الصيني ، وهم يسمونها الصحن ، فتكسرت ؛ واجتمع عليه الناس فقال له بعضهم : اجمع شقفها ، واحملها معك لصاحب أوقاف الأواني . فجمعها ، وذهب الرجل معه اليه ، فأراه اياها ؛ فدفع له ما اشترى به مثل ذلك الصحن . وهذا من احسن الأعمال ، فان سيد الفلام لا بد له أن يضربه على كسر الصحن أو ينهره . وهو ٢٥

أيضاً ينكسر قلبه ويتغير لأجل ذلك . فكان هذا الوقف جبراً للقلوب . جرى الله خيراً من تسامت همته في الخير إلى مثل هذا . وأهل دمشق يتنافسون في عمارة المساجد، والزوايا ، والمدارس ، والمشاهد .

- ثم قال : وكل من انقطع بجهة من جهات دمشق لابد أن يتأني له وجه من المعاش، من إمامة مسجد ، أو قراءة بمدرسة ، أو ملازمة مسجد يجيء إليه فيه رزقه ، أو قراءة القرآن ، أو خدمة مشهد من المشاهد المباركة ، أو يكون كجملعة الصوفية بالخوانق تجرى له النفقة والكسوة . فمن كان بها غريباً على خير ، لم يزل مصوناً عن بذل وجهه ، محفوظاً عما يزري بالزوجة . ومن كان من أهل المهنة والخدمة ، فله أسباب آخر ، من حراسة بستان ، أو أمانة طاحون ، أو كفالة صبيان ، يقدو معهم إلى التعليم ويروح . ومن أراد طلب العلم ، أو التفرغ للعبادة ، وجد الإعانة التامة على ذلك . ومن فضائل أهل دمشق؛ ٥ أنه لا يفطر أحد منهم في ليالي رمضان وحده البتة . فمن كان من الأمراء ، والقضاة ، والكبراء ، فإنه يدعو أصحابه والفقراء يفطرون عنده . ومن كان من التجار ، وكبار السوق ، صنع مثل ذلك . ومن كان من الضعفاء ، والبادية ، فإنهم يجتمعون كل ليلة في دار أحدهم ، أو في مسجد ؛ ويأتي كل أحد بما عنده ، فيفطرون جميعاً . ١٠

- ثم قال : وكان بدمشق فاضل من كبرائها ، وهو صاحب عز الدين القلانسي ، له ١٥ مآثر ومكارم وفضائل وإثار ، وهو ذو مال عريض . وذكروا أن الملك الناصر لما قدم دمشق أضافه ، وجميع أهل دولته ، ومماليكه ، وخواصه ، ثلاثة أيام ؛ فسماه إذ ذاك بالصاحب .

- ومما يؤثر من فضائلهم ؛ أن أحد ملوكهم السالفين لما نزل به الموت ، أوصى أن يدفن ٢٠ بقبلة الجامع المكرم ، ويخفى قبره . وعين أوقافاً عظيمة لقراء يقرؤون سبعا من القرآن الكريم في كل يوم أثر صلاة الصبح ، بالجهة الشرقية من مقصورة الصخابة رضي الله عنهم حيث قبره . فصارت قراءة القرآن على قبره لاتنقطع أبداً ، وبقي ذلك الرسم الجميل بعده مخلداً .

- ومن عادة أهل دمشق ، وسائر تلك البلاد ، أنهم يخرجون بعد صلاة العصر من ٢٥ يوم عرفة ؛ فيقفون بصحون المساجد كبيت المقدس وجامع بني أمية وسواها ، ويقف بهم أئمتهم كاشفي رؤوسهم ، داعين خاضعين خاشعين ملتزمين البركة . ويتوخون

الساعة التي يقف فيها وفد الله ، وحجاج بيته بعرفات . ولا يزالون في خضوع ودعاء وابتهاال ، وتوسل الى الله تعالى بحجاج بيته ، الى أن تغيب الشمس . فينفرون كما ينفر الحاج ، باكين على ما حرموه من ذلك الموقف الشريف بعرفات ، داعين الى الله تعالى أن يوصلهم اليها ، ولا يخليهم من بركة القبول فيما فعلوه .

- ٥ لهم أيضا في اتباع الجنائز رتبة عجيبة ؛ وذلك أنهم يمشون امام الجنازة ، والقراء يقرؤون القرآن بالاصوات الحسنة والتلاحين المبكية التي تكاد النفوس تطير لها رقة . وهم يصلون على الجنائز بالمسجد الجامع قبالة المقصورة . فان كان الميت من أئمة الجامع أو مؤذنيه أو خدامه أدخلوه بالقراءة الى موضع الصلاة عليه . وان كان من سواهم ، قطعوا القراءة عند باب المسجد ، ودخلوا بالجنازة ؛ وبعضهم يجتمع له بالبلاط الغربي من الصحن ، بمقربة من باب البريد ، فيجلسون وأمامهم ربعات القرآن يقرؤون فيها ، ويرفعون أصواتهم بالنداء لكل من يصل للعزاء من كبار البلدة وأعيانها ، ويقولون : بسم الله ، فلان الدين من كمال ، وجمال ، وشمس ، وبدر ، وغير ذلك . فاذا أتموا القراءة ، قام المؤذنون فيقولون : افكروا واعتبروا صلاتكم على فلان الرجل الصالح العالم ؛ ويصفونه بصفات من الخير ، ثم يصلون عليه ، ويذهبون به الى مدفنه . هذا وقد انقطعت تلك العادات واضمحلت ، واستبدلت بغيرها (١) مما سنذكره أثناء هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .

ترجمة التكريتي مجدد المدرسة

طلبت من السيد محمد أمين التكريتي الصالحي ترجمة مجدد هذه المدرسة ؛ فكتب الي ما صورته :

اسماعيل التكريتي
١٣٢١-١٠٠٠

- ٢٠ هو السيد اسماعيل ابن السيد علي ابن السيد اسماعيل ، من بني التكريتي . وهم عائلة كبيرة في صالحية دمشق ، وأصلهم من مدينة تكريت ، وهي على شاطئ دجلة قريبة من الموصل ، وأقاموا بدمشق من مدة تزيد على السبعمئة سنة . وكان من هذه العائلة فضلاء وأعيان .

قلت : وستأتي ترجمة جدهم الأعلى في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى سنة ست

(١) كذا في الاصل والاصح أن يقال استبدل بها غيرها .

- وخمسين ومائتين والـف . وتوفي والده وهو ابن سبع سنين ؛ فربي في حجر والدته الى أن شب ، فاشتغل بالتجارة ، ونشأ على عفة وصلاح ، ومحبة للفقراء والمساكين . وكان كثير الأصحاب ، يكثر من الاجتماع بالعلماء ، ويحب البر والخيرات . ومما جعله ذخراً في الآخرة ؛ أنه لما رأى دار الحديث القلانية المسماة بالخانقاه ، التي هي بالزقاق المسمى الآن بزقاق قصر الفارة بالصالحية قد تهدمت ، واندست منذ ثلاثمائة سنة ، وتناولت أيدي المختلسين أكثرها ؛ عمر ما بقي منها من ماله ابتغاء لوجه الله تعالى . وعمرها في سنة أولها في محرم سنة خمس عشرة وثلاثمائة والـف ؛ وانتهى من تعميرها في ربيع الأول سنة ست عشرة . وكان يصرف على ما يلزمها ، من مصابيح وأجرة أذان وغير ذلك ، من ماله . ولما توفي الى رحمة الله تعالى ، قام بالانفاق عليها ، حاذياً حذو والده ، الشاب النجيب السيد محمد . وهذه المدرسة الآن تسمى بجامع التكريتي .
- ١٠ . زار المترجم بيت المقدس ، وحج ثلاث حجات . ولما حج الرابعة ، وتوجه الى بلده توفي بجبل الطور سنة احدى وعشرين وثلاثمائة والـف رحمه الله تعالى .

حرف القاف

دار الحديث (القوصية)

- ١٥ . سيأتي الكلام عليها في مدارس الشافعية .

حرف الكاف

دار الحديث (الكروسية)

- ٢٠ . غربي مؤذنة الشحم ، وهي بجانب المدرسة السامرية . وكانت داراً لمحمد بن عقيل ابن كروس جمال الدين محتسب دمشق أبو المكارم السلمي ، فجعلها مدرسة ودار حديث .

قال في «تنبيه الطالب» : ولم أقف على أحد ممن ولي مشيختها . اهـ . وسيأتي تمام الكلام عليها في مدارس الشافعية . وهذه المدرسة ذهبت أحاديثها الا من القرطاس ؛ وضمتها أيدي المختلسين اليها ، فصارت مرتع غزلان وثعالب بعد أن كانت تلوح عليها انوار حديث سيد المشارق والمغارب ؛ ولقد خفي علي مكانها أولاً ، ثم ظفرت به ؛ فإذا هي

بمحل يقال له الآن زقاق السلمي غربي مئذنة الشحم . ولما تأملتها وجدت حائطها الشرقي باقيا ، وبه بركة ماء مبنية بحجارة ضخمة على طراز قديم ، وهندسة معجبة ، ونقوش بدیعة . وعن يمينها ويسارها عمودان لطيفان ، والشمالی من المرمر ، وصدرها من الحجر المعجن ، وبابها لم يزل باقيا ، الا أنه مسدود . وبعد نحو ثماني خطوات من البركة الى الجنوب ، حجرة لطيفة بلا سقف ولها شباك على الطريق ، وبها قبر مصبوغ بالمغرة ؛ يقولون: انه قبر السلمي . وعن شمالها أثر في الجدار ينادي على أنه كان مدرسة، ولعلها اختها السامريّة التي أصابها كل ما أصاب اختها .

ترجمة واقفها

هو ابن كروس المتقدم جمال الدين محتسب دمشق أبو المكارم السلمي . كان كيسا، متواضعا كريما حسن الاخلاق . قال الصفدي : سمع الحديث من بهاء الدين ابن عساكر وغيره . وكان رئيسا محتشما ، قيما بالحسبة ، توفي بدمشق في شوال سنة احدى وأربعين وستمائة ، ودفن بداره . وسيأتي تمام الكلام في مدارس الشافعية .

جمال الدين ابن
كروس
٦٤١-٠٠٠

١٠

حرف النون

دار الحديث (النورية)

هي بسوق العسرونية من الجانب القبلي ، بين دار الحديث الاشرفية والمدرسة العسرونية ، امام العادلية الصغرى ، يفصل بينهما الطريق . وهذه الدار تقلبت بها الايام والدهور ، فأصابها قريب مما أصاب دار الحديث الاشرفية . فصارت دارا للسكنى؛ وطمس محراب مسجدها ، وطمرت بركة مائها لتتغير رسومها . فأرشد الله تعالى لاستخلاصها العالم الفاضل الفقيه الشيخ أبو الفرج (١) ابن العالم الفاضل الصالح الشيخ عبد القادر الخطيب الدمشقي ؛ فأنقذها من يد مختلسيها ، وجلس يقرئ بها الدروس ؛ فجزاه الله خيرا .

١٥

٢٠

ولقد شاهدها وتأملتها اثناء كتابتي لهذه السطور ، فاذا هي الآن تشتمل على دهليز

(١) كذا في الاصل .

لطيف ، فيه عن يمين الداخل حجرة ، وعن يساره باب مسدود ؛ يظن أنه باب حجرة أيضا ، لكنها صارت حانوتا للبضائع والتجارة . ولها ساحة لطيفة ، في وسطها بركة ماء على نمط قديم ، وهندسة لطيفة . وبها مسجد طوله احدى وعشرون خطوة ، وعرضه خمس خطوات ، وسقفه معقود بالحجارة والآجر المتين ، ومحرا به من الحجر المحفور المعجن . وبالجانب الشرقي من الساحة حجرتان جديدتان ، وفوقهما غرفتان مثلهما ، وهما من بناء أهل الخير بواسطة الفاضل الشيخ عبد القادر ابن الشيخ أبي الخير الخطيب ، وفوق دهليزها غرفة أيضا .

واقفها ومدرسوها

نور الدين بن زنكي
٥٦٩-٥١١

- اختلف في بانيها وواقفها ، فقليل : واقفها وبانيها نور الدين محمود بن أبي سعيد ابن آق سنقر التركي ، وهو أول من بنى دارا للحديث ، وقيل : أوقفها عصمة التي قيل :
١٠ انها كانت زوج السلطان صلاح الدين ، وهو خلاف المعروف . وفي « طبقات السبكي الوسطى » في ترجمة الحافظ ابن عساكر أن الملك العادل محمود بن زنكي نور الدين قد بنى لابن عساكر هذا دار الحديث النورية ، ودرس بها الى حين وفاته . انتهى . فالباني لها هو نور الدين . وترجمة السلطان نور الدين الشهيد ، في القسم الاول . لكننا نقول هنا : انه توفي يوم الاربعاء الحادي من شوال سنة تسع وستين وخمسمائة ، عن ثمان
١٥ وخمسين سنة . قال الاسدي في « الكواكب الدرية في السيرة النورية » : وكان وقف هذه المدرسة قليلا .

- قال ابن كثير : ولما وسع الخندق سنة احدى عشرة وستمائة ، مما يلي القيمازية خربت دور كثيرة هناك ، وخرّب حمام قايماز ، وفرن كان وقفا على هذه المدرسة ، وغير ذلك . فلما بنى الأشرف دار الحديث غريبها ، شرط أن يؤخذ من وقفها ألفا درهم ،
٢٠ فتضاف الى وقف دار الحديث النورية ، فانصلح حالها . وقال أبو شامة في « الروضتين » : بنى نور الدين دار الحديث ، ووقف عليها وعلى من بها من المشتغلين بعلم الحديث ، أوقافا كثيرة ؛ وهو أول من بنى دار حديث فيما علمناه .

- وأما مدرسوها : فهم الحافظ الكبير ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر صاحب « تاريخ دمشق » ، ثم ولده الحافظ المسند بهاء الدين أبو محمد
٢٥

القاسم . ولم يتناول من معلومه من المدرسة النورية هذه شيئاً ، بل جعله مرصداً لمن
يرد عليه من الطلبة . وقيل : انه لم يشرب من مائها ، ولم يتوضأ منه ، ثم زين الدين ابن
الأمناء الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ، ثم عبد الوهاب ابن زين الأمناء
أبو البركات الحسن بن محمد بن عساكر ، ثم الحافظ زين الدين خالد بن يوسف ابن
سعد النابلسي شيخ النووي ، ثم العلامة تاج الدين أبو محمد عبد الرحمن بن ابراهيم
ابن سباع الفزاوي المعروف بابن الفركاح ، ثم الحافظ محمد بن علي بن محمد الصابوني ،
ثم المجد بن المهتار ، ثم فخر الدين الحنبلي ، ثم شرف الدين النابلسي أحمد بن نعمة ،
ثم علاء الدين بن العطار ، ثم الحافظ المؤرخ المعيد علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف
ابن محمد البرزالي الدمشقي ، صاحب « الذيل على تاريخ ابي شامة » و« المعجم الكبير »
يقال : انه في بضع وعشرين مجلداً ، ولما اطلع عليه ابن حبيب قرظه بقوله :

يا طالباً لقب الشيوخ وما رووا فيه على التفصيل والاجمال
دار الحديث انزل تجد ما تبتغيه بارزاً في معجم البرزالي

ثم جماعات لم يصلنا ذكرهم على الترتيب (١) .

دار الحديث (النفيسية)

ترجمها كل من العليمي ، والعموي ، والبقاعي بأنها بالرصيف قبلي البيمارستان
الدقاقي وباب الزيادة عن يمين الخارج منه ، شمالي المدرسة الامينية الى الغرب بالزقاق
الذي كان يعرف بزقاق الزطي . ١٥ هـ

أقول : هذه المدرسة مع البيمارستان درسا وأدخلا في غيرهما فصارا دوراً للسكنى .
وبيان موضعها يعسر جداً الآن وباب الزيادة هو باب الجامع القبلي فاذا خرج منه أحد ،
وسار قليلاً ، كان عن يمينه الآن العنبرانية وهي بيوت خلاء للجامع ، ثم تكون الحوانيت ،
ثم بعد العنبرانية بقليل سوق قصير من الشرق الى الغرب ، في جانبه القبلي الامينية ،
وفي الشمالي زقاق قصير وهو الذي سماه العموي بزقاق الزطي ويقال له الآن : زقاق
الاقميم . وفي زمننا كان بجانبه حمام يقال له : حمام القيشاني ، فصار سوقاً واتصل

(١) وبعد هذا الكلام يوجد في الاصل بياض قدره تسعة أسطر .

بهذا الزقاق ، وفيه كانت المدرسة المذكورة ، وقد صارت الآن دارين وأخبرني بعض الثقات ان بابها كان ظاهراً وفوقه حجر مكتوب عليه اسم بانيها ، ولم يزل الى زمن قريب ، ثم طين فوقه حتى لا تظهر كتابته ، ومحل العنبرانية والأبنية التي بجانبها كان البيمارستان المذكور ، فتبدلت الأحوال والله في خلقه شؤون ! وأخبرني بعض الثقات أنه سكن داراً لبني اليافي ملاصقة للعنبرانية فرأى به آثار بناء قديم يشبه أن يكون هو البيمارستان المذكور .

ترجمة واقفها

أبو النفيس بن صدقة
٦٩٦-٦٢٨

هو أبو النفيس (١) اسماعيل بن محمد بن عبد الواحد بن صدقة الحراني ثم الدمشقي . قال ابن كثير : كان ناظراً على الأيتام ، تولى شهادة القسمة ، وكان ذا ثروة من المال توفي سنة ست وتسعين وستمائة ، عما يقرب من سبعين سنة ، ودفن بسفح قاسيون .

وأول من ولي تدريسها المقرئ المحدث النحوي الأديب علاء الدين بن المظفر الكندي السكندري ثم الدمشقي من جماعة الشيخ ابن تيمية ، ثم بعده الحافظ علم الدين البرازالي .

دار الحديث (الناصرية)

أهمها البقاعي ، وقال النعمي : هي بمحلة الفواخير بسفح قاسيون قبلي الجامع الأفرم ، وبها رباط ، وهي الناصرية البرانية ، وستأتي الناصرية الجوانية . انتهى

أقول : ان تلك المدارس والربط التي كانت بالسفح من لدن الجسر الأبيض الى الجبل من الغرب الشمالي ، مما بين يزيد وثورا ، لم يبق منها بقية تذكر ، وذلك ان يد الزمان قد تناولتها ، فنقضت بناءها وقوضته . ثم انه منذ عهد ليس بالبعيد احتاج نهر ثورا الى عمارة جوانبه ، فأخذت حجارة تلك الأبنية ، وتصرف بها في ذلك البناء . وهذا عدا عما تناولته الأيدي ، واختلسته ، ثم سويت الأرض ، وجعلت حواكير وبساتين ، سنة الله في خلقه ! والجامع الأفرم الآن خراب بلقع لم يوجد منه سوى حفرة تدل على

(١) كذا في الأصل وذكره الذهبي في العبر « النفيس اسماعيل » ، وابن كثير : « نفيس الدين » .

أنه كان هنالك بحيرة الجامع ، وما بقي من حجارته وحجارة أمثاله أخذ لبناء البيوت التي جددت منذ عشر سنين ، وسميت بحارة المهاجرين . وقبل الجامع المذكور حاكورة يفصل بينها وبين ساحته الطريق . جدارها الشمالي اساس به أحجار تدل على أنه كان ثمة المدرسة الناصرية . وأخبرني بعض الأصحاب أنه شاهد هناك حجرات قائمة الجدران بلا سقف ، ثم أخنى عليها الزمان كما ذكرنا . ومحراب الجامع الأقرم نقلت حجارته الى مسجد دار الحديث الأشرفية بطريقة الشراء .

ترجمة بانيها

أنشأها الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي فاتح بيت المقدس . وكان مولده بقلعة حلب ، في رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة . وبويع له بحلب سنة أربع وثلاثين وستمائة بعد موت أبيه ، وعمره سبع سنين ؛ وقام بتدبير مملكته جماعة من مماليك أبيه ؛ وكان الأمر كله عن رأي جدته أم أبيه صفية خاتون ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب ولهذا سكت الملك الكامل لأنها اخته . فلما توفيت سنة أربعين اشتد الناصر واشتغل عنه الكامل بعمة الصالح ، ثم فتح حمص سنة ست وأربعين ، فولياها عشر سنين . قال ابن قاضي شهبة : كان كثير البر والاحسان والصدقات ، محباً الى الرعية ، فيه عدل في الجملة ، حسن الاخلاق ، محباً لأهل العلم والفضل والأدب ، وكان سوق الشعر نافقاً في أيامه ، وكان يذبح في مطبخه كل يوم أربعمئة كبش من الغنم ، سوى الدجاج والطيور والجداء ، وله نظم حسن . وقال غيره : وكان الناس معه في عيشة هنية الا وقت ادارة الخمر . وكان مجلسه مجلس ندماء وأدباء ، ثم خدع وعمل فيه حتى وقع في قبضة التتار ؛ فذهبوا به الى هولاء فأكرمه . فلما بلغه أن جيشه قد كسر على عين جالوت ؛ غضب وتنمر وأمر بقتله ، فتذلل له ، وقال : ما ذنبي ؟ فأمسك عن قتله ، وقتل شقيقه الملك الظاهر علياً . قاله الحافظ الذهبي في « العبر » في حوادث تسع وخمسين وستمائة . وقيل : بل قتله سنة ثمان . وكان قد أعد لنفسه تربة في رباطه الذي بناه بسفح قاسيون ، فلم يقدر له دفنه به ، ودفن بالشرق ، وكان شاباً أبيض مليحاً حسن الشكل بعينه ، قيل : يعني حوّل قاله ابن كثير . وقال أيضاً في حوادث أربع وخمسين وستمائة : وفيها أمر الناصر بعمارة الرباط الناصري بسفح قاسيون ، وذلك عقيب الفراغ

الملك الناصر
يوسف
٦٢٧-٦٥٩

١٠

١٥

٢٠

٢٥

من بناء الناصرية الجوانية بدمشق . والناصرية البرانية من أغرب الأمكنة في البنيان المحكم ، والجوانية من أحسن المدارس . وهو الذي بنى الخان الكبير تجاه الزنجاري ، وحولت اليه دار الأطعمة وكانت قبل ذلك غربي القلعة في اصطبل السلطان . وكانت مدة تملكه لدمشق عشر سنين ، فبنى فيها هذه الأمكنة . وفي القسم الأول زيادة ايضاح على هذا .

ورتب الناصر لهذه المدرسة مرتبات ؛ ودرس بها كمال الدين بن الشريشي مع توليته مشيخة الرباط أكثر من خمس عشرة سنة .

ترجمة محمد بن كمال
الدين الشريشي (١)

ثم درس بها ولده العلامة محمد ؛ ولد سنة أربع أو خمس وتسعين وستمئة ، ثم اشتغل بالطب ، وسمع من الحافظين العراقي والهيثمي وغيرهما ، واشتغل في صباه ، وتفنن في العلوم ، واشتهر بالفضيلة ، وكان حسن المناظرة ، دمث الاخلاق ، درس بعدة مدارس ، وأفتى ، وتولى القضاء مرارا ، واختصر « الروضة » ، و « شرح المنهاج » في أربعة أجزاء لخصه من « شرح الرافعي الصغير » ، وله « زوائد الحاوي على المنهاج الفرعي » ، وله خطب ونظم . توفي سنة تسع وستين وسبعمائة . ثم درس بعده حسام الدين الفتوي ، ثم شرف الدين الفزاري ، ثم نجم الدين بن قوام ، ثم ولده نور الدين .



(١) كذا كتب المؤلف فأثبتنا ذلك في الحاشية للأمانة العلمية . بينما لم نترجم نحن إلا بنى أو وقف .

دور القرآن والحديث

قد سبق لنا الكلام على الدور التي كانت مختصة بالقرآن ، وعلى الدور التي كانت مختصة بالحديث ، حسب الامكان ، وحسبما اتصل بنا . ولنشرع الآن في بيان الدور التي كانت مشتركة بينهما .

دار انقرآن والحديث (التنكرية)

هي شرقي حمام نور الدين الشهيد ، تجاه دار الذهب ، وراء سوق البزوريين المعروف قديماً بسوق القمح .

قال ابن كثير : وكانت هذه الدار حماماً يعرف بحمام سويد ، فهدمه نائب السلطنة تنكز الملكي الناصري ، وجعله دار قرآن وحديث . فجاءت في غاية من الحسن ، ورتب فيها الطلبة والمشائخ . وقال أيضاً : وفي سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، توجه نائب السلطنة سيف الدين تنكز الى الديار المصرية لزيارة السلطان ، فأكرمه واحترمه ، واشترى له في سفره هذا دار الفلوس التي هي بالقرب من البزوريين والمدرسة الجوزية وهي شرقيهما ؛ فعمر هذه الدار داراً هائلة ليس في دمشق دار أحسن منها ، وسماها دار الذهب . ومر بالقدس حين رجوعه من مصر ، فأمر ببناء دار حديث فيه وخانقاه . ثم لما أتى الى الشام ، نقل حواصله وأمواله من دار الذهب التي كانت داخل باب الفراديس الى داره هذه . قال النعيمي في كتابه « تنبيه الطالب » : رأيت في قائمة قديمة تتضمن سرد أوقاف دار الحديث هذه ، فكان فيها ما صورته :

في سوق القشاشين ثمانية عشر حانوتاً في خارجه ، وفي داخله تسعة عشر حانوتاً ، وبحارة القصر طبقتان واصطبل ، وبستان يعرف ببستان البندر . وبها مشيخة للاقراء باسم البرهان الاربدي ومصرفها مشيخة القرآن والامامة مائة وعشرون درهما ، وثلاث مشيخات للحديث ، لكل واحد منها خمسة عشر درهما في الشهر ، وللمشتغلين بالقرآن العظيم ، وهم اثنا عشر ، لكل واحد منهم سبعة ونصف في الشهر ، وللمعاونين ، وهم خمسة ، لكل واحد منهم سبعة ونصف في الشهر أيضاً ، ولكاتب الفيبة عشرة ،

والمؤذن والبواب والقوام أربعون، ولصحابة الديوان أربعون، وللمشارف مثلها، وللعامل ثلاثون، وللجاني خمسون، ولمن يشاهد عمارة الوقف خمسة وعشرون، ومشهد العمارة كذلك، وللمعمارية خمسة عشر، ولنيابة النظر أربعون، وللناظر مائة. هذا كله في الشهر.

أقول: سوق البزوريين يعرف الآن بسوق البزورية، وقد كان على شكل قديم؛

- ٥ فصر فيما بعد التسعين ومائتين والـ ألف على نمط جديد، ووسع. وحمام نور الدين موجود إلى الآن يقال له حمام البزورية^(١) والمدرسة الجوزية هي الآن محكمة البزورية، وقد أخليت الآن من الحكم وصارت دار قرآن وتعليم خط وحساب. ودار الذهب باقية إلى الآن، وهي بيد بني العظم، وهي معدودة من الآثار القديمة، ومشهورة يأتي السائحون من الفرنجة لرؤية مبانيها، فيتعجبون منها، ومن سعتها وجودة انتظامها^(٢).

- ١٠ وأما المدرسة فلم تزل باقية إلى الآن، وهي شرقي اقميم حمام البزورية في الزقاق المنحدر إلى الشرق؛ وبابها على هندسة لطيفة، ومحفور في البلاطة التي هي أعلاه ما صورته:

أنشأ هذه المدرسة المباركة، وأوقفها على القراء المشتغلين بالقرآن العظيم، والفقهاء المسمعين للحديث النبوي، الملك الأشرف السيفي التنكزي النظري كافل الممالك الشريفة بالشام المحروسة؛ وذلك في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة. باشره العبد الفقير أيـد مـر العيني، وجدرانها الأربع باقية مع بعض أبنيتها الأصلية. ولقد تناولتها قديماً أيدي النظار، ففعلوا بها كما فعلوا بغيرها؛ إلى أن وصلت إلى يد ناظر، له نصف النظر، ولأخته النصف الآخر. فجعلوها داراً للسكنى، ثم هما بأن يهدما الباب لتغيير هيئتها، فألقى الله تعالى الخلاف بينهما، والمشاجرة في أمرها. ففطن لذلك بنو الخطيب، ففتحوا بابها للصلاة، وعلم الناس بأنها مدرسة. ثم تولى نظرها القارئ المتقن الشيخ محمد الحلواني، فحسن بعض أبنيتها الداخلية، وأعانها على ذلك بعض أهل الخير، وجعلها مكتبة لقراءة القرآن، فعاد إليها شيء من رونقها، ثم أخذها منه في هذه السنين الفاضل الشيخ كامل القصاب فبنى بها أبنية علوية وسفلية، ورممها، وجعلها مكتبة لقراءة القرآن ومبادئ العلوم والفنون؛ فازداد رونقها، وظهرت بهجتها، وهي على تلك الحال في زمننا هذا.

وأما أوقافها فلم توجد إلا في القراطيس!

٢٥

(١) ما زال البناء على حالته الأولى وحول إلى مخزن تجاري.

(٢) البناء القائم فيها الآن هو بناء أسعد باشا العظم.

ترجمة واقفها

سيف الدين تنكز
٧٤١-١٠٠٠

في القسم الاول من هذا الكتاب بيان لاحوال واقفها ، ولكن من الجهة السياسية :
ولنذكر هنا ترجمته الأدبية فنقول :

- ٥ قال الصلاح الصفدي في « تاريخه » : الأمير الكبير المهيب سيف الدين أبو سعيد تنكز نائب السلطنة بالشام ، جلب الى مصر وهو حدث فنشأ بها ، وكان أبيض اللون الى السمرة ، رشيق القد مليح الشعر ، خفيف اللحية ، قليل الشيب ، حسن الشكل ظريفه ، جلبه الخواجا علاء الدين السيواسي فاشتراه الأمير حسام الدين لاجين واستمر عنده الى أن قتل ، فصار الى خاصكية (١) السلطان ، وشهد معه واقعة الخازندرا ، ثم واقعة شقحب . (٢)
- ١٠ قال الصفدي : واخبرني القاضي شهاب الدين القيسراني أن تنكز قال له يوما : أنا والأمير سيف الدين طغتيال من ممالك الأشرف . ثم إن تنكز سمع « الصحيحين » ، و « كتاب الآثار » ، وأمره الملك الناصر امرة عشرة قبل توجهه الى الكرك ، وكان قد سلم اقطاعه الى الأمير صارم الدين صاروجا المظفري ، فكان آغا له . ولما توجه الى الكرك كان في خدمة الملك الناصر . وجهزه مرة الى الافرم في دمشق فاتهمه بأن معه كتابا الى أمراء الشام ، فحصل له منه مخافة شديدة وفتش وعاقبه الافرم . فلما عاد الى الناصر عرفه بذلك ، فقال له : ان عدت الى الملك فأنت نائب دمشق . فلما حضر من الكرك ، جعل الأمير سيف الدين أرغون الدوادار نائب السلطان بمصر بعد احضار الجوكندار الكبير ، وقال لتنكز ولسودي : احضرا كل يوم عند أرغون ، وتعلما منه النيابة والاحكام . فلزامه سنة ، فلما مهرا ، جهز سيف الدين سودي الى حلب نائبا ، وجعل تنكز نائبا في دمشق ، فحضر اليها على البريد هو والحاج سيف الدين سودي ، وأرقطاي ، والأمير حسام الدين طومطاي ، والشبهقدار . وكان وصولهم الى دمشق في ربيع الاول سنة اثنى عشرة وسبعمائة . فتمكن تنكز من النيابة ، وسار الى ملطية فافتتحها ، وعظم شأنه ، وهابه الأمراء بدمشق وأمن الرعايا ، ولم يكن أحد من الأمراء ، ولا من أرباب الجاه يقدر على ظلم ذمي أو غيره ، خوفا من بطشه وشدة ايقاعه . ولم يزل في الارتقاء ، وعلو الدرجة ، وأملاكه تتضاعف وتزيد انعاماته ، وعوائده من الخيل والقماش والطيور والجوارح ، حتى

(١) كذا في الأصل ولعلها خاصة السلطان .

(٢) كانت هذه الواقعة في أول رمضان سنة اثنى وسبعمائة بين الجيش المصري وأهل دمشق من جهة والتتار من جهة ثانية ، وقد هزم الله التتار هزيمة منكرة وكان لشيخ الاسلام ابن تيمية في هذه المعركة القدح المعلن في تحريض الناس وتشجيعهم ومباشرة القتال واقتحام الصفوف .

كتب له : أعز الله أنصار المقر الكريم العالي الأميري ، وفي الألقاب : الاتابك القائدي ، وفي
النعوت : معز الاسلام ، سيد الامراء في العالمين .

قال الصفدي : وهذا لم تعهد كتابته من سلطان لنائب ، ولا لغير نائب على اختلاف
الوظائف والمناصب .

- وكان السلطان لا يفعل شيئاً في الغالب حتى يستشير . ولقد عقد شيئاً ، ماسمعناه
من غيره ، وهو أنه كان له كاتب ليس له شغل ولا عمل ، غير ما يدخل خزائنه من الاموال ،
وما يستقر له ، ثم اذا حال الحول عمل أوراقاً بما يجب صرفه من الزكاة ؛ فاذا قدم له
كاتبه الاوراق أمر بصرف ما بها الى ذي الاستحقاق ؛ فكان هذا الكاتب كاتباً وناظراً على
الزكاة فقط . وازدادت امواله واملاكه ، وعمر الجامع المعروف به بحكر السماق ،
وانشأ الى جانبه تربة وحماما ، وعمر تربة الى جانب الخواصين لزوجته ، وعمر دار
القرآن والحديث الى جانب داره دار الذهب ، وانشأ بالقدس رباطا ، وعمر سور القدس ،
وساق اليها الماء وادخله الى الحرم ، وعمر على بابه سقاية ، وعمر بها حمامين وقاسارية
مليحة الى الغاية ، وعمر بصفد البيمارستان المعروف به ، وخانا وغيرهما . وله بجبلجولية
خان السبيل ويقال له : خان المنية ، وهو في غاية الحسن . وعمر في الكافوري من
القاهرة دارا عظيمة ، وحماما وحوانيت وغير ذلك . وجدد القنوات بدمشق وكان ماؤها
قد تفر ، وجدد ابنية المساجد والمدارس ، ووسع الطرقات بها ، واعتنى بأمرها . وله
في سائر الشام آثار واملاك وعمائر . انتهى . وقد بسط الصفدي ترجمته في نصف
كراس ، وهذا ملخصها .

- ثم ان السلطان غضب عليه ، وجهز للقبض عليه جماعة ، فاستسلم ، فأخذ سيفه ،
وقيد خلف مسجد القدم ، وجهز الى السلطان في ذي الحجة سنة اربعين وسبعمائة .
وتأسف أهل دمشق عليه ، واحتيط على حواصله . فلما وصل الى الاسكندرية حبس
بها دون الشهر ، ثم قضى الله فيه أمره ، وصلى عليه أهل الاسكندرية ، وكان قبره يزار
ويدعى عنده . ولما كان في اواخر رجب سنة اربع واربعين وسبعمائة ، حضر تابوته من
الاسكندرية الى دمشق ، ودفن في تربة جوار الجامع المعروف بانشائه ، ورثاه الصلاح
الصفدي بقصيدة طويلة .

جامع تنكز

حيث أفضى بنا المقال الى ترجمة تنكز وخيراته ، حسن بنا أن نذكر جامعته الذي بناه بدمشق وان كان اسمه يأتي عند سرد الجوامع فنقول :

٥ قال التقي البديري حسن بن المزلق في «نزهة الانام» : هذا الجامع في الشرف الادنى ، وهو من الفايات هندسة وبناء ، وفيه عشرون شبكا على خط الاستواء ، تشرف على الانهار ومرجة الميدان وما حوى ، وبوسط صحنه يمر نهر بانياس ، يتوضأ منه الناس ، وبه ناعورتان ، تملآن وتفرغان الى حوضين بهما سائر الاشجار والرياحين والازهار ، وبينهما بركة مربعة ، بها كأس في غاية التدوير ، يجري الماء اليها من النواعير . فهو منتزه يقصد ، وللمصلي معبد . انتهى

١٠ وقال ابن كثير في «تاريخه» : وفي سنة سبع عشرة وسبعمائة ، شرع في عمارة الجامع الذي انشأه الامير تنكز او دنكز نائب الشام ظاهر باب النصر ، تجاه حكر السمق على ظهر بانياس . وتردد القضاء العلماء في تحرير قبلته ؛ فاستقر الحال في أمرها على ما قاله الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية . وشرع في بنائه بأمر من السلطان ، ومساعدته لنائبه في ذلك ، وكان الشروع به في صفر من السنة المذكورة ، وصليت الجمعة فيه في عاشر شعبان منها . انتهى . وسيأتي لهذا مزيد ايضاح في موضعه ان شاء الله تعالى .

دار القرآن والحديث (الصبابية)

كانت قبلي العادلية الكبرى ، وشمالى الطبرية ، أنشأها شمس الدين بن تقي الدين ابن الصباب التاجر ؛ وكانت قبل ذلك خربة شنيعة .

٢٠ قال النعيمي : كان انشاؤها سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ، وجعلها بانيها دار قرآن وحديث . ولم أقف على أحد ممن وليها أصلا . انتهى

ورأيت في زيادات العدوي على «مختصر تحفة الطالب» للعلموي أن واقفها رتب بها شيخا للاقراء ، وشيخا للحديث ، ووقفا للمستحقين .

قال العلموي : قلت: هي الآن سكن الشيخ أبي اليسر بن الرملي . وأما الطبرية فلعلها احترقت في فتنة تيمورلنك . وهي الآن بيوت وبيت ابن علم الدين وأولاد خضر، ونحو ذلك ، قبلي الصبائية . انتهى .

قلت : التعريف ببيت فلان لم يفدنا الآن شيئاً . والتعريف بمكانها بالنسبة لزماننا يعسر غاية العسر . بيد أنه إذا وقفت بجانب العادلية ، وسرت الى الجنوب امام المرادية ، ونظرت الى يمينك رأيت اولاً بركة ماء في اول الطريق ، واساساً مبنياً بحجارة ضخمة ، فربما كان الاساس اساس تلك المدرسة وآثارها ، وبعدها الطبرية؛ وعلى كل فانهما درسا ولم يبق لهما رسم ولا بطل .

ترجمة واقفها

- ١٠ قال الحسيني في «ذيله على العبر» : انشأها الصدر الاجل النبيل شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد أبي العز الدمشقي المعروف بابن الصباب . ولد سنة سبعين وستمائة ، وتوفي سنة أربعين وسبعمائة ، وكان من التجار المشهورين .
- شمس الدين ابن الصباب
٧٤٠-٦٧٠

دار القرآن والحديث (المعبدية)

قال النعيمي : هي داخل دمشق . والمنقول انها دار قرآن فقط .

- ١٥ قال الشريف الحسيني في «ذيل العبر» : وفي سنة ست وأربعمائة (١) مات بدمشق الامير علاء الدين بن سعيد (٢) البعلبكي ، ودفن الى جانب داره . ورأيت بخط الاسدي أنه دفن داخل دمشق بتربة أنشأها لنفسه ، وجعلها دار قرآن . وقال العلموي : قلت : لاتعرف هذه أصلاً . وتعقبه العدوي فقال : يحتمل أنها المعينية وتصفحت . وهي الآن سكن المنلا يوسف الكردي وهو مدرسها فليعلم ! وهي غربي الصبائية ، وقبلي اللاقية .
- علاء الدين بن سعيد
٧٤٦-١٠٠٠

(١) (٢) كذا في الاصل وذكر النعيمي في الدارس نقلاً عن الشريف الحسيني ما يلي :

في سنة ست وأربعين ، وفي ذي القعدة ، مات في دمشق الامير علاء الدين علي بن سعيد البعلبكي .

أقول: ان هذه التعريفات لم تفدنا عن بيان موضعها الآن شيئاً . والغالب على الظن بل المحقق أنها أصبحت اما بيوتا للسكنى ، أو حوانيت للبيع والشراء . ولقد راجعت « تاريخ ابن عساكر » وغيره عن ترجمة واقفها ، فلم أظفر له بترجمة ، ولم أجد فيما بين يدي غير ما قدمته . وهنا انتهى الكلام على هذا القسم ويتلوه القسم الثالث ان شاء الله تعالى . هـ



القسم الثالث في مدارس (الشافعية)

هذا القسم لكثرة مدارسه اقتضى الحال تقديمه . ويحسن بنا أن نذكر هنا مقدمة تتضمن كيفية تشعب المذاهب ، وما كان داعيا الى انحصارها في هذه الاربعة في ديارنا وما والاها فنقول :

- ٥ يعلم كل أحد أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ، بعثه الله تعالى على فترة من الرسل ، رسولا الى الناس جميعا ، ورحمة للعالمين . وكان الناس حينئذ أهل شرك وعبادة لغير الله تعالى الا بقايا من أهل الكتاب ، ونذر يسير من العرب المقرين بوحدانيته تعالى . فقام بالأمر مع شدة شكيمة المعارضين ، وصدع به معرضا عن الجاهلين ، واتاهم بكتاب أخرس الفصحاء ، وأعجز البلغاء ، مع أنهم كانوا يفوقون رمل عالج عددا . فاخترأوا المضاربة بالصفاح ، والطعن باللسان على المغالبة بالحجة والبرهان ؛ وكتابه يناديهم : « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » الآية ٢٣/٢ . فلم يك في وسعهم اجابة النداء ، بل اختاروا المقاومة والمشاتمة والملاكمة والصدام ، الى أن كان من أمره صلى الله عليه وسلم مع قريش ماكان ، مما هو موضح في كتب السيرة النبوية . وهاجر من مكة الى المدينة ، فأشرقت أشعة هذا الدين المبين ، وطلعت شمسهُ فعمت الآفاق . ولم تكن الدعاية الى الدين الا بالحجة والبرهان . وليست الحروب الا للمدافعة عن الروح ، كما يعلمه من سبر أسرار الشريعة المحمدية . ومن يقل : ان الدعوة الاسلامية كانت بالسيف والقهر والغلبة ، ولا سلطان للبرهان عليها ؛ فقد كذب وافترى ، وقيل له : أية قوة كانت لمحمد صلى الله عليه وسلم ، من المال والاعوان حينما كان بمكة امام جميع العرب المقاومين له ، وهم أهل الشجاعة والفصاحة والبلاغة ! ؟ ولو كان له ماذكر ، لما خرج من مكة حيث أخرجه أهلها منها ؛ فما غلبهم بغير هذا القرآن ، وكله حجج دامغة لأولي الشرب والطغيان ! ولما خلاص نور البرهان الى أفئدة قوم وفقهم الله من أهل المدينة ومن حولها ؛ هاجر النبي صلى الله عليه وسلم اليها ، ومعه قومه ممن خالط الايمان بشاشة قلوبهم ؛ واستقر بها بين المهاجرين والأنصار . وكان الصحابة رضي الله عنهم يجتمعون اليه ، ويحتاطون به احاطة الهالة
- ١٥
- ٢٠

بالبدر النير في كل وقت ، مع ما كانوا عليه من ضنك المعيشة وقلة القوت . ولذلك كان منهم من يحترف في الأسواق ، ومنهم من كان يقوم على نخله ، ويحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل وقت ، ومنهم طائفة كانوا يحضرون عندما يجدون أدنى فراغ مما هم بسبيله من طلب القوت . فاذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسألة ، أو حكم بحكم ، أو أمر بشيء ، أو فعل شيئاً ، وعاده من حضر عنده من الصحابة ، وفات من غاب عنه علم ذلك ، كما هو معروف في كتب الحديث . وكان يفتي في زمن النبي صلى الله عليه وسلم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري ، وسلمان الفارسي رضي الله عنهم . ١٠

فلما انتقلت الروح الطاهرة النبوية الى أعلى عليين ، واستخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، تفرقت الصحابة في الأقطار ، فمنهم من خرج لقتال مسيلمة وأهل الردة ، ومنهم من خرج لقتال أهل الشام ، ومنهم من خرج لقتال أهل العراق .

وبقي من الصحابة في المدينة مع أبي بكر رضي الله عنه جماعة ؛ فكانت القضية اذا نزلت بأبي بكر ، قضى فيها بما عنده من العلم بكتاب الله ، أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فان لم يكن عنده فيها علم من كتاب الله ، أو سنة رسوله ، سأل من بحضرته من الصحابة عن ذلك . فان وجد عندهم علماً بذلك رجع اليه ، والا اجتهد في الحكم . ١٥

ولما توفي أبو بكر رضي الله عنه ؛ وولي الأمر من بعده عمر بن الخطاب ؛ وفتحت الأمصار ، وزاد تفرق الصحابة فيما افتتحوه من الأقطار ؛ كانت المسألة الواقعة من الشرع تنزل المدينة ، أو غيرها من البلاد ؛ فان كان عند الصحابة الحاضرين بها في ذلك أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حكم به ، والا اجتهد أمير تلك البلدة في ذلك . وقد يكون في تلك القضية حكم عن النبي صلى الله عليه وسلم عند صحابي آخر ، وقد حضر المدني ما لم يحضره المصري ، وهو حضره ما لم يحضره الشامي ، والشامي حضره ما لم يحضره البصري ، وحضر البصري ما لم يحضره الكوفي ، وحضر الكوفي ما لم يحضره المدني . كل هذا موجود في كتب الآثار ، وفي دواوين السادة الأخيار من المحدثين ، وفيما علم من مغيب بعض الصحابة عن مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ٢٥

في بعض الاوقات ، وحضور غيره ، ثم مغيب الذي حضر أمس وحضور الذي غاب .
فيدري كل واحد منهم ما حضر ، ويفوته ما غاب عنه ، فمضى الصحابة رضي الله عنهم
على ما ذكرنا .

ثم خلف بعدهم التابعون الآخذون عنهم . وكل طبقة من التابعين في البلاد التي
تقدم ذكرها انما تفقهوا مع من كان عندهم من الصحابة . فكانوا لا يتعدون فتواهم
الا يسيرا عن غير من كان في بلادهم من الصحابة ؛ كاتباع اهل المدينة في الأكثر فتاوى
عبد الله بن عمر ، واتباع اهل الكوفة في الأكثر فتاوى عبد الله بن مسعود ، واتباع اهل
مكة في الأكثر فتاوى عبد الله بن غياث ، واتباع اهل مصر في الأكثر فتاوى عبد الله
ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهم اجمعين .

- ١٠ ثم اتى من بعد التابعين فقهاء الأمصار : كأبي حنيفة وسفيان وابن أبي ليلى
بالكوفة ، وابن جريج بمكة ، ومالك وابن الماجشون بالمدينة ، وعثمان البتي ، وسوار
بالبصرة ، والأوزاعي بالشام ، والليث بن سعد بمصر . فجروا على تلك الطريق من اخذ
كل واحد منهم عن التابعين من اهل بلده فيما كان عندهم ، واجتهادهم فيما لم يجدوا
عندهم ، وهو موجود عند غيرهم . وأول من أقرأ القرآن بمصر أبو قبيل ، وهو يروي
عن عبيد بن مخمر المغافري المكنى بأبي أمية : رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه
١٥ وسلم ، شهد فتح مصر . ثم ان اهل مصر كانوا يتحدثون في الفتن والترغيب . فكان
أول من نشر علم الحلال والحرام فيهم . يزيد بن أبي حبيب . وحكى أبو عمرو الكندي .
ان ابا ميسرة عبد الرحمن بن ميسرة مولى الملامس الحضرمي كان فقيها ، وكان أول من
أقرأ الناس بمصر بحرف نافع قبل الخمسين ومائة ، وتوفي سنة ثمان وثمانين ومائة .
وان أباسعيد عثمان بن عتيق مولى غافق أول من رحل من اهل مصر الى العراق في
٢٠ طلب الحديث . توفي سنة أربع وثمانين ومائة . انتهى

وكان حال اهل الاسلام من اهل مصر وغيرها من الأمصار ، في احكام الشريعة ،
على ما تقدم الكلام عليه .

- ثم كثر الترحال الى الآفاق ؛ وتداخل الناس والتقوا ، وانتدب اقوام لجمع الحديث
النبوي وتقييده . فكان أول من دون العلم محمد بن شهاب الزهري ، وأول من صنف
٢٥ وروى سعيد بن عروبة ، والربيع بن صبيح بالبصرة ، ومعمربن راشد باليمن ، وابن

جريح بمكة ، ثم سفيان الثوري بالكوفة ، وحماد بن سلمة بالبصرة ، والوليد بن مسلم بالشام ، وجريير بن عبد الحميد بالري ، وعبد الله بن المبارك بمر وخراسان ، وهيثم ابن بشير بواسط . وتفرد بالكوفة أبو بكر بن أبي شيبة بتكثير الأبواب ، وهيثم التصنيف ، وحسن التأليف . فوصلت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاد البعيدة الى من لم تكن عنده ، وقامت الحجة على من بلغه شيء منها ، وجمعت الأحاديث المبينة لصحة أحد التأويلات المتأولة من الأحاديث ، وعرف الصحيح من السقيم ، وزيف الاجتهاد المودي الى خلاف النبي صلى الله عليه وسلم ، وترك العمل به ، وسقط العذر عن خالف من السنن ، ببلوغه اليه ، وقيام الحجة عليه . وعلى هذا الطريق كان الصحابة رضي الله عنهم ، وكثير من التابعين ، يرحلون في طلب الحديث الواحد الأيام الكثيرة ، كما هو معلوم من كتب الحديث . ١٠

فلما قام هارون الرشيد بالخلافة ، وولى أبا يوسف بن يعقوب صاحب أبي حنيفة القضاء بعد سنة سبعين ومائة ؛ لم يقلد ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر الا من أشار به أبو يوسف واعتنى به .

وكذلك لما قام بالأندلس الحكم المرتضى بن هشام بعد أبيه وتلقب بالمنتصر في سنة ثمانين ومائة ، اختص بيحيى بن يحيى بن كثير الأنديسي ، وكان قد حج وسمع «الموطأ» من مالك الا أبوابا ، وحمل عن وهب ، وابن القاسم ، وغيرهما علما كثيرا . وعاد الى الأنديس ؛ فنال من الرئاسة والحرمة ما لم ينله غيره . وعادت الفتيا اليه ، وعظم أمره . ثم هو لم يقلد في سائر أعمال الأنديس قاضيا الا بإشارته واعتنائه . فصاروا على رأي مالك بعد ما كانوا على رأي الأوزاعي ، وكان زياد بن عبد الرحمن الملقب ببسطور قد أدخل مذهب مالك الى الأنديس قبل يحيى ، وكان الغالب في افريقية مذهب السنن ، الى ان أدخل عبد الرحمن بن فروج أبو محمد الفارسي اليها مذهب أبي حنيفة ؛ فلما يزالوا عليه الى ان ولي سحنون بن سعيد القضاء فنشر اذ ذاك مذهب مالك . وصار القضاء في أصحاب سحنون دولا ، ولم يزل الحال على ذلك الى زمن بني هاشم ؛ فتوارثوا القضاء . ثم ان المضر بن باديس حمل جميع أهل افريقية على التمسك بمذهب مالك ، وترك ما عداه من المذاهب ؛ فرجع أهل افريقية كلهم ، وأهل الأنديس كلهم الى مذهب مالك ؛ ففشا هناك فشوا طبق تلك الاقطار ، كما فشى مذهب أبي حنيفة ببلاد المشرق . ولما كانت أيام الخليفة القادر بالله أبي العباس أحمد ؛ وتمكن الشيخ أبو حامد الاسفرائيني

من دولته ، قرر معه استخلاف أبي العباس أحمد بن محمد البارزي الشافعي ، عوضاً عن قاضي بغداد أبي محمد الأكفاني . وكتب أبو حامد إلى السلطان محمود بن سبكتكين ، ر أهل خراسان . أن الخليفة نقل القضاء عن الحنفية إلى الشافعية . وكان القادر بالله قد سير إلى محمود خلعة السلطنة ، سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، بعد أن انقطعت الدولة السامانية . فحصلت بذلك فتنة بخراسان بين الحنفية والشافعية ، صار أمرها ٥ إلى رجوع القضاء إلى الحنفية ، وانقطاع أبي حامد عن دار الخلافة ، وظهور التسخط عليه والانحراف عنه ، وذلك في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة .

ولما قدم عبد الرحيم بن خالد مولى جمع على مصر ، نشر بها مذهب مالك ، وتوفي بالاسكندرية سنة ثلاث وستين ومائة . ثم نشره بها أيضاً عبد الرحمن بن القاسم ؛ فاشتهر حينئذ أكثر من مذهب أبي حنيفة ، إلى أن قدم محمد بن إدريس الشافعي إلى مصر مع عبد الله بن العباس بن موسى في سنة ثمان وتسعين ومائة ، فتبعه جماعة من أعيانها كبني عبد الحكم ، والربيع ، والمزني ، والبويطي ، وكتبوا عن الشافعي ما ألفه ، وتبعوا مذهبه فقوي حينئذ واشتهر . وصار القضاء في مذهب مالك والشافعي ، إلى أن قدم القائد جوهر من بلاد إفريقية في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وبنتى مدينة القاهرة . وكان شيعياً ؛ ففشا مذهب التشيع بمصر ، وعمل به في القضاء والفتيا ، ١٥ وأنكر على من خالفه ، ولم يبق بمصر مذهب سواه ؛ حتى قام الملك الناصر صلاح الدين ابن أيوب في جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة ، وشرع في تغيير دولة الاسماعيلية وإزالتها ، وأنشأ بمصر مدرسة للفقهاء الشافعية ، وصرف قضاة مصر الشيعية كلهم ، وفوض القضاء لصدر الدين عبد الملك بن درباس الماراني الشافعي ؛ فلم يستتب عنه في إقليم مصر إلا من كان شافعيًا . فتظاهر الناس من يومئذ بمذهب مالك ٢٠ والشافعي ، واختفى مذهب الشيعة والاسماعيلية والامامية ، حتى فقد من أرض مصر كلها .

وكذلك كان السلطان نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي حنفياً فيه تعصب ؛ فنشر مذهب أبي حنيفة ببلاد الشام ، ومنه كثرت الحنفية بمصر . وما زال مذهبهم ينتشر ويقوى وفقهاؤهم تكثر بمصر والشام من يومئذ . وحمل السلطان صلاح الدين ٢٥ الناس أيضاً على عقيدة الشيخ أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري ، وشرط ذلك في أوقافه التي بديار مصر كالمدسة الناصرية ، والقمحية ، وخانقاه سعيد السعداء في

القاهرة . فاستمر الحال عليها بمصر ، والشام ، وأرض الحجاز ، واليمن ، والمغرب أيضا لادخال محمد بن تومرت رأي الأشعري اليها . ولم يكن في الدولة الأيوبية بمصر كثير ذكر لمذهب أبي حنيفة ، وأحمد بن حنبل ؛ ثم اشتهر ذكرهما في آخرها .

فلما كانت سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقداري ولي بمصر والقاهرة أربعة من
٥ القضاة وهم : شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي ، وتقرر الأمر على ذلك في الشام وما والاها . وكان أول من ولي قضاء قضاة الحنابلة بدمشق الشيخ عبد الرحمن بن محمد ابن أحمد بن قدامة المقدسي ثم الصالحي ، وهو من مشايخ شيخ الاسلام أحمد بن تيمية، واه مصنفات سنذكرها في ترجمته ، وتوفي سنة اثنتين وثمانين وستمئة .

وقد كان مذهب الامام أحمد شائعا أولا في العراق وما والاها . فلما دخل البلاد
١٠ الشامية عبد الوليد بن محمد الشيرازي ثم المقدسي الدمشقي وسكن بيت المقدس ؛ نشر فيه وفي جهاته مذهب أحمد ، ثم أقام بدمشق ، ونشر بها المذهب أيضا . وكانت وفاته سنة ست وثمانين وأربعمائة بدمشق . قاله البرهان بن مفلح في « المقصد الأرشد » . فمن ثم انتشرت المذاهب الأربعة في هذه الديار ، وبنيت لها المدارس وتنافس الناس فيها ، وتسابقوا في انشائها ، وكانت كثرتها على حسب كثرة أصحابها
١٥ كما يعلمه من طالع كتابنا هذا . وجعلت مقصورة على علم الفقه غالبا المسمى الآن بفن الفروع ، وعلى فني النحو والتصريف ، وعلى قليل من فني البيان والاصول، وعلى تلقي الأحاديث النبوية . وعمرت الزوايا والخوانق للمتصوفة . وبنيت في دمشق مدارس لفن الطب . وأما العلوم العقلية ، فالظاهر أنها كانت يومئذ مبتذلة ، وفن التحقيق متروكا لايهجم على ذلك الا الأفراد ، وخصوصا فن الحكمة . فانه كان مع فنون الهيئة وتشريح
٢٠ الأفلاك ، وتلك المعاني في الندرة بمكان ، يكاد المشتغلون به أن يتبرؤوا منه في الظاهر؛ والله في خلقه شؤون ! وحيث ألغينا الى زبدة يستخرج منها المطالع اللبيب تاريخ انحصار المذاهب في الأربعة ، وأسباب بناء المدارس لها . فلنرجع الى ما كنا بصدده وهو هذا .

حرف الهمزة

المدرسة (الأتابكية)

هي بصالحية دمشق . وقد عين النعيمي موقعها فقال : هي بسفح قاسيون ،
غربيها المرشدية ، ودار الحديث الأشرافية المقدسية . ١ هـ .

- أقول :** ولقد وقفت عليها بعد بحث طويل ، فرأيتها قبلي السكة ، شرقي دارالحديث
المذكورة . وبابها مثل باب غيرها من مدارس الأمراء ، مزخرف أعلاه بالحجر المعجن ،
قائم على صفة محراب ، وباب الدخول في الوسط . وقد بنيت لها منارة يظهر عليها
آثار الحدوث ، يصعد اليها بسلم من الحجر ، عليه آثار القدم . والجدار الغربي مبني
بحجارة ضخمة . وبالجانب القبلي مسجد لطيف ، يظهر لمن رآه أنه مستحدث . وبجانبه
الى الشرق تربة مبنية بالحجارة الكبيرة ، ولها شباك في الحائط القبلي يطلان على
بستان ، وشباك أيضا يطلان على دمشق . وقد تهدم أعلاها ، وبها قبران ، وبساحتها
بئر يجتمع الماء فيه من نهر يزيد ، وعليه مضخة تجذب الماء الى الأعلى . ومن هذا
يظهر أن المدرسة قد استولى الخراب على أكثرها ، فتناولتها أيدي المختلسين ، وبقي
جانب منها ، فهيأ الله له بعض أهل الخير ، فجعله مسجدا تقام فيه الصلوات الى الآن .
والناس الآن يسمونها جامع التابتية وتارة يقولون : التابتية . ولقد كان لهذه المدرسة
شأن عظيم ، درس بها جماعة من العلماء الكبار كأبي بكر بن طالب الاسكندري ، واسماعيل
الماوردي ، وصفي الدين الهندي ، وتقي الدين السبكي ، وأحمد بن مصري ، وأحمد
ابن حجي ، وأحمد بن علي الداجي المصري ، وغير هؤلاء من الأفاضل .

- أقول :** حجي بكسر الحاء والجيم الثقيلة ، هكذا ضبطه الحافظ بن حجر في
« المجمع المؤسس » وقال : مهر في الفقه والحديث ، ودرس ، وأفتى ، واشتهر ، وكان
لهجا بالتاريخ وعلم الميقات ، مات سنة عشرة وثمان مائة .

ترجمة واقفها

تركان خاتون
بنت عز الدين
٦٤٠-٠٠٠

أنشأتها تركان بالتاء المثناة الفوقية خاتون بنت السلطان عز الدين مسعود بن قطب
الدين مودود بن اتابك زنكي بن آقسنقر ، وهي زوجة الملك الأشرف موسى ، كما قاله في

« العبر » . وقول عز الدين الحلبي (١) : أن التي أنشأتها بنت نور الدين أرسلان بن أتابك صاحب الموصل ليس بصحيح ! وفي ليلة وفاتها ، كان وقف مدرستها ، وتربتها بالجبل ؛ كما قاله أبو شامة . وتوفيت سنة أربعين وسبعمائة (٢) ودفنت في تربتها بمدرستها .

وقال الذهبي في « مختصر تاريخ الإسلام » : مات صاحب الموصل سنة سبع وستمائة ، وهو نور الدين أرسلان ، وكان شهماً مهيباً ، فيه ظلم وجبروت ، وكان حكمه ثمانية عشر عاماً ، وبني مدرسة للشافعية في غاية الحسن . وقال ابن الأثير :

قال وزيره : ما قلت له في فعل خير إلا بادر إليه .

قال ابن خلكان : كان شهماً عارفاً بالأمور ، تحول شافعيًا ولم يكن في بيته شافعي ، وله مدرسة قل أن يوجد مثلها في الحسن .

وحاصل هذا أن البانية لها تركان ، وكان المساعد لها زوجها الأشرف ، وأحد بني أتابك . ومن كلام الذهبي يعلم أن البانية ليست بنت صاحب الموصل لتقدم وفاتها على تركان فتأمل !

المدرسة (الأسعدية)

كانت بالجرس الأبيض . وقد أناخ عليها الزمان بكلكله كأخواتها من المدارس ، وذهب اسمها إلا من القرطاس .

قال ابن قاضي شهبه في « الذيل » : وفي جمادى الآخرة سنة ست عشرة وثمانمائة ، خربت ثلاثة مساكن هي أحسن مساكن دمشق : الدهشة ، وبستان النشوة على حافة نهر تورا بالقرب من الربوة ، وبستان ابن جماعة بالمزة . ولكن هذا الثالث نقلت آلتها إلى مدرسة الخواجه إبراهيم ابن الأسعدي ، وانتفع الناس بها ، وفرغ من عمارتها سنة سبع عشرة وثمانمائة ، وكانت في غاية الحسن ، ورتب بها وظائف كثيرة . ١٠ هـ .
والدهشة والنشوة قصران عظيمان كانا في البساتين ، وسيأتي الكلام عليهما عند الكلام على متنزهات دمشق .

(١) المعروف بابن شداد .

(٢) كذا في الأصل وقال الصفدي توفيت في شهر ربيع الأول سنة أربعين وستمائة .

ونرى أن هذا هو الأصح لما ذكر من أنها كانت زوج الملك الأشرف وقد توفي سنة خمس وثلاثين وستمائة .

ترجمة واقفها

ابراهيم الأسعدي
٨٢٦-٠٠٠

- هو التاجر الكبير ابراهيم بن مبارك شاه الأسعدي . كان هو وابن المزلق من أكبر تجار دمشق ؛ تسير تجارتهم في البلدان . وأعطى الله المترجم كثيراً من المال والبنين ، وكان عنده كرم واحسان الى الفقراء ، وتأنق في بناء مدرسته ، وبنى لها تربة ، ورتب بها فقراء ، وجماعة يقرؤون القرآن ، وهي من أحسن عمائر دمشق . توفي سنة ست وعشرين وثمانمائة ، ودفن في تربته . وترك من الأموال والأموال والبضائع والخيول المسومة شيئاً كثيراً . وخلف ولدين شابين ، وكان متزوجاً ببنت ابن المزلق . قال ابن قاضي شعبة : توفي بعده بقليل عشرون نفساً من أهل بيته .

المدرسة (الأسدية)

- حدث النعمي وغيره : أنها بالشرف القبلي ظاهر دمشق ، مطلة على الميدان الأخضر ١٠ يعني المرجة الخضراء . وهي على الطائفتين الشافعية والحنفية . انتهى
- وقد عفت اليوم أطلالها ، وانمحت رسومها وآثارها ، وذهبت أحاديثها الا من القرطاس فسبحان الباقي !
- وقال العلموي في « مختصر تنبيه الطالب » : قلت : يحتمل أنها المركبة على بانياس ، المعروفة بالقرمانية . والعجب أن شيركوه له أسديتان ، برانية وجوانية ، وأناس كثيرون ينتسبون اليه ، ولا تعرف هذه المدرسة . والوقف عليها قرية برزة وضمير . ولا يعرف من ذلك الا ثلاثة قراريط من برزة هي وقف على الأسدية الجوانية بدمشق ، وثمانية قراريط من ضمير هي وقف على الأسدية الجوانية بحلب ، فليعلم ذلك . قال : وأما الذرية فابتلوا بالقلّة لعدم رجوعهم الى الحق في شرطهم الاول . انتهى
- وأيا ما كان ، فقد اندرست هذه المدرسة ، واندرس وقفها . وممن درس بها أيام عزها : العزالقرشي أبو الخطاب ، والركن البجلي ، وصلاح الدين العلاني ، وشرف الدين الأذرعي وغيرهم .

ترجمة وأقفها

أسد الدين شيركوه
٥٦٤...٥

بناها شيركوه بن شادي بن مروان الملقب بأسد الدين ، سنة أربع وستين وخمسمائة .
وكان بطلا شديدا البأس ، له صيت بعيد ، ويضرب المثل بشجاعته . ونشأ بدوين من
أطراف أذربيجان وبتكريت ، وكان أبوه متولي قلعتها . وأسد الدين هذا من أمراء
نور الدين ؛ وكان قد سيره الى مصر عونا لساور السعدي فلم يقف ساور له ، فعاد
منها الى دمشق وفي نيته أخذ مصر ثم رجع فكرر عسكرها وعسكر الفرنج ، وتولى
وزارتها . وكانت الفرنج تهابه وتخافه . وأقطعه نور الدين الرحبة وحمص فوق ماله
من الاقطاع .

وقال ابن شداد في «سيرة صلاح الدين» : كان أسد الدين شيركوه كثير الأكل ، شديد
المواظبة على تناول اللحوم الغليظة ، تتواتر عليه التخم والخوانيق ، وينجو منها بعد
مقاساة شديدة عظيمة . فأخذه مرض شديد ، واعتراه خانوق فقتله سنة أربع وستين
 وخمسمائة ، ودفن بمصر ، ثم نقل الى المدينة المنورة . وستأتي زيادة على هذا في القسم
السياسي من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .

المدرسة (الأصفهانية)

ذكرها القاضي ابن شداد في «الأعلاق الخطيرة» والنعمي ، وقال : هي بحارة
الغرباء ، بالقرب من درب الشعارين ، بناها رجل تاجر من أصفهان . ولم يذكر النعمي
تاريخ بنائها .

وقال الذهبي في «العبر» : ان الشيخ عبد الكافي الربيعي درس بها سنة تسع
وثمانين وستمائة . ا. هـ

فيكون على هذا بناؤها قبل التاريخ المذكور .

وقال الشيخ عبد الباسط العلموي : حارة الغرباء وراء القجماسية ، وهذه المدرسة
مجهولة الآن ، اللهم الا أن تكون موضع تكية أحمد باشا ، فلا يبعد والله أعلم . انتهى

والعلموي مولده سنة احدى وثمانين وتسعمائة . فعليه أن هذه المدرسة قد
اندرست قبل التسعمائة . وتكية أحمد باشا هي المعروفة الآن بالمدرسة الأحمدية . وفي

الحارة المذكورة آثار أبنية قديمة ؛ فيمكن أن يصح ما قاله العلومي ، ويمكن أن يكون قد صارت دارا للسكنى والله أعلم !

المدرسة (الاقبالية)

- أخبر النعيمي وغيره بأنها داخل بابي الفرج والفراديس ، شمالي كل من الجامع والظاهرية الجوانية ، وشرقي الجاروخية ، وغربي التقوية . وقال في « العبر » : ان
- ٥ بانيتها كان له داران ، فجعل احدهما مدرسة للحنفية ، والثانية للشافعية وهي الكبيرة منهما ، ووقف عليهما أوقافاً ، وجعل الثلث منها لمدرسة الحنفية ، والثلثين لمدرسة الشافعية .

- هذا ما ذكره المؤرخون ، وأقول : هذا التعريف المذكور لم يفدنا الآن شيئاً ؛ لأن هذه المدرسة قد اندرست ، ولم يبق منها سوى الظاهرية . وهي الآن بأول الطريق المعروف
- ١٠ الآن بزقاق السبع طوالع من غربيه في الجهة الشمالية ، مقابل اقميم حمام العقيقي ، يفصل بينهما الطريق . وأخبرني بعض العمرين الثقات أن هذه المدرسة بقيت أبوابها مفتوحة لطلاب العلم ، معمورة الى قبيل الخمسين والمائتين بعد الألف . وكان من عادة القضاة يومئذ أن ينصبوا بوابين للمدارس ، ويأذنوا لهم بالسكنى بها . وفي التاريخ
- المذكور : كان لهذه المدرسة بواب يقال له : يوسف الدوركلي ، فرأى أن من قبله من
- ١٥ البوابين قد اعتادوا غلق أبواب المدارس الا في اوقات الصلوات ، فاقتدى بهم ، ثم زاد عليهم ، فأغلق أبوابها دائماً ، ثم استبد بها ، وجعلها دارا لسكناه ، ونقض كثيراً من أبنيتها ، وبنها بناء جديداً . وبعد وفاته اختلف أولاده عليها ، وترافعوا (١) الى الحكام ؛ ولم يزل الخلاف عليها جارياً فيما بينهم الى قبيل سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة بعد الألف ، فهناك قصد أحد بني الدوركلي نكاية مخاصميه ؛ فأثبت لدى الحاكم انها مدرسة ،
- ٢٠ وطلب من مجلس معارف دمشق أن يأخذها . وبعد المعاملة المقتضية ، اخذها المجلس المذكور هي والاقبالية الحنفية التي بجانبها . وفي سنة أربع وعشرين من التاريخ المذكور ، جعلت مدرسة للاناث ، وبقيت على ذلك . والله أعلم بما يؤول اليه أمرها بعد ذلك . وستأتي زيادة على ما كتبناه هنا عند الكلام على الاقبالية الحنفية .

(١) في الاصل وترافعا .

ترجمة واقفها

جمال الدولة اقبال
٦٠٣-٠٠٠

قال الذهبي : هو جمال الدولة أمير الجيوش شرف الدين أبو الفضل اقبال ابن الحبشي المستنصر الشرابي ، جعل مقدما على جيوش العراق ، وأنشأ مدرسة في غاية الحسن للشافعية ، ثم انه في سنة اثنتين وستمائة أنشأ مدرسة ثانية للحنفية ، وأنشأ بمكة رباطا . وله معروف كثير ، وفيه دين وخشوع ، وله محاسن . والتقى بالتتار فهزمهم ؛ فعظم بذلك ، وارتفع قدره . ثم توجه في خدمة المعتصم نحو الحلة لزيارة الشهيد فمرض ، ثم أقبل من الحلة ، فيقال : انه سقي سما في تفاحة ؛ فلما أكلها أحس بالشر ، فرجع الى بغداد .

وقال ابن كثير : توفي اقبال الخادم جمال الدولة أحد خدام صلاح الدين ، واقف الاقباليين بالقدس الشريف سنة ثلاث وستمائة . انتهى . وهو العام الذي فرغ فيه من بناء الاقبالية الحنفية كما سيعلم من الكلام عليها .

ودرس بهذه المدرسة جماعة من العلماء الكبار : كبدر الدين بن خلكان ، ثم شمس الدين محمد بن خلكان ، ثم الامام يحيى النووي ، ثم تاج الدين المراغي ، ثم علاء الدين القونوي ، ثم ابن المجد ، ثم العماد النابلسي ، ثم الكمال الشريشي ، ثم ولده بدر الدين ، ثم الجلال الزرعي ، ثم العماد الحسباني ، ثم ولده عبد الوهاب ، ثم ابن قاضي شعبة ، ثم الشمس الكفيري ، ثم جماعة غيرهم . وبهذا يعلم انه كان لهذه المدرسة أهمية كبرى ، فسبحان الباقي !

المدرسة (الأكرية)

هي غربي الطيبة والتربة التنكرية ، وشرقي مدرسة أم الصالح .

قال النعيمي : وقد رسم على بابها بعد البسملة :

أوقف هذه المدرسة على أصحاب الامام أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه الامير أسد الدين أكر في سنة ست وثمانين وخمسمائة . وتمت عمارتها أيام الملك الناصر صلاح الدين والدنيا ، ومنقذ البيت المقدس من أيدي المشركين أبي المظفر يوسف بن أيوب محيي الدولة أمير المؤمنين ، وأوقف عليها ، والدكان التي شرقيها

وقف عليها والثلث من طاحونة اللوان ، سنة سبع وثمانين وخمسمائة . انتهى .

أقول : ان هذا التعريف قد اندرس باندراس الأكرية والطيبة ، ولم يبق لهما رسم ولا طلل ! وان شئت البيان ، فادخل من الطريق الكائن أمام محكمة الباب ، جنوبي المدرسة النورية ، وسر مغربا ، والتفت يمينك ؛ تجد بناء شامخا ، وبابا مرتفعا في الهواء فهذا بناء التربة التنكزية . والناس يسمونها الآن زاوية النحلاوي . ثم اذا سرت الى جهة الغرب ، ترى في الجدار الشمالي آثار المدرسة الطيبة ؛ ويدلك عليه جدار مبني بالحجر الاحمر ، واثر باب قديم . وبالقرب من ذلك الاثر اثر نظيره ، وهناك كانت الاكرية . والاثنتان صارتا دورا للسكنى ، والدكان المذكورة قد دكت دكا !

ولكل دهر حلية من أهله مافيهم جنف ولا افراط

وواقف تلك المدارس يقول لسان حاله : ١٠

قد كنت أخذر بينهم من قبله لو كان ينفع خائفا أن يحذرا !

وأخبرني أحد الثقات انه رأى الحجر المكتوب عليه ماتقدم بعد الالف والثلاثمائة ، وهو ظاهر للعيان ، ثم غطي بالطين . انتهى

وقد درس بهذه المدرسة جماعة منهم : شرف الدين الحاكي ، والبرهان المراغي ، والمجد الشهرزوري ، والكمال بن الحرساني ، والصدر محمد بن ابراهيم بن وهيب ، ١٥ ويقال : هبة الله بن عبد الرحمن بن أبي القاسم الجزري الاصل الصلتي الشهير بالنابلسي . ولي قضاء نابلس ، والتدريس بعدة مدارس ، وكان جيد السيرة والاحكام ، توفي سنة ست وسبعمائة ، وكان يحفظ « المنهاج » ، وله نظم حسن ، فمنه :

زار الحبيب بغير وعد سابق	فلك الهنايا مقلتي فتمتعي
سرحت طرفي في بهاء جماله	وحفظت جوهر لفظه في مسمعي
وفرشت خدي في الثرى لقدومه	وجعلت منزله حشاي وأضلعي
ونحرت نومي في الجفون قرى له	وسألته وصلا بغير تمنع
فأجابني بالمنع وهو مودع	أهلا به من زائر ومودع

٢٠

المدرسة (الأغلبكية)

حكى المحبي في « تاريخه » في ترجمة محمد بن محمد الفرفوري الدمشقي الحنفي أن المذكور درس بهذه المدرسة ، قال : وهي مشروطة لهم ، وهي بمحلة القيمرية . هذا كلامه . ولم « أقع (١) » من شأنها على أكثر من هذا . وظهر لي أنها كانت بعد الالف وأظن أنها كانت للحنفية والله أعلم . ٥

المدرسة (الأمجدية)

حكى النعيمي وغيره أنها كانت بالشرف الاعلى . وسبب بنائها أن الملك الامجد بهرام ، الآتي تعريفه قريبا ، كان قد أوصى وصية ؛ ثم أن مملوكا له قتله . فقام بعده الملك المظفر نور الدين عمر ، فعمر تلك المدرسة من مال الوصية ، وجعلها على الحنفية والشافعية . وكانت في موضع لطيف جدا ، لها شبابيك تطل على الميدان الاخضر المسمى بالمرجة الفيحاء ، وتظهر للواقف في الميدان كأنها قصر بديع ، لأنها تعلو عنه علوا كثيرا . وإلى جانبها كانت المدرسة الفرخشاهية ، وكلاهما قد أصبحتا بستانا . وسيأتي الكلام على الفرخشاهية في موضعها . وقد درس بالأمجدية جماعة منهم : رفيع الدين الجيلي ، ونجم الدين سني (٢) الدولة ، وأمين الدين بن عساكر ، والبرهان الخليلي ، والمجد المارداني ، وأحمد بن عبد الله بن الحسين الدمشقي ، والشهاب الباعوني ، وابن قاضي شهبه ، وابن قاضي عجلون ، والسيد عز الدين بن حمزة ، وغيرهم من العلماء فسبحان الباقي ! ومن يعيش ير موضع هذه المدارس التي كانت بالشرف الاعلى دورا للسكنى وحدائق غناء ، ويذهب بالقديم أدراج الرياح فلا يرى رسمه الا على صفحات القرطاس والله أعلم ! ١٥

ترجمة واقفها

اشتهرت هذه المدرسة قديما بالأمجدية نسبة لمجد الدين أبي المظفر بهرام شاه ابن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب . وتقدم أن الذي باشر بناءها ولده عمر من مال وصية

الملك الامجد
بهرام شاه
٦٢٩-٠٠٠

(١) لم ترد هذه الكلمة في الاصل وقد أضفناها لعدم اكتمال المعنى بدونها .

(٢) كذا في الاصل ، وورد في « الاعلاق الخطيرة » : نجم الدين بن سني الدولة .

أبيه . والملك الامجد كان صاحب بعلبك بعد أبيه ، وأخذت منه سنة سبع وعشرين
وستمائة . أخذها منه الملك الاشرف موسى ، وردها الى أخيه الصالح اسماعيل . فقدم
الامجد دمشق وأقام بها . ثم انه اتهم أحد مماليكه بسرقة حياصة له ، وحبسه في
خزائنه . وبينما هو ذات ليلة منشغل بالنرد ، اذ بالغلام قد ولع برزّة (١) الباب فقلعها ،
وهجم على الامجد فقتله ، وهرب ورمى بنفسه من السطح فمات . وقيل : لحقه المماليك
عند وقوعه ، فقطعوه بالسيوف . ودفن بتربته التي هي بجانب تربة أبيه في الشرف
الشمالي . قال محمد بن شاكر الكتبي في « فوات الوفيات » وغيره : كان ذلك سنة تسع
وعشرين وستمائة ، وقيل : سنة ثمان وعشرين ؛ والاول أصح . وقال أيضا : كان الامجد
اديبا فاضلا ، شاعرا له ديوان شعر موجود في أيدي الناس ، ثم أورد شيئا من كلامه
ومنه قوله :

١٠

<p>حتّام تهدون الينا القلقا يخبرني متى يكون الملتقى معنى فان لقيتم طاب البقا بجمع شملي بكم زال الشقا يجمع ما بين الفرام والتقى مأمونة فكيف اخشى الفرقا يمسي بنار هجركم محترقا</p>	<p>قولوا لجيران العقيق والنقا ياساكني قلبي عسى مبشر ما لبقائي بعد بعد عنكم اشقاني الدهر فان اسعدني اهواكم واقلقي وقلما حبكم سفينة ركبته حاشا لمن أصبح يرجو الوصل ان</p>
---	---

١٥

وقوله :

<p>غلام بها صرفا فأوسعته زجرا تجلى لها خدي فأوهمك الخمرا</p>	<p>دعوت بماء في اناء فجاءني فقال هو الماء القراح وانما</p>
---	---

٢٠

وأورد ابن الساعاتي قطعة من جيد شعره الفائق ونظمه الرائق ، فمنه ما قاله على
البديهة في شاب يقطع قضبان بان :

<p>من لي بأهيف قال حين عتبه يحكي شمائله الرشاق اذا انثنى</p>	<p>في قطع كل قضيب بان رائق ريان بين جداول وحدائق</p>
---	---

(١) حديدة يدخل فيها القفل ونحوه .

سرت غصون البان لين شمالي
وله دوبيت (١)
فقطعتها والقطع حد السارق
كم يذهب هذا العمر في الخسران
ما اغفلني عنه وما الهساني
ضيعت زماني كله في لعب
يا عمر هل من بعد عمر ثاني

المدرسة (الأمينية)

تعريفها القديم كما في « تنبيه الطالب » وغيره : أنها قبل باب الزيادة من أبواب الجامع الأموي ، المسمى قديما بباب الساعات ، لأنه كان هناك مكان للساعات يعلم منها كل ساعة تمضي من النهار ، وعليها عصافير من نحاس ، وحية من نحاس ، وغراب من نحاس ، فاذا تمت الساعة ، خرجت الحية ، وصوتت العصافير ، وضاح الغراب ، وسقطت حصة . كذا ذكره القاضي ابن زير في « تاريخه » . وهي شرقي المجاهدية ، جوار قاسارية القواسين ، وتعرف هذه المحلة قديما بحارة العقاب ، وكانت هناك دار مسلمة بن عبد الملك ، وكانت هذه المدرسة من سوق السلاح . وقيل : أنها أول مدرسة بنيت للشافعية . وقد أوقفها أمين الدولة كما سيأتي .

قال الصلاح الصفدي في « تاريخه » : وقف أمين الدولة هذه المدرسة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، ووقف عليها غالب ما حولها من سوق السلاح وقسارية القواسين . وقد أخبرني بعض شيوخها أنها كانت تسمى حق الذهب لكثرة أوقافها ، ولها حصة ، ببستان الخشاب بكفرتوثا وغير ذلك . وقد درس بها جماعة من كبار الأفاضل يتلو بعضهم بعضا ، لفائدة من ذكرهم سوى الاطلاع على الأسماء . وقد تكلم الأسدي عن الأمينية في كراس ، وكتب على ظهره ما صورته : وفي سنة خمس وثمانين وستمائة ، نظر العلاء ابن الزملكاني في كتاب وقف الأمينية ؛ فزعم أن القاسارية التي الى جانب المدرسة لا يحل اكرؤها ، ويجب أن يسكنها الفقراء بغير أجره ؛ فأبطل جملة من الكراء كل شهر ، ثم اقتضى رايه ونظره أن الدرس يذكر كل يوم ، حتى يوم الثلاثاء والجمعة ، وذكر الدرس بعد العيد بثلاثة أيام ، واستمر الدرس يوم الجمعة والثلاثاء . انتهى

وبالجملة فقد كان لهذه المدرسة شأن كبير بين المدارس ، ثم ان الأيام كرهت عليها

(١) القصيدة التي يكون فيها كل بيتين بقافية هي من محدث العصر العباسي .

- فاغتصبت أوقافها ، وأعطيت لغيرها . ثم اغتصب الناس أكثرها ، وتغيرت رسومها ، وجعل بابها من الجهة الشمالية . ثم قيص الله لها بعض مؤدبي الأولاد ؛ فأنفق عليها جانباً ، ورممها وأصلح ما بقي منها ، وجدد بركة مائها ، واتخذها مكتبة للتعليم ، وهي الآن على ما ذكرنا . ومحطها في الجانب القبلي من سوق الحرير . وتفصيله أن الخارج من باب الزيادة ، وهو باب الجامع القبلي ، إذا توجه جهة الجنوب ، يرى عند أول سوق السلاح ، سوقاً عن يمينه تسير إلى الغرب . فهذا هو المسمى بسوق الحرير ، والأمنية هناك معروفة مشهورة . والله أعلم بما تصير إليه أحوالها فيما بعد .

ترجمة واقفها

أمين الدولة
كشتكين
٥٤١-٥٥٠

- بناها أتابك العساكر بدمشق وكان يقال له : أمين الدولة كشتكين (١) بن عبد الله الطفتك ، وكان نائباً على قلعتي بصرى وصرخد ، ولاء عليها الأتابك طفتكين . وكان أميراً جليلاً ، كبير الحرمة ، توفي سنة إحدى وأربعين وخمسمائة . قاله الذهبي في «تاريخه» .

الدرسة (الباذرائية) (٢)

- هي الآن مشهورة معروفة ، وهي بمحلة العمارة الجوانية ، أمام حمام أسامة المعروف بحمام سامية ، بحذف الألف من أوله . وبنائها متين ، وداخلها ذو طباق علوية وتحتية ، وبها مجاورون لطلب العلم . وقال في « تنبيه الطالب » : هي داخل بابي الفراديس والسلامة ، شمالي جيرون ، وشرقي الناصرية الجوانية . انتهى . وهذه الأوصاف موجودة إلا الناصرية ، فان أيدي المختلسين قد تناولتها فجعلتها داراً للسكنى ! وكان موضع الباذرائية قبل بنائها داراً لرجل يقال له : أسامة . وقال ابن كثير في حوادث سنة تسع وستمئة من « تاريخه » : هذا هو أسامة الجبلي ، كان أحد أكابر الأمراء ، وكان بيده قلعتا عجلون وكوكب ، وكان شيخاً كبيراً قد أصابه النقرس ؛ فاعتقله العادل بقلعة الكرك ، واستولى على حواصله وأمواله وأملاكه ، ومن ذلك داره وحمامه داخل باب السلامة . انتهى

(١) كذا في الأصل وذكر النعيمي في «الدارس» نقلاً عن الذهبي أنه « كشتكين بن عبد الله الطفتكيني » . وهذا هو الأصح .

(٢) قال الشيخ محمد أحمد دهمان : الصواب الباذرائية ، لان منشأها منسوب إلى بادريئة ، قرية من عمل واسط .

ثم ان هذه الدار انتقلت بطريق الملك الى العلامة نجم الدين الباذرائي كما حكاها ابن شداد ؛ فجعلها مدرسة كبيرة مهندسة .

وقال ابن كثير : ان واقفها أوقفها على المقيمين بها ممن كان أعزب ، وأن لا يكون الفقيه المقيم بها ساكنا في غيرها من المدارس . وأراد بهذين الشرطين توفير خاطر الفقيه ، وجمعه على طلب العلم . ولكن حصل بذلك خلل كثير ، وشر لبعضهم كبير . وقد كان برهان الدين الفزاري ، مدرس هذه المدرسة وابن مدرستها ، يقول : لما حضر الواقف في أول يوم درس بها ، وحضر عنده السلطان الناصر ، قرأ كتاب وقف هذه المدرسة وفيه : لا يدخلها امرأة . فقال السلطان : ولا صبي فقال الواقف : يامولانا ان الله لا يضرب بعصوين . فكان اذا ذكر هذه الحكاية تبسم عندها . وكان هو أول من درس بها ، ثم ولده كمال الدين من بعده . وجعل نظرها الى وجيه الدين بن سويد ، ثم صار في ذريته ، وطول الزمن نسخ ذلك . ونظرها في زمننا هذا الى بني الشطي .

قال ابن كثير : وقد وقف الباذرائي على هذه المدرسة أوقافا حسنة دارة ، وجعل فيها خزانة كتب . انتهى

أقول : أما وقفها فقد صار كغيره ملكا بيد الغير ، وأما كتبها فلقد طارت بها أجنحة الفقدان في الأقطار والبلدان . وشرط وقفها لارعاية له أبدا كسائر الشروط ، ولكن المدرسة عامرة مفتحة الأبواب ، منتظمة في سلك المدارس المعدة لطلب العلم .

وقال ابن قاضي شعبة في « تاريخه » : وفي شوال سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، اشترى الباذرائي دار أسامة الكبيرة ، التي خربها نجم الدين بن أيوب داخل باب السلامة ليجعلها مدرسة للشافعية ، بخمسين ألف درهم ، وشرع في الشهر الآتي بعمارتها ، وأطلق له السلطان من غيضة جسرين خمسمائة حمل خشب . قال : ورايت شرط واقفها أن لا يدخل اليها امرأة ، فقال السلطان : ولا أمرد . فقال : ان الله لا يضرب بعصوين . قال ابن شعبة : فلذلك لم تفلح هذه المدرسة ، أي لم يخرج منها عالم فالح ، وقد درس بها جماعة كثيرون .

ترجمة واقفها

هو العلامة نجم الدين أبو محمد عبد الله بن أبي الوفاء بن محمد الحسن بن عبد الله ابن عثمان الباذرائي البغدادي ، ولد سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، كما حكاها عبد الوهاب

نجم الدين الباذرائي ٢٥
٥٩٤-٦٥٥

السبكي في « الطبقات الكبرى والوسطى » ، وقال : تفقه وبرع ، ودرس بنظامية بغداد ، وترسل عن الديوان العزيز غير مرة ، وحدث ببغداد ومصر وحلب ، وبنى بدمشق المدرسة المعروفة به ، وولي القضاء ببغداد خمسة عشر يوما ، وتوفي أول ذي القعدة سنة خمس وخمسين وستمائة .

- ٥ وقال الذهبي : كان ، يعني المترجم ، فقيها عالما دينا ، صدرا مجتثما ، جليل القدر وافر الحرمة ، متواضعا دمث الاخلاق منبسطا ، قد ولي القضاء ببغداد على كره ، وعافاه الله من فتنة التتار الكائنة ببغداد في السنة التي مات فيها .

- وفي كلام ابن كثير ثناء عليه أيضا ؛ فانه قال : كان فاضلا بارعا ، رئيسا متواضعا ، وقد ابتنى بدمشق مدرسة حسناء مكان دار الأمير أسامة ، الذي قبض عليه العادل حينما اتهمه بمكاتبة الملك الظاهر صاحب حلب ، واخذ منه ألف ألف دينار ، وخرّب قلعة كوكب الى الارض لعجزه عن حفظها . ثم ساق قصة بناء المدرسة على نحو ما تقدم . وبالجملّة فان الباني لها كان ذا حظ من علم وحسن سيرة .

المدرسة (البهنسية)

- هي بجبل الصالحية كما حكاه النعمي ، ولم يزد على هذا . وسماها البقاعي المهلبية ، نسبة الى المهلب أحد اجداد الواقف . ولم يترجموها بأكثر من هذا . وماكنت اهتدي الى موضعها بعد البحث الشديد ، والسؤال من أهل المعرفة . وكأني بها وهي تنشد قول القائل :

بالقضاء البليغ كنا فعشنا ثم زلنا وكل خلق يزول

ترجمة واقفها

- ٢٠ أنشأها الوزير مجد الدين الحارث بن المهلب ، وكان يعرف بأبي الأشبال ، أو ابن الأشبال .

ترجمه الاسدي فقال فيه : هو العالم النحوي مهذب الدين ، وقف وقفًا بمصر على

الزاوية التي كان والده يقرئ بها بالجامع العتيق ، وكانت له يد طويلة في اللغة ، وله شعر حسن .

وفي «تاريخ ابن كثير» : أنه جعل كتبه وقفا بالمدرسة البهنية ، وأجرى عليها أوقافا جيدة دارة . انتهى

٥ ثم اتصل بالصاحب ابن سكر وترسل الى الديوان العزيز ، والى ملوك النواحي . قال السبط ابن الجوزي : كانت له سيرة حسنة ، لم يقطع رزق أحد ، وكان حسن المحاضرة عاقلا ، لم يكن فيه ما يعاب عليه الا استهداؤه . واستوزره الملك الأشرف موسى ، ثم نكبه وصادره وجبسه .

المدرسة (التقوية)

١٠ روى مترجمها أنها كانت داخل باب الفراديس ، وهو الباب الحديد الذي هو بسوق العمارة . وهي شمالي الجامع ، شرقي الظاهرية ، والاقباليين ، وكان لها أوقاف كثيرة . حكاه ابن كثير في « تاريخه » .

وقال الأسدي : أوقفها السلطان تقي الدين عمر سنة أربع وسبعين وخمسمائة . ودرس بها محمد بن سليمان الصرخدي المتوفى سنة اثنتين وتسعين وسبعمئة ، وكان أجمع أهل البلد لفنون العلم ، صنف « شرح المختصر في مذهب الشافعي » في ثلاث مجلدات ، واختصر « اعراب القرآن للسفاسي » ، واعترض عليه في مواضع ، واختصر « قواعد العلائي » و « التمهيد للأسنوي » ، واعترض عليهما ، واختصر « المهمات » . وقد احترقت غالب مصنفاته في الفتنة قبل تبييضها . وكان فقيرا ذا عيال .

وقال العلموي : درس بها قاضي القضاة محي الدين البرزي ، ثم محي الدين بن زكي الدين ، ثم درس بها نحو خمسة عشر نفساً ، آخرهم السيد كمال الدين ، ثم جماعات أروام وأعجام ؛ ثم تخلل بينهم القاضي زين الدين معروف لما تحنف ، ثم تخللت الأروام ، ثم الشيخ علاء الدين بن عماد الدين ، ثم بعده الشيخ بدر الدين بن رضي الدين الغزي سنة إحدى وسبعين وتسعمائة . والظاهر أن أيدي المختلسين تلاعبت بها بعد الألف ؛ فمزالوا يبتلعونها كغيرها من المدارس ، هي وأوقافها شيئاً فشيئاً ، وهي تنشد قول المعري : ٢٥

منازل المجد من سكانها دثر
 هب الديانة لاترعى فمالهم
 لايجلبون لضيف طارق غمرا
 انحن افضل ام اشياء جامدة
 قد غيرتهم صروف بالفتى عسر
 حق المروءة لايرعوا وان كثروا
 الا وثم نفوس للقرى خثروا
 أضحت لديها العين والأثر

- ٥ الى ان أضحت في زماننا هذا دارا للسكنى ، يسكنها جماعة من بني التغلبي ، ومحلها الآن بزقاق السبع طوالع من ثمن (١) العمارة . وملاكها الآن يقيمون بها ، في الساحة البرانية منها حفلة للأذكار على الطريقة الشيبانية كل ليلة جمعة من الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان .

ترجمة واقفها

- ١٠ بناها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، وبني بمصر أيضا المدرسة المعروفة بمنازل العز . قال ابن كثير : وله بحماة مدرسة هائلة ، ولد سنة سبع وثمانين وخمسمائة (٢) ، وكان بطلا شجاعا ، له مواقف مشهورة في قتال الأفرنج مع عمه صلاح الدين وكان يحبه ، وهو الذي أعطاه حماة . وقد استنابه بمصر مدة ، وأعطاه المعرة والسليمية وكفر طاب وميفارقين واللاذقية وجبله ، ثم أعطاه حران والرها . فسار الى تلك البلدان في سبعمائة فارس . وكان عالي الهمة ؛ فقصده مدينة جابي فحاصرها وافتتحها . فلما سمع بكتمر صاحب اخلاط به ، سار لقتاله في أربعة آلاف وأربعمائة فارس ، والتقوا ، فلم تثبت عساكر اخلاط وانهزموا فتبعهم المظفر ، وأخذ قلعة بكتمر ، ونازل اخلاط وحاصرها ، فلم ينل منها غرضا لقلعة عسكره . وفي القسم الأول من هذا الكتاب ما يكون أبسط من هذا .
- ٢٠ قال ابن واصل : كان المظفر عمر شجاعا جوادا ، شديد البأس ، عظيم الهيبة ، وكان من أركان البيت الأيوبي ، وكان عنده فضل وأدب ، وله شعر حسن . أصيب السلطان صلاح الدين بموته ، لأنه كان من أعظم أعوانه على الشدائد . قال في « مرآة الزمان » : وله ديوان شعر ، ومن شعره قوله :

(١) وهذا مما تعارف عليه الناس من تقسيم المدينة الى ثمانية أقسام والعمارة واحد منها .

(٢) كذا في الاصل وفي هذه السنة كانت وفاته لا ولادته كما سيذكر ذلك المؤلف فيما بعد .

فخانوني ولم يرعوا حفاظا
لهم خلقا وأفئدة غلاظا

أرى قوما حفظت لهم عهدا
لهم عندي محافظة فألفى

وقال ابن خلكان في « تاريخه » : كان الملك المظفر شجاعا مقداما منصورا في الحروب مؤيدا في الوقائع ، ومواقفه مشهورة مع الفرنجة ، وكانت له آثار في المصافات دلت عليها التواريخ ، وله في أبواب البر كل حسنة ، منها مدرسة منازل العز التي بمصر ، ويقال : انها كانت دار سكنه ، فوقف عليها وقفا كثيرا ، وجعلها مدرسة . وكانت الفيوم وبلادها اقطاعا له ، وله به مدرستان شافعية وحنفية ، عليهما وقف جيد أيضا . وبنى بمدينة الرها مدرسة لما كان صاحب البلاد الشرقية ، وكان كثير الاحسان الى العلماء والفقراء وأرباب الخير ، وناب عن عمه صلاح الدين في الديار المصرية في بعض غيابه عنها ؛ فان الملك العادل كان نائبا عن اخيه صلاح الدين في مصر . فلما حاصر الكرك سنة تسع وسبعين وخمسمائة في رجب طلب أخاه من مصر بالعساكر ، وسير اليها تقي الدين نائبا عنه ، ثم استدعاه اليه بالشام ، وولى الديار المصرية لولده الملك العزيز عثمان ومعه الملك العادل . فشق ذلك على تقي الدين ، وعزم على دخول بلاد المغرب ليفتحها ، فقبح عليه أصحابه ذلك فامتلأ قول عمه صلاح الدين ، وسار الى خدمته . فخرج السلطان ، فالتقاه بمرج الصفر ؛ واجتمعا هنالك في شعبان سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ، وفرح به وأعطاه حماه . فتوجه اليها ثم توجه الى قلعة منازكرد من نواحي خلاط ليأخذها فحاصرها مدة ، ثم توفي عنها تاسع عشر شهر رمضان من سنة سبع وثمانين وخمسمائة . وقيل : توفي مابين خلاط وميفارقين . ونقل الى حماة ، فدفن بها .

وقال في « الروضتين » في حوادث السنة المذكورة : كان تقي الدين عمر ابن اخي السلطان قد امتدت عينه الى بلاد غيره ، فاستولى على السويداء وعلى مدينة حاني ، وتملك معظم البلاد ، ثم قصد خلاط ، فاناخ على منازكرد يحاصرها ، ومعه عساكر كثيرة ؛ فأناخت بجسده المنية بسبب مرض اعتراه ، وزاد الى ان بلغ منه المراد . وقال عند الكلام على كسرة الرملة ، نقلا عن العماد الكاتب فانه قال : وحيث كانت للملك المظفر تقي الدين في هذه الغزوة اليد البيضاء أنشدته قصيدة منها :

سقى الله العراق وساكنيه وحياه حيا الغيث الهتون
وجيرانا أمنت الجور منهم وما فيهم سوى واف أمين

- صفوا والدهر ذو كدر وقدا
بنو أيوب زانوا الملك منهم
ملوك أصبحوا خير البرايا
أسانيد السيادة عن علاهم
بنو أيوب مثل قريش مجدا
أخفت الشرك حتى الذعر منهم
ويوم الرملة المرهوب بأسا
وكنتم لعسكر الاسلام كهفا
وقد عرف الفرنج سطاك لما
وانت ثبتت دون الدين تحمي
وفوا بالعهد بالزمن الخؤون
بحلية سؤدد وتقى ودين
لخير رعية في خير دين
معنعة مصححة المتون
وانت لها كآزعهما البطين (١)
يرى قبل الولادة في الجنين
تركت الشرك منزعج القطين
أوى منه الى حصن حصين
رأوا آثارها عين اليقين
حماه أوان ولئى كل دين

أقول : ولا يستبعد قول العماد : أخفت الشرك ، البيت ، لأن الولد له حظ من أخلاق والده ؛ فان كان حين الوقاع خائفا ، أو مسرورا ، أو غير ذلك ، أثرت حالته في النطفة ، وسرى ذلك التأثير الى الولد ، كما يعلمه من حقق ذلك الأمر ودقق فيه . فرحم الله أرواح أولئك الأفاضل الذين باعوا نفوسهم في الجهاد ، وأنفقوا أموالهم في سبيل العلم وأهله . ثم خلف من بعدهم خلف نقضوا آثارهم وغيروها ، وقلبوا أوضاعها ، وأكلوا أوقافها ، وأماتوا العلم ، فأضاعوا الصلوات ، واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا .

المدرسة (الجاروخية)

سيف الدين
جاروخ

أخبر عنها النعمي وغيره ، بأنها كانت داخل بابي الفرج والفراديس ، لصيقة الاقبالية الحنفية شمالي الجامع الأموي ، والظاهرية الجوانية . أنشأها سيف الدين جاروخ التركماني للعلامة أبي القاسم محمود بن المبارك بن علي بن المبارك المعروف بالمجير الواسطي البغدادي ، فدرس بها مدة ، ثم درس بها بعده جماعات من الأفاضل . والذي يفهم من تراجم مدرسيها أنها أقدم من المدرسة الباذرائية ؛ لأن نجم الدين الباذرائي من جملة من درس بها . وبقيت منهلا لطلاب العلم الى أن سطت عليها أيدي المختلسين ؛ فجعلت دورا للسكنى ، ولم يبق لها رسم ولا طلل ، سوى حجارة يسيرة في أساس جدارها !

(١) الانزع من انحسر الشعر من جانبي جبهته . والانزع البطين هو سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ترجمة المجير الواسطي

المجير الواسطي
٥٩٢-٥١٧

ألخص هنا ترجمة الواسطي الذي بنيت هذه المدرسة له ، ليعلم الواقف على كتابنا كيف كان اعتناء الامراء والأغنياء بالعلم والعلماء المحققين ، وكيف كانوا ينفقون الأموال في سبيل ترقى العلم ونصرة الدين ، فأقول :

٥

حكى الشيخ عبد الوهاب السبكي في « الطبقات الوسطى » : أن المجير الواسطي برع في مذهب الشافعي فروعا وخلافا ، واشتغل بالأصول والكلام ، حتى صار من أئمة الأئمة فيهما . وقال ابن النجار : برع المترجم في الأصول والفروع ، والخلاف والجدل ، وعلم الكلام والمنطق ، حتى صار شيخ وقته ، وعلامة عصره ، يقصده الطلبة من جميع الجهات . وصنف كتبا كثيرة في الأصول والجدل وغيرهما ، وأعاد بالنظامية ببغداد وهو شاب ، ثم سافر الى دمشق ، فأقام بها مدة يدرس في عدة مواضع . ثم عاد الى بغداد ، وخرج الى بلاد فارس فنزل شيراز فأقام مدة يدرس . ثم انتقل الى عسكر مكرم ؛ فبنى له أميرها مدرسة ؛ فدرس بها سنين ، ثم قدم واسط فنشر العلم بها . ثم عاد الى بغداد ، وتولى تدريس المدرسة النظامية . ثم ندب الى الخروج في رسالة الى خوارزم شاه سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ؛ فلما انتهى الى همدان مرض مرضا شديدا ؛ فأقام بها الى أن توفي في السنة المذكورة .

١٠

١٥

وقال الحافظ الذهبي في « العبر » : كان المترجم أحد العلماء الأذكياء ، والمحربين لمذهب الامام الشافعي ، وكان فصيحاً بليغاً ، بنيت لأجله المدرسة الجاروخية في دمشق .

وقال ابن قاضي شهبة : وقد نشر في دمشق علم الطب ، غير العلوم التي نشرها أيضا . قال : وكان أحذق أهل زمانه ، مع سكون ظاهر ، وقلة انزعاج .

٢٠

وقال ابن الديتني : تفرد بمعرفة الأصول والكلام ، وما رأينا أجمع لفنون العلم منه مع حسن العبادة .

قال في « العبر » : وكان طويلاً جسداً ، غواصاً على المعاني . ١٠ هـ

والذي يظهر أن بناء الجاروخية كان في حدود التسعين وخمسمائة .

الأردبيلي

نور الدين
الأردبيلي
٧٤٩-٠

- هذا الفاضل أحد مدرسي الجاروخية ، ولشهرته عجلت القرى لترجمته . وهو فرج بن محمد بن أبي الفرج الأردبيلي الشيخ نور الدين ، قرأ المعقولات على الجاربردي المشهور ، ثم قدم دمشق ، ودرس بالباذرائية ، ثم بالظاهرية البرانية ، ثم بالناصرية الجوانية والجاروخية ، ومات عنهما . وشغل الناس بالعلم ، فأفاد الطلبة ، وشرح « منهاج البيضاوي في أصول الفقه » وشرح من « منهاج النووي » قطعة جيدة .
- وقد ترجمه ابن السبكي في « الطبقات » ، وحكى له همة عالية في تعلم العلم وتعليمه ، وقال : انه توفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة بمدرسة الجاروخية ، ودفن بباب الصغير . وقال في « ذيل العبر » : انه توفي شهيدا . ولم يفصل خبر شهادته .
- وقال ابن رافع : كان ديناً خيراً ، ملازماً للاشتغال والتصنيف ، بشوشاً حسن الملتقى متواضعاً .

ترجمة واقفها (١)

المدرسة (الحمصية)

- قال في « تحفة الطالب » : هي تجاه الشامية البرانية ، يعني في سوق صاروجا .
- قال ابن كثير : فتحت هذه المدرسة سنة ست وعشرين وسبعمائة ، ودرس بها قاضي حصن عكار أبو الرياح محي الدين الطرابلسي . وقال العلموي : سكنها العجماوي المصري المقرئ امام سيباي نائب الشام . ثم تركت وهجرت ، وهي الآن من بيوت الاروام .
- وهذا يدل على انها اختلست في عصر التسعمائة ، ومن ذلك الوقت اندرست آثارها ، وتبدلت أطلالها ، ولذلك لم يذكرها البقاعي في « مختصره » .

(١) في الاصل بياض مقداره سبعة أسطر . وقد قال ابن شداد في ترجمة واقفها : بانيها جاروخ التركماني يلقب بسيف الدين . ١ هـ

المدرسة (الحلبية)

كانت في مكان يقال له : محلة السبعة . وأقيمت بها الجمعة سنة ثلاث عشرة وثمانمائة .

قال ابن شهبة : أنشأها شهاب الدين أحمد بن عبد الخالق ، وكان في أول أمره مغنيا يعلم الجواري الغناء ، ثم رجع عن ذلك ولازم الصلوات ، ووقف الى جانب الحلبية مسجدا ، وأضافه اليها ، ووقف عليها وقفا ، ولم يخلف ولدا . ووقف ثلث قاعة على الزيت الذي يوقد في الحجرة النبوية ، والثلث الثاني على زوجته ، والثلث الباقي على ابن أخيه . وجعل وقفا على قراءة « البخاري » بالحلبية . ومآل ذلك الى الزيت في الحجرة النبوية . توفي يوم الاحد مستهل جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وثمانمائة .

شهاب الدين
ابن عبد الخالق
٥
٨٢٨-٠٠٠

قال ابن شهبة : كان الامير زين الدين دمرداش الظاهري الحاجب أصله من مماليك برقوق ، ولي القسمة بدمشق ، وحصل مالا من الموتى ، ثم وقع بينه وبين القاضي ابن أبي الثناء ، وضرب بعض الشهود ، ثم ترافعوا الى النائب فعزله بعد ذلك بقليل ، وبقي بطالا مدة طويلة . وحصل أملاكا كثيرة ، وتوفي في التاريخ المذكور ، ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان ، ومات عن غير ولد . ووقف أملاكه على جهات البر بمكة والمدينة ، وعلى مدرسة أبي عمر . وكانت المدرسة الحلبية مقابل داره ، فوقف عليها سبعا وقارء حديث ، وجهات بر وخير . انتهى . ثم اندرست ولم نعلم لها الآن موصفا ولا أثرا ، فسبحان الباقي !

المدرسة (الخبصية)

قال في « التحفة » : هي قبلي الزنجاري . انتهى
أقول : وخان الزنجاري قد بناه الملك الاشرف جامعا ، وصار اسمه جامع التوبة .
وكانت هذه المدرسة بالعقبة ، قبلي ذلك الجامع . قال العلموي : وهي الآن يعني في زمنه خرابة ، وربما دخلت في البستان . وفي « التحفة » أن ابن قاضي اذرعات (١) كان سكنه بأعلاها ، وبها توفي سنة أربع عشرة وثمانمائة . انتهى
فتكون قد سلمت من فتنة تيمورلنك ، ولم تسلم من يد المختلسين . وأما الآن فلا ذكر لها ولا رسم ولا أثر !

(١) هي مدينة درعا اليوم .

الدرسة (الخيلية)

سيف الدين بن
بكتمر
٧٤٦٠٠٠

أثبتها البقاعي ، وصاحب « التحفة » . قال البقاعي نقلا عن الحسيني : أنشأها الأمير سيف الدين بن بكتمو ، ومات بها سنة ست وأربعين وسبعمائة . ونقل منها بتابوت ، فدفن بالقبيبات . وهذه المدرسة بالقرب من المؤيدية وحمام المحتسب . اهـ

- أقول : أطلق المؤيدية وهي مجلان : أحدهما مقبرة كانت على الشرف الشمالي فوق العزية . فان كانت هي المقصودة فقد اندرست هي والخيلية والعزية ، وصار الكل بساتين ، وثانيهما المؤيدية الصوفية ، وهي بدمشق أيضا . ولم نعلم لها اثرا وإيما كانت ، فقد اندرست ومضى زمنها !

الدرسة (الدماغية)

- ١٠ أبان عنها صاحب « التحفة » بقوله : داخل باب الفرج ، غربي الباب الثاني الذي قبلي باب الطاحون ، وهي قبلي وشرقي الطريق الآخذ الى باب القلعة الشرقي ، وهذا الطريق بينها وبين الخندق . وهي أيضا شمالي العمادية . انتهى
- أقول : ان باب الفرج هو الباب المسمى بباب المناخلية ، والطاحون لم تزل موجودة ، والخندق قد ردم ، وبنيت أمامه حوانيت . وقد شاهدت هذا المكان ، فرأيت مكان الدماغية قد صار قاعة للنشأ ، ودارا للسكنى ، ولم يبق أثر يدل على المدرسة . وكذلك العمادية قد صارت دورا وحوانيت . ولقد كانت الدماغية على الحنفية والشافعية .
- وقال ابن شهبة الاسدي في « تاريخه » : ان نعل النبي صلى الله عليه وسلم اليمنى كانت بهذه المدرسة ، والنعل اليسرى كانت بدار الحديث الاشرفية ، فأخذ تيمورلنك الفردتين . وقال هذا أيضا ابن قاضي شهبة في « تاريخه » . وقد تقدم ذلك عند الكلام على دار الحديث الاشرفية .
- ٢٠

ترجمة واقفها

عائشة الدماغ

قال القاضي ابن شداد : أنشأتها عائشة جدة فارس الدين بن الدماغ وزوجة شجاع الدين بن الدماغ سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وقيل : سنة ثلاث وثلاثين . ولعل عمارتها استمرت مدة ما بين التاريخين .

قال في « العبر »: كان شجاع الدين محمود هذا من أصدقاء العادل يضحكه؛ فحصل من أجل ذلك أموالاً جزيلة . وكانت داره داخل باب الفرج ، فجعلتها زوجته عائشة مدرسة للشافعية والحنفية ؛ ووقفت عليها أوقافاً ، وهي ثمانية أسهم من أصل أربعة وعشرين سهماً من قصر اللباد شرقي مقري ، وثلاث مزرعة الدماغية ، وحصّة من رجم الحيات ، وحصّة من حمام اسرائيل ، وحصّة من قرية دير سلمان ببلاد المرج ، ومزرعة شرحوب عند قصر أم حكيم شرقي عرار وقبلية شقحب ، ومحاكرات ، وغير ذلك . وكانت وفاة شجاع الدين سنة أربع عشرة وستمائة .

المدرسة (الدولعية)

هي بجيرون قبلي المدرسة الباذرائية بغرب . قاله في « التحفة » . وتحديداتها الآن ١٠ وان لم يحصل منه نفع : أنك اذا وقفت امام الباذرائية ، وسرت الى جهة الجنوب برهة ، كان عن يمينك طريق نافذ ضيق ، وفي اواسط ذلك الطريق من الجهة الشمالية زقاق صغير وفيه كانت الدولعية ، أو أن ذلك الزقاق هو محلها . وقد صارت الآن دوراً للسكنى . ولم يبق لها اثر ، سوى حجرة لطيفة بها قبر الدولعي في دار صغيرة . وقد أوقف عليها بانيها أوقافاً منها : جميع بياض البستان خارج الباب الشرقي المعروف بالدولعية ، ولم يزل يسمى بذلك الى الآن ، وحقلة الوادي التحتاني ، ومحاكرات ابن صبح ، وحصّة بطاحون الزلف بالوادي التحتاني ، وغير ذلك .

قال العلموي : استولى عليها وعلى وقفها ابن قاضي عجلون حتى نسبته ؛ ثم تقرر في تدريسها ناصر الدين الطرابلسي امام الحنفية بالجامع الاموي سنة أربع وسبعين وتسعمائة . انتهى

٢٠ وعلى هذا فتكون قد سلمت من فتنة تيمورلنك ، ولم تسلم من أيدي المختلسين !

ترجمة الدولعي الكبير عم الواقف

قال ابن السبكي في « الطبقات الكبرى »: هو عبد الملك بن زيد بن ياسين بن زيد ابن قائد بن جميل التغلبي أبو القاسم الدولعي ، خطيب دمشق والمدرس بها ، ضياء الدين

ضياء الدين الدولعي
٥٩٨-٥٠٧

الارقمي الموصل . والدولية قرية من قرى الموصل . ولد سنة سبع وخمسمائة . وقال في « طبقاته الوسطى » : ولد سنة أربع عشرة وخمسمائة أو قبل ذلك . وتبعه على ذلك الاسنوي في « طبقاته » . فيكون تعيين ولادته مجهولا .

قال ابن السبكي : وقدم دمشق في شببته ، وكان فقيها كبيرا متفنا ، عارفا بمذهب الشافعي ، وبناء على طريقة حميدة . ولي خطابة دمشق وامامتها مدة طويلة ودهرا طويلا ، ودرس بالغزالية زمنا كثيرا .

وقال عبد الرحيم الاسنوي : الدولية بالعين المهملة ، وقال عن المترجم : تفقه ببغداد ، ثم قدم الشام فتفقه على ابن أبي عصرون وغيره .

وقال النووي في « طبقاته » : كان شيخ شيوخنا ، وكان أحد الفقهاء المشهورين ، والصلحاء الورعين . توفي سنة ثمان وتسعين بتقديم التاء على السين وخمسمائة .

ترجمة واقفها

أنشأها العلامة جمال الدين محمد بن أبي الفضل بن زيد الخطيب الثعلبي الارقمي الدولي ثم الدمشقي كذا قاله الصفدي وغيره سنة خمس وخمسين وخمسمائة . وورد دمشق شابا ، فتفقه على عمه عبد الملك الدولي المتقدم ذكره ، وسمع منه ومن جماعة . وكان له ناموس وسمت ؛ يفخم كلامه . وولي خطابة الجامع الاموي بعد عمه . توفي سنة خمس وثلاثين وستمائة ، ودفن في الضفة الغربية من مدرسته . وفيه يقول شرف الدين بن عنين :

طولت يادولي فقصر	فأنت من غير ذا مقصر
خطابة كلها خطوب	وبعضها للورى منقر
تظل تهذي ولست تدري	كأنك المغربي المفسر

المدرسة (الركنية الجوانية)

هي شمالي الاقباليين شرقي العزية الجوانية والفلكية ، غربي المقدمة . وهي الآن بزقاق كان يعرف بزقاق بني مفلح الحنابلة ، ويعرف الآن بزقاق بني عبد الهادي . وهو

مُعرُوفٌ بمحلَّةِ العِمارةِ تجاهَ المُقدِميةِ ، وأما المُدرسةُ الرُكنيةُ ، وكذا العزبةُ والفلكيةُ ،
ففي طي الخفاء تتمثل بقول أبي الأصبع :

أهلكنا الليل والنهار معا والدهر يفدو مصمما جذعا

والمصمم الماضي في سيره . وقوله جذعا بفتح الذال ومعناه شاب دائما لايهرم .

• والله در المعري حيث يقول :

ما يعرف اليوم من عاد وشيعتها وآل جرهم لابطن ولا فخذ

أطارهم شيمة العنقاء دهرهم فليس يعلم خلق آية أخذوا

ولي هذه المدرسة شمس الدين ابن سنا الدولة ، ثم ولده صدر الدين ، ثم ولده

نجم الدين ، ثم شمس الدين ابن خلكان ، وناب عنه بها النووي ، ثم نحو خمسة وعشرين

مدرسا ، ثم أناس ، الى أن غربت شمسها وتقوضت خيام العلم منها !

ترجمة واقفها

أوقفها ركن الدين منكورس عتيق فلك الدين ، وستأتي ترجمته في الركنية الحنفية .

ركن الدين
منكورس
٦٣١-٠٠٠

المدرسة (الرواحية)

هي شرقي مسجد ابن عروة الذي هو بالجامع الأموي ولصيقه، شمالي جيرون ،

وغربي الدويلعية ، وقبل السيفية الحنبلية . أقول : شاهدت موضع هذه المدرسة

فرايتها قد صارت دارا .

قال الحافظ الذهبي : ان واقف الرواحية اشترط على من يقيم بها من الفقهاء

والمدرسين شروطا صعبة ، لا يمكن القيام ببعضها . ولم يبين الذهبي تلك الشروط . ثم

قال : وشرط ان لا يدخل مدرسته يهودي ، ولا نصراني ، ولا حنبلي حشوي . انتهى .

فاشترطه عدم دخول اليهود والنصارى الى مدرسته علة مفهومة . وأما اشتراطه عدم

دخول حنبلي حشوي ، فليس بمفهوم ؛ لأن الحنابلة لا يتصفون بهذه الصفة . وهذا من

التعصب الناشئ عن الجهل ، والسعي في تفريق اجتماع هذه الأمة المحمدية . ويمكن

ان يكون أراد بالحشوية الذين يقرؤون آيات الصفات ، ويقولون : نمرؤها كما جاءت ،

ونكل تفسيرها الى الله تعالى من غير تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل . فالاستواء في قوله

تعالى : « الرحمن على العرش استوى » . آية ٢٠/٥ استواء يليق بذاته تعالى لانعلم حقيقته . لانا اذا فسرناه بقولنا : استولى ؛ نكون اخطانا . لان من استولى على شيء ، لابد وأن يكون خارجا عن يده قبل استيلائه عليه ، كما يشير اليه قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف أو دم مهراق

- ومعناه أن بشرا استولى على العراق ، واستخلصها من يد غيره ، بدون سل سيف ، أو اراقة دم . وتعالى الله عن أن يكون استولى على ملكه بهذه الصفة ؛ ومثله يقال ، في السميع والبصير واشباههما : ان الله اثبت لنفسه صفة السمع والبصر والكلام ؛ واخبرنا في كتابه العزيز بأنه متصف بذلك . ولكننا لانعلم حقيقة تلك الصفات . وليس يجب علينا الا أن نؤمن بها ، ونترك علمها الى المتصف بها .
- ١٠ أنت اذا شاركت جميع علماء التشريح في البحث عن حقيقة السمع والبصر والكلام في المخلوق ؛ تعرف كيف تركبت أعضاء هذه الحواس ، وما يطرأ عليها من العلل ، ولكنك لاتعلم حقيقتها ولو افنيت الأعوام ، وشاركت أهل البسيطة ، فكيف تعلم حقيقة صفات من يجل عن التشبيه والمثال ؟!
- اختلف أساطين العلماء من قبلك في صفة الكلام ؛ فقال قوم : ان الكلام لا يكون الا من لسان وفم ومخارج ؛ فنفوا الكلام اللفظي ، واثبتوا الكلام النفسي ، هربا من اثبات ما هو ١٥ من صفات المخلوقين ؛ فورد عليهم أن الكلام النفسي يحتاج الى أعضاء يقوم بها ، وتكون محلا لتصوراته ؛ فلم يفدهم الهرب شيئا . وقال قوم : ان الله لما كلم موسى عليه السلام ؛ خلق كلامه في الشجرة ، فهي التي خاطبته وكلمته . وهؤلاء لم يفهموا معنى قوله تعالى : « وكلم الله موسى تكليما » آية ١٦٣/٤ فأكد كلامه بالمصدر ؛ فصاحوا بمقالتهم علنا
- ٢٠ مكذبين الله تعالى . وذهب قوم الى أن الله يتكلم بلسان ، تعالى الله عن ذلك ! والقرآن العظيم يكذبهم . ثم لما طال الأمر اذن الله بتكذيبهم حسا لعلهم يتدبرون آياته . فأظهر على يد رجل افرنجي الآلة المتكلمة المسماة بالافرنجية بالفونغراف ، وجعلها تتكلم بدون لسان ولا جوارح . أفلا يكون الخالق متكلماً على صفة لانعلم حقيقتها ، ولا ندر ما صفتها ؟!
- قل لأولئك المشاغبيين : بينوا لنا فلسفة الفونغراف ، وكيف أن الأصوات التصقت بذلك الشيء الشبيه بالورق ، ثم أعيدت كما هي ، ثم تكلموا بعد ذلك ببيان حقيقة صفات ٢٥ الخالق ان قدرتم ! والا فارجعوا الى انفسكم ، وصرخوا بالعجز عن ادراك أسرار الربوبية ، واتركوا العلم بذلك للعليم الخبير . مهما فكر العبد في آيات الصفات ، لا يقدر الا أن يقول :

أثبت الله هذه الصفات لنفسه ؛ فنؤمن بها ، ونكل علمها للمتصف بها . وان خاض في تأويلها وتفسيرها على مقتضى عقله ، ضل في بيداء الحيرة ، ونادى القرآن العظيم بخطئه على رؤوس الأشهاد . وفقنا الله للحق ، وأبعدنا عن الزيغ والتعصب ، بفضلته وكرمه . ويرحم الله القائل :

٥ جاءت أحاديث ان صحت فان لها شأنا ولكن فيها ضعف اسناد
فشاور العقل واترك غيره هدرا فالعقل خير مشير ضمه النادي

وقال أيضاً :

الله صورني ولست بعالم لم ذاك سبحان القدير الواحد
فلتشهد الساعات والأنفاس لي اني برئت من الغوي الجاحد

ترجمة واقفها

١٠

انشأها زكي الدين ابو القاسم هبة الله بن محمد الأنصاري المعروف بابن رواحة . اشتهر بذلك لأنه ينسب الى أبي عبد الله الحسين بن عبد الله بن رواحة من جهة أمه . قال ابن كثير : كان المترجم تاجرا صاحب ثروة ، وكان في نهاية الطول والعرض . وقد ابنتى المدرسة الرواحية داخل باب الفراديس ، وأوقفها على الشافعية ، وفوض تدريسها ونظرها الى الشيخ تقي الدين ابن الصلاح السهروردي . وله بحلب مدرسة أخرى مثلها . وقد انقطع آخر عمره في مدرسته بدمشق ، وكان يسكن في إيوانها من الجهة الشرقية . ورغب فيما بعد أن يدفن فيه اذا مات ، فلم يمكن من ذلك بل دفن في مقابر الصوفية . وكانت وفاته سنة اثنتين وعشرين وستمائة .

زكي الدين ابن رواحة
٦٢٢-٠٠٠

قال العلموي : أول من درس بهذه المدرسة شرف الدين ابن أبي بكر القرشي . وبعد موته ، شهد محي الدين محمد بن عربي الطائي وتقي الدين بن علي النحوي المصري على ابن رواحة بانيها بأنه عزل ابن الصلاح عن هذه المدرسة ؛ فجرت خطوب طويلة ، ولم ينتظم ما أرادوه . ذكره أبو شامة . ثم بعد المدرس القرشي ، درس بها نحو سبعة وعشرين مدرسا ، الى ابن نوح المقدسي . وكان داخلا في الدولة ؛ وفي وكالة بيت المال ، ونظر الأوقاف . فظلم وتعدى طوره ؛ فاعتقل بالعدراوية ؛ فوجد بها مشنوقا بعد أن صودر وضرب بالمقارع . وكان السامري أوزي به كثيراً ، فذهب اليه وهو في الحبس

٢٠

٢٩

وتمازحاً ، ولكن تعرض بالتشفي كثيراً . فبعد خروجه وضع أبياتاً منها :

- | | |
|-----------------------------|--------------------------------|
| ورد البشير بما أقرّ الأعينا | فشفى الصدور وبلغ الناس المنا |
| فاستبشروا وتزايدت أفراحهم | فالكل مشتركون في هذا الهنا |
| وتقدم الأمر الشريف بأخذ ما | نهب الخؤون من البلاد وما اقتنا |
| ياسيد الأمراء ياشمس الهدى | يا ما ضي العزمات يارحب الفنا |
| عجل بذبح المقدسي وسلخه | واحقن دما الاسلام من ولد الزنا |
| واغلظ عليه ولا ترق فكلمها | يلقى بما كسبت يداه وما جنا |
| فلکم یتیم مدقع ویتیمه | من جورہ باتوا علی فرش الضنا |
| ولکم غني ظل في أيامه | مسترفدا للناس من بعد الفنى |
| ان انكر اللص اللئيم فعاله | بالمسلمين فأول القتل أنى |

الزاوية (الخضراء)

بمقصورة الخضراء ، غربي الجامع الأموي . والناس صحفوها فسموها مقام الخضر .
درس بها جماعة ؛ وسيأتي الكلام عليها عند شرح أحوال الجامع الأموي .

- وقد ذكر هنا صاحب « التحفة » مدرستين ؛ نوردهما في هذا المحل ، وإن لم
تكونا في دمشق . قال :

المدرسة (السيفية م)

هي بمدينة الصلت ، بناها الأمير بكتمر سنة ٧٢٤ ؛ ودرس بها الشيخ داود بن سليمان
ابن داود ، ووقف على الطلبة المشتغلين بهما جملة من الكتب .

المدرسة (الزبدانية م)

- هي ببلدة الزبداني ، بناها محمد بن عبد الصمد بن عبد الله بن حيدرة فتح الدين
ابن المعدل (١) سنة ٥٩٠ . وكان من الصدور المشكورين حسن الطريقة . وهاتان المدرستان
لم أدر كيف صار حالهما ، وإلى أي شيء آل أمرهما .

(١) كذا في الأصل وفي تاريخ ابن كثير : « المعدل » .

المدرسة (الشامية البرانية)

هي الآن مشهورة بالعقبة الكبرى ، بينها وبين سوق صاروجا ، وكان محلها قديما يسمى بالعينية . والذي يلوح من تراجم هذه المدرسة انها كانت كبيرة الحجم جدا ، كبيرة الشأن . والظاهر ان الموجود الآن انما هو قسم منها .

قال ابن شداد : المدرسة الشامية من اكبر المدارس ، واعظمها ، واكثرها فقهاء واولافا . انتهى

وتسمى هذه المدرسة بالحسامية ايضا ، نسبة الى حسام الدين عمر بن لاجين زوج الواقفة . ومن اولافها : السلطاني وهو قدر ثلاثمائة فدان وحده ، من قناة الريحانية الى اوائل القبيبات الى قناة حجيرا ودرب البويضاء ومنه الوادي التحتاني المسمى وادي السفرجل وقدره نحو عشرين فدانا ، ومنه بستان صاحب غربي المصلى ، ومنه ثلاثمائة من الكروم وهي من الافدنة ، ومنه طاحون باب السلامة ، وحكورة متعددة ، وغير ذلك من الاوقاف التي لم يبق لها منها سوى رسمها في الكتب .

قال ابو شامة : ومن شروط وقفها ان لا يجمع المدرس بينها وبين غيرها . واول من درس بها ابن الصلاح . وقيل : اول مدرسيها شرف الدين ابن عمر الزكي ، وبعده اثنان واربعون مدرسا ، الى ان اتصلت بابن قاضي عجلون ، ثم بسراج الدين الصيرفي ، ثم جماعات منهم : البدر الغزي ، والشيخ اسماعيل النابلسي ، والحسن البوريني ، والنجم الغزي .

قال العلموي : وللشامية البرانية كتاب وقف منقول عند غالب فضلاء دمشق . انتهى . ويمكن ان تكون الايام نسخته ، وساعدتها على ذلك الليالي . وقد أصبح القسم الموجود من المدرسة عبارة عن مسجدها ، وبركة كبيرة للماء في ساحتها ، وبعض حجرات فوقانية متروكة ، وبيوت للخلاء . وليس بها احد للطلبة ؛ غير ان المعارف قد جعلت مسجدها مكتبا ابتدائيا ؛ فصارت دار علم بالجملة .

تنبيه واستبصار

ان الناظر في كتابنا هذا ربما يمل من سرد أسماء بعض المدرسين عند الكلام على المدارس ، ولا يعلم لذلك معنى ، نظرا لتغير الأوضاع ، وتبدل الزمان ، وتقلص ظل العلم

- وأهله . وان شئت السبب الحامل على ذلك ؛ فاعلم أنه كان لجميع المدارس الموجودة في هذا الكتاب وغيرها شأن عظيم . فما من مدرسة الا وقد كان بها من الطلبة المشتغلين بالعلم ليلا ونهارا ، ما تضيق المدرسة عن سكنائهم لكثرتهم . وبكل واحدة منها دار لنفائس الكتب . ومثل ذلك كان في الترب التي سنذكرها . ثم انه كان لكل مدرسة مدرس خصوصي ، ينتخب من الأفاضل الكبار . وكان لهؤلاء المدرسين مواعيد ، فاذا كان يوم ميعاد مدرسة ، جلس المدرس في موضع الميعاد ؛ وأحدق به غالب الفقهاء والعلماء ، فيذكر مسألة يأخذ في تفصيلها ، وبيان دلائلها . ويشاركه العلماء في البحث ، على طريقة فن الجدل . ويتكلم الواحد منهم بما عنده ؛ وتطول ذيول المناظرة . ويأخذ الحنفي مثلا في الانتصار لقول امامه ؛ فيعارضه الشافعي مدليا بحجته . ويشاركهما المالكي والحنبلي والظاهري والنحوي والمنطقي والبليغ . واذا كان ثم أحد من العلماء غريبا ؛ أخذ في المذاكرة معهم . ولم يزلوا كذلك حتى فراغ الميعاد . ثم ينتقلون فيما بعد الى ميعاد ثان في مدرسة ثانية . وحرصا على أن « لا (١) » يغلب المدرس على أمره من أحد غريب ؛ كان المتميزون في العلم يجلسون الى يمينه وشماله ، ليكونوا عوناً له اذا سئل ولم يستحضر جوابا . ثم درست في أيامنا تلك العادة ؛ ولم يبق سوى بعض من الدروس ، هي على مقتضى الرسوم . وصورتها : أن يكون المدرس قد حفظ كليمات عن ظهر قلبه ؛ فاذا كانت ساعة الميعاد ، جلس متصدرا ، وجلس العلماء والأمراء عن يمينه وشماله افتخارا ، ثم شرع كالهر يحكي انتفاخا صورة الأسد ؛ فيقرأ ذو صوت وخيم حزبا من القرآن ؛ ثم يقرأ المعيد عبارة الكتاب ، ثم يسرد المدرس ما كان يحفظه ، ولا سائل ثم ولا مسؤول . فاذا وجد أحد غريب ، وسأل مسألة ، انتهره الحاضرون وأسكتوه . فهكذا كان شأن العلم ، وهذا شأنه في أيامنا ؛ فاذا رأيت سرد أسماء المدرسين ؛ فتذكر السبب ، واعلم أنهم جلسوا عن استحقاق ، وعلم واسع واطلاع كبير .

- ومن بعض حوادث الشامية ما حكاه ابن قاضي شعبة في « الذيل » قال : ولي القاضي سري الدين تدریس الشامية البرانية والجوانية ، واستمرت أيداه . مع أن الشيخ فتح الدين ابن الشهيد وليهما بمرسوم سلطاني فلم تحصل له . وبأشر الأوقاف بهمة وقوة نفس ، وحشمة وكرم . والقضاة وأعيان الفقهاء وغيرهم كانوا يترددون اليه . وكان ذلك سنة خمس وثمانين وسبعمائة . ثم لما كانت فتنة تيمورلنك ؛ افتقر وساءت

(١) لم ترد في الاصل والمعنى لا يستقيم بدونها .

أحواله ؛ فنزل عن حصته في نظر الشامية البرانية ، وصار مشارفا بها . ثم قوي عليه
القضاة ، وبعض الفقهاء ؛ واستولوا على غالب الأوقاف . فجعل أكثر اقامته بقرية
المجيدل التي هي وقف للشامية الجوانية . ولم يمت حتى رأى في نفسه العبر من
الفقر والفاقة وشماتة الأعداء . وكان من شأنه قبل أن يمت عمر الشاميتين بعد الفتنة ، وعمر
البرانية مرة ثانية لما احترقت في فتنة الناصر في سنة أربع وعشرين وثمانمائة . قال
ابن قاضي شهاب : وفي هذه السنة المذكورة قبض على تاج الدين عبد الوهاب الأنصاري
ناظر الشامية البرانية ، وطلب منه مال ، قيل : انه ألف وخمسمائة دينار . وضرب
وعصر ، وبقي بين اثنين دائرا في البلد يستدين ويسأل ؛ فاذا هو تم المبلغ ضرب وعصر
ثانيا ، وطلب منه مبلغ غيره فتأمل وتعجب !

المدرسة (الشامية الجوانية)

قبلي المارستان النوري . وقد كانت دارا لست الشام المذكورة فيما سيأتي ؛ فجعلتها
بعدها مدرسة . ولم يبق الآن من رسمها سوى بابها ، وباعلاه بلاطة كبيرة ، نقش فيها
حفرا بعد البسملة :

هذه مدرسة الخاتون الكبيرة الأجلة عصمة الدين ست الشام أم حسام الدين بنت
أيوب بن شادي رحمها الله . أبدتها وقفا على الفقهاء والمتفقيين من أصحاب الامام
الشافعي رضي الله عنه . والموقوف ، عليها وعليهم وعلى أتباع ذلك : جميع القرية المعروفة
بمرينة ، وجميع الحصة ، وهي اخدي عشر سهما ونصف من أربعة وعشرين سهما ،
من جميع المزرعة المعروفة بجرمانا ، وجميع الحصة ، وهي أربعة عشر سهما وسبع
من أربعة وعشرين سهما ، من القرية المعروفة بالثنية ، ونصف القرية المعروفة بمجيدل

السوداء ، وجميع القرية المعروفة بمجيدل القرية ، وذلك في شهر شعبان . ومحل
التاريخ قد انمحي اثره ؛ وحفرت البلاطة مكانه وحشيت بالطين . وعما قليل ستذهب
البلاطة بأجمعها . ولما وقفت أمامها وتأملت ، رأيت بابها الأصلي موجودا كما مر . الا انه
صغر وصار بابا للدار . وجدارها الغربي باق وهو مبني بالحجارة الكبيرة . ولقد ظفرت
بكراريس مجموعة بخط العلامة النعيمي ؛ فرأيت بها مختصر الشامية البرانية منقولا
عن كتاب الوقف من « فتاوى السبكي الكبرى » ؛ فاذا هو مبدوء بقوله : هذا ما وقفه
فخر الدين أبو بكر محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله بن علي بن أحمد الأنصاري ما ياتي

- ذكره من ذلك جميع الدار بدمشق . ثم ساق ما قدمناه آنفاً ومقصوده بالدار المدرسة بعينها . وزاد ، بعد قوله بجرمانا ، من بيت لها . وقال عن الثنية : من جبة عسال ، ثم قال بعد ذلك : وقفنا على الخاتون ست الشام بنت نجم الدين أيوب بن شادي ، ثم على بنت ابنها زمرد خاتون بنت حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين ، ثم على أولادها ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، ثم أولاد أولادها ، ثم أنسألهم كذلك . فاذا انقروا ولم يوجدوا ، عاد على الجهات التي يأتي ذكرها : فالدار مدرسة على الفقهاء والمتفقهة الشفعوية المشتغلين بها ، وعلى المدرس بها الشافعي قاضي القضاة زكي الدين أبي العباس الطاهر ابن محمد بن علي القرشي ، ان كان حيا . فان لم يكن حيا ، فعلى ولده ، ثم ولد ولده ، ثم نسله المنتسبين اليه ممن له أهلية التدريس . فان لم يوجد فيهم من له أهلية التدريس ، فعلى المدرس الشافعي بهذه المدرسة . ومن شرطهم ان يكونوا من أهل الخير والعفاف والسنة ، غير منتسبين الى شر وبدعة . والباقي من الأوقاف : على مصالح المدرسة ، وعلى الفقهاء والمتفقهة المشتغلين بها ، وعلى المدرس قاضي القضاة زكي الدين ، أو من يوجد من نسله ممن له أهلية التدريس ، وعلى الامام المصلي بالمحراب بها ، والمؤذن بها ، والقيم المعد لكنسها ورشها وفرشها وتنظيفها وإيقاد مصابيحها . يبدأ من ذلك بعمارة المدرسة ، وثمان زيت ومصابيح وحصر وبسط وقناديل وشمع ، وما تدعو الحاجة اليه . ١٥ وما فضل يكون مصروفا الى المدرس الشافعي ، والى الفقهاء والمتفقهة ، والى المؤذن والقيم . فالذي هو مصروف الى المدرس في كل شهر : من الحنطة غرارة ، ومن الشعير غرارة ، ومن الفضة مائة وخمسة وثلاثون فضة ناصرية . والباقي مصروف الى الفقهاء ، والمتفقهة ، والمؤذن ، والقيم ، على قدر استحقاقهم ؛ على ما يراه الناظر في امر هذا الوقف من تسوية وتفضيل ، وزيادة ونقصان ، وعطاء وحرمان . وذلك بعد اخراج العشر ، وصرفه الى الناظر عن تعب وخدمته ، ومشارفته للأمالك الموقوفة ، وتردده اليها . وبعد اخراج ثمانمائة فضة ناصرية في كل سنة ، تصرف في ثمن مشمش وبطيخ وحلواء في ليلة نصف شعبان على ما يراه الناظر . ومن شرط الفقهاء والمتفقهة ، والمدرس ، والمؤذن ، والقيم ؛ ان يكونوا من أهل الدين والخير ، والصلاح والعفاف ، وحسن الطريقة ، وسلامة الاعتقاد ، والسنة والجماعة . وان لا يزيد عدد الفقهاء والمتفقهة المشتغلين ٢٥ بهذه المدرسة عن عشرين رجلا ، من جملتهم المعيد بها والامام . وذلك خارج عن المدرس والمؤذن والقيم . الا أن يوجد في ارتفاع الوقف نماء وزيادة وسعة ؛ فللناظر ان يقيم بقدر ما زاد ونمى . ثم بحث السبكي في شروط الوقف على طريقة الفقهاء بما يزيد عن عشر

ورقات ، ليس هنا محل بيانها (١) ، خصوصا وقد انقرضت المدرسة وامتلكتها هي وأوقافها .

ترجمة الواقعة

الخاتون ست الشام
٦١٦-٠٠٠

٥ قد علمت فيما سبق انها ست الشام بنت نجم الدين أيوب بن شادي بالشين المعجمة ، وبعد الالف دال مكسورة ، وبعدها ياء مثناة من تحت . قاله ابن خلكان ، وقال : وهذا الاسم أعجمي ، ومعناه بالعربي فرحان . قال الذهبي في «تاريخه الصغير» : توفيت سنة ست عشرة وستمائة بدارها المعروفة بالشامية . قال ابن كثير : وهي اخت الملوك ، وقريبة ابنائهم . وكان لها من الملوك المحارم خمسة وثلاثون ملكا منهم الملك المعظم ثوران شاه بضم المثلثة وسكون الواو ، لفظة أعجمية معناه ملك الشرق ، وأصله تركان ، ثم غيروا حروفه فقال : ثوران ، وهو صاحب اليمن وهو مدفون عندها في تربتها في القبر القبلي من الثلاثة ، وفي الاوسط زوجها وابن عمها ناصر الدين صاحب حمص ، وفي القبر الثالث ابنها عمر . ويقال للتربة : الحسامية ، نسبة الى ابنها حسام الدين عمر . وكانت المترجمة من أكثر النساء صدقة ، واحسانا الى الفقراء والمحاويج . وكانت في كل سنة تعمل أدوية وعقاقير ، وما يحتاج اليه من ذلك ؛ وتفرقه على الفقراء . وقد صنف الشيخ تقي الدين ابن قاضي شعبة كراسة في ست الشام ومناقبها .

١٥ وقال عبد الرحيم بن شغده في « منتخب شذرات الذهب » : ست الشام الخاتون اخت الملك العادل بنت أيوب كانت عاقلة ، كثيرة البر والصدقة ، وبابها ملجأ القاصدين . وهي أم حسام الدين ، وتزوجها محمد بن شيركوه صاحب حمص . وبنت لها مدرسة وتربة بالفونية على الشرف الشمالي من دمشق . وأوقفت دارها ، قبيل موتها ، مدرسة ، وهي التي الى جانب البيمارستان النوري . وأوقفت عليها أوقافا كثيرة . توفيت في ذي القعدة ، ودفنت بتربتها بالعونية . وكان كافور الحسامي خادما . وكان لها نيف وثلثون محرما من الملوك سوى أولادهم ؛ فاختوها صلاح الدين والعادل وسيف الاسلام وولده . انتهى

وقد درس بالشامية الجوانية تقي الدين ابن الصلاح ، ثم عبد الرحمن المقدسي ، ثم انتزعها من يده ابن أبي عصرون . وفي سنة احدى وعشرين وثمانمائة ، كان تقي الدين

(١) كذا في الاصل .

- اللوبياني متوليا أعادتها ، وكانت قد عمرت بعد الفتنة التيمورلنكية ، وكانت مباشرتها وقبض معلومها بيده وبيد المدرس . فلما جاء الأمير محمد بن منجك ناظرا على الاوقاف ، طلب حسابها ، ورسم بتتمة عمارتها وبياضها . فكتب الناظر الحساب ، وذهب اليه وتظلم . وكتب بيد اللوبياني عشرين الفا وكسورا . فرسم أن تسترجع منه ومن غيره ، لأجل العمارة . وبعد مداخلات ، ضرب اللوبياني نحوا من ثلاثمائة عصا وكان الضارب له النائب . ثم بعد أن أخذ نصيبه من الضرب أطلقه ، واعتذر اليه بأنه لم يعرفه .

المدرسة (الشاهينية)

شاهين الشجاعي
٦١٦-٠٠٠

- كانت حلقة تدريس بجامع التوبة الذي بالعقبة . أنشأها الأمير شاهين الشجاعي دودار شيخ . وكان عمر جامع التوبة من ماله ، بعد أن احترق في رمضان سنة (١) . وكان من أعظم أعوان أستاذه في الفتن . توفي سنة ست عشرة وستمائة في طريق مصر . ١٠
قالة ابن حجي .

المدرسة (الشومانية)

خاتون بذت
شومان

- أنشأتها خاتون بنت ظهير الدين شومان . قال النعيمي : أخبرني القاضي ابراهيم الشهير بابن المعتمد أن هذه المدرسة هي المسماة الآن بالطيبة . انتهى . وسيأتي الكلام عليها في باب الطاء . وأيا ماكانت ؛ فقد انمحي رسمها ، ودرس اسمها ! ١٥

المدرسة (الشريفية)

- قال في «التحفة» : هي التي عند حارة الغرباء . وقال الاسدي : هي بدرب الشعارين ؛ لم أعرف واقفها ، ولم أعرف من مدرسيها سوى نجم الدين الدمشقي في سنة تسعين وستمائة . ١٠ هـ
أقول : وحارة الغرباء هي التي غربي المدرسة القجماسية . ولم يبق لهذه المدرسة عين ولا أثر . فكما أنه جهل واقفها كذلك جهل مكانها . والله أعلم بما صار اليه حالها . ٢٠

(١) لم يذكر المؤلف سنة احتراق الجامع .

المدرسة (الصالحية)

هي تربة أم الملك الصالح ، غربي الطيبة والجوهرية الحنفية، وقبلية الشامية الجوانية الى الشرق . وقد وقفت على محل رسومها فخفيت ! وناديت أطلالها فلم تجب الا بقول الصلاح الصفدي مخاطبة لبانيها :

تحكمت بعدكم أيدي النوى فينا وقد أقامت بناذينا تنادينا
وجرعتنا كؤوس الحزن مترعة مزاجها كان زقوما وغسلينا
وقد أناخت بنا من بعدكم محن عدت علينا بما يرضي أعادينا

ترجمة واقفها

أوقفها الصالح أبو الحسن اسماعيل ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر .
قال ابن كثير في «تاريخه» : وكان ملكا عادلا ، عاقلا حازما ، تقلبت به الأحوال أطوارا كثيرة . وقد كان الملك الأشرف موسى أوصى له بدمشق بعده ؛ فملكها شهورا ، ثم انتزعها منه أخوه الكامل . ثم ملكها ابنه الصالح خديعة ومكرا ؛ فاستمر بها أربع سنين . ثم استعادها منه الصالح أيوب عام الخورازمية ، سنة ثلاث وأربعين وستمائة . واستمرت بيده بعلبك وبصرى ثم أخذتا منه . ولم يبق له بلد يأوى اليه ؛ فلجأ الى حلب مجاورا للناصر يوسف . ثم إنه في سنة ثمان وأربعين وستمائة سافر الى الديار المصرية ، فلا يدرى ما فعل الله به . وهو واقف التربة والمدرسة ودار الحديث والاقراء بدمشق . ولم نطل الكلام على تراجم هؤلاء لأن محلها القسم الاول من هذا التاريخ ؛ وسيأتي لها في هذا القسم زيادة بيان .

الملك الصالح
اسماعيل
٦٤٨-٠٠٠

وقد درس بهذه المدرسة نجم الدين أحمد ابن المقدسي ، ثم شهاب الدين ابن المجد ، ثم بعده سبعة مدرسين ، كل واحد منهم في وقت أوقات . آخرهم على ما قاله العلموي : تاج الدين الزهري . وأما مشيخة الاقراء بها ؛ فوليها علم الدين أبو الفتح علي بن محمد ابن عبد الصمد الهمداني السخاوي المصري شيخ القراء والنحاة والفقهاء في زمنه بدمشق . ولد سنة ثمان أو تسع وخمسين وخمسمائة .

قال الذهبي في «العيبر» : سمع المترجم من السلفي وجماعة ، وقرأ القراءات على الشاطبي وغيره من المشاهير ، وانتهت اليه رئاسة الأدب والاقراء بدمشق ، وقرأ عليه

- خلق لأیحصیهم إلا الله . وما علمت أحدا من الإسلام حمل عنه القراءات ، أكثر مما حمل عنه . وله تصانيف سائرة متقنة . توفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، ودفن بتربته بجبل قاسيون . ثم ولي المشیخة بعده إحدى عشرة نفسا ، آخرهم فخر الدين ابن الصلف . وكان بها مشیخة دار حدیث ؛ فباشرها كمال الدين ابن الشریشي ، فشمس الدين الزهري ، فعماد الدين الحافظ ابن كثير ، ثم بعده كثير من المحدثين . ثم جاء من درسها ، وأكل أوقافها ، ومنع حق الله وحق العباد منها .

المدرسة (الصارمية)

كانت داخل بابي النصر والجابية ، قبلي العذراوية الى الشرق .

قال في « تنبيه الطالب » : ورايت ، مرسوما بعثتها بعد البسملة ، ما صورته :

- ١٠ صارم الدين جوهر هذا المكان المبارك انشاء الطواشي الأجل صارم الدين جوهر بن عبد الله الحر عتيق الست الجليلة الكبيرة عصمة الدين عذراء بنت شاهنشاه رحمها الله تعالى . وهو وقف محرم ، وحبس مؤبد على الطواشي المسمى أعلاه ، مدة حياته ، ثم من بعد وفاته ، فعلى الفقهاء والمتفقهة من أصحاب الامام الشافعي رضي الله عنه . والنظر في هذا المكان والوقف على الطواشي جوهر المسمى أعلاه ، مدة حياته ، على مادون في كتاب الوقف .
- ١٥ « فمن بدله بعدما سمعه ؛ فانما اثمه على الذين يبدلونه » آية ١٨١/٢ كتب سنة اثنتين وعشرين وستمائة . وهي عبارة ركيكة في الأصل . هذا ما قاله في « تنبيه الطالب » .
- وقال القاضي عز الدين : ان الذي بنى الصارمية صارم الدين أربك مملوك قايماز النجمي .

- وما قاله في « التنبيه » أولى لأنه ناقل عن كتابتها الحجرية . وأيا ما كان ؛ فان المدرسة الصارمية قد انطمست آثارها ، ومحي منارها ، وصارت منازل ودورا تباع وتشترى . وباب النصر قد انقض بنيانه وتشتت أطلاله . فلا يمكن للباحث عنها أن يهتدي الى مكانها ، ولا الى مكان جارتها العذراوية . ولقد وقفت في أوائل جارة الغرباء أمام الحمام المسمى بحمام الست عذرا ثم مشيت الى جهة القبلة نحو من ثمان وخمسين خطوة وعند منتهاها ، وجدت عن يساري جدارا ينادي بأنه جدار مدرسة ، ومتصل به

جدار آخر بالجهة القبية مثله ، وتحت بركة ماء تشير أيضا إلى أن هنالك كان مدرسة .
فلعل هذه إحدى المدرستين العذراوية أو الصارمية والله أعلم .

- وقد درس بالصارمية نجم الدين ابن الحنبلي ، ثم ولده ، ثم تاج الدين ابن الفركاح ،
ثم بعده خمسة عشر مدرسا ، إلى بدر الدين ابن قاضي شهبة ، ثم زين الدين عبد القادر ،
ثم جماعات . وممن درس بها الواسطي : (١) وهو السيد الشريف
شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عبد الله الحسيني الواسطي . ولد سنة
سبع عشرة وسبعمائة ؛ واشتغل بالعلم حتى برع فيه . وكتب الكثير بخطه الحسن .
وآلف كتباً منها : « مجمع الأحباب » وهو مختصر « الحلية لأبي نعيم » في مجلدات .
وله تفسير كبير . وشرح « مختصر ابن الحاجب » في ثلاث مجلدات . وقد أكثر في
النقل فيه عن الأصفهاني ، وعن القاضي تاج الدين ، وله كتاب في أصول الفقه في مجلد ،
وله كتاب « الرد على الأسنوي في تناقضه » . وكان منجماً عن الناس ، وخصوصاً
عن الفقهاء ؛ لأن دأبهم حسد علماء الأصول ، والتعصب عليهم ، والخط من قدرهم ،
وقدر العلماء المحققين . توفي في ربيع الأول سنة ست وسبعين وسبعمائة ؛ ودفن
عند مسجد القدم . وأما باني المدرسة ؛ فإن كونه قد جعل هذا الخير والإعانة لأهل
العلم ، يكفيه ذخراً وثواباً عنده تعالى وتقدس .

المدرسة (الصلاحية)

بالقرب من بیمارستان النوري . وهي أيضاً منظمسة الأثر ، لم يعلم مكانها . وفي
« تنبيه الطالب » أن الذي بناها نور الدين محمود بن زنكي ، ونسبت إلى الملك الناصر
صلاح الدين . انتهى

- أقول : ومقابل بیمارستان طريق ، وبأوله من الجهة الشمالية باب مدرسة قديم .
وقد كان الحجر الكبير الذي فوقه مكتوباً ، فنحت الكتابة فلعل هنا محل المدرسة
المذكورة . وبالجملية فإن جميع المدارس التي كانت بالقرب من بیمارستان قد تناولتها
أيدي الخفاء . فذهب إليها المختلسون ، كما هبوا لغيرها ، فابتنوها دوراً ومساكن ، وأتوا
على أوقافها فابتزوها ، وغيروا شروطها شيئاً فشيئاً ، حتى حولوها ملكاً لهم . فأصبح
طالب العلم لا يجد نفقة ولا مأوى ؛ فقلت الرغبة في الطلب ، حتى صار العلم في زمننا

(١) كذا في الأصل بياض .

أسماء بلا جسم ، وكلمات بلا معنى : فليس هو الآن إلا بالغمائم والدعوى ، وليست وظائفه إلا بالارث ، وقولهم : القديم على قدمه ، سواء كان حقا أو باطلا ، طالبا للعلم ذلك الوارث أو جاهلا لافرق . فترجوه تعالى أن يكشف هذه الغمة ، ويرشد الأمة الى مافيه صلاحها ونجاحها ، وأن يؤيد الحكم الشوروي ، والرأي الدستوري الذي حصلت عليه الأمة في وقتنا هذا . فابتدأت بسببه بقطع دابر الاستبداد ، وابعاد أهل الغي والعناد ؛ حتى شممنا رائحة تقدم العلم ، وانقشاع غيوم الظلم . وسنأتي فيما بعد على شرح ما عليه كنا ، وما اليه وصلنا ، تذكرة لمن يتذكر ، وإيقاظا لمن يتدبر . ولقد لوحنا لذلك في خطبة الكتاب والله الهادي .

واقفها وبانيها

- ١٠ ستذكر ترجمة السلطان نور الدين عند الكلام على المدرسة النورية الحنفية ، وترجمة السلطان صلاح الدين في محلها ان شاء الله تعالى . ولم يتصل بنا من أخبار هذه المدرسة سوى أنه درس بها شمس الدين ومجد الدين الكرديان .

تنبيه :

- المدارس المسماة بالصلاحية ثلاثة : أحداها هذه ، وثانيتهما بالقدس . قال الحافظ ابن كثير في « تاريخه » في حوادث ثلاث وثمانين وخمسمائة : وبني السلطان صلاح الدين بالقدس مدرسة للشافعية سميت بالصلاحية ، ويقال لها : الناصرية .

- وقال العماد الكاتب : وفاوض السلطان صلاح الدين جلساؤه من العلماء والأكابر الأبرار ، والاتقياء الأخيار أيام فتح القدس ، في أن يبني مدرسة للفقهاء الشافعية ، ورباطا للصلحاء الصوفية . فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بجسد حنه عند باب أسباط ، وعين دارا لبطرك ، وهي تقرب كنيسة قمامة للرباط ، ووقف عليها أوقافا ، وأسدى بذلك الى الطائفتين معروفا . وارتاد أيضا مدارس الى الطوائف ليضيفها الى ما أولاه من العوارف . انتهى

وقال ابن كثير : وأجرى صلاح الدين على القراء بالقدس ، وعلى الفقهاء بها ،

الجامكيات (١) والجرايات ؛ وأرصد الختم والربعات في أرجاء المسجد الأقصى لمن يقرأ وينظر فيها من المقيمين والزائرين . وتنافس بنو أيوب بما يفعلونه من الخيرات في القدس الشريف القادمين والظاعنين والقاطنين .

وئالها بالكلاسة ، وهي عبارة عن زاوية كانت بها . ويظهر من كلام ابن شداد على الجامع الأموي أنها كانت مدرسة للشافعية . فانه قال : ذكرنا فيه من المدارس ، مدرسة شافعية بالكلاسة ، والمدرسة الغزالية وتعرف بالشيخ نصر المقدسي ، ومدرسة ابن شيخ الاسلام ، ومدرسة الملك المظفر أسد الدين شافعية ، ومدرسة للمالكية ، ومدرسة ابن منجا حنبلية . انتهى

وهذا كله كان في الجامع الأموي وقد اختفى باختفاء أهله ، وهو ينشد :
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر ١٥

المدرسة (التقطائية)

لم يذكرها العلموي في « مختصره » . وقال في « تنبيه الطالب » : هي بالتاء المثناة الفوقية ، ورأيت بقائمة بكشف الأوقاف ، سنة عشرين وثمانمائة : التقطائية من المدارس الشافعية ، وهي داخل الباب الصغير بنحو مائة ذراع شرقية ، غربي بيت الخواجا الناصري ، قبلي منارة الشحم ، لها منارة صغيرة . ثم انه نقل ترجمة شهاب الدين قرطاي عن ابن كثير ، ثم قال : ولم يذكر له مدرسة . ونقل أيضا عن « الوافي » للصلاح الصفدي ترجمة اثنين : أحدهما طقطاي من جماعة صاحب القبجاق ، وثانيهما طقطاي الأمير عز الدين . ثم قال : ولم يذكر لهما مدرسة ولا خانقاه ، ولا غيرهما . وبالجمله فانه لم يتيقن ترجمة باني هذه المدرسة .

ولقد وقفت مكانها ؛ فلم ينادني شيء من أطلالها ؛ ولم تخاطبني آثارها بشيء من أخبارها . فرجعت آسفا حزينا . فتجلى لي غيرها من المدارس ، ممن هو أعظم منها ، وقد تداولته يد الاختلاس ، فألهاني عنها . « والأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » (٢) .

(١) مرتبات للمنتقطعين الى العلم .

(٢) الاعراف ١٢٧

المدرسة (الطبرية)

يقال : انها كانت بباب البريد . ومن أوقفها : وقف برأس العين ، وحوانيت بالنورية داخل دمشق . وقد تكلم عليها صاحب « تنبيه الطالب » ، فذكر من مدرسيها : الحسين ابن علي الشهر بابت آله بفتح الهمة وضم اللام واسكان الهاء ، ومعناه بالعربية العقاب . توفي سنة تسع وثلاثين وسبعمائة . ولم يزد في « التنبيه » على هذا . ٥

والظاهر أنه لم يظفر بترجمة من بناها . وقال العلموي : درس بها شرف الدين ابن هبة الله الأصفهاني . وترجمته لها في « مختصره » تدل على أنها ، دخل الألف وهي موجودة . ثم تناولتها يد من لم يخف الله تعالى من المختلسين ؛ فضمها الى أملاكه ، ومحا أثرها . وبباب البريد جملة من بقية الأبنية التي تشبه أبنية المدارس ؛ ولكن لم يتيسر للباحث أن يفرق بأن هذا أثر المدرسة الفلانية عن يقين ، خصوصا وآثار الكتابة قد محيت والله أعلم . ١٠

المدرسة (الطبية)

قبلي النورية الحنفية ، وشرقي تربة زوجة تنكر بقرب الخواصين داخل دمشق . وقد تقدم أنها هي المسماة بالشومانية ، وانما غير اسمها تيمنا . وقال الصفدي : الذي بنى الطبية العابر علي بن أبي بكر . درس بها الفزاري ، ثم درس بها ستة بعده منهم : ١٥ زكي الدين زكريا بن يوسف البجلي في سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة . هذا ما ذكره في « التنبيه » ، ولم يزد عليه .

خاتون بنت
شومان

وقال في « ذيل العبر » : انشأتها خاتون بنت ظهير الدين بن شومان (١) . أخبرني القاضي ابراهيم الشهر بابت المعتمد أن هذه المدرسة هي المسماة الآن بالطيبة ، سموها بذلك تيمنا . ١٠ هـ ٢٠

وقال العلموي : قلت : الظاهر أنها شمالي الحمام المتصل ببنت قاضي الشام . ورأيت في « السالنامة السورية التركية » المؤلفة سنة عشر وثلاثمائة وألف رومية شرقية عند الكلام على المدارس ، ما معربه : أن المدرسة الطبية هي المدرسة الشومانية . ولم نعلم

(١) كذا في الاصل وفي « الاعلاق الخطيرة » لابن شداد : « ظهر الدين شومان » .

من تاريخها سوى أنها مدرسة شافعية كانت بجوار المدرسة النورية الكبرى . ا.هـ

وأقول : الذي ظهر لي من التردد الى محلها مرارا ، وتدقيق النظر في موضعها ، أنها اندرست وصارت دورا للسكنى ، وهي الدور التي أمام المحكمة الكبرى المسماة بمحكمة الباب . وأما تربة زوجة تنكر ، فموجود الآن قسم منها . انتحل المنتحلون لها اسم النحلاوي ، وسيأتي الكلام عليها في موضعه . وأما الحمام الذي ذكره العلموي فلم نجد هناك حماماً سوى المسمى بحمام الخياطين « وان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » آية ١٢٧/٧ . وأما ترجمة من بناها أو من بنتها ؛ فسيذكران في القسم الأول من هذا الكتاب .

حرف الظاء

المدرسة (الطيانية)

كانت قبلي المدرسة الشامية الجوانية ، وغربي المدرسة الصالحية التي هي غربي المدرسة الطيبة . قال العلموي : جدارها لصيق بجدار الشامية الجوانية . ا.هـ

وأقول : قد اتخذها المختلسون دورا للسكنى ؛ ولم يبق مما يدل عليها سوى جدارها المبني بالحجارة الضخمة . ولولا متانته لغيره المستحلون لاغتصاب الأوقاف ، لتطمس آثارها بالكلية . ودرس بها الحافظ شهاب الدين ابن حجي سنة أربع وسبعين وسبعمائة . ولم يذكر النعيمي ولا العلموي من بناها . وذكر النعيمي من وقفها : المزرعة بقرية يعقوبا ، والمحاكرات حول الخندق قبلي سور دمشق . وقد انطمست الآن آثارها أيضا ، والمحاكرات شمالي مقبرة باب الصغير . وقد ذهبت المدرسة وما وقف عليها ادراج الرياح ، وانطمس اسم بانيتها .

المدرسة (الظاهرية البرانية)

كانت خارج باب النصر بمحلة المنيع ، شرقي الخاتونية الحنفية ، وغربي خانقاه الحسامية ، بين نهري القنوات وبانياس على الميدان الأخضر بالشرف القبلي .

أقول : قد انطمست آثارها ، وخفي محلها . والظاهر أنها كانت موضع الثكنة

الخاتونية والحسامية . وقد درس بهذه المدرسة شمس الدين بن معن ثم درس بها بعده العسكرية التي هي موجودة اليوم . وباب النصر قد خفي محله أيضا ، كما اختفى محل ثمانية من العلماء . وقال في « ثنبيه الطالب » : وفي ثامن عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وثمانمائة ، درس فيها شيخنا شيخ الشافعية في وقته نجم الدين محمد ابن ولي الدين عبد الله الدمشقي الشهير بابن قاضي عجلون ، درس بها « بالمنهاج » من أول كتاب البيع ؛ فظهر عن اتقان وتفنن وتحرير . وهو اذ ذاك يؤلف في كتابه الأعجوبة لشرح « المنهاج » المسمى « بالتحرير » وهو شرح عظيم الشأن ؛ لو بيض لجاء في مجلدات . وله تصحيح كبير على « المنهاج » . وله كتاب « التاج في زوائد الروضة على المنهاج » ، وهو أعجوبة في غاية الاتقان . وله شرح « المنهاج » في قدر العجالة سماه « الفتوح » . وله مصنف في « تحريم لبس السنجاب » ، وآخر في « تحريم ذبائح اليهود والنصارى الموجودين في هذا الزمان » ، وله « شرح العقيدة الشيبانية » . ميلاده سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة . أخذ عن والده ، وعن تقي الدين ابن قاضي شهاب ، وعن الشرواني ، وعن جماعة آخرين (٢) .

ابن قاضي
عجلون (١)

ترجمة واقفها

الملك الظاهر
غازي

٦١٣ - ٥٦٨

- ١٥ بناها الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب . قال في « العبر » : ولد بمصر سنة ثمان وستين وخمسائة . حدث عن جماعة ، وكان بديع الحسن ، كامل الملاحظة ، ذا غور ودهاء ، ومصادقة للملوك النواحي ؛ يوهمهم أنه لولاه لقصدهم عمه العادل . ويوهم عمه أنه لولاه لاتفق عليه الملوك . وكان سمحا جوادا ، توفي سنة ثلاث عشرة وستمائة بحلب . وقال في موضع آخر : كان من خيار الملوك ، وأسعدهم سيرة ، ولكنه كان فيه عسف ، ويعاقب على الذنب شديدا ، وكان يكرم العلماء والشعراء والفقراء .

وقال موفق الدين عبد اللطيف البغدادي المتفلسف في « رحلته » : كان الظاهر جميل الصورة ، رائع الملاحظة ، موصوفا بالجمال في صغره وفي كبره ، وله غور وذكاء ، ودهاء ومكر . وأعظم دليل على دهائه ، معارضته لعمه العادل . وكان لا يخليه يوما من

(١) أورده المؤلف على الحاشية فأثبتناه للأمانة العلمية .

(٢) بعد هذا الكلام يوجد في الأصل بياض قدره ثلاثة أسطر .

شغل قلب وخوف . وكان يصادق ملوك الأطراف ويباطنهم ويلطفهم . وكان بتدبيره يستولي على عمه العادل ، وعلى ملوك الأطراف ، ويستعبد الفريقين ، ويشغل بعضهم ببعض . وكان كريما معطيا يرضي الملوك والشعراء .

- ومن نوادره : أن الشاعر الحلبي قال له يوما في المنادمة وهو يعث به ، وزاد عليه :
٥ أنظم ؟ يهدده بالهجو . فقال له السلطان انثر ؛ وأشار الى السيف . انتهى . أقام في الملك ثلاثين سنة . وقال عز الدين علي بن الأثير الجزري في « الكامل » في حوادث سنة ثلاث عشرة وستمائة : بها توفي الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين بن يوسف بن أيوب . وهو صاحب مدينة حلب ومنبج وغيرهما من بلاد الشام . وكان مرضه اسهالا . وكان شديد السيرة ، ضابطا لأمواله كلها ، كثير الجمع للأموال من غير جهاتها المعتادة ، عظيم العقوبة على الذنب ، لا يرى الصفح ، وله مقصد يقصده . يقصده كثير من أهل البيوتات من أطراف البلاد ، والشعراء وأهل الدين وغيرهم ؛ فيكرمهم ، ويجري عليهم الجاري الحسن . ولما اشتدت علته ؛ عهد بالملك بعده لولد له صغير اسمه محمد ولقبه الملك العزيز غياث الدين ، عمره ثلاث سنين . وعدل عن ولد له كبير ، لأن الصغير كانت أمه ابنة عمه الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب مصر ودمشق ، وغيرهما من البلاد . فعهد بالملك له ، ليبقى عمه البلاد عليه ، ولا ينازعه فيها . وأخذ له العهد بالتولية من العادل . ولما توفي الظاهر ، كان قد جعل أتابك ولده ومربيه ، خادما روميا اسمه طغرل ، ولقبه شهاب الدين . وهو من خيار عباد الله ، كثير الصدقة والمعروف . فأحسن السيرة بالناس ، وعدل فيهم . وأزال كثيرا من السنن الجارية . وأعاد أملاكا كانت قد أخذت من أربابها ، وقام بتربية الطفل أحسن قيام . وحفظ بلاده ، واستقامت الأمور بحسن سيرته وعدله . وملك ما كان يتعذر على الظاهر ملكه ، مثل تل ناشر وغيره .
- ٢٠

قال ابن الأثير : وما أقبح بالملوك وأبناء الملوك ، أن يكون هذا الرجل الغريب المنفرد أحسن سيرة وأعف عن أموال الرعية ، وأقرب إلى الخير منهم . ولا أعلم اليوم في ولاة أمور المسلمين أحسن سيرة منه . ولقد بلغني عنه كل حسن وجميل . ا.هـ

- أقول : ليس الحزم وحسن الحال بالآباء والجدود ، وإنما هو بالمعدن الحسن الذي يتكون منه الإنسان ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام » حديث .
- ٢٥

المدرسة (الظاهرية الجوانية)

داخل بابي الفرج والفراDIS ، بينهما ، جوار الجامع ، وشمالى باب البريد ، وقبلى الاقباليين والجاروخية ، وشرقى العادلية الكبرى . باباهما متواجهان يفصل بينهما الطريق . كانت دارا للعقيقي ، فاشتراها من تركته أيوب والد صلاح الدين فكانت دارا .

- ٥ قال ابن كثير : وفي سنة ست وسبعين وستمائة ، شرع في بناء الدار التي تعرف بدار العقيقي تجاه العادلية ، لتجعل مدرسة وتربة للملك الظاهر . ولم تكن من قبل الا دارا للعقيقي وهي المجاورة لحمام العقيقي . وأسس أساس التربة في خامس جمادى الآخرة . وأسست المدرسة أيضا وجعلت على الحنفية والشافعية .

- وفي كلام ابن شهبة ما يشير الى أن الملك الظاهر بيبرس هو الذي أنشأها ، وجعلها دار حديث ومدرسة . وهو مخالف لما ذكره في آخر كلامه ؛ فانه قال : ان هذه المدرسة انشاء الملك السعيد ابن الملك الظاهر ؛ أنشأها بعد موت أبيه بيبرس ، بعد أن سمع خبر موت أبيه . وكان قد تقدم موته ، وبقي مدة بقلعة دمشق الى أن حضر السعيد الى دمشق ؛ فاشترى دار العقيقي ، ثم أنشأ التربة . فبين أول كلامه وآخره مخالفة . والذي يظهر أن الباني لها السعيد لا أبوه . وكان بناؤها سنة تسعين وستمائة . وقد درس بها جماعة من الفضلاء منهم : اليونيني ، وأبو حفص عمر الفارقي الدمشقي ، وعلاء الدين ابن بنت الأعز ، ثم الصفي الهندي ، ثم ابن الزمّلكاني ، ثم الجمال القلانسي ، ثم ابن قاضي الزبداني ، ثم محمد بن الشهيد ، ثم أفاضل يطول تعدادهم .

- أقول : ان هذه المدرسة باقية الى الآن ، وهي مشهورة معروفة ، وبابها بناؤه من العجائب ، يدخل منه الى ساحتها ، فيكون عن يمين الداخل ، التربة الظاهرية ، وهي في قبة شاهقة في الهواء ، وجدرانها من الرخام الأبيض والأسود ، مزخرفة بالفسيفساء . وفي سنة ست وعشرين وثلاثمائة وألف ، غيرت بلاطتها وبركتها الكبيرة ، وأبدل ذلك بطراز لطيف . وبالجملّة فلم يبق في داخلها من البناء الأول الا الجهة القبليّة ، وأما الباقي فقد غير ، وجعل مدرسة لصغار الطلبة سميت باسم نموذج الترقى . وفي سنة ست وتسعين ومائتين وألف ، كان المرحوم مدحت باشا واليا على سورية ، فاهتم بإنشاء المكاتب ، ثم علم أن دمشق كان بها ما لا يعد من خزائن الكتب الموقوفة على المشتغلين بالعلم ؛ فمدت اليها أيدي المختلسين بالنهب والبيع ؛ حتى لم يبق منها الا النذر القليل . فخاف على

الباقى من الضياع ، فكتب الى مقر السلطنة بذلك كتابا يقول فيه : لما كانت الكتب الموقوفة ، والمشروطة لاستفادة العموم قد حصرت بأيدي المتولين ، وحرمت الناس من مطالعتها ؛ كان من اللازم جمعها وجعلها في مكان مخصوص ليكون الانتفاع بها عاما . فصدر له الأمر بذلك في اليوم الخامس عشر من شباط سنة خمس وتسعين ومائتين وألف رومية الموافقة للتاريخ المذكور . وأعطى القرار من طرف مجلس الادارة على ذلك .

٥ وجمعت الكتب الموجودة من عشر خزائن :

من خزانة المدرسة العمرية التي بالصالحية ، وكان بها كتب عظيمة ؛ فلم تصل يد الذين جمعوها الا الى بعضها .

ومن مدرسة عبد الله باشا العظم . ومكتبتها من وقفه رحمه الله في سنة احدى عشر ومائتين وألف . وكان والده محمد باشا قد كتب وقفها من قبله سنة تسعين ومائة وألف . وكان مقرها في مدرسته الا أن نسبتها اشتهرت الى عبد الله باشا .

١٠

ومكتبة سليمان باشا العظم : وهي مكتبة وقفها المذكور سنة ست وتسعين ومائة وألف . وكان مقرها في مدرسته في باب البريد .

ومكتبة الملا عثمان الكردي : وكان مقرها في المدرسة السليمانية .

ومكتبة الخياطين : وهي مكتبة وقفها أسعد باشا العظم بعد سنة خمس وستين ومائة وألف . وكان مقرها في مدرسة والده الحاج اسماعيل باشا في محلة الخياطين ، قرب المدرسة النورية .

١٥

ومكتبة المدرسة المرادية .

ومكتبة السميساطية : وهي مكتبة حديثة العهد ؛ وقفها أهل الخير .

ومكتبة المدرسة الياغوشية : وكانت موضوعة في مدرسة سياوش باشا في محلة الشاغور .

٢٠

ومكتبة الأوقاف : وهي مكتبة مجموعة من مكتبات متفرقة تشتت أمرها ، فوضعت في ديوان الأوقاف حفظا لها .

ومكتبة بيت الخطابة : وكانت موضوعة في حجرة الخطابة في جامع بني أمية .

- ثم جعل مقر تلك الكتب كلها في تربة الملك الظاهر ، في المدرسة المذكورة لتأنتها ولياقتها لتلك الغاية ، وطبع دفتر بأسماء الكتب ، وعين الوالي لها محافظين ، لكل واحد منهما مائتي قرش في الشهر ، وبوابا بخمسين قرشا . ولما أنهى المرحوم مدحت باشا تنظيمها ، وترتيب قانونها ، عزل عن ولاية سورية . وجاء بعده حمدي باشا في أوائل سنة ست وتسعين ومائتين وألف فكتب الحجر الذي على باب المكتبة باسمه . فكم ساع لقاعد سنة الله في خلقه ! والمكتبة المذكورة مفتوحة الباب للمطالعين . وزاد أهل الخير في كتبها ما هو قريب من الأصل . وكان بهذه المدرسة دار حديث ، بين ايوان الحنفية القبلي وايوان الشافعية الشرقي ؛ وقد صارت بيتا منذ التسعمائة وإلى الآن . ودرس بها كثير من المدرسين منهم : اليونيني المحدث المشهور ، وعمر الربيعي الفارقي ، وابن بنت الأعز ، والصفى الهندي ، وابن الزملكاني ، والقلانسي ، وابن قاضي الزبداني ، وابن الشهيد ، وإبراهيم اللوري ، وأحمد بن غنيمة الواسطي ، وغيرهم من المشاهير . ومن وقف هذه المدرسة : الحصص بالقنيطرة ، ثم كفر عاقب ، والصرمان بكمالها ، والأشرفية قبلي دمشق ، ونصف قرية الاسطبل بالبقاع ، ونصف الطرة والبستان بالصالحية .

١٥

ترجمة واقفها النسوبة اليه

الملك الظاهر
بيبرس
٦٢٠-٦٧٦

- هو السلطان ركن الدين بيبرس العلاني البندقداري الصالحي ، صاحب الفتوحات ، وهو الرابع من ملوك الترك . قال في « تحفة الناظرين » : أصله تركي ، اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب وأعتقه . ولا زالت الأقدار تساعد ، حتى وصل إلى ما وصل . وكان ملكا شجاعا مقداما ، يباشر الحروب بنفسه ، له مع التتار الوقائع الهائلة ثم الأفرنج . وقد بنى مدرسة بالقاهرة تجاه المارستان عام اثنتين وستين وستمائة ؛ وتم البناء في سنة سبع . وقد قلب الزمان على مدرسته بالقاهرة ، إلى أن جعلها الأفرنج قلعة سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف حينما استولوا على مصر . وذلك لتأنتها وصلابتها واتقان بنائها ، وقطعوا ما حولها من الأشجار ، وهدموا الأبنية التي كانت بينها . وبنى أيضا قناطر أبي المنجي بالقليوبية ، وقناطر السباع بطريق مصر ، وغير ذلك من قلاع وحصون وقناطر وخانات ، بالشام وغيرها . وأكمل عمارة المسجد النبوي من الحريق . وله فتوحات كثيرة : فتح النوبة ودنقلة ، ولم تفتح قبله مع كثرة غزو الخلفاء والسلاطين لها .

وملك قيسارية ، ولبس التاج ، وضربت باسمه الدنانير والدراهم ، وجدد عمارة جامع الأزهر بعد أن خرب . وله صدقات وأوقاف كثيرة . ولما خرج الى قتال التتار ؛ استفتى العلماء في أخذ أموال من الرعية ، فأفتوه الا النووي فانه امتنع ، وكلمه كلاما شديدا ؛ فغضب منه ، وأمره بالخروج من الشام ؛ فخرج الى بلده نوى . ثم رسم له بالرجوع ، فقال : لا أدخلها والظاهر بها . وفي أيامه انتقلت الخلافة الى الديار المصرية ، فكان أول خليفة بمصر المستنصر ، دخلها سنة تسع وخمسين وستمائة ، فاجتمع بالملك الظاهر ، وأثبت نسبه عند قضاة الشرع ، وبأيعه بالخلافة ، وأجرى عليه نفقة ، وليس له من الأمر الا اسم الخليفة ، وأولاده من بعده على هذا المنوال يأتون الى السلطان الذي يريدون توليته ، ويقولون : وليناك السلطنة . هكذا كانوا يفعلون ، ويتلقبون بالقباب الخلفاء ، وكان سلاطين الأقاليم تتبرك بهم ، ويرسلون لهم احسانا ، ويطلبون السلطنة باللسان ؛ فيكتبون لهم تقليدا . وكان آخر الخلفاء بمصر أبو عبد الله محمد بن يعقوب الملقب بالمتوكل . ولما افتتحت الدولة العثمانية مصر أخذ معه فاتحها السلطان سليم متبركا به . فلما مات السلطان سليم ، عاد الى مصر الى أن توفي بها سنة خمسين وتسعمائة ، وبموته انقطعت الخلافة العباسية . والذي حكاه في « تحفة الطالب » في ترجمة الملك الظاهر ، انه ولد في حدود العشرين وستمائة ، وقال : اشتراه الأمير علاء الدين البندقداري ، فقبض الملك الصالح عليه ، وأخذ يبرس منه ، وطلع شجاعا ضاريا شهد وقعة المنصور ، وكان أميرا في الدولة المعزية ، ثم صار من أعيان البحرية ، وولي السلطنة سنة ثمان وخمسين وستمائة ، قال : ولولا ظلمه وجبروته في بعض الأحيان ، لعد من الملوك العادلين . توفي في اليوم الثامن والعشرين من محرم ، سنة ست وسبعين وستمائة ، بقصره الأبلق بدمشق ، وخلف من الأولاد : السعيد محمد ، وشلامش ، والخضر ، وسبع بنات . وكان بيلبك قد أخفى موته ، وخرج من دمشق الى مصر بمحفة ، يوهم أن الظاهر بها ، الى أن دخل مصر ، فسلطن الملك السعيد .

الملك السعيد

قال في « تحفة الطالب » : ميلاده في حدود ست وخمسين وستمائة بظاهر القاهرة . وتملك بعد أبيه سنة ست وسبعين وستمائة .

الملك السعيد
٦٦٨-٦٥٦

٢٥

قال في « العبر » : وكان شابا مليحا ، حسن الطباع ، فيه عدل ولين واجسان ،

- ومحبة للخير . وفي سنة سبع وسبعين وستمائة ، قدم دمشق ، وعملت القباب ، ودخل القلعة ؛ فأسقط ما وظفه أبوه على الأمراء ؛ وفرح الناس به ، ودعوا له . ثم خلع نفسه في سنة ثمان ، وقنع بالكرك . ورتبوا أخاه شلامش في السلطنة وعمره سبع سنين . ثم خلعه أتابكه سيف الدين قلاوون ، ولقب نفسه بالملك المنصور . ثم توفي الملك السعيد شبه فجأة بعد أن أقام شهرا في قلعة الكرك ، ثم نقل بعد شهر الى مقبرة والده ، ودفن بجانبه . وتملك الكرك أخوه خضر بعده . وفي « أخبار الدول للإسحافي » : أن الملك السعيد توفي سنة ثمان وستين وستمائة ؛ وكان تصرفه في الملك سنتين وثلاثة أشهر . وفي « تحفة الناظرين » : سنتين وثمانية أشهر . ولعل الأول أصح . وحكى المؤرخون سبب خلعه نفسه ، فقالوا : انه لما أتى دمشق ، جرد العسكر منها صحبة سيف الدين قلاوون الصالحي ، وتبعه في تجريد العسكر صاحب حماه . فساروا حتى وصلوا بلاد سيس ، فشنوا الغارة عليها ، وغنموا . وعادوا الى جهات دمشق ؛ فاتفقوا على مخالفة الملك السعيد ، وخلعه من المملكة لسوء تصرفه وتدبيره . وعبروا على دمشق ولم يدخلوها . فأرسل السعيد وهو في دمشق اليهم يستعطفهم ؛ فلم يلتفتوا الى استعطافه ، وأتموا السير . فركب الى مصر بحث السير ، فسبقهم اليها ، وصعد الى قلعة الجبل . فحاصره الخارجون عن طاعته ، وأخذت عساكره بالتفرق عنه ، والانضمام الى أعدائه . فلما رأى ضعف نفسه ، خلعه بشرط أن يعطى الكرك . فأجيب الى ذلك ، وأرسل من وقته اليها . فمات بها بعد مدة قليلة . وكان سنه حين تولى الملك ثماني عشرة سنة .

حرف العين

ال مدرسة (العادلية الكبرى)

- ٢٠ هي داخل دمشق ، شمالي الجامع الى الغرب ، وشرقي الخانقاه الشهابية ، وقبل الجاروخية بغرب ، وتجاه باب الظاهرية يفصل بينهما الطريق .

قلت : هي الآن معروفة . وأما ما كان بجوارها فقد قضي عليه بالاندراس ؛ وتناولته أيدي المختلسين ، فأما الخانقاه الشهابية ، فهي التي بابها مقابل للزقاق المسمى قديما بزقاق اللاقية ، وهو الذي يتوصل منه الى سوق العسرونية . والباب باق على حاله ،

والخاتناه أصبحت بيوتا للسكنى ! وأما الجاروخية فهي الآن دور ولا رسم للمدرسة ولا تطل !

وحتى عماد الدين الكاتب سبب بنائها فقال : وفي سنة ثمان وستين وخمسمائة ، وصل الفقيه الامام الكبير قطب الدين النيسابوري ، وهو فقيه عصره ونسيج وحده ؛ فسر نور الدين به ، وأنزله بحلب بمدرسة باب العراق . ثم أطلقه الى دمشق ؛ فدرس بزاوية الجامع الغربية المعروفة بالشيخ نصر المقدسي وبالفزالية ؛ ونزل بمدرسة الجاروق . وشرع نور الدين في انشاء مدرسة كبيرة للشافعية لفضله ؛ وأدركه الأجل دون ادراك عملها لأجله .

قال أبو شامة في « الروضتين » : قلت : هي المدرسة العادلية الآن التي بناها بعده الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، أخو صلاح الدين ، وفيها تربته . وقد رأيت أنا ما كان بناه نور الدين ومن بعده منها ، وهو موضع المسجد والحرايب الآن . ثم لما بناها الملك العادل ، أزال تلك العمارة ، وبناها هذا البناء المتقن المحكم الذي لانظير له في بنيان المدارس . وبقي قطب الدين الى أن توفي في الأيام الناصرية في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة . وقد وقف كتبه على طلبة العلم ؛ وتقلت بعد بناء هذه المدرسة اليها ؛ فما فاتها ثمرته اذ فاتها مباشرته . انتهى . فعلم من كلامه أن المبتدئ بانشائها نور الدين ، وأن الذي أتمها وأتقن بناءها الملك العادل . وفي كلام القاضي ابن شداد ما يخالفه بعض المخالفة ، فانه قال : انشأها نور الدين محمود بن زنكي ، وتوفي قبل أن يتمها . ثم بنى بعضها الملك العادل سيف الدين ، ومات قبل اتمامها أيضا . فأتمها الملك المعظم ، وأوقف عليها الأوقاف التي منها الى الآن : جميع قرية الدريج ، وجميع قرية ركيس ، وثلاث قرية نبطا ، والباقي استولى عليه ، لتقادم العهد ، بعض أصحاب الشوكة بطريق ما من طرق الحيل . قال ابن شداد : ثم ان الملك المعظم دفن والده بها ، ونسبها اليه . وبمثل قول العماد ، قال الأسدي وابن كثير . ولا مانع من أن يكون العادل هو الذي بناها . ثم توفي ، وجاء بعده ابنه المعظم فأكمل ما تركه والده .

وقد نعت ابن بطوطة هذه المدرسة في « رحلته » فقال ، عند كلامه على مدارس الشافعية : وللشافعية بدمشق جملة من المدارس : أعظمها العادلية ، وبها يحكم قاضي القضاة . وتقابلها المدرسة الظاهرية ، وبها قبر الملك الظاهر ، وبها جلوس نواب القاضي . انتهى

- وأول من درس بها القاضي جمال الدين المصري . وكان درسا عظيما ؛ حضر عليه السلطان المعظم ، فجلس في الصدر عن شمال المدرس ، وجلس الجلال الحصري عن يمينه ، ثم انتظم الجمع من مثل ابن الصلاح ، والآمدي ، وابن سني الدولة ، وكثير من العلماء والأمراء والكبراء ، حتى امتلأ الايوان بالناس . وكانت هذه عادة الدروس الرسمية في تلك الأزمان . وكانت المناقشات والمناظرات تدور على أصولها ويشتد الخلاف بين الفرق . وقد بقيت بقية من تلك العادة الى زمننا هذا . ولكن صار التدريس اسما بلا جسم ، وجهلا بلا علم ، فلا مناقشات ولا مناظرات ، بل غاية أمر المدرس أن يستأجر من يؤلف له الدرس ، ثم يسرده ولا يفهم معنى ما يقول . وفي ترجمة ابن خلكان ، أنه قرأ « صحيح البخاري » في العادلية ؛ وكان يحضر كثير من العلماء منهم : جمال الدين ابن مالك ؛ فاذا وجدت جملة مشكلة من جهة الاعراب ، تكلم فيها وكتبها . حتى أكمل كتابه في « اعراب مشكل البخاري » ، وهو كتاب عظيم الفائدة .
- ٥
- ١٠

- وحكى ابن كثير في « تاريخه » أن العادلية خربت سنة أربع وسبعمائة . ويظهر من كلامه أنها كانت قبلها معطلة . ولم يكن أحد يحكم بها بعد واقعة قازان حيث أنه خربها . ثم في التاريخ المذكور : جددت عمارتها ، فعادت لها أيامها ، ثم انحطت عقب وقائع تيمورلنك ، فخلت من المدرسين ، وتناولتها أيدي المختلسين ، كما أشار اليه ابن قاضي شعبة فانه يقول : ومن وقائع تيمورلنك الى زمنه ، يعني سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ، لم يدرس بها أحد . انتهى . وكان جملة من درس بها من قبل تسعة عشر مدرسا . وأنشأ الواقف بها مشيخة اقراء ونحو ؛ وليها جماعات من الفضلاء . ثم تفهقرت أحوالها الى ما بعد الألف ؛ فتولاها بعض المدرسين . ثم اشتهر الشيخ شهاب الدين أحمد المنيني بالعلم والفضل ، فدرس بالسميساطية ، وجعل سكنه بها . وبسبب كثرة مخالطته للكبراء وأرباب المناصب ؛ توجه عليه تدريس العادلية الكبرى ، وتولية السمساطية والعمرية . فانتقل الى العادلية ، ولم يزل بها الى أن توفي سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف . فاستولى أولاده على المدارس الثلاثة المذكورة . ثم انتقلت الى أولادهم ، الى زمن محمد أفندي المنيني مفتي دمشق . فاستولى عليهما ، واتخذ العادلية بيتا للسكنى ، وجعل مسجدها اسطبلا للدواب ، وتصرف فيها وفي أوقاف المدارس الثلاثة كيفما شاء وشاء له الهوى .
- ١٥
- ٢٠
- ٢٥
- ثم مات ؛ فأكمل الاستيلاء ولده توفيق أفندي . وبقيت الى الآن ، أعني الى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بعد الألف تحت سيطرته ونفوذه . وفي أيامنا ، جعل مسجدها

مُحْزَنًا لِبَيْعِ الْفَحْمِ ، وَاتَّخَذَ أَعْوَانَهُ ، مِمَّنْ يَعْيشُونَ مِنْ أَكْلِ أَمْوَالِ الْأَوْقَافِ ، سِلَاحًا لِلْمَدَافَعَةِ عَنْهَا لِيَعِينَهُمْ ، هُوَ وَشِيعَتُهُ ، عَلَى الْمَدَافَعَةِ عَمَّا اخْتَلَسُوهُ مِنَ الْأَوْقَافِ . « وَانْ رُبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ » آيَةُ ٨٩ / ١٤ . « وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ » آيَةُ ١٤ / ٤٢

ترجمة بانيها

قد علم مما تقدم أن باني المدرسة هو الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي (١) . ولد ببعلبك أيام ولاية أبيه عليها ، ونشأ في خدمة نور الدين مع أبيه . وكان أخوه صلاح الدين يستشيرهُ ، ويعتمد عليه وعلى رأيه وعقله ودهائه . ولم يكن أحد يتقدم عليه عنده . ولما تسلطن صلاح الدين ، استخلف أخاه العادل بمصر ثقة به واعتمادا عليه ، وعلمًا بما هو عليه من توفر العقل وحسن السيرة . فلما توفي صلاح الدين ؛ ملك دمشق ، وبقي مالكا لها . وفي سنة أربع عشرة وستمائة ، قام الافرنج لمُحَارَبَتِهِ ؛ فَقَصَدَ هُوَ مَرْجَ الصَّفَرِ . فلما سار الافرنج الى ديار مصر ، انتقل الى عالقين فأقام بها ، ومرض الى أن توفي سنة خمس عشرة وستمائة ، ودفن بتريته في مدرسة العادلية . وكان ، على ما حكاه في ترجمته ابن الأثير في « الكامل » ، عاقلا ذا رأي سديد ومكر شديد وخديعة ، صبورا حليما ذا أناة ، يسمع ما يكره ويفض عليه حتى كأنه لا يسمعه ، كثير الحرج وقت الحاجة ، لا يقف في شيء ، وإذا لم تكن حاجة ، فلا . وعاش خمسا وسبعين سنة وشهورا . وملك دمشق سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، ومصر سنة ست وتسعين . وكان قد قسم في حياته البلاد بين أولاده : فجعل بمصر الكامل محمدا ، وبدمشق والقدس وطبرية والأردن والكرك وغيرها من الحصون المجاورة لها ، ابنه المعظم عيسى ، وجعل بعض ديار الجزيرة وميافارقين وخلاط وأعمالها لابنه الملك الأشرف موسى ، وأعطى الرها لولده شهاب الدين غازي ، وأعطى قلعة جعير لولده الحافظ أرسلان شاه . فلما توفي ، ثبت كل منهم في مملكته ، واتفقوا اتفاقا حسنا ، ولم يجر بينهم من الاختلاف ما كان يجري بين أولاد الملوك بعد آبائهم . بل كانوا كالنفس الواحدة ، كل منهم يثق بالآخر ، ويحضر عنده منفردا من عسكره ولا يخافه . فلا جرم زاد ملكهم ، وراوا من نفاذ الحكم والأمر ما لم يره أبوهم . وستأتي زيادة على هذا عند الكلام على التربة العادلية ، وفي القسم السياسي من هذا الكتاب .

٥ الملك العادل
سيف الدين
٦١٥-٥٤٠

١٠

١٥

٢٠

٢٥

(١) كذا في الأصل وقد وردت « شاذي بالدال » في « أمراء دمشق في الاسلام » لصلاح الدين الصفدي .

المدرسة (العادلية الصغرى)

- هي داخل باب الفرع ، شرقي باب القلعة الشرقي ، قبلي الدماغية والعمادية . كذا عرفها في « تحفة الطالب » . وأما الآن فلا أثر للدماغية ولا للعمادية الا بعض جدران لم تقو الحوادث على مصادمتها . والمدرستان صارتا دورا للسكنى . والعادلية الآن في سوق العسرونية في جانبه الشمالي . ولم يبق بها الا حجرتان في مدخلها ، وبركة ماء في ساحتها ، وايوانان : اتخذ أحدهما للصلاة ، والثاني لاقراء الصغار القرآن . وأصل انشائها أن بابا خاتون بنت أسد الدين شيركوه كانت اشترت داراً وحماماً وقرية كامد ، وحصة من قرية برقوم من أعمال حلب ، وحصة من قرية بيت الدار . ثم وقفت ذلك جميعه على نفسها أيام حياتها ، ثم من بعدها على ابنة عمها زهرة خاتون بنت الملك العادل ؛ مشترطة عليها أن تكون الدار مدرسة ، ومدفناً ، ومواضع للسكنى ، وأن يكون للمدرسة مدرس ، ومعيد ، وامام ، ومؤذن ، وبواب ، وقيم ، وعشرون فقيها . ثم تصرف في كتاب وقفها في الجهات المذكورة ؛ فجعلت منها ما هو على مصالح المدرسة ومصارفها ، ومنها ما هو على أقاربها ومعتقيها ؛ وذلك في أوائل شهر رمضان سنة خمس وخمسين وستمائة . كذا قاله ابن قاضي شهاب . ثم ان زهرة أنشأت المدرسة على وفق شروط الواقفة ؛ فانظمت احوالها ، ثم نابها الزمان ، وأصابها من جور جارتها القلعة ما أصابها . ففي « مختصر تاريخ الاسلام للذهبي » انه في سنة تسع وتسعين وستمائة ٦٩٩ دخل التتار دمشق ، وشرعوا في المصادرة والفسق ، ونهبوا الصالحية ، وسبوا أهلها ، وتغير الخلق ووقع الحريق من صاحب سيس والكفرة ، فأحرقوا جامع العقبة وعدة أماكن ، وحاصروا القلعة ، وعملوا المنجنيق والنقوب ، فأحرق أهل القلعة دار السعادة ، وداري الحديث الأشرفية والنورية ، والعادلية ، وخربت تلك المحلة ، وبقي باب البريد اسطبلًا . فيه الزبل نحو ذراع . انتهى . وحاصل القول : ان العادليتين الآن قد استعملتا في غير ما وضعتا له . ودرس بالعادلية المذكورة شرف الدين ابن نعمة المقدسي ، ثم بعده نحو اثني عشر مدرساً ، آخرهم أحمد بن صالح العدوي الزهري البقاعي المتوفى سنة خمس وتسعين وسبعمائة .

ترجمة بانيها

٢٥

بابا خاتون بنت
أسد الدين

تقدم أن العادلية كانت داراً لرجل يقال له : عبدان الفلكي . فاشترتها بابا خاتون بنت أسد الدين شيركوه ، ثم أوقفتها مدرسة . ولم نظفر بترجمة لبابا المذكورة .

وأسد الدين هذا كان عما للسلطان صلاح الدين . وأستوزره السلطان نور الدين محمود ابن زنكي على مصر ، ولقبه بالملك المنصور أمير الجيوش . وأرسل اليه أمير المؤمنين العاضد منشور الوزارة وهو الذي استخدم القاضي الفاضل في الكتابة . وهناك العماد الكاتب بقصيدة طويلة أولها :

بالجد أدركت ما أدركت لا اللعب كم راحة جنيت من دوحة التعب

وهي طويلة رواها صاحب الروضتين . وتوفي أسد الدين فجأة سنة أربع وستين وخمسائة . وكانت وزارته شهرين وخمسة أيام . وفوض الأمر بعده في مصر الى ابن أخيه صلاح الدين .

المدرسة (العذراوية)

- ١٠ كانت بحارة الغرباء داخل باب النصر ، وفيها باب ينفذ اليها . وهي وقف على الشافعية والحنفية . كذا في « تحفة الطالب » .
- أقول : هذه المدرسة هي بالقرب من القجماسية ، غربي حمام الست عذرا ، في أوائل الزقاق المسمى بزقاق المبلط . وقد صارت الآن دارا ؛ ولم يبق من أثرها سوى قبر الواقفة . ومحل قبرها استعمل زاوية ، يجمع بها سكان الدار النساء في أيام معلومة . ويضربون هناك الطبول والمزاهر . ويزعمون أنها طريقة الحيا . وللقبر شباك ينفذ الى حمام الست عذرا . ولولا وجود القبر ، لما علمنا مكانها ولا اتضح لنا أثرها .
- ١٥

ترجمة الواقفة

هي الست عذراء بنت السلطان صلاح الدين يوسف . توفيت سنة ثلاث وتسعين وخمسائة ، ودفنت في مدرستها . وكانت تحب الخير وتدأب على فعله . ولأهل دمشق اعتقاد كبير ، حسب عادتهم ، في القبور وتعظيمها ونسبة الولاية لأصحابها . وأول من درس بمدرستها : الفخر بن عساكر ، ثم بعده ثمانية وعشرون مدرسا . ثم تقلبت بها الأحوال الى أن صارت دارا .

وقيل : ان الست عذراء هي بنت الأمير نور الدولة شاهنشاه بن نجم الدين أخي السلطان صلاح الدين والأول أصح والله أعلم .

الست عذراء
بنت صلاح الدين
٥٩٣-٥٠٠

٢٠

المدرسة (العزيزية)

- كانت شرقي التربة الصلاحية ، وغربي التربة الأشرفية ، وشمالى الفاضلية بالكلاسة ، لصيق الجامع الأموي . وقد أصبحت الآن مجهولة الأثر ، لا يعرف محلها ، ولا يدرى مقرها . وأول من أسسها : الملك الأفضل ؛ ثم أتمها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين ، ونقل والده الى قبة في جوارها . قال العماد الكاتب في رسالته التي سماها « عتبى الزمان » : كان السلطان صلاح الدين لما توفي بالقلعة في منزله ؛ جعل ولده الأفضل يتروى في موضع ينقله اليه . واستشار في ذلك ؛ فأشير عليه في سنة تسعين بأن يبني تربته عند مسجد القدم ، ويبني عندها مدرسة للشافعية . وقالوا : اذا وصل الملك العزيز ، استغنى بزيارتها عن الدخول الى دمشق لأجلها . وقالوا : ان السلطان لما مرض سنة احدى وثمانين بحران ، كان قد أوصى ان يدفن بدمشق قبلي ميدان الحصى ، ويكون قبره على النهج السائل وطريق القوافل ؛ ليدعو له الوارد والصادر ، والبادي والحاضر ، وتجاوز عليه في الغزوات العساكر . قالوا : وان تناءت الأرض عن مكان الوصية ، فهي منه قريبة . فأمر الأفضل ببناء التربة عند مسجد القدم . قال : فاتفق وصول العزيز تلك السنة للحصار ؛ وهم قد شرعوا في عمارتها ؛ فخرّب ما كان قد ارتفع من البناء . ثم استقروا الأفضل حدود الجامع ليجعل التربة فيها . فوفق لدار كانت لبعض الصالحين . فاشتراها منه ، وأمر بعمارتها قبة ، فعمرت ونقل اليها السلطان يوم عاشوراء من سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة . ويقال : انه دفن معه سيفه الذي كان معه في الجهاد ؛ وكان ذلك برأي القاضي الفاضل . وقال في « العبر » : وكان للأمير أسامة دار بجانب تربة صلاح الدين ، فأمر الملك العزيز القاضي محي الدين ابن الزكي أن يبنّيها له مدرسة ، ففعل . وفي « الروضتين » : أن العزيز أوقف عليها قرية عظيمة يقال لها : محجة . وأسامة هذا هو ابن مرشد بن علي بن منقذ ، أحد الأمراء والشعراء المشهورين . كانت داره معقلا للفضلاء ، ومنزلا للعلماء . وهو ذو فضل كثير ، وعلم غزير . كان من أبناء ملوك شيزر . وأقام بمصر أيام الفاطميين ؛ ثم دخل دمشق ، فاحتفل به صلاح الدين ، وفضله على سائر الدواوين . وكان في أيام شبابه شهما شجاعا فاتكا ، توفي سنة أربع وثمانين وخمسمائة وسنه ست وتسعون .

أسامة بن منقذ (١)

٤٨٨-٤٨٤

٢٥

(١) أثبتته المؤلف على الخاشية فأوردناه للأمانة العلمية .

ترجمة واقفها

الملك العزيز
ابن صلاح الدين
٥٩٥-٥٦٧

هو أبو الفتح عثمان ابن السلطان صلاح الدين . توفي سنة خمس وتسعين وخمسمائة
بداره بالقاهرة . ولما مات والده ، كان نصيبه القاهرة ؛ فملكها خمس سنين وعشرة
أشهر . قال موفق الدين عبد اللطيف البغدادي : كان الملك العزيز شابا حسن الصورة ،
ظريف السمائل ، قويا ذا بطش زائد وخفة حركة ، حياء كريما ، عفيفا عن الأموال
والفروج . ١٠ هـ . وفي « العبر » أن العزيز لما كان سلطانا على مصر ، نازعته نفسه بامتلاك
دمشق من أخيه الأفضل فسار سنة تسعين وستمائة ، فنزل بنواحي ميدان الحصى .
فأرسل الأفضل الى عمه العادل ، صاحب الديار الجزرية ، يستنجد به ؛ وكان يثق به ،
ويعتمد عليه . فسار العادل الى دمشق ، ومعه كل من أصحاب حلب وحماء وحمص
والموصل ، علما منهم أن العزيز ان ملك دمشق أخذ بلادهم . فلما رأى العزيز اجتماعهم ،
علم أنه لا قدرة له على البلد . فترددت الرسل حينئذ بالصلح ؛ فاستقر الأمر على أن
يكون البيت المقدس وما جاوره من أعمال فلسطين للعزيز ، وتبقى دمشق وطبرية
وأعمالها الغور للأفضل ، على ما كانت عليه ، وأن يعطي الأفضل أخاه الملك الظاهر جبلة
ولاذقية ، وأن يكون للعادل بمصر اقطاعه الأول . واتفقوا على ذلك ؛ وعاد كل الى مقره .
ثم حاصر دمشق مرة ثانية في سنة احدى وتسعين ؛ وعاد عنها منهزما ، لما ذكرناه في
القسم السياسي . ولما مات العزيز ، أقيم ولده على مقامه ولقب بالمنصور . فاختلف
الأمراء عليه ، ولم تنتظم أحواله ، وكان من أمره ما كان ، حتى ملك العادل البلاد .

والمدرسة العزيزية كانت ذات شهرة وافرة ؛ درس بها القاضي محي الدين ابن الزكي ،
ثم ولده ، ثم أخوه ، ثم من بعدهم اثنا عشر مدرسا منهم : عبد الصمد بن محمد الشهر
بابن الحرستاني ، وقد كان العز بن عبد السلام يرجحه على الفخر ابن عساكر . ومنهم :
شيخ المتكلمين في زمنه سيف الدين علي الآمدي ، درس بالعزيزية مدة بتولية من
الملك المعظم ، ولما ولي أخوه الأشرف موسى ؛ عزله عن التدريس لأنه اتهمه بالفلسفة ،
وبالاشتغال بعلوم الأوائل . ونادى الأشرف في المدارس قائلا : من ذكر غير التفسير
والفقه ، او تعرض لكلام الفلاسفة ، نفيته ! فأقام الآمدي خامدا خاملا في بيته ، الى أن
توفي سنة احدى وثلاثين وستمائة . ٢٥

وقال الذهبي : اقرا الآمدي بمصر مدة فنسبوه الى دين الأوائل ، وكتبوا محضرا

بأباحة دمه ؛ فهرب وسكن حماة ثم دمشق . ولم يكن له نظير في الأصلين والكلام والمنطق . انتهى

وهذه عادة الدهر مع الأفاضل . على أن الأمدي كان من حقه أن يفتخر زمنه به ، ويباهي به الأزمان التي بعده . ومن تأمل مؤلفاته ، وما انطوت عليه من التحقيقات ؛ أذعن لذلك ، والله في خلقه شؤون .

المدرسة (العسرونية)

داخل بابي الفرج والنصر ، شرقي القلعة ، وغربي الجامع ، بمحلة حجر الذهب عند سوقة باب البريد . كذا في « التحفة » وغيرها .

أقول : هي الآن سوقة العسرونية ، في الجانب القبلي منها ، وهي مشهورة ، والسوقة مسماة باسمها . وقد تناولتها أيدي المختلسين حيناً من الدهر ؛ ثم قبض الله لها من استخلص بعضها منها ، وجعله جامعا . وليس بها الآن سوى بركة ماء في ساحتها ، وإيوان للصلاة في الجانب القبلي . والمدرسة ينزل إليها بدرج . وباقيا قد صارت حوانيت للبيع والشراء .

قال ابن كثير : هي مقابل دار الباني ، بينهما عرض الطريق . وقد صارت داره الآن قيسارية العمارة للغير ، والأرض لذريته لا للمدرسة . وبقي إلى الآن آثار عمارته خرابا . انتهى

قلت : أما القيسارية فهي الآن خان للدواب . ومن وقف المدرسة : عشرة قراريط ونصف قيراط من قرية هريرة . ومنه بعلبك مزرعتان معروفتان بدير النيط ، وقدرهما نحو عشرة قراريط ، شركة الخانقاه السمساطية . ومنه : مزرعة تعرف بالجلدية ، نحو أربعة عشر قيراطا ، كان أهل الجعيدية يزرعونها . ومنه : قيراط ونصف وربع قيراط من قرية حمار بالمرج . ومنه : بالتبئية خارج باب الجابية بدمشق بستان يعرف بالسنبوسكي . وشرط الواقف أن لا يزيد فقهاؤها على عشرين فقيها ممن الشافعية وغيرهم ، وأن التدريس لذريته ، ويستتاب عمن لم يكن أهلا له ، وأن يدرس بها ممن تصانيفه ، فإن تعذرت يكون التدريس في الخلاف . وجعل لأرباب الوظائف قدرا معلوما من القراطيس . قال في « التنبيه » : كذا أخبرني من رأى كتاب الوقف من ذرية الواقف .

درس بها ولداه : نجم الدين ، وهجي الدين ، وجماعات من الذرية . قال العلموي :
وكأنه ، والله أعلم ، لما انقطعت الذرية من العلم ؛ تخلل بينهم في التدريس من ليس من
الذرية ، كأحمد بن نصر الله ، وشمس الدين بن غانم ، وجمال الدين القلانسي ، فولده
أمين الدين ، وأمثال من يأكلون حراما . وقد كان ذلك سائغا لو تعذرت الذرية . انتهى

ترجمة الواقف

هو عبد الله بن محمد بن هبة الله بن علي بن المطهر بن أبي عصرون بن أبي السري
التميمي الموصلني نزيل دمشق .

شرف الدين ابن
أبي عصرون
٥٨٥-٤٩٢

قال الذهبي : كان أحد الأعلام ، وكان من الصلحاء ، والعلماء العاملين . ولد بالموصل
سنة اثنتين أو ثلاث وتسعين وأربعمائة .

وقال ابن السبكي في « الطبقات الوسطى » : كان من أفقه أهل عصره ، واليه المنتهى
في الفتاوى والأحكام . تفقه على أبي محمد عبد الله ابن أبي القاسم الشهرزوري ،
والقاضي أبي علي الفارقي ، وأسعد الميهني ، وغيرهم ، وقرأ الأصول على ابن برهان ، وتفقه
عليه خلق كثير ، وتوفي في شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسمائة .

١٠

وقال الأسدي : قرأ بالسبع وبالعشر ، وتوجه إلى واسط ، فتفقه بها واشتغل بالنحو ،
ورجع إلى بلده بعلم كثير ؛ وأخذ يدرس به . ثم أقام بسنجار وولي قضاءها ، وقضاء
نصيبين وحران وغيرهما .

١٥

قال السبكي : ودخل حلب ، فأقبل عليه ملكها نور الدين . فلما انتقل إلى دمشق
سنة تسع وأربعين ؛ صحبه معه ، وولاه تدريس العادلية . ثم انتقل إلى حلب ، وولي
القضاء بسنجار وحران وديار ربيعة . ثم عاد إلى دمشق في سنة سبعين أيام صلاح
الدين ؛ فولاه قضاء دمشق ، واستمر فيه إلى سنة سبع وسبعين ، فأضر . فولى صلاح
الدين قضاء دمشق لولده محي الدين .

٢٠

قال الشيخ موفق الدين ابن قدامة : كان ابن أبي عصرون إمام أصحاب الشافعي في
عصره . وقد بنى له نور الدين مدرسة بحلب ، ومدرسة بحمص ، ومدرسة ببعلبك .
وقد بنى هو لنفسه مدرسة بدمشق ، ودفن بها .

قال ابن الصلاح : توفي وقد بلغ ثلاثا وتسعين سنة . انتهى

وقد صنف كتباً جمة منها : « صفوة المذهب من نهاية المطلب » في سبع مجلدات ، و « الانتصار » في أربع مجلدات ، و « المرشد » في مجلدين ، و « الذريعة في معرفة الشريعة » ، و « التبيين في الخلاف » في أربعة أجزاء ، و « مأخذ النظر » ، و « مختصر في الفرائض » ، و « الارشاد في نصرة المذهب » لم يتم ، وذهب فيما نهب له بحلب ، و « التنبيه في معرفة الأحكام » ، و « فوائد المنذري » في مجلدين . وجمع جزءاً في « جواز قضاء الأعمى » . وقد أورد له العماد الكاتب أشعاراً كثيرة منها :

أأمل أن أحيا وفي كل ساعة تمر بي الموتى تهز نعوشها !
وهل أنا إلا مثلهم غير أن لي بقايا ليال في الزمان أعيشها ؟

ومما ينتظم في سلك هذه الترجمة ؛ ما حكاه في « الروضتين » عن الدولعي ، قال : لما مات الحافظ المرادي كنا ، جماعة الفقهاء ، قسمين : العرب والأكراد . فمننا من مال إلى المذهب ، وأراد أن يستدعي الشيخ شرف الدين ابن أبي عصرون وكان بالموصل . ومننا من مال إلى علم النظر والخلاف ، وأراد أن يستدعي القطب النيسابوري . وكان قد جاء وزار بيت المقدس ، ثم عاد إلى بلاد العجم . فوقع بيننا كلام بسبب ذلك ، ووقعت فتنة بين الفقهاء . فسمع نور الدين بذلك ؛ فاستدعى جماعة الفقهاء إلى القلعة بحلب . وخرج إليهم مجد الدين ابن الداية عن لسانه ، وقال لهم : نحن ما أردنا ببناء المدارس ١٥ إلا نشر العلم ، ودحض البدع من هذه البلدة ، وأظهر الدين . وهذا الذي جرى بينكم لا يحسن ولا يليق . وقد قال المولى نور الدين : نحن نرضي الطائفتين ، ونستدعي ابن أبي عصرون والنيسابوري . فاستدعاهما جميعاً ، وولاهما مدرستين . فرحمه الله من عادل حليم .

٢٠ المدرسة (العمادية)

داخل بابي الفرج والفراديس ، لصيق المدرسة الدماغية من جهة القبلة . كذا كان تعريفها . وقد اندرست معالمها ، واختفى أثرها ، وتنوسي ذكرها ، وصارت دوراً للسكنى . واختلف في بانيها ؛ فقال ابن شداد : بناها عماد الدين اسماعيل بن نور الدين ، وأوقف عليها الأوقاف السلطان صلاح الدين . انتهى . ورده النعيمي فقال : إنما الذي بناها نور الدين محمود بن زنكي لأجل خطيب دمشق أبو البركات الخضر بن شبل ٢٥

الحارثي . وقال الذهبي في ترجمة الحارثي : درس بالغزالية ، والمجاهدية ، وبنى له نور الدين محمود مدرسته التي عند باب الفرج فدرس بها ، وهي الآن تعرف بالعمادية . وقال أبو شامة في « الروضتين » في حوادث سنة اثنتين وستين وخمسمائة : وفي شعبان من هذه السنة قدم دمشق عماد الدين الكاتب أبو حامد محمد بن محمد الأصفهاني مصنف كتابي « الفتح » و « البرق » . فأنزله كمال الدين أبو الفضل محمد ابن عبد الله بن القاسم بن الشهرزوري بالمدرسة النورية الشافعية عند حمام القصير بباب الفرج ، المنسوبة الآن الى العماد . وانما نسبت اليه ؛ لأن نور الدين رحمه الله ولاه اياها في رجب سنة سبع وستين ، بعد الشيخ الفقيه ابن عبد . وقال الذهبي قريبا من هذا . وهذا يصحح أن المدرسة بناء نور الدين . ودرس بها جماعة منهم : الحارثي ، وولده : عز الدين ، وتاج الدين ، وعماد الدين الكاتب ، وغيرهم الى أن غدت تنشد قول العماد :

عماد الدين الكاتب

٥ ٥٩٧-٥٩٩

يوم النوى ليس من عمري بمحسوب ولا الفراق الى عيشي بمنسوب
ما اخترت بعدك لكن الزمان أتى كرها بما ليس يا محبوب محبوبي

وحكى النعمي أنه وقف على قائمة بخط تقي الدين ابن قاضي شهبة تتضمن محاسبة أوقاف العمادية ، مؤرخة في سنة خمس وستين وثمانمائة . والقائمة ذكرها بتمامها . وبها من الأوقاف : حانوت بجوار المدرسة ، وعلوه طبقة ، ومحاكرة المزرعة المعروفة بالعمادية بقصر اللباد بالقرب من حارة السليمان ، ومحاكرة نصف المزرعة بالوادي التحتاني وتعرف بالدماغية ، ومحاكرة الجنينة ، ومحاكرة كل من ثلاثة من الديار ، ومحاكرة حوانيت قد ذكر أسماء أصحابها ، وليس الآن لذكرهم فائدة لتغير الاسماء والمسميات . ويظهر من القائمة أنه كان بها يومئذ عشرة من الفقهاء يتناولون معلومهم ، وانها كانت عامرة ، ولها مدرس ، وامام ، وبواب ، وقيم ، فسبحان الباقي !

١٥

٢٠

حرف الفين

المدرسة (الغزالية)

هي زاوية بالجامع الاموي ، شمالي مشهد عثمان . وكانت قبل ذلك تعرف بالشيخ نصر المقدسي . وانما نسبت الى الغزالي لانه لما دخل دمشق ، قصد الخانقاه السيمساطية

٢٥

ليسكنها ؛ فمنعه الصوفية الذين كانوا بها يومئذ من الدخول لعدم معرفتهم به . فعدل عنها ، وأقام بهذه الزاوية بالجامع . وبعد يسير من استقراره بها ، عرف مقامه ومنزلته ، وعلم مكانه . فحضر الصوفية بأسرهم اليه ، وأخذوا في الاعتذار عما بدر منهم ، وسألوه النزول بالسميساطية ، فأجابهم لطلبهم ، فعرفت الزاوية به . أخبر بذلك ابن شداد عند كلامه على الزوايا التي هي بالجامع .

٥

قال ابن كثير : هذه الزاوية يقال لها : الغزالية ، وتعرف بزاوية الدولعي ، وبزاوية القطب النيسابوري ، وبزاوية الشيخ نصر . وكان نصر يدرس بها احتسابا ؛ ولم يكن لها وقف . فلما درس بها الغزالي ؛ وقف عليها السلطان صلاح الدين قرية خرم باللوى من حوران ، وجعل ريعها على من يشتغل بها بعلم الشريعة ، أو بعلم ما يحتاج اليه الفقيه والحضر ، لسماع الدروس بتلك الزاوية ، وعلى من هو مدرسه بهذا الموضع من أصحاب الامام الشافعي . ١٠ وجعل النظر لقطب الدين النيسابوري ، وكان ذلك سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة . وقد درس بها جماعة منهم : الشيخ نصري المقدسي ، والغزالي ، وابن خطيب الجامع ، والدولعي ، وأخوه ، والاسعدي ، وعماد الدين شيخ الشيوخ ، والعز بن عبد السلام ، ثم بعدهم عشرون مدرسا منهم : الايكي ، ومحمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران في سنة ثلاثين وسبعمائة . ثم تغيرت أحوالها . قال الاسدي : ومن تيمورلنك الى الآن ، يعني ١٥ الى زمنه ، لم يدرس بها أحد . قلت : وفي زمننا فقدان التدريس بها من باب أولى !

حرف الفاء

المدرسة (الفارسية)

هي والتربة بها ، غربي الجوزية الحنبلية ، تجاه الخارج من باب الزيادة ، وهو الباب القبلي للجامع . والجوزية في زمننا محكمة . ٢٠

وأقول : وقفت على آثارها فلم أر شيئا من المدرسة . وهناك جامع صغير ، مقابل نهاية سوق السلاح ، وبه قبران ؛ وأظنه هو التربة المذكورة . وبجانبه من الغرب ، زقاق له باب قديم ، والظاهر والله أعلم أن المدرسة كانت هناك ؛ ثم تناولتها يد المختلسين فجعلتها دورا ، وأعانت الدهر على محو الاثر !

ترجمة واقفها

سيف الدين فارس

هو سيف الدين فارس الدوادار التنمي ، واقف التنمية بميدان الحصى ، وواقف تربة صحنايا وغيرها . وقد أوقف هذه المدرسة سنة ثمان وثمانمائة على مدرسين ، وعلى عشرة من الفقهاء ، وعشرة من القراء ، وعلى خمسة عشر يتيما ، بشرط أنه إذا حفظ أحدهم القرآن يخرج ويقرر غيره ، وعلى تفرقة زنة ربع قنطار من الخبز في كل جمعة . وجعل مقرئين آخرين أيضا غير العشرة الاول يحضران عقيب الظهر والعصر .

قال ابن حجي السعدي : أوقف عليها حوانيت الى جانبها ، وجعلها وقفا على امام وغيره . ثم اشترى قرية صحنايا في سنة ثمان وثمانمائة باذن السلطان . وأوقفه على جهات بها ؛ فوقفه على شيخين مدرسين للعلم ، على أن يقرأ الطلبة عليهما أنواع العلوم من أهل المذاهب الاربعة . وجعل لكل شيخ في الشهر ثمانين درهما ، وللطلبة خمسة وأربعين ، وجعل عددهم عشرة . وكذلك المقرئة ، وجعل لكل منهم خمسة عشر درهما .

قال ابن حجي : وتمادى الامر الى هذا الوقت ؛ فعين من الجماعة شمس الدين الكفيري ، ونور الدين ابن قاضي ازروعات ، وتقي الدين ابن قاضي شهبة وآخرون . قال : وبلغني انه جعل لكل يتيم خمسة عشر درهما في كل موسم وعيد ، عدا عما لهم في الشهر .

وقال الأسدي : درس في هذه المدرسة ابن حجي والطيماني سنة احدى عشرة . قال : وفي الوقف شروط للحرمين ، والفاضل بعد ذلك لذريته .

قال في « تنبيه الطالب » : ومن وقفها ، كما أخبرني به جمال الدين العدوي بوابها : ربع قرية فزارة من أعمال الجولان ، والعشر من قرية بالين بالبقاع ، وربع سوق السلاح شركة المدرسة الامينية، وبيت ابن مزلق . ومن مدرسيها : جمال الدين المصري ، ثم ولده ، ثم ابن قاضي شهبة ، ثم ولده ، ثم تقي الدين ابن قاضي عجلون . ثم بدأ أمرها بالتقهقر ، الى أن اختلست هي وأوقافها ، أسوة بغيرها من المدارس .

المدرسة (الفتحية)

لم يذكر النعيمي مكانها . وقال العلموي : هي مجهولة المكان . قال النعيمي : أنشأها

المالك الغالب
فتح الدين

فتح الدين صاحب ماردین^(١)، وبها قبر الواقف . ووقفها بالديار المصرية . وجعل نظر التدريس الى القاضي عماد الدين الحرستاني ؛ فدرس بها هو ، ثم ولده محي الدين ، ثم أخذت منه في سنة تسع وستين وستمائة ، وأعطيت لمحمد بن عبد القادر الانصاري . قال ابن شداد : درس بها الباجريقي ، ثم الحسباني . انتهى . ثم جماعات لم يحصر التاريخ أسماءهم . قلت : وقوله : ماردین ، كذا في نسخة العلموي . والذي في « التحفة » :
بارین^(٢) . وللواقف مدرسة ثانية ستأتي في مدارس الحنفية ، ويأتي ذكر ترجمته هناك .

المدرسة (الفخرية)

كانت بين السوريين من ثمن^(٣) العمارة بدمشق ، ولم يبق لها الآن من أثر .
قال ابن حجي في «تاريخه» : تكامل بناء الفخرية في سنة احدى وعشرين وثمانمائة ، وقررت فيها الصوفية ، وفوضت مشيختها للشيخ شمس الدين البرماوي شارح «البخاري» ، ودرس الحنفية للقاضي الديري ، والمالكية للقاضي جمال الدين المالكي ، والحنابلة للقاضي عز الدين البغدادی ، ثم المقدسي وتولى معها تدريس المؤيدية . انتهى .
فظهر من كلامه أن التدريس في المدرسة كان عاما ، لم يختص بمذهب من المذاهب كما كان يفعله أهل القرن الخامس وما بعده ، وأن البرماوي كان شيخ الشافعية بها .
ثم قال ابن حجي : ولما فتحت أبواب المدرسة للقراءة ، بعد أن تم بناؤها ، لم يستطع بانيتها فخر الدين الحضور عند المدرسين لشدة مرضه اذ ذاك ، وتمادى به الأمر في المرض الى أن مات في السنة المذكورة ، ودفن فيها في فسقية اتخذت له بعد موته .

المدرسة (الفلكية)

هي غربي المدرسة الركنية الجوانية، بحارة الافتريس ، داخل بابي الفرج والفراديس ٣٠

(١) كذا في الاصل وذكرها النعيمي في « الدارس » : « بارین » .
(٢) وكذلك ذكرها ابن شداد في « الاعلاق الخطيرة » : « بارین » .
(٣) تقدم شرحه .

كذا في «التنبية» . وقال العلموي : قلت : هي بالزقاق الساكن به القاضي اكمل الدين
ابن مفلح . واستفدت اسم الحارة الآن . ١٠ هـ

٥ أقول : أحالنا على شيء لم يكن معروفا الا في زمنه . وأما الآن فقد اندرست الركنية،
والفلكية وتلتهما الفخرية . ولم يرض الزمان أن يعطيها أما نا من أيدي المختلسين . وقد
ولي تدريسها : ابن سناء الدولة ، ثم ابن قاضي شهبه ، ثم ولده صدر الدين ، ثم جماعة
آخرون . قال ابن شداد : ووقفها قرية الجمان بكمالها .

ترجمة واقفها

هو شرف الدين (١) أبو منصور سليمان بن شرف بن جلدك أخو الملك العادل لأمه .
قال أبو شامة : واليه تنسب المدرسة الفلكية بنواحي باب الفراديس ، وبها قبره . انتهى
١٠ توفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة . وكان مقدم العسكر في الدولة الصلاحية .
وفي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وصل عسكر من مصر الى البلاد الشامية يقدمهم
فلك الدين ، ومعهم قفل (٢) وعدة من الأمراء . فأسرى الفرنجة اليهم؛ فواقعوهم بنواحي
الخليل ، فانهزم الجند ، ولم يقتل منهم أحد من المشهورين ، وإنما قتل بعض الغلمان،
وغنم الافرنج خيامهم وآلاتهم .

فلك الدين سليمان
٥٩٩-٠٠٠

حرف القاف

١٥

المدرسة (القليجية)

كانت داخل باب شرقي وباب توما ، شرقي المسمارية ، وغربي المحراب والتربة ،
وكذا شرقيها . كانت مبنية بحجر مزي منحوت . قال في « تنبيه الطالب » : قد
طمست ! كذا ظهر لي أنها هي . وقال العلموي : هي بموضع يعرف بقصر الحديد ، وهي
عندي مجهولة . ٢٠

(١) كذا في الاصل وفي « الدارس » : « فلك الدين » . ونرجح أنه الصواب .

(٢) اسم جمع بمعنى القافلة .

قلت: ولئن كانت مجهولة في عصر التسعمائة ، فلأن تكون الآن مجهولة من باب أولى . والذي يظهر من « الوافي بالوفيات » أنها كانت للشافعية . درس بها : زكي الدين ابن الكتبي ، ومحمد بن علي الشهير بابن غانم ، وثمانية مدرسين سواهما . هذا غاية ما اتصل بي من أخبارها .

ترجمة بانيتها

مجاهد الدين
ابن قليج

قال ابن شداد : المدرسة القليجية والمجاهدية ، بناهما مجاهد الدين بن قليج محمد ابن شمس الدين محمود (١) .

المدرسة (القواسية)

- قد خفي علي مكانها ، وصعب علي مشاهدة أثرها بعد الفحص الشديد ، لأن الزمان اغتالها ، وأخنى عليها ، فدرس أطلالها بيد مختلصي الجوامع والمدارس والأوقاف !
- وقد قال في « تنبيه الطالب » : هي بالعقيبة الصقرى بحارة السليمانى ، بالقرب من مسجد الزيتونة ظاهر دمشق ، خارج باب الفراديس . ا.هـ
- وأقول :** ان الجامع المذكور بجانب محكمة العونية الشرقي ، يفصل بينهما الطريق . ولقد تأملت هناك فلم أجد لها أثرا ، سوى حجارة كبيرة في بعض الجدران . وعلى كل فقد صارت دورا !

ترجمة بانيتها

عز الدين ابن
القواس
٧٣٣-٠٠٠

أنشأها الأمير عز الدين ابراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد القواس . وكان مباشرا للسر في بعض الجهات السلطانية ، وله دار حسنة بالعقيبة الصقرى . فلما حضرته الوفاة ، أوصى بأن تجعل تلك الدار مدرسة ، ووقف عليها أوقافا كثيرة الريع

(١) بعد هذا الكلام في الاصل بياض قدره خمسة أسطر .

والحاصل ، وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، ودفن بسفح قاسيون . وأول من
تولى تدريسها بإذن من الواقف : العماد الكردي ، وبعده البهاء ابن امام المشهد ، ثم ستة
مدرسين ، آخرهم محي الدين الناصري .

(القوصية)

٥ تقدم الكلام عليها في دور الحديث . وليست مدرسة ، وانما هي حلقة بالجامع
الأموي . قال ابن شداد : لم يعلم لها واقف . وقال جماعة : ان واقفها مدرستها ، يعني
الآتي ذكره . وقيل : واقفها رجل يقال له : جمال الاسلام ، وهو أحد الأمراء . وعينها
النعمي بأنها تجاه البرادة .

قلت : وقد تغيرت الأطلال ، وانطمست الآثار . ويؤخذ من كلام العلموي أنها كانت
١٥ شرقي المقصورة ، بالقرب من الضريح . قلت : ولا مقصورة الآن أيضا . وبالجمله فهي حلقة
تدريس . درس بها : القوصي ، ثم العز الأربلي ، ثم تسعة أنفس ، آخرهم الكمال بن حمزة .

ترجمة واقفها

على القول بأن مدرستها واقفها ، نقول : هو اسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن
ابن المرجان المرحل الأنصاري الخزرجي ، وكيل بيت المال بالشام . ولد بقوص سنة أربع
وسبعين وخمسماية . ورحل الى القاهرة ، ثم استوطن دمشق . ١٥

شهاب الدين
القوصي
٦٥٣-٥٧٤

قال الذهبي : كان فقيها فاضلا ، مدرسا اخباريا ، حافظا للأشعار ، فصيحاً مفوها ،
بصيرا بالفقه . روى الكثير ، وخرج لنفسه معجما في أربع مجلدات ، ولم يقصر فيه ،
ويقال : ان فيه غلطا كثيرا ، واوهاما عجيبة . وتوفي سنة ثلاث وخمسين وستماية ،
ودفن في داره التي جعلها دار حديث ، بالقرب من الرحبة ، داخل باب شرقي والله أعلم .

المدرسة (القيصرية الكبرى)

٢٠

عرفها النعمي بأنها بالحريميين ، وابن كثير بأنها عند مؤذنة فيروز . وبعد الفحص
الشديد ، لم أتأكد مكانها ، ولا عرفت الحريميين . ثم فتشت عن المؤذنة المذكورة فلم

- أعرفها . لكن رأيت في « ثمار المقاصد » لابن عبد الهادي ، وفي « تنبيه الطالب » للنعمي ، عند الكلام على المساجد التي هي شمالي البلد الى جهة الشرق ، ما لفظه : مسجد فيروز في المقابر ، كان يصلى فيه على الجنائز فخرب ، ثم جدته امرأة الحاجب فيروز . له بركة ومنارة ، وعلى بابه قناة . انتهى . فلم يزدنا التعريف الا جهالة . وفي دمشق الآن محلة كبيرة يقال لها : القيمرية . والظاهر انها نسبة الى المدرسة المذكورة .
- و كثيرا ما يحصل ذلك ، كقولهم : العسرونية ، والخضرية ، وكل منهما نسبة الى مدرستيها واذا كان كذلك ، فالمدرسة في تلك المحلة . وقد ذكر لي أحد المتقدمين في السن من سكان القيمرية أن الجامع الذي في محلة الحمام الذي يقال له : حمام البكري ، يقال له : جامع فيروز . وكان بالقرب منه مدرسة قد تهدمت ؛ فباعها ناظرها الى النصاري ، فجعلوها كنيسة ومدرسة لهم . فيمكن أن تكون هي القيمرية . وفي أول القيمرية من الجانب الغربي ، مدرسة كبيرة تسميها العامة بالمدرسة العتيقة وبمدرسة القطاط . وهي مشهورة ، وبنائها متين ، ولها ساحة كبيرة بها بركة ماء كبيرة أيضا . وفي الجانبين الشرقي والغربي حجرات متعددة . وهي عظيمة الأثر . وهذه هي القيمرية الكبرى بيقين ، وما قبله احتمال لا يعول عليه .

١٥

ترجمة بانيها

ناصر الدين
القيصري
٦٦٥-٠٠٠

قال في « التنبيه » : أنشأها الأمير ناصر بن الحسين بن علي القيصري ؛ وأوقفها على القاضي شمس الدين السهروردي . مات سنة خمس وستين وستمائة .

- وقال ابن كثير : ان واقف القيمرية الأمير الكبير ناصر الدين أبو المعالي الحسين ابن عبد العزيز ابن أبي الفوارس القيصري الكردي . كان من أعظم الأمراء مكانة عند الملوك ، وهو الذي سلم الشام الى الملك الناصر صاحب حلب حين قتل ثوران شاه ابن الصالح أيوب بمصر . وهو واقف المدرسة القيمرية عند مئذنة فيروز . وعمل على بابها الساعات التي لم يسبق الى مثلها ، ولا عمل على شكلها . ويقال : انه غرم عليها أربعين ألف درهم . ١ هـ

ولا خلاف فيما بين ابن كثير والنعمي . فان النعمي نسبه الى جده ، وابن كثير الى أبيه .

٢٥

وُترجمه الصّلاح الصفّدي فُقَال : كان من أعظم النّاس وجاهةً وأقطاعاً ، وكان بطلاً
شجاعاً . أقطعه الملك الظاهر اقطاعاً حميدة ، وجعله مقدّم العساكر بالساحل . وكان
يضاهي الملوك في مركبه ، ومحمّله ، وغلمانّه وحاشيته . ا.هـ . ولما أتم بناء القيصرية ،
فوض تدرّسها الى السهروردي ، والي أولي الأهلية من ذريته . ولنذكر ترجمته لأن
المدرسة بنيت لأجله ، فكان من جملة أسباب البناء .

والقيصري^(١) نسبة الى قيصر . قال ياقوت في « معجم البلدان » : قيصر ، بفتح القاف
وياء ساكنة وضم الميم وراء ، هي قلعة في الجبال بين الموصل وخراسان ؛ ينسب اليها
جماعة من أعيان الأمراء بالموصل وخراسان ، وهم أكراد . ويقال لصاحبها : أبو الفوارس .
انتهى . والمترجم هو ابن أخت أبي الفوارس كما في « شذرات الذهب » .

السهروردي

هو علي بن محمود بن علي بن محرز بن علي السهروردي شمس الدين الكردي .
قال ابن السبكي : هو مدرّس القيصرية بدمشق ، وأبو مدرّسها الصّلاح .
قال الذهبي : هو شيخ فقيه ، امام عارف بمذهب الشافعي ، موصوف بجودة النقل ،
حسن الديانة ، قوي النفس ، ذو هبة ووقار . بنى الأمير ناصر الدين مدرّسته بالحريميين ،
وفوض تدرّسها اليه والي أولي الأهلية من ذريته . وقد ناب في القضاء عن ابن خلّكان ،
وتكلم بدار العدل بحضرة الملك الظاهر عندما احتاط على الفوطة ؛ فقال : الماء والكلاء لله
لايملك ، وكل من بيده ملك فهو له . فبهت السلطان لكلامه ، وانفصل الأمر على هذا
المعنى . توفي سنة خمس وسبعين وستمئة .
قال النعماني : وأظن أنه دفن تجاه وجه ابن الصّلاح بمقابر الصوفية .

القيصرية الصغرى

هي بالقباقية العتيقة ، غربي المقدمة الحنفية ، وشمالى الحنبلية . كذا في « التنبيه » .
أقول : القباقية المذكورة ، هي من باب الفراديس الى أول الطريق الذي ينعطف نحو
الجامع الأموي ، وغربي المقدمة . لم يبق الآن منها الا مسجدّها ، وأبدل الناس اسمها

(١) في الأصل القيصر وهو سهو من المؤلف .

بالقحفي والديناري . وقد ذهب أكثرها ، وفي أيامنا هدم قسم منها وأدخل في الطريق .
وهي تنشد في عالم الخيال قول أبي فراس الحمداني :

تنام فتاة الحي عني خلية وقد كثرت حولي البواكي السواهر
ويسعدني غير البوادي لأجلها وان رغمت بين البيوت الحواضر
وما هي الا نظرة ما احتسبتها بعدآب صارت بي اليها المصائر

وهي غير القيمرية المذكورة آنفا ، وغير التي بطريق الشبلية التي قبل الحافظية .

ترجمة بانيها

سيف الدين
القيصري
٦٥٣-٥٥٥

هو سيف الدين أبو الحسن علي بن يوسف أبي الفوارس بن يوسك القيصري . كان
أكبر الأمراء في آخر عمره ، وأعظمهم مكانة ، وأعلامهم همة ، وجميع الأمراء القيمرية وغيرهم
يتأدبون معه ، ويقفون في خدمته ، وهم بين يديه كالأتباع . وكان مطاعا ، كثير البر
والمعروف والصدقة .

قال الذهبي : كان أميرا كبيرا محتشما ، بطلا شجاعا من الأبطال المشهورين بالفروسية .
وقال ابن حبيب : أمير نعمته دائرة ، وجلالته ظاهرة ، وهمته مرتفعة ، وكلمة أرياب
الدولة على تعطفه منعطفة مجتمعة ، له بر معروف ، ومواقف ووقوف . أنشأ البيمارستان
المشهور بجبل قاسيون ، وكان له ببناؤه أجر غير ممنون . توفي بنابلس في شعبان سنة
١٥ ثلاث وخمسين وستمائة ، ودفن بتربته الى جانب ما رستانه في القبة التي بجانبه ،
كما حكاها الذهبي ، وابن قاضي شهبة . وسنأتي على ذكر بيمارستانه عند الكلام على
مدارس الطب .

المدرسة (الكروسية)

هي الى جانب السامرية الشافعية . قال العلموي : قلت : هي مجهولة عندي . ثم
أشار اليها بإشارة زادتها جهالة ، فقال : والغالب على ظني أنها سكن الشيخ أبي البقاء
البقاعي الخطيب الشافعي المتحنف آخر . انتهى

فألزمان أفنى البقاعي ، وأفنى سكنه ، وجعل المدرسة في خبر كان . والظاهر أنها دار الحديث الكروسية المار ذكرها عند الكلام على دور الحديث . فراجعها ان شئت . ودرس بها محمد بن نجم الدين ابن أبي الطيب .

ترجمة واقفها

قد تقدم أن منشئها محمد بن عقيل بن كروس محتسب دمشق . قال ابن الأثير : كان كيسا متواضعا ؛ توفي سنة احدى وأربعين وستمائة ، ودفن بداره التي جعلها دار حديث ومدرسة .

جمال الدين
ابن كروس
٦٤١-٠٠٠

مدرسة (الكلاسة)

- هي ملاصقة للجامع الأموي من الجهة الشمالية ، ولها باب ينفذ اليه ، وموضعها من جملة متفرعات الجامع . وكانت أولا موضع عمل الكلس حين ما يحتاج الجامع للأعمار؛ أعدت لذلك أيام بنائه . فمن ثم جعلت من الزيادات عليه لما ضاق بالناس . فاذا احتيج اليها لخراب جانب منه ، صلى المصلون بها . وبقيت على ذلك الى سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، أيام ملك نور الدين محمود بن زنكي دمشق ، فبناها مدرسة في السنة المذكورة . ثم في سنة سبعين وخمسمائة ، تناولتها السن النيران ، فاحترقت هي والمئذنة التي بجانبها المسماة بمئذنة العروس ، أيام كان صلاح الدين مالكا لدمشق . فأمر بتجديد بنائها ، وجعل عليه أبا الفتح ابن العميد ؛ فجدها وأتقن بناءها . ثم في سنة سبع وأربعين وستمائة ، جدد بركتها جمال الدين بن يغمور ، وبلط أرضها ، وأرض دهليزها . ثم ان النائب جقمق ، باني المدرسة الجقمقية ، فتح لتربته شبكا الى الكلاسة من الايوان ، وأراد عمارتها لكونها أصابها بعض التخريب . فطلب العامل عليها ، وسأله عن مالها ، فقال : أخذه المدرس ، والناظر ، وبعض الفقهاء . فأخذ في حساب ما أخذ ، فوجده خمسة آلاف درهم . فرسم بأن يسترجع ، ويعمر بها . فقليل له : ان هذا الوقف ليس هو وقف الكلاسة ، وانما هو وقف على درس بها . فلم يقبل ذلك ، ولم يسمعه . ورسم على تقي الدين ، صهر الغزي شهاب الدين المدرس بها ، والعامل أن يحبس بدار السعادة ؛ فحبس أكثر من شهر ، ثم أطلقا على أن يشرعا في العمارة . قاله في « تنبيه الطالب » وغيره .

قال ابن قاضي شهبه في « الذيل » : وفي سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ، شرع في تعزيل التراب من المدرسة الكلاسة من الايوان الشرقي . انتهى

والظاهر أن واقعة تيمورلنك أتلقتها ، أو جانباً منها ، حينما أحرق البلد والجامع .

ثم أعيدت مدرسة . وقد درس بها الكمال الحرستاني ، ثم بعده ثمانية ، آخرهم شهاب الدين الغزي ، ثم ولده .

الشهاب الغزي (١)

أقول : الشهاب المذكور هو أحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرج بن بدر بن عثمان بن جابر ابن ثعلب بن ضوء بن شداد بن عامر أبو نعيم العامري الغزي ، ثم الدمشقي ، ثم المكي القرشي . ترجمه الشيخ رضي الدين الغزي في كتابه « تحفة الناظرين » بترجمة مطولة ؛ وصفه فيها بسعة العلم ، وكثرة الاطلاع ، وأثنى عليه ثناء عظيماً ، وذكر له مؤلفات كثيرة ، منها ما كمل ومنها ما لم يكمل . فالذي كمل منها : « مختصر المهمات » في خمسة أسفار ، ١٠ « شرح الحاوي الصغير » في خمسة أيضاً ، « منسك » في مجلد ، « شرح جمع الجوامع الأصولي » ، « الجواب الراسي لمسألة الفاسي » ، « تلخيص التنبيه » . والذي لم يكمل : « كتاب في أسماء رجال البخاري » ، « قطعة على منهاج النووي » ، « قطعة على منهاج البيضاوي في الأصول » ، « قطعة على الفية ابن مالك » ، و « شرح كتاب العمدة » الى اثناء كتاب الصداق ، ثم تممه الرضي الغزي ولد المترجم سنة ستين ١٥ وسبعمائة بغزة . ثم اشتغل بالعلم ، وسكن دمشق ؛ فولي تدريس الكلاسة وغيرها . وتوفي سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة بمكة المكرمة ، رحمه الله تعالى .

ولنرجع الى ما كنا بصددده ، فنقول : ان الكلاسة لم تزل الأيام تتقلب عليها ، حتى صاح بها من يمنع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، ويسعى في خرابها : سنريك أيدينا وتجاسرنا ، فكم من مدرسة ابتلعنا أوقافها ، وتركناها خاوية على عروشها ، ثم عمرناها ٢٠ داراً ! وكم من مسجد بعناه واكلنا ثمنه ! افتركتك سالمة أيتها الكلاسة ؟! افتنظني ان اعتصامك بالجامع ينفعك ؟! ان الجامع لو كان لقمة صغيرة لأكلناه ؛ ولكن يا للأسف ان جدرانها صخر لا يبتلع ! ثم حملوا عليها حملة منكراً ، فأخذوا ساحتها وجعلوها داراً ؛ ثم ابتنوا في جهاتها الثلاثة بيوتا ودورا ، وتركوا الجانب الغربي ساحة لعسر البناء فيه . واتخذوا كلا من الفاضلية والعزيزية وما بينهما دورا للسكنى . وبقي موضع الطهارة ٢٥ من الكلاسة ، وحجرات علوية يسكنها مؤذنو الجامع ، والبعض منهم يؤجر حجرته كأنها

(١) كذا أثبت المؤلف على الحاشية .

ملك له . ومختصر القول : أن الكلاسة لم يبق لها من المدرسة إلا الاسم . ثم أختى عليها الزمان فهدمت كلها في أيامنا والله يقلب الأمور كيفما شاء .

الحلقة الكثرية

تجاه شباك الكلاسة ، تحت مئذنة العروس بالجامع الأموي . وقفها السلطان نورالدين على صبيان صغار وأيتام يقرؤون كل ليلة بعد العصر سورة الاخلاص ثلاث مرات ، ثم يهدون ثوابها للواقف . ولهم على ذلك مرتب يتناولونه من ديوان السبع الكبير الذي كان بالجامع . وان عدة من فيه يومئذ ، يعني في عصر التسعمائة ، على ما استقر عليه الحال ، ثلاثمائة وأربعون أو خمسون نفرا .

نورالدين بن زنكي

قلت : قد كان ذلك ، والحال تغير . وأما الحلقة المذكورة فبناؤها باق ، وقد أضحت حجرة يسكنها متولي الجامع ، ويدرس بها ان كان عالما ، والا جعلها منتدى لأشغاله . وتلك حكمة الله .

حرف الميم والنون

المدرسة (المجاهدية الجوانية)

بالقرب من باب الخواصين . قاله في « التنبيه » . والخواصين ، كان يسمى به قديما محل المدرسة النورية ، وقد أشكل محلها على العلوي المتوفى سنة احدى وثمانين وتسعمائة ، فقال في « مختصره » : لعل هذه المدرسة هي التي وراء سوق جقمق ، وهي الآن سكن الشيخ ناصر الدين الحنفي . وربما تكون المقابلة لباب قيسارية القواسين ، لأنني أعلم ان اسمها قديما المجاهدية ، وأما الآن فيسمونها الحجازية ، لأنها كانت منزولا لهم . وأما حينئذ فهي منزل نواب قاضي الشام ، وغيرهم من الأروام . انتهى . ويمكن أن تكون المحكمة المسماة الآن بمحكمة الباب (١) .

١٥

٢٠

ترجمة واقفها

هو مجاهد الدين أبو الفوارس بزان بن ياسين بن علي بن محمد الجلاي الكردي . كان من مقدمي الجيوش في دمشق في أيام نور الدين محمود بن زنكي . ولما كان فتح

مجاهد الدين الجلاي

٥٤٨-٠٠٠

(١) في الاصل بياض قدره سبعة اسطر .

صرخد وبصرى ، سلمه صرخد ، وأعطى بصرى الى الحاجب فارس الدولة . فأقام المترجم بصرخد الى أن توفي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، كما في « الروضتين » . وقال المؤرخ أبو يعلى : أصابه انطلاق بطن متدارك ، ومرض مفرط ، وفهاق متصل كان به قضاء نجه . ولما مات دفن فى داره .

وقال العلوي : دفن بمدرسته المجاهدية الأخرى بباب الفرديس . انتهى . يعني ٥
بدمشق . وفي « تنبيه الطالب » : أنه دفن بصفة مدرسته في الجهة الشمالية .

قال أبو شامة : كان المترجم من ذوي الواجهة في الدولة النورية ؛ موصوفا بالسخاء ،
والبسالة ، والسماحة ، مواظبا على الصلوات ، والصدقات على المساكين والفقراء
والضعفاء ، جميل الحيا ، حسن البشر في اللقاء . وله أوقاف على أبواب البر ، منها :
المدرستان المنسوبتان اليه ، أحدهما التي دفن بها ، وهي لصيق باب الفراديس المجدد ،
والأخرى في صف مدرسة نور الدين . وله وقف على من يقرأ بمقصورة الخضر .
بجانب دمشق ، وغير ذلك . انتهى

وقال الذهبي : جعل لنفسه النظر على أوقافه كلها ، واليه ينسب السبع المجاهدي بالجامع بمقصورة الخضر داخل باب الزيادة . انتهى

قلت : وقد ذهبت هذه الآثار كلها الا من القرطاس ، والله أعلم بمن استولى عليها . ١٥

وحكى الصفدي أن من وقف المجاهدية : طاحونة اللوان بأواخر المزة ، وذكر أشياء
أخر . وقد درس بالمجاهدية منتخب الدين القرشي ، ثم بعده أربعة عشر مدرسا ،
آخرهم البرهان المعتمد ، فالزین الاطرابلسي ، فالشمس الكفرسوسي ، فالشريف الموقع
الحلبی . ثم كانت كأمثالها على حد قول المعري :

الدهر ان ينصرک ينصر بعدها
وهو اجر الايام يسلب حرها

٢٠ ذا اِحْتة فيحور كل محار
ما اودعته ذواهب الاسحار

المدرسة (المجاهدية البرانية)

بين بابي الفراديس . واقفها الأمير مجاهد الدين المذكور سابقا ، ودفن في صفتها الشمالية . وقد تقدم أنها لصيق باب الفراديس المجدد . هذا ما حكاه النعيمى والعلموى .

أقول: هذه المدرسة موجودة ، وقد غير الناس أسمها ورسمها . أما أسمها : فهم يسمونها الآن جامع السادات . ولم أدر لأي شيء أخذت هذه النسبة ! وأما رسمها : فقد نقص المختلسون أطرافها ، والباقي منها مسجدًا . وفي صفّتها الشمالية قبور ، وساحتها موجودة ، وبالجانب الغربي منها طباق للسكنى بالأجرة . وبالأوية الشرقية الشمالية منها منفذ يتصل بدور للسكنى . وأيا ما كانت ، فانها تقام بها الصلوات الخمس بجماعة ، وتصلّى بها الجمعة . وهي ملاصقة لباب الفراديس ، مشهورة . وليت المدارس التي ابتلعها المختلسون بقيت مثل هذه المدرسة ! وعلى بابها حجر كبير قد نقش عليه :

ان الذي بناها بزان ، بالباء الموحدة والزاي ثم ألف ونون ، ابن ياسين بن علي بن محمد الخلائي ، بالخاء المعجمة ، الكردي ، بأمر أمير المؤمنين .

١٠ ولم يذكر اسمه . وقد خفي موضع التاريخ . وفي الكتابة تطويل واسهاب في المدح تركناه لعدم جدواه .

المدرسة (السرورية)

لم أقف لها على أثر . وقال العلموي : هي مجهولة عندي . ولم يزد النعيمي على قوله : هي بباب البريد . والله أعلم بما صارت إليه .

ترجمة واقفها

١٥

أنشأها مسرور الطواشي ، وكان من خدام الخلفاء المصريين . وقال الأسدي : رأيت بخط شيخنا أنها منسوبة الى الأمير فخر الدين مسرور الملكي الناصري العادلي . وقفها عليه شبل الدولة كافور الحسامي ، واقف الشبلية . ووقفت على كتاب وقفها الثاني الذي زاد فيه زيادات على الواقف الأول ، تاريخه سابع صفر سنة أربع وستمئة . ثم قال : وشرط الواقف أن له أن يباشر ذلك بنفسه ، ويستنيب فيه من أراد ممن هو أهل لذلك ، ممن علم دينه ، إذا كان فيهم من هو أهل . قال : ولا أعلم وقت وفاته . والمشهور أنه اشترط في المدرس بها أن يكون عالما بفن الخلاف . ودرس بهذه المدرسة ناصح الدين ، ثم بعده خمسة عشر مدرسا .

مسرور الطواشي

٢٠

المدرسة (الناصرية الجوانية)

داخل باب الفراديس ، شمالي الجامع الاموي والرواحية بشرق ، وغربي الباذرائية بشمال ، وشرقي القيمرية الصغرى والمقدمية الجوانية . كذا عرفها النعيمي وغيره .

- أقول : قد صارت الآن دورا للسكنى ، ولم يبق من آثارها الا جدارها الشمالي ، وهو بناء لم يكد الزمان يقدر على فنائه ؛ لمتانته ، وعظم الحجارة المبني بها ، وحسن احكامها . ومحلها الآن : أنك اذا سرت من أول الطريق من الجهة القريبة الموصل الى الباذرائية ، رايت عن يمينك بناء هائلا ، وهو الباقي من آثارها . وأهل محلتها يقولون : ان هذا المكان كان سجنا للموتى حتى يقضى عنهم دينهم . وهذا من جملة خرافات العوام . ومخترع أمثالها يقصد به ستر الحقائق ، وتحويل الاسماء ليتأتى له امتلاك الاوقاف .

١٠

ترجمة بانيها

الملك الناصر
يوسف
٦٢٧-٦٥٩

انشأها الملك الناصر يوسف بن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب ؛ وستأتي ترجمته .

- قال ابن شداد : وكانت هذه المدرسة تعرف بدار الزكي المعظم . ثم بناها الناصر مدرسة ، وفرغ من بنائها في أواخر سنة ثلاث وخمسين وستمئة . وأول من درس بها : صدر الدين بن سني الدولة بحضرة الواقف وحضرة الامراء والدوادار ونجم الدين الباذرائي ، وأعيان الشام ، وأهل الحل والعقد بدمشق . ثم بعده محي الدين ابن زكي ، ثم ولده النجم ، ثم من بعدهم ، نحو ثلاثين مدرسا منهم : ابن قاضي شهبة ، وابن قاضي عجلون ، وابن غازي ، وابن الفرفور ، وغيرهم من الافاضل .

المدرسة (المجنونية (١))

٢٠

قال النعيمي : هي شرقي الشمامية البرانية بالعقبة .

أقول : هي الآن بأخر العقبة ، عن يسار السائر الى سوق ساروجا . وقد انطمست معالمها ، ولم يبق منها الا التربة بجانبها ، ولها شبك الى الطريق . ولقد وقفت عليه ؛ فاذا في أعلاه حجر مكتوب عليه بالخط الحجري البارز بعد البسملة :

(١) وردت في « الاعلاق الخطيرة » : « مدرسة سبع الجانبين » .

هذه تربة الامير شمس الدين بن شروة بن حسين المهراني ، المعروف بالسبع المجانين ،
الحاجي ، الغازي المجاهد في سبيل الله تعالى ، في شهر رجب سنة اثنتين وأربعين
وستمائة . وهو الذي أنشأ المدرسة .

وقال النعيمي : أنشأها شرف الدين بن شروة بن الذرذاري (١) المعروف بالسبع
المجانين ، بعد الثلاثين وستمائة . قال العلموي : والآن معروف بين الناس بالسبع
المجاهدين . درس بها عز الدين الموصللي ، ثم بعده ثلاثة مدرسين . ١٠ هـ

شرف الدين ابن
الزرزاري

قلت : وأهل زماننا يسمونه الشيخ مجاهد . وأغرب من هذا ، أن جماعة من طلبة
العلم يزعمون أنه مجاهد التابعي المشهور ، ويقفون أمام قبره ، ويزورونه . والحجر
مكتوب فيه اسمه ، وهو نصب أعينهم ، ولا يقرؤونه ، ولا يفرقون بين تاريخ مجاهد
المفسر وبين تاريخ هذا الرجل . ١٠

المدرسة (المنكلانية)

لم يذكر عنها في « تنبيه الطالب » شيئاً . وقال العلموي : ذكر الصفدي ما يشعر
بأنها مدرسة ، ولم نعلم لها مدرسا ولا واقفا . وهي معروفة قرب القيمرية الجوانية . ١٠ هـ

أقول : مررت في أثناء ذهابي الى محلة باب توما بمسجد ، له صحن لطيف وحرم
مثله ، وعن يسار الداخل قبور ، ورأيت هناك شيخا يقرأ القرآن ؛ فسألته عن قبر ،
فقال لي : هو قبر الشيخ محمد المنكلاني . فاذا صح الخبر ؛ كانت هذه هي المدرسة
المنكلانية ، وهي الآن معروفة مشهورة . ١٥

محمد المنكلاني

المدرسة (النجيبية)

كانت لصيق المدرسة النورية ، وضريح نور الدين من الجانب الشمالي . وقد اندرست
في جملة ما اندرس ! ٢٠

(١) كذا في الاصل وذكر ابن شداد أن الذي أنشأها هو : « شرف الدين شروة ابن الزرزاري » .
وترك بياضاً بين ابن والزرزاري فكأنه لم يعرف أباه .

ترجمة بانيها

أقوش الصالحي
٦٧٧-٦٢٠

أنشأها أقوش الصالحي النجمي (١) ، مملوك الملك الصالح أيوب ، وكان يعتمد عليه في جميع أموره ، وجعله أستاذ داره في حياته . وولاه الملك الظاهر نيابة دمشق ؛ فأقام بها نحواً من عشر سنين . ثم عزله بعز الدين أيدير سنة سبعين وستمائة . فعاد إلى القاهرة ، وأقام بها وافر الحرمة ، وتوفي سنة سبع وسبعين وستمائة . ومولده في حدود العشرين وستمائة .

قال أبو شامة : كانت مدرسته داراً لابن مرزوق ، فاشتراها أقوش ، وجعلها ضخماً الشكل ، جهوري الصوت ، كثير الأكل ، له أوقاف على الحرمين . بنى مدرسة بدمشق إلى جانب مدرسة نور الدين ، وبنى بها تربة ، وفتح لها شباكين على الطريق ؛ ولم يقدر دفنه بها .

قال أبو شامة : كانت مدرسته داراً لابن مرزوق ، فاشتراها أقوش ، وجعلها مدرسة للشافعية ، ووقف عليها أوقافاً دارة واسعة ؛ لكنه لم يقدر للمستحقين قدرًا يناسب ما وقفه عليهم . ومن جملة أوقافه : البستان والأراضي التي وقفها على الجسورة التي هي قبلي جامع كريم الدين ، وعلى ذلك أوقاف كثيرة . وجعل النظر في أوقافه لابن خلكان وقد درس في المدرسة ، ثم نزل عنها لولده كمال الدين موسى . قال في « تنبيه الطالب » : وله في دمشق خان ، وخانقاه ، ومدرسة . ولم يخلف ولداً . قاله الذهبي .

وقد كانت أوقاف المدرسة والخانقاه تحت الحوطة . وفي كلام الصفدي ، أن الخانقاه ظاهر دمشق بالشرف القبلي .

قلت : وقد اندرست أيضاً ، واختفى أثرها . وقد درس بالمدرسة جماعة ، منهم : العماد اسماعيل بن كثير ، ثم تقي الدين الحريري . ومنهم : الضياء عبد العزيز بن محمد ابن علي الطوسي ، ثم الدمشقي شارح « الحاوي » ، و « مختصر ابن الحاجب » . توفي سنة ست وسبعمائة بدمشق ، ودفن بمقابر الصوفية .

وهذا آخر الكلام على مدارس الشافعية ، حسبما سمح به الزمان ، وقدرت عليه في هذه الأيام المعادية للعلم وأهله .

وهذا أول الشروع في مدارس السادة الحنفية .

(١) كذا في الأصل ، وفي « المدارس » : « النجيب » . ولعله الأصح .

الباب الرابع في مدارس الأئمة الحنفية

حرف الهمزة

المدرسة (الاسدية)

كانت بالشرف القبلي ظاهر دمشق ، مطلة على الميدان الأخضر . وتقدم الكلام عليها
٥ في مدارس الشافعية ، وأنها موقوفة عليهم وعلى الحنفية . ودرس بها من الحنفية : تاج
الدين ابن الوزان ، وبعده أربعة منهم .

المدرسة (الاقبالية)

تقدمت الإشارة إليها عند الكلام على الاقبالية الشافعية . وتقدم هناك ذكر لواقفها .
ولم يبق من آثارها اليوم الا بابها ، وفي أعلاه حجر كبير قد كتب عليه بعد البسملة :
١٠ وقف هذه المدرسة المباركة الأمير الاجل جمال الدولة اقبال ، عتيق الخاتون الاجلة
ست الشام ابنة ايوب ، على الفقهاء من أصحاب الامام سراج الأمة الشريفة أبي
حنيفة رضي الله عنه . وأوقف عليها : الثلث من الضيعة المعروفة بالسموقة ، والثلث
من مزرعة الافتريس ، والثلث من مزرعة شمالي بيدرزبين ، وخمسة قراريط وثلث من
كرم يعرف بمديد الدين في الحديثة ، وقراطا من مزرعة ذرع ماحاط بطريق سالكة من
١٥ ذرع الى بصرى ؛ وذلك في الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ثلاث وستمائة . أعظم
الله أجره . انتهى

وبصرى كانت قرية ما بين دمشق والمزة ، وذرع قريب منها ؛ وقد اندرست آثارهما .
وبقية الكلام عليها مر في موضعه .

المدرسة (الأمدية)

٢٠ يؤخذ من كلام النعيمي أنها مندرسة قبل التسعمائة ؛ فانه قال : هي بالصالحية
العتيقة ، جوار الميطورية من الغرب .

قال الأسدي : وفي سنة احدى وعشرين وثمانمائة كان غربي الميطورية ، مدرسة للحنفية . يقال لها : الأمدية . حكى لي من شاهدها وهي عامرة ، وعلى بابها طواشية ، وقال لي ناظرها : انها تربة .

وقال ابن طولون في « تاريخ الصالحية » : وحكى لي بعضهم أن الأمدية قرية ؛ ولعلها مدرسة ، قصد التمويه عنها خوفا من الفقهاء . وقال العلموي : لا يعلم محلها . انتهى .
وأيا ما كانت ؛ فقد اندرست ، وانطمست آثارها من عهد بعيد ، ويمكن أن موضعها الآن بستان . ولم أر من تعرض لترجمة واقفها .

حرف الباء

المدرسة (البدرية)

- ١٠ قبالة الشبلية التي بالجبل ، عند الجسر المعروف بجسر كحيل ثم بجسر الشبلية . وفي كلام ابن كثير : أنها جعلت في حدود الأربعين وسبعمائة جامعا فيه خطبة ويوم جمعة . ووقفها : نصف حمام بقرية مسنون ، والبستان بقرب جسر كحيل . كذا رأيت مكتوبا على عتبتها . وقال الشيخ محمود العدوي في « زياداته على مختصر تنبيه الطالب » للعلموي : أقول : البدرية المشهورة بين الناس بجامع البدرية ، قد تغيرت أحواله ، ووقع سقفه ، ودثرت عمارته ، وتصرف في آلاته ، وصار خرابة من الخرابات . وأما وقفه ؛ فأضيف الى وقف الجامع المظفري ، يعني جامع الحنابلة المعروف بجامع الجبل . انتهى .
أقول : وبقرب جسر كحيل الذي على نهر تورا ، موضع يعرف الآن بالشبلي والبدري . وقد وقفت على البدري في بستان هناك يقال له : السنبوسكي ، من جهة طريق عين الكرش ؛ فرأيت هناك قبة مهدومة الأعلى منها ، وبها قبران بجانب نهر تورا . وهناك كان محل المدرسة البدرية .
- ٢٠

ترجمة بانيتها

بناها الأمير بدر الدين حسن بن الداية المعروف بلؤلؤ (١) . وكان أميرا معظميا ؛ تولى

بدر الدين بن الداية

(١) كذا في الاصل ، وفي « الاعلاق الخطيرة » وردت : « لا لا » .

دولة القاهرة ، ومن قبله تولى دولة أبيه مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود ابن زنكي بن آقسنقر . ولما قضى القاهر عز الدين نحبه ، وكان أوصى بالملك لولده نور الدين أرسلان شاه وعمره عشر سنين ، كان المترجم هو الوصي عليه ، والمدير لدولته . فقام بمهمته أحسن قيام ، وضبط المملكة من التزلزل والتغيير ، مع صغر السلطان ، وكثرة طمع أعمام أبيه في الملك . وأحسن السيرة ، وجلس لكشف ظلمات الناس ، وانصاف بعضهم من بعض . وأرسل الخليفة التقليد لنور الدين بالولاية ، ولبدر الدين بالنظر في أمر دولته ، والتشريفات لهما أيضا . وبالجملية فالمترجم موصوف بالعقل والدهاء ، وحسن التدبير والسياسة . ومطول ترجمته يؤخذ من القسم السياسي . ولم أظفر بتحديد وفاته ؛ وقد كانت بعد الستمئة . وقد سكن هذه المدرسة أيام شبابها سبط ابن الجوزي ودرس بها ، ثم زكي الدين بن عقبة ، ثم الصفي بن فرج ، ثم الشمس ابن جبريل . ثم سلبها الزمان شبابها المستعار ، وأبدلها منه بالشيخوخة والهرم ، ثم بالفناء ومحو الآثار . ويحسن بي أن أرف إلى المطالع ترجمة صاحب مرآة الزمان ، وإن لم يكن على شرطي هنا ؛ ليكون هذا القسم مع الذي بعده كمنضج صفيق شواء ، أو قدير معجل ، فأقول :

صاحب « مرآة الزمان »

هو شمس الدين أبو المظفر يوسف ابن الأمير حسام الدين قزل بن عبد الله ، عتيق الوزير عز الدين بن هبيرة الحنبلي . وأمه بنت جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، الحافظ المشهور ، والواعظ الذي كلامه مأثور . وكان المترجم حسن الصورة ، طيب الصوت ، كثير الفضائل ، والمصنفات . قاله ابن كثير . وقال : وله كتاب « مرآة الزمان » في عشرين مجلدا ، وهو من أحسن التواريخ ، أخذه من كتاب جده ابن الجوزي المسمى « بالمنتظم » ، وزاد عليه ، وذيله إلى زمنه ؛ فجاء غاية في بابه . وقدم دمشق في حدود الستمئة ، وحظي عند ملوك بني أيوب ، وقدموه ، وأحسنوا إليه . وكان له مجلس وعظ كل يوم سبت بكرة النهار ، عند باب مشهد علي بن الحسين . فكان الناس يبيتون ليلة السبت بالجامع في أيام الصيف ، ويتركون البساتين حتى يسمعوا ميعاده ، ثم يسرعون إلى بساتينهم وهم يتذكرون بما سمعوه من الفوائد والكلام الحسن الذي كان يمليه على طريقة جده . وكان المشايخ يحضرون هذا قبة يزيد عند باب البريد ،

شمس الدين سبط
ابن الجوزي
١٠٠٠-٦٥٤

ويستهجنون ما يقول ، كما هي عاداتهم عند سماعهم ما لا يعرفونه ، واعتقاد كل واحد منهم أن العلم انحصر فيه ، وأنه لا علم إلا ما يعرفه من الخزعبلات ، والترهات ، والمقالات الملفة ، والأساطير المنمقة المزخرفة . ثم تولى تدريس المدرسة العزية البرانية ، ومدرسة الشبلية . وفوضت إليه البدرية ، وكان سكنه بها ، وبها توفي سنة أربع وخمسين وستمائة ، وحضر جنازته الملك العزيز .

٥

وأنى أبو شامة على علومه ، وفضائله ، وحسن وعظه ، وطيب صوته ، ونضارة وجهه ، وتواضعه ، وزهده ، وتودده . وكان عالماً فاضلاً ظريفاً ، منقطعاً عن الناس ، منكراً على أصحاب الدولة ما هم عليه من المنكرات . وكان مقتصدًا في لباسه ، مواظباً على المطالعة ، والاشتغال بالعلم والجمع والتصنيف ، مضيئاً لأهل العلم والفضل ، مبيناً لأهل الخزي والجهل . تأتي الملوك وأرباب الدولة إليه زائرين قاصدين . وقد قضى عمره في جاه وافر عند الملوك والحكام والعوام في نحو خمسين سنة . وكان مجلس وعظه مطرباً ، وصوته فيما يورده حسناً طيباً . قال ابن كثير : وهو ممن ينشد له بعد موته قول الشاعر :

مازلت تكتب في التاريخ مجتهداً حتى رأيتك في التاريخ مذكوراً

ومن لطائفه : أن الملك الناصر صاحب حلب سأل يوم عاشوراء أن يذكر للناس شيئاً من مقتل الحسين رضي الله عنه ؛ فامتلأ وصعد المنبر ، وجلس طويلاً لا يتكلم ، ثم وضع المنديل على وجهه وبكى ، ثم أنشأ يقول :

ويل لمن شفعأؤه خصمأؤه والصور في نشر الخلائق ينفخ
لا بد أن ترد القيامة فاطم وقميصها بدم الحسين ملطخ

٢٠ ثم نزل عن المنبر وهو يبكي ، وصعد إلى الصالحية وهو يبكي .

وقال الذهبي في « العبر » : أن للمترجم تفسيراً في تسعة وعشرين مجلداً ، وله « شرح الجامع الكبير » ، وجمع مجلداً في « مناقب أبي حنيفة » . وكان في شبيبته حنبلياً ، ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة .

المدرسة (البلخية)

كان محلها قديماً يعرف بخربة الكنيسة ، ثم عرفت بدار أبي الدرداء رضي الله عنه ، ٢٥

ثم جعلت مدرسة ، ثم اختلست وصارت بيوتا للسكنى . وكانت عند أيام وجودها ، بابها يفتح الى الصادرية .

قال العلموي : وهي داخل الصادرية ، وكان بابها أولا عند حمام باب البريد ؛ فجعل من الصادرية . انتهى

٥ أقول : وعلى البلخية ، والصادرية ، والحمام ، السلام ، فقد ذهب الكل وانقضت أيامه !

بانيها

أنشأها كلر (١) الدقاقي بعد سنة خمس وعشرين وخمسمائة للشيخ برهان الدين أبي الحسن علي البلخي الحنفي الواعظ الزاهد . وكان يلقب ببرهان الدين ، واشتهر بالزهد ، والاعراض عن الدنيا . وهو الذي قام في ابطال حي على خير العمل ، في الأذان في مدينة حلب . وكان معظما مفخما عند أرباب الدولة . قاله الذهبي في «العبر» . وقال في «الروضتين» : وفي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، توفي الفقيه برهان الدين أبو الحسن علي البلخي رئيس الحنفية ، ودفن في مقابر باب الصغير المجاورة لقبور الشهداء . وكان من التفقه على مذهبه ما هو مشهور شائع ، مع الورع ، والدين ، والعفاف ، والتصوف ، وحفظ ناموس العلم ، والتواضع ، والتودد الى الناس على طريقة مرضية ، وسجية محمودة .

برهان الدين البلخي
٥٤٨-٠٠٠

حرف التاء

المدرسة (التاجية)

هي بزاوية الجامع الأموي الشرقية ، غربي دار الحديث العروية المتقدم بيانها وتعريفها . ٢٠

قال عز الدين محمد بن عمر الأنصاري : وفي الأيام المعظمية ، جددت المقصورة

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « كثر » .

التاجية المعروفة قديماً بأبن سنان ، والآن ، يعني في زمنه، بالسلاطرية بتشديد اللام ألف،
في سنة أربع وعشرين وستمائة . انتهى

قلت : وقد خفي اليوم محلها ، وأقفلت أبوابها . ولعلها هي التي بجانب المشهد الذي
يقال له : مشهد الحسين ، من الجانب الشمالي . وهي الآن منضمة الى دار بني الغزي،
وبابها الى الجامع والله أعلم .

الكلام على بانيها

- قال العلموي : لعل واقف هذه البقعة المعروفة بالتاجية ، تاج الدين القديم الذي
وقف نصف القاسارية الشغرية وما معها على مؤذني الجامع الأموي ، وعلى السبع (١)
تجاه مزار سيدنا يحيى يوم الجمعة ، وعلى الدشيشة . وكتاب وقفها موجود . انتهى
- وهذه التعريفات غايتها أن واقفها لم يعلم علم اليقين . وأما الدشيشة فهي طعام
يطبخ بالحنطة ، وقد كان لها وقف ، فانقضت أيامها ، وبقيت أوقافها يأكلها من يكون
مفتياً بدمشق ، على وجه حلته بزعمهم الحيل على من يعلم السر وأخفى من السر .
وأقول أيضاً : لعلها نسبة الى من درس بها ، وهو تاج الدين الكندي زيد بن الحسن ابن
زيد بن الحسن البغدادي النحوي الكفوي المقرئ ، شيخ الحنفية والقراء والنحاة
بالشام ، ومسند العصر ، فانه درس بها ، وفي أيامه جددت .

ترجمة الكندي (٢)

تاج الدين الكندي
٦١٣-٥٢٠

- قال الذهبي في « العبر » : ولد ، يعني المترجم ، سنة عشرين وخمسمائة، وتوفي
سنة ثلاث عشرة وستمائة . وأكمل المترجم القراءات العشر وله عشرة أعوام . قاله
الذهبي . وقال : وهذا ، ما لا أعلمه تهيأ لأحد سواه . **قلت :** ويمكن أن يكون هذا من
شواذ العادة والجملة . واعتنى به سبط ابن الجوزي ؛ فأقرأه وحرص عليه ، واشتغل
بفن الحديث على عادة أهله يومئذ ، وأتقن العربية ، ونال الجاه الوافر ، وقال الشعر
الجيد . وكان الملك المعظم يديم الاشتغال بالعلم عليه ؛ فينزل اليه من القلعة .

(١) هو بركة الماء التي كانت موجودة بجانب باب الحرم الكبير . والسبع هو الفوّهة التي يخرج منها
الماء ، بتعبير أهل الشام .

(٢) أورد المؤلف كلمة « الكندي » في منتصف الصفحة ، ثم عمد الى وضع كلمة « ترجمة الكندي »
على الحاشية ، ولما كانت الكلمتان تهدفان لأمر واحد ، حذفنا الاولى وأثبتنا الثانية في منتصف الصفحة .

قال ابن كثير : كان الكندي حنبلياً ، ثم تحنّف ، وبرع في النحو واللغة ، وتفنن في بقية الفنون . ووقف سبعمائة وستين مجلداً من الكتب على معتقه النجيب ياقوت ، ثم على ولده من بعده ، ثم على العلماء في الحديث والفقه واللغة ، وغير ذلك . وجعلت في خزانة كبيرة بمقصورة ابن سنان الحنفية المجاورة لمشهد علي . ثم ان هذه الكتب تفرقت ، وبيع أكثرها ، ولم يبق في الخزانة الا القليل . ٥

وترجمه الصلاح الصفدي بترجمة طويلة في خمس ورقات ، وقال : انه حاز الدرجة العليا في الاسناد في القراءات ، وازدحم عليه الطلبة ، ودرس ، وصنف ، وأقرأ القراءات ، والنحو ، واللغة ، والشعر . وكان ثقة ، واستوزره فرخان . ثم اتصل بأخيه تقي الدين عمر صاحب حماة واختص به ، وكثرت أملاكه . وقراً عليه الملك المعظم عيسى « كتاب سيبويه » ، و « شرحه » ، و « الحماسة » ، و « الايضاح » ، وغير ذلك . انتهى ١٥

المدرسة (التاشية)

قال ابن شداد : مدرسة التاشي (١) وتعرف بمسجد التاشي (٢) ، انشئت سنة نيف وخمسين وخمسماية ، أنشأها الأمير التاشي (٢) الدقائي . انتهى . ودرس بها عز الدين الحنفي ، ثم بعده ثمانية من علماء الحنفية . ١٥

قال العلموي : قلت : هي مجهولة عندي . انتهى . ولئن كانت مجهولة في القرن التاسع ، فلهي في القرن الرابع عشر أشد جهالة وأكثر خفاء . وربما يأتي لبانيها ذكر في القسم السياسي .

حرف الجيم

المدرسة (الجلالية)

عرفها في « تنبيه الطالب » بأنها هي ، والتربة بها ، لصيق البيمارستان النوري . قال : ومن وقفها ، فدان ونصف في قرية الشاهلية .

(١)(٢)(٣) كذا في الاصل ، وفي « الاعلاق الخطيرة لابن شداد » : « التاش » ، بحذف الياء .

وقال العلموي : هي لصيق البيمارستان النوري من الجهة الشمالية ، وبها تربة الواقف ، قاضي القضاة جلال الدين أبو المفاخر أحمد ابن قاضي القضاة حسام الدين الرازي . قال : وهي مجهولة أيضا . ثم ذكر لها تعاريف لم تفدنا شيئا أبدا ، جريا على عادته ؛ فقال : بل تحرر أنها التي مقابل بيت مصطفى جلبي ناظر الأموال ، عليها الستائر . ويقولون : انه خادم نور الدين الشهيد ، وليس كذلك . وداخل بيت عبد العزيز الغرابيلي فيها . انتهى

فكان العلموي جعل « مختصره » لأبناء وقته فقط ! والا فمن أين لبیت الغرابيلي ، ومصطفى جلبي ، أن يبقيا الى زمن طويل ببقاء سكانهما ، ولم يغير الزمان أوصافهما ، كما غير المدرسة وأمثال أمثالها !؟

أقول : وقبل البيمارستان النوري من الجهة الشمالية طريق نافذ ، وفي جهته الشمالية مسجد لطيف ، وفيه قبر ينسبه الناس الى الفخر الرازي ، وليس بصحيح . ولعل هذا المسجد مما تركته أيدي المختلسين من المدرسة . والقبر هو قبر الرازي المذكور ، وباقي المدرسة أمسى دورا فسبحان الباقي !

ترجمة واقفها

تقدم أنه أحمد بن حسام الدين الرازي . قال العلموي : درس بمدرسته ، وبالخاتونية ، وبالريحانية ، وبالقصاعيتين . توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة (١) .

أحمد الرازي
٧٤٥-٠٠٠

المدرسة (الجمالية)

بسفح قاسيون ، أنشأها الأمير جمال الدين يوسف . قال في « تنبيه الطالب » : ولم أقف على ترجمته ، ولا وقفت لها على وقف . وقال العلموي : لاتعرف هي ، ولا ترجمة واقفها ، ولا من درس بها . ورأيت على هامش العلموي بخط بعضهم ، أنها بمحلة السكة ، ثم ذكر أناسا ممن سكنها . ولعلها أصبحت دورا ، وحل بها ما حل بغيرها .

جمال الدين يوسف

(١) بعد هذا الكلام يوجد في الاصل بياض قدره ثلاثة أسطر .

المدرسة (الجقمقية)

هي مدرسة معروفة الآن ومشهورة . وهي شرقي الحديقة التي بها قبة صلاح الدين الايوبي ، وعن يمين الداخل الى الجامع الاموي من باب الشمال في اول الطريق . وهي مبنية بالحجر الابلق والابيض . والداخل اليها من الباب الاول ، يجد عن يساره بابا ثانيا ، فيدخل منه الى ساحتها ، فيرى هناك اربع ايوانات ، تعلوهما قبة شاهقة ومسقوفة فلا تدخلها الشمس . ومن نحو خمسين سنة والى الآن ، وهي مكتب لتعليم الشبان والاطفال . وحكى في « تنبيه الطالب » انه كان بها تربة . قلت : وقد اندرست ، وعفت آثارها . وحكى أيضا انه كان تجاهها من الشمال ، يعني اتجاه بابها ، خانقاه يفصل بينهما الطريق الآخذ الى المدرستين العادلية والظاهرية من جهة الغرب ، والآخذ الى الجامع الاموي من شرقها . ا.هـ قلت : وقد درست تلك الخانقاه ، وعفت آثارها ، واتخذها المختلسون لها دورا للسكنى . فأنشأت تخاطب غاصبها ، وتلومه بقول ابن الوردي :

ان أهني عيشة قضيتها ذهبت لذاتها والاثم حل
فيجيبها بقوله :

دعني بلذاتي اكن طوع الهوى لاأبالي بعد موتي أين كنت

سنجر الهلالي

وكان من قصة هذه المدرسة ، أن المعلم سنجر الهلالي ، وابنه شمس الدين الصائغ قد أسسا التربة أولا ، ثم تقلبت بهما الاحوال ، الى أن غضب عليهما الملك الناصر حسن سنة احدى وستين وسبعمائة . فعاقب سنجر ، وأخذ منه مايزيد عن ألف ألف درهم ، وهو في اصطلاح زمننا مليون من الدراهم ، بدعوى أنه نمي اليه من انه لا يؤدي زكاة ماله ، وأنه يطلق لسانه في ثلب الامراء وذهمهم . ثم انه أحاط بما له من الحجج والاملاك والحواصل ؛ فكانت تزيد عن ثلاثة آلاف ألف درهم ، أي ثلاثة ملايين . ولكنه سلم اليه ذلك بعد مدة . فانظر الى هذا الظلم والبغي الذي كان في تلك الايام . وعاقب ابنه محمدا أيضا ، فأخذ تربته التي أنشأها بباب الجامع . ثم أمر السلطان بعمارته ، فلم يغيروا أساساتها ؛ بل بنوا فوقها ، وجعلوا لها شبابيك من شرقيها ، وبنوا حائطها بالحجارة البيض والسود ؛ فجاءت في غاية الحسن . فالباني لهما انما هو السلطان الناصر حسن . وكان قد رسم بأن يجعل بها مكتبا للايتام ؛ فشرع في بنائه . لكنه قتل سنة اثنتين وستين وسبعمائة قبل أن يتم . ثم صارت بعد موته خانقاه للصوفية . ولها وقف

يسير جداً . واستمرت على حالتها الى أن احترقت في فتنة تيمورلنك فكانت خاوية على عروشها . الى أن تولى سيف الدين جقمق نيابة دمشق سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة ، وكانت دمشق في غاية من الخراب الذي لحقها من حروب تيمورلنك ؛ فتوجهت همته لاعمارها بنفسه ، وبألزام الناس بذلك ، وينقله من سكن خارجها الى داخلها . وشرع في عمارة الطيورين والفسقار ، وعمر التربة التي بباب الناطفانيين، وهو ٥ باب الجامع الشمالي ، وهي تربة الجقمقية ، ورتبها حتى صارت في غاية الحسن والزخرفة . وقيل : انه لم يكن في دمشق ، ولا في مصر نظير لها . ووسعها من جهة القبلة ، وجعل لها شبابيك الى الكلاسة ، وشبابيك الى الجهة الشمالية . وبنى في مقابلها خانقاه الى الصوفية . ورتب بها شيخا وصوفية ، ورتب بالتربة المذكورة ميعادا بعد صلاة الجمعة . وجعل في قبلتها مكتبا للآيتام ، وقد كان موجودا قبل الفتنة ١٠ التيمورية ، ولكنه أحياء . ووقف السوق الذي عمره داخل باب الجابية ، والطاحون التي أنشأها بالوادي ، والخان شمالي المصلى . وجعل بعضا من ريع ذلك على نفسه وأولاده ، وبعضا على التربة ، وبعضا على أنواع البر .

قال الاسدي : هذه التربة كان المؤسس لها سنجر ، ثم بناها جقمق ، وفرغ من بنائها سنة أربع وعشرين وثمانمائة ؛ فجاءت في غاية الحسن ، وحضر ميعادها الشيخ شرف الدين بن مفلح ، ولكن ظلمة الظلم لائحة عليها . ١٥

وقال أيضا : بلغني أن الامير ماماش استقطع وقف جقمق ، وأخذ من التربة البسط والقناديل ، ومنع الصوفية والقراء من الحضور فيها . وقيل : انه أحضر كتاب وقفها فأتلفه . انتهى

وذكر غيره أن جقمق أبدى العصيان سنة أربع وعشرين ، وحاصر بقلعة صرخد ، ٢٠ ولما سئم من الحصار طلب الأمان من السلطان ، ونزل من القلعة ، فقبل الأرض بين يدي الملك المظفر ؛ فرسم عليه بقاعة القلعة ، وطلب منه المال الذي أخذه . وفي اليوم الثاني ، قيل : انه عوقب ، وقرر على المال . وفي اليوم الثالث ، أرسل مع الخيالة مقيدا ، ثم حبس ، ثم قتل بعد أن عوقب ، وقرر على ما له من الودائع والذخائر ، وبقي ملقى في قلعة دمشق ، ثم دفن في تربته ؛ ولقي ما قدمته يداه . وكان ذكيا ، عارفا بالناس ٢٥ وتراجهمهم ، ومهر في الظلم . قال ابن حجر : وكان ظلوما غشوما ، متطلعا على عورات الناس . انتهى

وقد علم مما تقدم أن الذي بناها سنجر ، ثم نسبت إلى جقمق لأنه هو الذي بناها بعد أن احترقت . وقد درس بها كثير من الأفاضل : كالعز ابن شيخ السلامة ، والعماد ابن السيد عدنان ، وغيرهما . ثم تقلبت بها الأيام كغيرها من المدارس ، إلى أن صارت كلها مكتبا في أواخر القرن الثالث عشر . وأنا لنحمد أيدي الحدثان التي أبقت بناءها ، ولم تخف آثارها كما فعلت بغيرها . ٥

ترجمة واقفها

تقدم أن الذي أنشأها أولا إنما هو سنجر وولده شمس الدين ، والملك الناصر حسن . ثم جدها ورممها النائب جقمق ؛ فنسبت إليه . وقد علمت ترجمة كل منهم اجمالا ان لم يكن تفصيلا . وبسطها في القسم السياسي .

وقد رأيت صاحب «الضوء اللامع» ترجم جقمق بترجمة مختصرة ، فقال : جقمق سيف الدين من أبناء التركمان ، أخذه بعض التجار صغيرا ، واتفق مع رفيق له على أن يبيعه ويقتسما ثمنه بينهما ، فباعاه . وكان إذا تكلم بالعربية لا يشك سامعه في أنه من أبناء العرب . ثم تنقل في خدم المؤيد حتى صار دوادارا ، وذلك قبل تملك المؤيد . ولما تملك أقره على منصبه ، ثم جعله نائبا لدمشق سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة . ولما مات المؤيد أظهر العصيان ، وآل أمره إلى أن أمسكه ططر ، وعصره ، وأخذ منه مالا ، ثم أمر بقتله ؛ فقتل صبورا سنة أربع وعشرين ، ودفن بمدرسته التي هي بالقرب من شمالي الجامع الأعظم بحضرة الخانقاه السميناطية . وكان شديدا في دواداريته على الناس . ذكره ابن خطيب الناصرية ، والحافظ ابن حجر . انتهى ١٥

ومن تأمل أفعال الأمراء في قرون الخمسمائة وما بعدها ، رأى الاستبداد ضاربا أطنابه ، والظلم والبغي ناشرا أجنحته ، مرفرفا على النوع الإنساني ، بالجور وقلة الانصاف . فإن الملك إذ ذاك يرخي العنان لنوابه وأموريه ؛ فيتفننون بفنون الظلم ، وسلب أموال الرعية ، ولا يسأله عن أعماله ، ولا يفتاحه بها . حتى إذا رأى خزائنه امتلأت ، وثروته امتد رواقها ؛ تناول به مخالبه ، وأنشبت فيه أظفاره ؛ فيميتها ميتة وحشية ، ويستولي على ما بيده من الأموال والعقار . كأن لسان حاله يقول : أنا أرسل النائب ليجمع الأموال شيئا فشيئا على مهل ، ثم أبتزها منه على عجل ، ولا أبالي باتلاف ٢٥

الخلق وأهلك النفوس . وكانوا يتفننون بأنواع العذاب : فبعضه يكون بالقتل صبرا ، وهو أن يحبس الشخص ، ويمنع الطعام والشراب حتى يموت . وتارة يكون بعصر الأعضاء بالمعصار . ومرة يجعل المعضب حجرا في البناء . وآونة بالحرق ، والخنق ، والضرب بالسيف ، الى غير ذلك من الأفعال الدالة على وحشية الطبع ، وعلى الكبر والجبروت ، وقلة المبالاة بأمر الخالق جل شأنه . نعم كان يتخلل هذه الظلمات نور من ٥ عدل بعض الملوك المؤمنين ، كنور الدين ، وصلاح الدين ، وغيرهما . ثم يسدل الظلام ، ويمد رواقه ، ويأتي الناس ما ينسيهم أخبار أولئك الصالحين والله في خلقه شؤون !

المدرسة (الجهاركسية)

يقال لها : الجهاركسية والجركسية . وهي بالصالحية . ومجلتها مشهورة باسمها ، لكن العوام صحفوها ؛ فقالوا عنها : السركسية بسينين مهملتين . وذلك أنك اذا سرت ١٠ في الطريق الذي هو أمام الدلامية ، عند الجسر الأبيض ، وانتهيت الى آخره عند الطريق العام ؛ قابلتك المدرسة المذكورة .

وقال العلموي : هي بطرف السوق ، فوق نهر يزيد ، عند الجامع الجديد . ومكانها معروف مشهور . انتهى

أقول : وقد وقفت عليها ؛ فرأيتها مندرسة الأطلال ، قد جعلتها أيدي المحتلسين ١٥ دورا للسكنى . ولم يبق منها سوى قبتين عظيمتين قد تهدم أعلاهما ، وتحتهما قبور . وعلى جدارها القبلي كتابة منطمسة الحروف تعسر قراءتها ، تشير الى التعريف بها ، وتاريخ بنائها .

وقال في « تنبيه الطالب » : انها موقوفة على الحنفية والشافعية . وقال بعضهم : ٢٠ انه وقف على كتاب وقفها ، وانها على الحنفية فقط .

وأيا ما كانت ، فقد حرمها مختلسها من العلم وأهله ، ومنعها عن الطائفتين . فماذا يفيد كونها على الشافعية ، أو عليهم وعلى الحنفية ؟!

ومن وقفها : النصف والثلث من قرية بيت سوا من قرى دمشق ، وكفر العواميد بالزبداني ، وأحكار بيوت بالصالحية في جوارها ، والثلث من المزرعة المعروفة بها ، ٢٥ واثنا عشر سهما من قرية بيت سوا أيضا ، وغير ذلك مما لا يعلم أي يد تناولته واستباحته .

ترجمة واقفها

فخر الدين
جهازكس
٦٠٨ - ٠٠

قال ابن خلكان : أبو منصور جهازكس بن عبد الله الناصري الصلاحي الملقب
فخر الدين ، كان من كبراء أمراء الدولة الصلاحية ، وكان كريما ، نبيل القدر ، عالي الهمة
بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة اليه . رأيت جماعة من التجار الذين طافوا
البلاد يقولون : لم نر في شيء من البلاد مثلها في حسنها ، وعظمتها ، واحكام بنائها .
وبنى بأعلاها مسجدا كبيرا ، وربعا معلقا . وتوفي في بعض شهور سنة ثمان وستمئة
بدمشق ، ودفن في جبل الصالحية . وتربته مشهورة هناك ، رحمه الله تعالى .

٥

وجهازكس بكسر الجيم وفتح الهاء وبعد الألف راء ثم كاف مفتوحة ثم سين مهملة،
ومعناه بالعربي أربعة أنفس . وهو لفظ أعجمي معربه أستار(١) والأستار أربعة أواق،
وهو معروف به . وفي « مرآة الزمان » : معناه اشترى بأربعمائة دينار . انتهى

١٠

قال الذهبي : وكان العادل قد أعطاه بانياس والشقيف ؛ فأقام هناك مدة .
وقال ابن كثير : واليه تنسب قباب شركس بالسفح تجاه تربة خاتون ، وبها قبره .
وقد علم من مدرسي هذه المدرسة : القاضي أبو الفتح محمد بن عبد اللطيف
الشكلي الشافعي .

المدرسة (الجوهريّة)

١٥

قال في « التنبيه » : هي شرقي تربة أم الصالح داخل دمشق ، بحارة بلاطه . انتهى

أقول : اذا مررت أمام المدرسة الريحانية ، وسرت مغربا ؛ تجد عن يمينك زقاقا غير
نافذ ، فاذا توسطته ، وجدت في الجدار الغربي حجرا مكتوبا قد علاه الطين ، ودورا .
وأهل تلك المحلة يقولون : ان هناك قبر الجوهري . ولكن بعض هذا التعريف لايفيد ؛
لأن الحجر قد يزيله المختلسون ، وقد يطينون فوقه . وعلى كل فان المدرسة هناك ؛
وقد اختلست من عهد قريب ، وجعلت دورا للسكنى ، وبقي القبر بحاله .

٢٠

قال النعيمي : ورأيت مرسوما على عتبة بابها البسملة وهذه الألفاظ وهي :

هذه المدرسة المباركة وقف العبد الفقير الى الله تعالى ، أبو بكر بن محمد ابن أبي

(١) قاله ابن خلكان .

طاهر بن عباس ابن أبي المكارم التميمي الجوهري على أتباع مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه . وكان الفراغ من عمارتها ، والتدريس بها في سنة ست وسبعين وستمائة . انتهى قال : وأنشأ واقفها وظيفة تدريس بمحراب الحنفية الجديد بجامع دمشق الكبير ، ورتبها بالمكان المذكور . درس بالمدرسة حسام الدين الرازي ، ثم خمسة بعده حنفية .

ترجمة واقفها

نجم الدين الجوهري
٦٩٤-١٠٠٠

هو نجم الدين أبو بكر المذكور سابقا . توفي سنة أربع وتسعين وستمائة ، ودفن بمدرسته عن سن عالية (١) .

حرف الحاء المهملة

المدرسة (الحاجية)

- ١٠ هي والخانقاه بها كانت بالصالحية بالسفح ، قبلي المدرسة العمرية . والتعريف بمكانها : انك اذا وقفت أمام المدرسة العمرية ، وسرت متجها الى القبلة في الطريق الآخذ الى الجنوب ، فانك لاتسير الا قليلا الا وتجد عن يمينك أرضا محوطة بجدار من التراب المسمى باصطلاح ديارنا دكا ، وقد كانت هناك المدرسة الحاجية فتهدمت ؛ واستولى الناس على حجارتها ، وبقيت أرضا قفرا ، ليس بها الا بعض آثار جدران من الحجرات التي كانت بها . والفضل للذين لم يمتلكوا أرضها فيجعلوها بستانا !

- ١٥ والناس يسمونها الآن الحاجية ، وبعضهم يسميها الخانقاه . وهي ملاصقة لبستان قصر الفارة من الجانب الشرقي . وأخبرني من أثق به من المعمرين : أنه منذ سنة سبعين ومائتين وألف كانت عامرة ، وبها خلاوي (٢) ، ومنارة قائمة فتهدمت . والله أعلم بما يؤول اليه أمرها فيما بعد . وليست هي بأول مدرسة تناولها المختلسون غنيمة باردة، ولا وقفها بأول وقف ابتلعه مدعو الايمان ، والعمل بالشرع وهو برىء منهم .

٢٠

(١) بعد هذا الكلام في الاصل بياض قدره أربعة أسطر .

(٢) تقدم بيانها .

ترجمة واقفها

ناصر الدين
ابن مبارك
٨٧٩-٨١٠

انشأها الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير مبارك الأينالي ، دوا دار سودون النوروزي ،
ويعرف بابن مبارك .

قال السخاوي في « الضوء اللامع » : ولد في حدود عشر وثمانمائة . وأول ما عرف
من أمره أنه عمل دوا داراً عند زوج أخته سودون النوروزي حاجب الحجاب بدمشق .
ثم تنقل بها في الوظائف الى أن صار حاجباً ، ثم صار نائب حماه ، ثم تولى نيابة طرابلس ،
ثم عزل منها وصودر ؛ ثم صولح على خمسة وثلاثين ألف دينار ، واستمر على الحجوبة
بدمشق . وكان مذكوراً بالخير في الجملة ، مع نوع فضيلة ومذاكرة . وانشأ مدرسة
للجمعة والجماعات بصالحية دمشق ، وانشأ بها رباطاً فيما أظن . ورام من البرهان
القادري أن يكون شيخ صوفيتها ، فأبى ؛ فقرر ولده . ثم لم يلبث أن مات وهو على
حجوبته ، وذلك سنة تسع وسبعين وثمانمائة . وحضر ولده ؛ فبذل الأموال ، وسلم
من القتل . انتهى

وقال في « تنبيه الطالب » : توجه في حياة سودون الى مصر ، ولم يقم عنده
ثلاثة أيام حتى توفي . فاتصل بالسلطان ، وتقدم عنده . ثم عاد الى دمشق وقد صار
حاجباً صغيراً بها ، وأميراً على التركمان . وشرع في تجهيز الأغنام الشامية من دمشق ،
ومن الشمال الى مصر ؛ فحصل غلاء عظيم في اللحم ؛ حتى صار الرطل يباع في دمشق
بستة دراهم . ثم استقر في نيابة البيرة (١) . ثم صار حاجباً كبيراً بدمشق ، ثم صار
أميراً على التركمان والأكراد .

وقال الجمال ابن عبد الهادي المعروف بابن المبرد في « الرياض » : تولى نيابة
طرابلس وحماه ، وتوفي سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، ودفن بتربته بالقرب من تربة
السبكيين ، تحت كهف جبريل بسفح قاسيون . فاختلف التاريخ عما قبله في وفاته
اختلافاً يسيراً .

وحكى ابن طولون : وكانت المدرسة الحاجبية أولاً زقاقاً غير نافذ يشتمل على بيوت ،
فاشتراها الأمير ناصر الدين من أصحابها ، وبنها مدرسة . ولما كمل بناؤها ؛ صدره
السلطان ، ورسم عليه بها ، حتى باع موجوده ، ورام فكها . وأول من ولي إمامتها :

(١) تدعى الآن بيرهجك ، وهي من بلاد الجمهورية التركية ، قريبة من مدينة حلب .

الشيخ أبو الخير الرملي ، ثم الشهاب العسكري ، ثم ولده الزين عبد القادر ، وشاركه الشهاب الشويكي . وتولى خطبتها : التاج بن عربشاه الحنفي ، ثم الشمس الطيبي ، ثم النجم بن شكيم . وأول من ولي تدريسها الشيخ كمال الدين النيسابوري ، ثم صار إلى غير أهله . قال : وهذه المدرسة من أحاسن الصالحية ، بل من أحاسن دمشق . وجميع إبنيتها من الحجر الأبيض ، غير مسجدتها فإنه من الأصفر والأسود . ومحرابها ، وشباكها القبليان ، وبركتها ، ومئذنتها وأرضها من حجر رخام ومعدزي (١) ، وسقفها عجمية . وكان في نية واقفها أن يجعل سقفها جملونا (٢) ، ويختار له الخشب الموافق؛ فأدرسته المنية ، ولم يتم له ما قصد .

حرف الخاء المعجمة

١٠ المدرسة (الخاتونية البرانية)

رأيت في كتاب « نزهة الأنام في محاسن الشام » لابن المزلق ما نصه : المدرسة الخاتونية هي من أعاجيب الدهر ، يمر بصحنها بانياس ، ونهر القنوات على بابها ، ولها شبابيك تطل على المرجة ، وبها من ألواح الرخام ما لم يسمح الزمان بمثلها ، وبها عدة خلاوى (٣) للطلبة . وبجوارها دار الأمير الأصيل ابن منجك . وهذه المحلة من محاسن دمشق . انتهى

١٥

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكانها وكأنهم أخلام

ومنه يعلم أن تلك الجهات كانت أهلة معمورة . وقد كانت هذه المدرسة والمسجد بها على الشرف القبلي ، عند مكان يسمى صنعاء الشام ، المطل على وادي الشقراء ، وهو مشهور بدمشق .

٢٠

وقال ابن كثير : ويعرف ذلك المكان الذي هي فيه بتل الثعالب .

وقال الصفدي : هذه المدرسة من كبار مدارس الحنفية ، وأجودها معلوما ، وهي بأعلى الشرف القبلي . ١ هـ

(١) الظاهر أنه الحجر الأحمر .

(٢) أي أنه محدب على شكل يشابه سنام الجمل .

(٣) تقدم بيانها .

أقول : صنعا ، كانت قرية بالشرف القبلي ؛ فاخفى اليوم أثرها . ولقد أخبرني بعضهم أن بعض الأغنياء في زمننا ، لما بنى أبيته التي على طريق المزة ، ظفر بحمام تلك القرية تحت الردم، وظفر بآثار أبيتها وحجارتها، والأبنية ظل زائل . وأما الشقراء : فهي من متنزهات دمشق البديعة ؛ وسيأتي الكلام عليها في محلها .

ونقول الآن : ان جوانب المرجة الفيحاء تسمى بالشرفين . وقد قال في « نزهة الأنام » : وكل شرف ، للبلد فيه عدة من المدارس والمساجد . ولكل واحد منهما من الأوقاف ما يكفيه . وقد استولت عليها أيدي المتشبهين بالفقهاء ؛ فأظهروا فيها أنواع المفاسد . وكلا الشرفين يطل على الشقراء ، والميدان ، والقصر الأبلق ، والمرجة ذات العيون والغدران . وما أطف ما قاله ابن الشهيد :

١٠ لم يحك جلق في المحاسن بلدة قول صحيح ما به بهتان
ولئن غدوت سابقا في غيرها ها بيننا الشقراء والميدان

ومن تحرير القيراطي :

١٥ سر بي الى الشقراء من جلق واثن الى الخضراء منك العنان
فيها جنان لو رأى حسنهما أبو نواس للهى عن جنان
وانزل بواديها الذي نشره مسك وحصبا (١) النهر منه جمان

قال العلموي : قلت : هذه الخاتونية هي شمالي نهر بانياس ، مطلة على الميدان الأخضر ، وكانت قبلا بمئذنة وبئر . ورأيت ذلك الى آخر وقت الجراكسة ، وأوائل الدولة العثمانية . وأول من خربها وأخذ رخامها ، ومن جملة رخام المحاريب ، سيبي ، ووضع ذلك بمدرسته الكائنة بباب الجابية ، الملقبة بجمع الجوامع . ودرس بها أبو الحسن البلخي ، ثم سبع مدرسين ، منهم الجلال عمر الخجندي : كان فقيها زاهدا ، بارعا عاقلا ، عارفا بالمذهب ، صنف في الفقه والأصلين ، ودرس بالعزية بالشرف الشمالي ، ثم جاور بمكة سنة ، ثم رجع الى دمشق ؛ فدرس بهذه الخاتونية ، الى أن توفي في آخر ذي الحجة سنة احدى وتسعين وستمائة ، عن اثنتين وستين سنة ؛ ودفن الصوفية . ثم درس بها : الشمس الحريري ، ثم البصروي ، ثم ابن قاضي ملطية ، ثم ابن فويرة ، ثم الآدمي . انتهى كلامه .

(١) في الاصل حصباء وحذفنا الهمزة لوزن الشعر .

ترجمة الواقعة

الست خاتون
أم شمس الملوك
٥٥٧-٥٠٠

أوقفتها الست خاتون أم شمس الملوك أخت الملك دقاق ، كما قاله ابن شداد .
قال في « العبر » : سمعت الحديث من أبي الحسن علي بن قيس ، واستنسخت
الكتب ، وحفظت القرآن ، وبنت المدرسة الخاتونية بصنعاء دمشق ، وجاورت بالمدينة
المنورة فماتت بها ، ودفنت بالبقيع . انتهى

٥

وقال العلموي : هي زمرد خاتون ، زوجة تاج الملوك نوري . ثم ذكر نحواً مما تقدم ،
ثم قال : تزوجها أتابك زنكي ؛ فبقيت معه سبع سنين ، ثم حجت وجاورت بالمدينة ،
وتوفيت سنة سبع وخمسين وخمسمائة . وهذه غير خاتون بنت معين الدين التي يأتي
ذكرها . فرحمها الله تعالى وعفا عنها .

١٠

(الخاتونية الجوانية)

كانت بمحلة حجر الذهب . كذا قاله في « التنبيه ومختصره » . والاسماء في زمننا
قد تغيرت ، وبدلت . فلا نعرف تلك المحلة الآن ، ولا في أية جهة هي . ولكن يتضح
مما ذكره المؤرخون في ترجمة الواقعة .

ترجمة الواقعة

خاتون بنت
معين الدين أنر
٥٨١-٥٠٠

١٥ هي خاتون بنت معين الدين أنر^(١) ، زوجة الشهيد نور الدين محمود بن زنكي ، ثم
السلطان صلاح الدين . وليست هي الواقعة . وإنما أوقفها عليها أخوها سعد الدين ،
ثم من بعدها ، فعلى عقبها ونسلها . وماتت ولم تعقب . وهي التي بنت الخانقاه ظاهر
باب النصر ، في أول الشرف القبلي على بانياس .

قال العلموي : هي التي بجانب الطريق ، ويليهام جامع تنكز من الغرب ، ومن القبلة
الآن الاتون ، ومن الشمال النهر وبابها ، وهي الآن معمل قاشاني .

٢٠

(١) أكثر المصادر المخطوطة القديمة على أنه : « أنر » . والمصادر المطبوعة تجعله : « أنر » . ولكن
النسخة القديمة « ل » المسماة مخطوطة لندن لكتاب « الأعلام الخطيرة لابن شداد » تجعلها : « أنر »
كالمطبوعات . وفي النعيمي نقل عن الذهبي في « العبر » : « وكتب على أنر ، على الألف ضمة وفتح النون ،
وصح عليها ، وجعل الرء مهملة ، فليحذر » . ١٠ هـ . نقلاً عن « الأعلام الخطيرة » تحقيق الدكتور سامي الدهان .

هذا كلامه. ورأيت على هامش «مختصره» بخط غيره : أن التي صارت معمل قيشاني هي المدرسة الخاتونية الجوانية. انتهى. وعلى هذا أن المدرسة كانت بتلك الجهة ، وهي التي سماها حجر الذهب .

قال العلموي : وقد خربها وبنى مكانها بيتا ، فخر الدين القدسي المالكي ، وصارت نسيا منسيا. ثم أن كيخيا حسن باشا أخذ منه ماعمره قهرا؛ ولم ينله منها الا الاثم . ١٠ هـ

أقول : قد صرح بأن الخاتونية هذه قد اندرست منذ زمن . وأما القاشاني فقد اندرست أمكنته ، وانقرضت من أيدي الدمشقيين صناعته ، ولم يبق منه الا آثار ملصقة بالبناء ، وهي لبهجتها وجمالها تدهش العقول . فسبحان مغير الاحوال ، ومبيد الامم وصنائعها !

١٠ وقد توفيت خاتون المذكورة سنة احدى وثمانين وخمسمائة ، ودفنت بتربتها التي هي تجاه قبة جركس بالجبل .

قال الأسدي في ترجمة خاتون ، بعد أن ذكر المدرسة والخانقاه : وبنت تربة بقاسيون على نهر يزيد مقابل تربة جركس ، ووقفت على هذه الاماكن أوقافا دارة كثيرة . كذا قال في « مرآة الزمان » .

١٥ قال العماد : وكانت من اغض النساء طرفا ، واعصمهن ، وأجلهن صيانة وحزما ، متمسكة من الدين بالعروة الوثقى ، ولها أمر نافذ ، ومعروف وصدقات ، ورواتب للفقهاء ، وادارات . وبنت للفقهاء الصوفية مدرسة ورباطا . قال أبو شامة : وكلاهما ينسبان اليها : فالمدرسة داخل دمشق بمحلة حجرالذهب ، بالقرب من الحمام الشرقي . والرباط خارج باب النصر ، راكب على نهر بانياس ، في أول الشرف القبلي . وأما مسجد خاتون الذي في آخر الشرف القبلي من الغرب ، فهو منسوب الى زمرد خاتون بنت جاولي ، اخت الملك دقاق لأمه . قال العماد : وهذا سوى أوقافها على معتقيها، وعوارفها ، وأقاربها . فرحمها الله تعالى .

حرف الدال المهملة

المدرسة (الدماغية)

- تقدم الكلام عليها ، وأنها على الفريقين : الحنفية والشافعية . ومن مدرسيها من الحنفية : عبد الوهاب بن أحمد بن سحنون الحنفي ، خطيب النيرب ، وشيخ الأطباء . وكان طبيبا ماهرا حاذقا ، وله شعر وفصائل . توفي سنة أربع وتسعين وستمائة .

حرف الراء

المدرسة (الركنية)

- أقول : هي بالصالحية بمحلة الاكراد ، قبلي الطريق . ينزل الداخل اليها على درج ؛ فيرى ساحة متوسطة في الانفساح ، وبالجانب الشرقي قبة عظيمة ، وبالجانب الغربي جامع . وكلاهما مبني بالحجارة الضخمة بناء متقنا هائلا . وهي عامرة الى الآن ، لم يغير الزمان شيئا من رونقها ؛ الا أن يكون بعض المختلسين أخذ قطعة من جانبها الغربي ، فاختلسها . وهي الآن برسم جامع للصلوات الخمس . قال النعيمي : أوقف بانيها عليها أوقافا كثيرة ، وكان من شرط مدرستها أن يسكن بها .

ترجمة واقفها

ركن الدين
منكورس
٦٣١-٠٠٠

- ١٥ . أنشأها الأمير ركن الدين منكورس الفلكي ، غلام فلك الدين أخي الملك العادل . وكان من خيار الأمراء ، مواظبا على الصلوات في المسجد ، مع قلة الكلام ، وكثرة الصدقات . وقال الذهبي في « تاريخ الاسلام » : ناب في الديار المصرية للملك العادل ، وكان محتشما عفيفا ؛ يجيء الى الجوامع وحده ، وله بجبل قاسيون تربة ومدرسة ، ووقف عليها أوقافا كثيرة . انتهى
- ٢٠ . توفي بقرية جرود من أعمال دمشق ؛ وحمل الى تربته في هذه المدرسة ، فدفن فيها سنة احدى وثلاثين وستمائة . وكان بناء المدرسة سنة احدى وعشرين . وحكى العلموي له كرامات تركناها هنا اختصارا .
- ودرس بالركنية وجيه الدين القاري ، ثم بعده أربعة عشر مدرسا .

المدرسة (الريحانية)

جوار المدرسة النورية من الجانب الغربي . وقد تقلبت عليها الايام ؛ الى أن استقرت في زمننا هذا مكتبا للاطفال . وأظن أنها لم تسلم من الاستيلاء على شيء من اطرافها . وقد وقف عليها بانيها أوقافا معلومة مشهورة . وقد قرأت الحجر المحفور الموضوع أسكفة (١) لبابها ؛ فاذا فيه بعد البسملة :

وقف هذه المدرسة المباركة جمال الدين ريحان بن عبد الله على المتفقهة بها على مذهب الامام الاعظم سراج الامة أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، رضي الله عنه . ووقف عليها جميع البستان الخراجي المعروف بأرض الحوارى ، والأرض المعروفة بدف العناب ، والقرماوى بأرض القطائع ، والجورتين : البرانية والجوانية بأرض الخامس ، والنصف والثلث من الريحانية ، ومن الاسطبل المعروف بعمارية ببستان بقر الوحش وذلك معروف مشهور « فمن بدله » الآية ١٨١/٢ ، سنة خمس وسبعين وخمسمائة . وهي معروفة كما قلنا ، ولكن أوقافها مجهولة لم ندر من اختلسها .

وقد درس بها جماعة منهم : صاحب محمد بن يعقوب الحلبي المشهور بابن النحاس ، وكان من أساطين العلم ، مكبا على الفقه . قال الصفدي :

ولد سنة أربع عشرة وستمائة ، واشتغل بالعلم ببغداد ، وكان صدرا معظما ، متبحرا في المذهب وغوامضه ، موصوفا بالذكاء ، وحسن المحاضرة والمناظرة . انتهت اليه رئاسة المذهب بدمشق . ودرس بالريحانية والظاهرية . وولي نظر الدواوين ، والأوقاف ، والجامع . وكان معمارا مهندسا ، كاتبا موصوفا بحب الانصاف في البحث . وكان يقول : أنا على مذهب أبي حنيفة في الفروع ، وعلى مذهب أحمد في الأصول . وكان يحب الحديث والسنة . وفيه يقول علاء الدين الوداعي :

ومن مثل محي الدين دامت حياته الى مذهب الدين الحنفي يرشد
لقد أشبه النعمان وهو حقيقة أبو يوسف في علمه ومحمد
توفي في المزة أواخر سنة خمس وتسعين وستمائة ، وله إحدى وثمانون سنة وشهران . قاله الذهبي .

(١) تقدم بيانها .

(٢) ذكر ذلك المؤلف على الحاشية فأثبتناه للأمانة العلمية .

ترجمة واقفها

جمال الدين ريحان
٦٩٥-٦٩٤

أنشأها ريحان المتقدم ذكره ، وكان طواشيا يخدم السلطان محمود بن زنكي ، وجعله واليا على السجن والقلعة ، وبقي على ذلك الى أن توفي السلطان ، ودخل صلاح الدين لأخذ دمشق . ثم راسله حتى استماله ، وأغزر له نواله ؛ فتملك القلعة منه ، وما زال في الدولة الصلاحية حتى توفي ، رحمه الله تعالى .

٥

المدرسة (الزنجارية)

قال القاضي عز الدين ، والنعمي : هي خارج باب توما ، وباب السلامة . ويقال لها: الزنجيلية المسبعة ، تجاه دار الأطعمة . وبها تربة ، وجامع بخطبة بمعلوم على الجامع الأموي . وهي من أحسن المدارس . والذي وجد من أوقافها : حانوتان جوارها ، ولها طاحون بالقرب منها ، وبجوار الطاحون حانوت . قال عز الدين : كذا رأيته في كشف مشد الأوقاف لمحمد بن منجك الناصري . انتهى

١٥

قال العلوي : وهي التي على بابها هذا الرخام الذي من عجائب الدنيا ، وهذه الصناعات التي كانت كأنها بين أيديهم كالعجين .

وحكى العمري في « ذيله » على « مختصر العلوي » : أن جامعها خطب به الشيخ ابن التينة ؛ فلما مات انقطعت الخطبة منها . وفي أيام قاضي قضاة الشام عبد الرحمن أفندي ، كشف على المكان المذكور ؛ فوجده قد تهدم منه القبو . فأمر بعمارته ، وعين خطيبا ، وأقيمت الجمعة كما كانت ؛ وذلك في سنة إحدى عشرة وألف .

١٥

أقول : هذا التعريف بهذه المدرسة فيما مضى . وأما الآن فاني نقبت عنها ، حتى علمتها بعلاماتها ، وعرفت أن اسمها تغير ؛ والناس يسمونها جامع السقيفة بالتصغير ، وليس بناؤها على طراز بناء المساجد . وكل من له خبرة بأبنية المدارس يحكم بأنها مدرسة . وجدارها الغربي من جهة الطريق هو كما وصفه العلوي به من الرخام المعجن الذي يبهز في اتقانه وحسن بنائه . وهي خارج باب توما . والتربة موجودة ، وبها قبر الواقف . والحانوتان والطاحون كذلك . ويمر بجانبها نهر يسمى نهر الزنجاري ؛ فلعل المدرسة نسبت إليه .

٢٠

وأما دار الأُطعمة ؛ فقد صارت طعام الخراب . وأخبرني بعض جيرانها أنه قد بقي من أوقافها اسطبل ؛ والناظر يُؤجره ، ويعطي أجرته للخطيب ليصلي بها يوم الجمعة فقط . وبقية الأوقات يكون غالبا بابها موصداً . وهي لاتسلم من أن بعض المختلسين تناول طرفا من جانبها الشمالي والله أعلم . وفي « تنبيه الطالب » : أنه درس بها : حميد الدين السمرقندي ، ثم كمال الدين السنجاري ، ثم بعده عشرة مدرسين حنفية .

أقول : وفي زمننا ، لاتدريس فيها ، ولا صلاة ، الا الجمعة وبعض أوقات للمنفردين .

ترجمة واقفها

إنشأها عز الدين عثمان الزنجبيلي صاحب عدن . قال في « الروضتين » نقلا عن العماد الكاتب ما خلاصته : لما توفي الملك المعظم شمس الدين ، أشفق السلطان صلاح الدين من نوابه باليمن ، وذكر ما بين ولايتها من الاحن . ووصل الخير بما يجري بين الأمير عثمان ابن الزنجبيلي والي عدن ، وبين الأمير حطان والي زبيد من الفتن . فندب الى زبيد عدة من الأمراء لحفظ البلاد ، واصلاح الأمور ، ومن جملتهم والي مصر صارم الدين خطلبا . وبقيت الولاية له في غيبته يقوم بها نوابه . قال ابن أبي طي : وكانت نفس طفتكين ، أخي الملك الصالح ، تميل الى اليمن ، ويرغب في أن يصير واليا عليها . فتوسل الى صلاح الدين بالوسائل الفعالة المستميلة ، حتى ولاه عليها سنة ثمان وسبعين وخمسائة ، وجعله واليا على زبيد وعدن واليمن . ثم سار ؛ ولما وصل الى زبيد ، قاوم حطانا حتى أنزله عن رتبته ، ثم سمح له بالخروج بجميع أمواله ومن يلوذ به . ولما أخذ جميع ما كان يملكه ، وصار خارج البلد ؛ كر عليه ، فأخذ منه جميع ما بيده . ولما انتهى الخبر الى عثمان ابن الزنجبيلي ؛ فر من عدن بأمواله الى الشام ، فنجى بها وينفسه .

قال أبو شامة : قلت : ولهذا الأمير أوقاف وصدقات بمكة ، واليمن ، ودمشق . واليه تنسب المدرسة والرباط المتقابلان بساب العمرة بمكة ، والمدرسة التي خارج باب توما بدمشق .

قال ابن كثير : وكان قد حصل من اليمن أموالا عظيمة جدا . وحكى ابن الأثير : أن المترجم لما سمع بما جرى على حطان بن منقذ المذكور خاف ، فسار نحو الشام خائفا

يترقب. وسير معظم أمواله في البحر ؛ فصادفهم مركب فيها أصحاب طفتكين ، فأخذوا كل ما للمترجم ، ولم يبق له الا ما صحبه في الطريق . وصفت زبيد ، وعدن ، وجميع بلاد اليمن لطفتكين .

حرف السين

المرسة (السفينية)

٥

هي بجامع دمشق . ولم يذكر النعيمي ، ولا العلموي موضعها . والظن الراجح انها حلقة كانت بالجامع .

قال النعيمي : لم يعلم لها واقف . ودرس بها : أكرن بن سلطان ، ثم الصدر بن عقبة ، ثم محي الدين ، ثم التاج السنجاري ، ثم الصدر ، ثم العماد ابن الشما ع . وسيأتي الكلام عليها عند الكلام على الجامع .

١٠

المرسة (السيائية)

عرفها النعيمي بأنها خارج باب الجابية ، وشمالى بئر الصارم . والتربة بها ، والزاوية أيضا . كذا قال . ولعل الصحيح أن التربة والبئر شماليتها .

قال العلموي : بناها واقفها من سنة خمس عشرة وتسعمائة الى سنة احدى وعشرين . وجعلها جامعا ، ومدرسة ، وزاوية ، وتربة . عمرها بالحجر الأبلق ، والرخام . ولم يدع بدمشق مسجدا مهجورا ، ولا مدفنا معمورا الا واخذ منه من الأحجار ، والآلات ، والرخام ، والعواميد ما أحب واراد . وتقلد ذلك ، حتى سماها علماء دمشق جمع الجوامع . ثم انه لم يهنا بها ، وسافر مع الغوري الى مرج دابق . وتضاف العسكران به . فما احتل عسكر الجراكسة لحظة حتى انكسر الغوري ، وقتل سيباي ، ولم يدفن بمدفنه .

٢٠

ولا يخفى ما في كلام العلموي من التحامل والخط على الباقي ؛ لأنه اخذ أنقاض المدارس المتهدمة ، والتراب التي كان بناؤها على خلاف أمر الشريعة المحمدية ، كما سنوضح ذلك في أول الكلام على التراب ، ان شاء الله تعالى .

هذا وقد نص جمهور من الفقهاء على أن الوقف إذا تعطلت منافعه ؛ يجوز بيعه ؛ واستبداله بوقف آخر . وعلى أنه يجوز نقل حجارة المسجد وترابيه إذا خرب الى مسجد آخر . وبعض الفقهاء الجاحدين لا يعلمون بأن غالب أدلة الفقه ظنية ؛ فيخطئون كل من خالف مشربهم ، بل يدعون أنه لاحكم لله الا ما قاله من قلدوه . وهذا من الجهل والبعد عن العلم ، أنقذنا الله من الغفلة ! وأما المدرسة المترجمة، فهي الآن موجودة بباب الجابية . وقد اشتهرت باسم الجامع المعلق ، وباسم الجامع السيائي . والعوام يحرفون اللفظة فيقولون : جامع السباهية . ولها باب من الطريق العام ؛ يصعد اليه بدرج ، وباب آخر من طريق القنوات . وهي واسعة الأرجاء ، متقنة البناء ؛ الا أنها معطلة لاتقام بها الجماعة، ولا ينتفع بها . غير أن قسما منها قد جعل مكتبا للأطفال ، والباقي مقفل . وما حقها أن يفعل بها هذا الفعل . لكن حسن موقعها ، واتقان بنائها ينادي على أن يجعل لها شأن عظيم . وسيكون ذلك بعونه تعالى .

ترجمة بانيها

أنشأها نائب الشام سيبيي الذي كان أمير السلاح بمصر . ويعلم من كتاب تحفة الناظرين « أنه كان مقربا عند الملك الأشرف قانصوه الغوري . وكان قانصوه شديد الطمع ، كثير الظلم والعسف ، يصادر الناس في أموالهم ، وإذا مات أحد أخذ جميع ماله ؛ فبطل في زمنه الميراث ، وصار وارثا لجميع رعيته . ولم يكف ظلمه حتى اتخذ ممالك يعينونه على ظلم الناس . ثم انه صار بينه وبين السلطان سليم ؛ فقصد كل منهما الآخر ، واجتمعا بعسكرين عظيمين في مرج دابق سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة . فوقع الغوري تحت سنابك الخيل ، وانهزم عسكره ، وقتل سيبيي في تلك الواقعة . وكان السلطان سليم هو السيف المسلط على الجراكسة حتى أفناهم .

سيبيي
٩٢٢-٠٠٠

حرف الشين

المدرسة (الشبلية البرانية)

قال ابن شداد في كلامه على المدارس الخارجة عن البلد : المدرسة الشبلية الحسامية بسفح جبل قاسيون ، بالقرب من جسر ثورا . ا.هـ

أقول : وقد أبهم موضعها ، ولم يبين أي جسر ؛ أهو الجسر الأبيض أم غيره ! والَّذي يظهر أنها بالقرب من البدرية ؛ وقد مر بيانها . ولقد وقفت عند البدرية أسأل أطلالها عنها ، وعن الشبلية ؛ فوجدت بستانا يسميه العامة بالشبلي وبستان الشبلية ، وهو على طريق عين الكرش بالقرب من جسر نهر ثورا . فدخلت البستان ؛ فإذا في جانبه بناء له أربعة جدران قائمة ، وبها قنطرتا ايوانين . وبجانب هذا البناء قبة ، تحتها قبر .
فناداني ذلك البناء المتداعي للسقوط : تلك آثار المدرسة التي تبحث عنها ؛ وقد حال الحال ، وتغيرت الرسوم ، ولم يبق الا ما نشاهده ، ولربما بعد مدة لا ترى شيئا مما تراه الآن ! فقلت عليك يا شبلية السلام . عدد ما سكنك من طلاب العلوم . ومن أوقاف هذه المدرسة قرية بيت نائم بأواخر الغوطة .

ترجمة واقفها

١٠

شبل الدولة كافور
٦٢٣-٠٠٠

أوقفها شبل الدولة كافور الحسامي الرومي ، نسبة الى حسام الدين عمر بن لاجين ولد ست الشام . وهو الذي كان مستحشا على عمارة الشامية البرانية لمولاته ست الشام .

قال ابن كثير : وهو الذي بنى الشبلية الحنفية ، والخانقاه على الصوفية الى جانبها ، وكان محلها منزله . ووقف القناة ، والمصنع ، والسباط ، وفتح للناس طريقا من عند المقبرة التي هي غربي الشامية البرانية ، الى عين الكرش . ولم يكن للناس قبله طريق الى الجبل من هناك ؛ وانما كانوا يسلكون اليه من عند مسجد الصفي بالعقبة . توفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، ودفن في تربته التي انشأها .

ودرس بهذه المدرسة صفي الدين السنجاري ، ثم بعده اثنا عشر مدرسا ، آخرهم شمس الدين ابن الرضي ، ومنهم : سعيد بن علي بن سعيد البصروي الحنفي . قال الذهبي : هو مدرس الشبلية ، أحد أئمة المذهب ، وكان دينا ورعا ، نحويا شاعرا . توفي سنة أربع وثمانين وستمائة وقد قارب الستين . قال ابن كثير : له تصانيف مفيدة ، ونظم حسن منه :

قل لمن يحذر أن تدركه	نكبات الدهر، ما يغني الحذر
أذهب الحزن اعتقادي أنه	كل شيء يقضاء وقدر

٢٥

وقال الصفدي : كان أماً مفتياً ، مدرساً بصيراً بالمذهب ، جيد العربية ، متين
الديانة ، شديد الورع ؛ عرض عليه القضاء ، أو ذكر له ؛ فامتنع . ومن شعره قوله :
استجر دمعك ما استطعت معينا ففساه يمحو ما جنيت سنيـنا
أنسيت أيام البطالة والهوى أيام كنت لذي الضلال قرينـا
ثم ان الصفدي روى له قصيدة طويلة في هذا المعنى .

(الشبلية الجوانية)

قال ابن شداد : هي مقابل الأكرية الشافعية . انتهى
قلت : قد تقدم فيما مر أن الأكرية غربي الطيبة والتنكزية ، وشرقي تربة أم الصالح .
وخلاصة القول في أمرها : أنها كانت في الجدار القبلي من الطريق المار أمام المحكمة
الكبرى المسماة بمحكمة الباب . والمار أمام المحكمة سائرا إلى الجهة الغربية ، تكون عن
يساره . وقد انطمست الآن معالمها ، وعفت آثارها ، وأمسّت دورا للسكنى ، ولم يبق
من آثارها سوى حجارة من جدارها الشمالي تنشد قول قعنب الفزاري بصوت ضعيف :
فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يفو لا يعدم على الفى لائما
فيجيبها مختلسها بقول المتلمس :
وما كنت الا مثل قاطع كفه بكف له أخرى فأصبح أجذما
والذي أنشأها شبل الدولة المعظمي (١) صاحب المدرسة التي قبلها . ودرس بها ابن
النجاد ثم خمسة مدرسين بعده .

شبل الدولة
كافور

حرف الصاد

المدرسة (الصادرية)

هي داخل دمشق ، بباب البريد على باب الجامع الأموي الغربي . قاله في « تنبيه
الطالب » . وقال : وهي أول مدرسة أنشئت بدمشق سنة احدى وتسعين وثلاثمائة .

(١) هو كافور الحسامي المتقدم ذكره .

وفي بعض نسخ « التنبية ومختصره » أبدال الثلاثمائة بأربعمائة وهو خطأ من النسخ.

- أقول :** هذه المدرسة من جملة ما اندرس من المدارس ، واسمها مشهور معلوم . ولم يبق من أطلالها الا بعض من صحنها ، وبه بركة الماء ، وفي جانبها بئر من الماء ، وفي الجانب القبلي تربة في حجرة صغيرة ، والباقي قد اختطفته يد المختلسين ، فصار دورا للسكنى . ومحلهما يقال له : الصادرة . وآثارها الباقية تنشد قول ذي الرمة :
- إذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح

ترجمة واقفها

شجاع الدولة صادر

- لم أر لمنشئها ترجمة في « تاريخ الحافظ ابن عساكر » . والذي رأيته في غيره كلمات يسيرة وهي : أنشأها شجاع الدولة صادر بن عبد الله . وهي أول مدرسة أنشئت بدمشق سنة احدى وتسعين وثلاثمائة . ودرس بها علي بن زكي الكاساني ، ثم أبو الحسن البلخي صاحب المدرسة البلخية لصيقها ، ثم بعدهما اثنا عشر مدرسا ، منهم : رشيد الدين الغزنوي ، وبرهان الدين الغزنوي . انتهى . وعسى أن نظفر بأكثر من هذا البيان فنثبته هنا . ومن جملة من درس بها : محمد بن أسعد بن الحكيم العراقي الواعظ ؛ كان له القبول التام في الوعظ بدمشق ؛ وروى المقامات عن الحريري ، وصنف لها شرحا ، وصنف تفسيراً للقرآن الكريم . وتوفي سنة سبع وستين وخمسمائة عن ١٥
- نيف وثمانين سنة . قاله الذهبي .
- قال الأسدي في ترجمته : بنى له الأمير معين الدين أنر مدرسة . وترجمه الحافظ ابن عساكر بنحو ما تقدم .

حرف الطاء

المدرسة (الطرخانية)

٢٠

كانت قبلي المدرسة الباذرائية . وقد عفت رسومها ، ومحيت أطلالها ، وأخنى عليها الزمان ، وأمست دورا للسكنى تنتقل من يد الى يد .

قال ابن شداد : كان محلها يعرف بدار طرخان ؛ فاشتراها سنقر الموصلية ، وجعلها

- مدرسة لأصحاب أبي حنيفة . وكان أنشاؤها لأجل البرهان علي البلخي سنة خمس وعشرين وخمسمائة . وهو أول من درس بها ، ثم من بعده أحد عشر مدرسا ، آخرهم شهاب الدين بن فزارة . وتقدم بعض الكلام على البرهان البلخي في المدرسة البلخية .
- ومن أفاضل مدرسي هذه المدرسة : اسماعيل بن ابراهيم بن أحمد بن غازي بن محمد القاضي الشيباني المارداني الدمشقي الحنفي المعروف بابن فلوس . ولد ببصرى سنة أربع وأربعين ، واشتغل بالفقه ، وسمع الحديث ، وناب بالحكم بالمدرسة الطرخانية بجيرون ، ودرس بها ، وكان شيخا دينا لطيفا . قاله الأسدي . وقال : بعث اليه الملك المعظم يأمره باباحة الأنبذة . قال ابن كثير : أمره باباحة نبيذ التمر وماء الرمان ؛ فأبى ، وقال : لا أفتح على أبي حنيفة هذا الباب ؛ وأنا على مذهب محمد في تحريمها ؛ وقد صح عن أبي حنيفة أنه ما شربها قط ، وحديث ابن مسعود لا يصح ، وما روي فيه عن غيره لا يثبت . فغضب الملك المعظم وأخرجه من الطرخانية ، وأعطاهما للزين محمد ابن البقال . فلم يتأثر ، وأقام في بيته ، وأقبل على التحديث والفتوى والإفادة ، الى أن توفي سنة ثلاثين وستمائة .

ترجمة واقفها

تقدم أن الذي أنشأها سنقر الموصل (١) .

سنقر الموصل ١٥

المدرسة (الطومانية)

كانت تجاه دار الحديث الأشرفية بدمشق ، غربي الشرفية والفقاعية . وقد اندرست ، واندرست معها الشرفية ، وأجابتهما الفقاعية ؛ فذهب الكل أدراج الرياح ، وأمسى مخازن وحوانيت ، ودورا للسكنى .

قال في « تنبيه الطالب » : لم أقف على ترجمة واقفها . ووقفها نصف قرية قصيفة ، غربي المعوفس ، وقبلها أهه من اللجاء . وجوانب جوارها جراب . وقد احترق بعضها في بعض الفتن . ولعل واقفها طومان النوري بن ملاعب بن عبد الله الأنصاري الخزرجي ، الأمير الكبير صاحب الرقة .

٢٠

طومان النوري

٥٨٥-٠٠٠

(١) بعد هذا الكلام في الاصل بياض قدره ستة أسطر .

قال الأسدي : كان شجاعا ، جوادا محبا للخير كثير الصدقات ، ما ثلا الى العلماء والفقهاء . وبنى بحلب مدرسة للحنفية . توفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وقد جاوزت سنه المائة ، ودفن قبل العاصية في صور ؛ وقبره يزار . وقد بنى الخان المعروف بطريق حلب . هذا كلام « التنبيه » . ولا يخلو التعريف بوقفها عن تحريف لم يظهر لي تحريره اثناء الكتابة ؛ لكثرة ما في النسخة التي اطلعت عليها من الاغلاط ، ولكن الأمر سهل لأنه تعريف عن شيء قد تلاشى واندرس .

حرف الظاء

المدرسة (الظاهرية الجوانية البيبرسية)

- ١٠ قد تقدم ذكر محلها ، وأنها هي الظاهرية الجوانية بعينها . ولما كانت على الفريقين: الشافعية والحنفية ، كرر ذكرها هنا .
- وقد درس بها : صدر الدين الأذرعي صاحب الجامع الصغير ، ثم بعده ستة مدرسين ، منهم : ركن الدين السمرقندي وكان شيخ الحنفية في زمنه . سطا عليه بعض أعدائه فخنقه ، والقاءه في بركتها ، وأخذ ماله . وبعد التدقيق عن الفاعل ، علم أنه بوابها علي الحوراني ؛ فصلب على بابها .
- ١٥ وترجم صاحب « التنبيه » الأذرعي ، فقال : هو سليمان ابن أبي العز بن وهب ابن عطاء أبو الربيع الحنفي الأذرعي ، صاحب الجامع الصغير ، شيخ الحنفية في زمنه ، وعالمهم شرقا وغربا . أقام يدرس مدة في دمشق ، ويفتي ، ثم انتقل الى الديار المصرية . ولد سنة أربع وستين وخمسمائة . وتفقه على الجمال الحصري ؛ وولي قضاء القاهرة أيام الظاهر بيبرس تولية عامة حيث حلت ركاب السلطان . وكان يحبه ويعظمه ، ولا يفارقه في غزواته . ثم استعفاه من قضاء القاهرة ، وعاد الى دمشق . فأقام بها مدة يدرس بالظاهرية . ولما مات ابن العديم عرض عليه منصبه فقبل ، وباشره ثلاثة أشهر . ومات ليلة الجمعة سادس شعبان سنة سبع وستين وستمائة ، ودفن بالقرب من الجامع الأقرم . ومن لطيف شعره ما قاله في مملوك تزوج إحدى جوارى الملك المعظم :

يا صاحبي قفا لي وانظرا عجبا اتي به الدهر فينا من عجائبه
 البدر أصبح فوق الشمس منزلة وما العلو عليها من مراتبه
 أضحى يماثلها حسنا يشاركها كفوا وسار اليها في مواكبه
 وأشكل الفرق لولا وشي نممة بصدغه واخضرار فوق شاربه

٥ ويوجد بين ما تقدم من سنة ميلاده ، وبين ما حكاه ابن كثير ، خلاف واضح . فانه
 قال : ولد سنة خمس وسبعين . ولعل السبعين تصحيف . وأنها ستون ، أو أحدهما
 مصحف . وحكى ابن كثير في ترجمته : أن السلطان بيبرس ، لما أراد أن يوقع الحيلة
 على أملاك الناس ؛ أراد من الأذرع أن يحكم بمقتضى مذهبه ؛ فغضب من ذلك ،
 وقال : هذه الأملاك بيد أربابها ، ولا يحل لمسلم أن يتعرض لها ؛ ثم نهض من المجلس
 وذهب . فغضب السلطان من ذلك غضبا شديدا ، ثم سكن غضبه . وكان يثني عليه
 ١٠ بعد ذلك ، ويمدحه ويقول : لا تثبتوا كتابا إلا عنده . ثم قال ابن كثير : وكان المترجم
 من العلماء الأخيار ، كثير التواضع ، قليل الرغبة في الدنيا .

الجوبري

ترجم الصلاح الصفدي الجوبري ، مدرس الظاهرية الحنفية ، فقال : هو محمد ابن
 عثمان ابن أبي الحسن الجوبري الدمشقي ، قاضي القضاة ، شيخ المذهب . ولد سنة
 ١٥ ثلاث وخمسين وستمائة . وتفقه وبرع ، وحفظ الهداية ، وأفتى ، ودرس وتميز ،
 مع الوقار والسمت الحسن ، وحسن الهدي ، والفتوة والهيبة ، وانطلاق العبارة ،
 وولي القضاء وكان صارما به ، توفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة .

الجوبري
٧٢٨-٦٥٣

حرف العين

المدرسة (العنراوية)

٢٠

تقدم الكلام عليها . وذكرت هنا لأنها على الفريقين : الشافعية والحنفية . وعلم من
 مدرسي الحنفية بها ثمانية ، آخرهم جلال الدين الدارمي الرازي .

المدرسة (العززية)

هي بجوار المعظمية بالصالحية . وسيأتي الكلام على ما انتابها وما وصلت اليه في زمننا ، عند الكلام على اختها المعظمية .

- وحكى في « تنبيه الطالب » أن المعظمية أنشئت سنة احدى وعشرين وستمائة ؛ والعززية سنة خمس وثلاثين وستمائة . ودرس بها : صدر الدين ابن برهان الدين مسعود ، ثم أخوه مجد الدين ، ثم كمال الدين السنجاري . ثم ظهر كتاب وقفها وفيه : أن مدرستها يكون مدرس المعظمية . فاشتغل بها شمس الدين الأذرعي ، ودرس بها شمس الدين بن عزيز ، ثم بدر الدين الحسيني ، ثم الأذرعي أيضا .

ترجمة واقفها

الملك العزيز
ابن العادل
٦٣٠-٠٠٠

- ١٠ أنشأها الملك العزيز عثمان ابن الملك العادل ، شقيق الملك المعظم . وكان صاحب بانياس ، وتلك الحصون التي هناك . وهو الذي بنى قلعة الصبيبة بين بانياس وتبنين وهونين . وكان موته بالناعمة ، وهي بستان له بيت بيت لهما . ويظهر من تاريخ الأسدي أن قرية الكتيبة وقف على هذه المدرسة . والكلام على بسط ترجمته في القسم السياسي من هذا الكتاب .

١٥ المدرسة (العزبة البرانية) (١)

كانت فوق عين الوراق بالشرف الاعلى ، شمالي ميدان القصر خارج دمشق . قاله النعمي .

- أقول : أما عين الوراق ، فهي مشهورة الآن ، والميدان هو المرج الاخضر غربي التكية . وموضعها كان قصر الملك الظاهر بيبرس . وأما المدرسة ، فقد وقفت على رسومها واطلالها ، وخاطبتها ، فأجابتنى بقول أحد أدباء بغداد من معاصرينا في رثاء المدرسة المستنصرية بدار السلام :

(١) ذكرت في « الاعلاق الخطيرة » : « مدرسة الامير عز الدين » .

بكيت بها عهدا مضى في عراصها كريما فليت العهد لم يك ماضيا
بكيت بها المدفون في حجراتها من العلم حتى بل دمعي ردائيا

ومعالمها المدرسة الآن في أول زقاق الصخر ، بالقرب من المكان الذي بني محلا
لمجمع الأضواء الكهربائية ، جنوبي الطريق . وقد بقي منها بابها ، ومكتوب على أسكفته (١)
٥ كتابة قاربت الانطماس . وهي على حجرين ، والأعلى منهما مكتوب عليه :

لا اله الا الله محمد رسول الله . بسم الله الرحمن الرحيم . « وما تقدموا لأنفسكم
من خير تجدوه عند الله » آية ٢/ ١١٠ . وتاريخه سنة ست وعشرين وستمائة .

والأسفل منهما مكتوب عليه :

أوقف هذه المدرسة المباركة وأبدعها وحبسها ، الأمير الكبير الغازي المجاهد
١٠ أبو الفضل عز الدين إبيك ، على الفقهاء والمتفقهة ، من أصحاب الإمام الأعظم سراج الأمة
أبي حنيفة رضي الله عنه ، وعلى المقرئين والمحدثين والمستمعين ، تقبل الله منه . وهذا
الباب قريب الاندراس . ولما دخلتها ، رأيت ثمار العلوم التي كانت تجتنى منها قد بدلت
بشمرات الأشجار ، وجعلت أمكنة حجراتها ومسجدها وساحتها بستانا . ولما تتبععت
آثار جدرانها ، لم أجد شيئا باقيا منها سوى أساس الجدار الشمالي ؛ وقد أقيم عليه
١٥ ذلك البستان ، والباب مسدود . ولاح بخاطري أن أعلم مساحة أرضها ؛ فرايت طولها
من الشرق الى الغرب نحو من ستين خطوة ، والعرض مقدار النصف من ذلك . وهي
تشرف على واد عميق ، وجدارها الجنوبي مؤسس من أسفل ذلك الوادي ؛ وقد بقي
سالم الى ما يسامت أرضها . وفي الزاوية الجنوبية منها قبة عظيمة قائمة في الهواء ،
صبرت على مر الرياح وكر القرون ؛ فلم تؤثر بها الحوادث شيئا . ومساحة داخلها
٢٠ سبع خطوات في سبع . وفي وسطها قبر عز الدين ، وارتفاعه عن الأرض نحو ذراعين .
والقبة شباك كان مطلان على ميدان القصر . وكلها مبني بالحجر الأصفر . وهذه المدرسة
كانت في أيام سعودها نزهة للأبصار ، وملعبا للنسيم اللطيف العليل ؛ تهدي لسكانها
أبهج المناظر الدمشقية . يقون لسان حالها : عجباً لمن يسكنني ولم تتفجر من فؤاده
ينابيع الحكمة والعلم ؛ فسبحان الباقي !

(١) تقدم بيانها .

ترجمة واقفها

عز الدين أيبك
٦٤٦-٠٠٠

- تقدم أن الذي بناها الأمير عز الدين أيبك استاذ دار^(١) المعظمي المعروف بصاحب صرخد ، سنة ست وعشرين وستمائة . وكان من العقلاء الأمجاد .
- وقال ابن كثير : استنابه الملك المعظم على صرخد ؛ فظهر منه نهضة وكفاءة . ووقف القريتين : البرانية والجوانية . ثم ان الملك الصالح أيوب أخذ منه صرخد ، وعوضه عنها .
- ٥ فأقام بدمشق على خير وتقى . ثم تناوله الوشاة بالسنتهم ، واتهموه بأنه يكاتب الملك الصالح اسماعيل ؛ فاحتيط على جميع أمواله وحواصله . فأخذ منه القهر كل مأخذ ؛ فمرض ، وسقط على الأرض وقال : هذا آخر عهدي . وكان قد فر الى مصر في مبدأ التهمة ، ومات بها سنة ست وأربعين وستمائة ، ودفن بباب النصر بها . ثم نقل الى دمشق ، ودفن في تربته التي أنشأها بمدرسته . كما أفاد ابن كثير ، وصاحب « مرآة الزمان » .

ودرس بهذه المدرسة الشمس ابن فلوس ، ثم بعده نحو أحد عشر مدرسا ، آخرهم شهاب الدين ابن الفصيح . وكان بها دار حديث ولها ابن المظفر وغيره .

ابن الفصيح

فخر الدين
ابن الفصيح
٦٨٠-٧٥٧

- ١٥ قال عبد الحي اللكنوي في « الفوائد البهية في طبقات الحنفية » مانصه : أحمد ابن علي بن أحمد فخر الدين أبو طالب الهمداني المعروف بالفصيح . كان اماما علامة ، جامعا للعلوم العقلية والنقلية ، انتهت اليه رئاسة المذهب في زمانه ؛ وكان مدرسا بمشهد أبي حنيفة . أخذ عن الحسن السفناقي صاحب « النهاية » ، عن حافظ الدين الكبير محمد البخاري ، عن الكردي ، عن صاحب الهداية . ودرس ببغداد ودمشق ، وأفتى ، وصنف نظم « الكنز » و « الجامع » و « السراجية » في الفرائض ، و « المنار » في الأصول . وكانت وفاته بدمشق سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، ومولده سنة ثمانين وستمائة . وتفقه عليه ابن وهبان . انتهى
- ٢٠ وذكره الذهبي في « معجمه المختص » ، وقال : هو الامام الفقيه النحوي ، تفقه وبرع ، وأفتى ، وتخرج وأفاد ، وأقرأ العربية بالمستنصرية .

(١) في « الدارس » : « استاذ دار » ، وفي « مختصره » : « استاذ دار المعظم » .

المدرسة (الغزية الجوانية)

لم أدر موضعها ، ولكن قال ابن شداد : هي بالكشك ، ويعرف مكانها من قبل بدار ابن منقذ . أنشأها الأمير عز الدين أيبك المتقدم ذكره . وقال ابن كثير : هي بدرب ابن منقذ .

٥ وقال العلموي : درس بها المجد قاضي الطور ، وبعده نحو من أحد عشر مدرسا ، آخرهم شمس الدين ابن الجوزي ، ثم ولده داود . هذا ما اتصل بي من خبرها ، والظاهر أنه أصابها ما أصاب التي قبلها من انطماس الأثر ، والله أعلم .

المدرسة (الغزية) أيضا

كانت بجامع دمشق ، وقد أوقفها عز الدين المتقدم . وكان قد بنى مدرسة في مدينة القدس ، وشرط في كتاب وقفها أنه متى كان القدس بيد الكفار ، كان حاصل المدرسة عائدا إلى المدرسة التي بالجامع . فان عاد إلى المسلمين ، عاد حاصل وقف مدرسة القدس إليها . ولما كانت مدينة القدس بيد الأفرنج ؛ درس بالمدرسة الغزية هذه ابن قاضي الطور ، وبعده مدرسون ثلاثة . ولما فتح بيت المقدس تعطلت ، وعاد ما كان يصرف عليها إلى المدرسة المقدسية . ومن هنا يعلم أنها كانت مدرسة مؤقتة ، وحلقة نائبة عن غيرها ، ولم تكن مدرسة مستقلة . ١٥

المدرسة (العلمية)

كانت شرقي جبل الصالحية ، وغربي الميطورية . وقد تناولتها أيدي الجفاء ، وحل بها وبالميطورية الخراب ، فكان كل منهما نسيا منسيا . وهي من أبنية الأمير علم الدين سنجر المعظمي في سنة ثمان وعشرين وستمائة . ودرس بها الصدر أبو الدلالات ، ثم ستة مدرسين ، آخرهم شرف الدين الواني . كذا نسب بناءها إلى علم الدين جماعة ، منهم عز الدين الحلبي المؤرخ المشهور (١) . ٢٠

المدرسة (الفتحية)

قال ابن شداد ، وصاحب « التنبيه » : هي بركة خالد . أنشأها الملك الغالب فتح

(١) بعد هذا الكلام يوجد في الاصل بياض قدره ستة أسطر ، والحلبي هذا هو المعروف بابن شداد صاحب « الاعلاق الخطيرة » .

الدين صاحب بارين ، نسيب صاحب حماه ، في السنة التي توفي بها ، وجعل لها أوقافا في الديار المصرية . وأنشأ مدرسة ثانية وقد مر ذكرها في مدارس الشافعية .

قال الصفدي في « تاريخه » : وذكر أبو الحسين الرازي أن الدار والحمام المعروفين بخالد في رحبة خالد : هو خالد بن أسد .

- وقال ابن عساكر : يشبه أن يكون نسبة إلى خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ،
بفتح الهمزة وكسر السين ، لأنه كان بدمشق مع عبد الملك . وهو من أهل دمشق ،
وداره بها ، وهي الدار الكبيرة التي في مربعة القبر بقرب القدم ، بدار الشريف الزيدي .
واليه ينسب الحمام الذي هو مقابل قنطرة سنان بباب توما . وهو الذي قتل جعيد
ابن درهم . وكان جوادا سخيا ، ممدحا فصيحاً . إلا أنه كان رجلاً سوء ، كان يقع
في علي رضي الله عنه ، ويدم بئر زمزم وكان نحواً من الحجاج . مات سنة ست وعشرين
ومائة بعد أن عصرت قدماه ، ثم ساقاه حتى انقصفتا ، ثم صلب فمات حينئذ .

وقال ابن عساكر أيضاً : خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد
مناف بن قصي القرشي الأموي له صحبة ، قيل : هو الذي نسبت إليه رحبة خالد
بدمشق . ١٠ هـ

- وأيا ما كان ، فإن نسبة تلك الرحبة لم تتحقق لرجل بعينه . ١٥

قال العلموي : ودرس بالفتحية المذكورة بهاء الدين بن عباس ، ثم ثلاثة أنفس بعده .
ومن شعره :

إذا شئت أن تعطي الأمور حقوقها وتوقع حكم العدل أحسن موقعه
فلا تصنع المعروف مع غير أهله فظلمك وضع الشيء في غير موضعه

- أقول : ولقد خفي علي مكانها ، وسألت عن رحبة خالد كثيراً من أهل دمشق ؛ فلم
يخبرني بها أحد لتطاول الزمان ، وانطماس الآثار . ولعلي أن عثرت على محلها الحق
ببحثها . ٢٠

ولنا مدرسة ثالثة اسمها الفتحية : وهي حديثة العهد ، وهي مشهورة بمحلة
القيصرية . حسنة البناء ، ذات حجرات وغرف ومسجد حسن . ويظهر لمن تأملها أنه
كان لها مطبخ يتناول منه المجاورون بها طعامهم المخصص لهم من وقفها اعانة على طلب
٢٥

العلم ، لكن الناظرين على وقفها اختلسوا أوقافها ، ومنعوا الطلبة من حقهم ، وباعوا جانباً منها . فلم تسلم هي ولا غيرها من المدارس من تعديات المختلسين للأوقاف ؛ بحيث أصبح ذلك الفعل سنة متبعة عند المتأخرين من الدماشقة ، وعند قضاتهم . ولقد تأملتها ، فرأيت مكتوباً على أسكفة بابها ما صورته :

٥ قد وفق الله من حباه في كل ما يرتضي مراده
 بناه لكسب العلوم داراً ومسجد أشيد للأفاده
 فجاء تاريخه بيت قد أحكمته يد الاجاده
 لله ما قد بنى وأحيا من مسجد الفتح للعباده

وتاريخ البناء سنة ست وخمسين ومائة بعد الألف . ومكتوب أيضاً على أسكفة باب المسجد :

١٥ من كان للخيرات أهلاً نجاً والله كاف من اليه التجا
 حسن به الظن تنل بره فهو ولي النعم المرتجى
 يا ناظر اترك على العين الذي وفق للمعروف لها الحجى
 قد اتوا أرخ طالب الدعاء (١) الواقف الفتح بباب الرجا

ترجمة واقفها

١٥

قال المرادي في تاريخه « سلك الدرر » ما ملخصه : فتحي بن محمد بن محمد ابن محمود الحنفي القلاقنسي الأصل ، الدمشقي المولد ، الدفترى ، الصدر الكبير . كان بدمشق صدر أعيانها ، اشتهر بمحاسن الشيم والشهامة والجرأة والاقدام ، وكان ذا نباهة وذكاء وثروة ، وصار دفترياً بدمشق مدة سنوات ، وتولى تولية وقفي السليمانية . وتصدر بدمشق مدير الامور والملا والجمهور ، وكان ذا خدم وأتباع واتساع دائرة ؛ يصطحب من العلماء والأفاضل شزيمة أجلاء ، ومن الأدباء زمراً . وكان عنده فئة من الكتاب المتقنين للخطوط ، ومن أرباب المعارف والموسيقى والألحان ، ومن المضحكين . وبالجمله فقد كانت داره متنزه الأرواح ، ومنتدى الأفراح . وامتدحه الشعراء من

فتحي الحنفي
 ١١٥٩-٠٠٠

٢٠

(١) كذا ورد والله أعلم !

البلاد ، واشتهر صيته في الآفاق . وقد جمع مدائحه أحد ندمائه . الشيخ سعيد السمان ، في كتاب سماه « الروض النافع فيما ورد على الفتاح من المدائح » .
قال المرادي : ان المترجم كان ظلمه عاما ؛ وأتباعه مشهورون بالفساد والفسوق ، وشرب الخمر ، وهتك المحرمات . وهو أيضا متجاهر بالمظالم لايبالي ، ولايتجنب الأذى والتعدي . ومن آثاره في دمشق : المدرسة التي في محلة القيصرية ، والحمام في محلة ميدان الحصى ، وتجديد منارتي السلیمانية ، وغير ذلك . ثم أورد له المرادي نظماً كثيراً ، منه :

- | | |
|------------------------------------|--------------------------------|
| بدا مثل بدر ثمَّ يبسم عن در | غزال ومنه الفرق كالقوكب الدري |
| بقدر كخوط البان رنحه الصبا | فاذرى اعتدالا بالثقفة السمر |
| أغن كأن الله أبدع حسنه | ليستلب الأرواح بالنظر الشزر |
| سقى الله دهرأ مر لي بوصاله | ولم يلو جيد الود عني الى الهجر |
| فكم بات يسقيني المدام عشية | ويمزجها من ريقه العاطر النشر |
| الى أن به شط المزار وقد محى | سطور الأمانى بيننا حادث الدهر |
| وسرت قلوب الحاسدين وطالما | لعن بها عند الدنو على الجمر |
| وله في الشيب : | |
| لاتفضبن لشيب منك حل على | مسك العذار فان الشيب آثار |
| أما ترى الغصن مذ لاحت أزاهره | زادت نضارة ذاك الغصن أنوار |
| وهو مأخوذ من قول دعبل : | |
| لايرعك المشيب أن زار وهنا | فهو للمرء حلية ووقار |
| انما تحسن الرياض اذا ما | ضحكت في خلالها الأنوار |
| وللمترجم في طول النهار في الصيام : | |
| ولرب يوم صمته فكأنه | يوم المعاد وليس منه مهرب |
| وقفت به شمس النهار ولم تغب | فكأنما قد سد عنها المغرب |
| وله : | |
| وأغيد قد أمال السكر قامته | والليل محتبك بالأنجم الزهر |
| دنا الي وكأس الراح في يده | ممزوجة بلماه الطيب العطر |
| وقال خذ وارشف ماء الحياة ولا | تبق للائمك اللاحى سوى الكدر |

ولما كان المترجم ذا يد طويلة ، وعلو قدر ، يتصدى للاستطالة في أقواله وأفعاله ؛
 كثر أعداؤه . ولما توفي الوزير سليمان باشا العظم والي الشام وأمير الحج ، وجاء الأمر
 من قبل الدولة بضبط أمواله وممتلكاته ؛ نسب المترجم الى أمور في ذلك الوقت ؛
 فخرج منها بتولية أسعد باشا العظم واليا على دمشق . ثم ان المترجم كان منتميا الى
 أوجاق البرلية ؛ وكانوا على غاية من الاستبداد والشقاء والفساد ؛ الى أن كتب أسعد
 باشا بأفعالهم الى الآستانة ؛ فجاء الأمر بقتلهم كلهم ، واستئصالهم ، فقتلوا . الا أن
 أسعد باشا أخفى المترجم عنده مدة . ثم جرت أمور الى أن ورد الأمر بقتله أيضا ؛
 فجيء به الى سرايا دمشق ، وخنق في إحدى جهاتها ، وقطع رأسه وأرسل للدولة ،
 وطيف بجثته في دمشق ثلاثة أيام ، في شوارعها وأزقتها ، مكشوف البدن عريانا .
 وضبطت الدولة أملاكه ؛ فكان شيئا كثيرا . وكان ذلك خامس عشر جمادى الثانية
 سنة تسع وخمسين ومائة والـف . ودفن بتربة الشيخ أرسلان(١) .

المدرسة (الفرخشاهية)

تعرف بعز الدين فرخشاه ، والتي أوقفها والدته خطلخير خاتون بنت ابراهيم ابن
 عبد الله ، وهي زوجة شاهنشاه بن أيوب أخي صلاح الدين .
 قال ابن كثير : هي بالشرف الشمالي الاعلى ، والى جانبها التربة الامجدية لولده ،
 وهي على الحنفية والشافعية . وقال الأسدي : انها على الحنفية فقط . ا.هـ
 لكن صاحب « تنبيه الطالب » وغيره لم يذكروا من درس بها من الشافعية ؛ ولم
 يتقدم لها ذكر في مدارسهم . وهذا الخلاف لطائل تحته بعد ما صارت بستانا . ولقد
 وقفت على ما بقي من آثارها ؛ فقرأت كتابة في حائط قبتها الشرقي فوق الشباك ؛
 فاذا هي ، بعد البسملة :
 أمر بانشاء هذه التربة المباركة الفقيرة الى الله تعالى خاتون والددة الملك المنصور ،
 معز الدنيا والدين ، فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب الملكي الناصري . وتوفي مستهل
 جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وخمسمائة .
 ثم دخلت القبة ؛ فاذا لها باب صغير من الجانب الغربي ، وهي متسعة ، وقد سقط

(١) المعروفة الآن بالشيخ رسلان ظاهر باب توما .

أعلاها ، وبنى بها أصحاب البستان الذي كان مدرسة أسطبلًا صغيراً وحجرة ، وجعلوا فوقهما غرفتين . وجدران تلك القبة الأربعة في غاية المتانة ، مبنية بالحجارة الضخمة . وفي جدارها القبلي باب يتوصل منه الى قبة ثانية أصغر منها وهي على حالها لم يتغير شيء من بنائها ، وهي التربة الأمجدية ، وبها قبر مبني بالحجارة الكبيرة ، وارتفاعه عن الأرض أكثر من ذراع . ولها باب في الجانب الغربي . وأمام القبتين الآن من الجانب الغربي ، بركة صغيرة يمر منها الماء . وأما المدرسة فهي الآن بستان ، ولم يبق من آثارها سوى أساس جدارها الذي كان محيطاً بها ؛ وقد جعل أساساً لذلك البستان . ولسوف تذهب تلك الآثار أيضاً . فلم يبق لها ذكر الا في القرطاس .

ترجمة واقفها

- ١٠ قال شاهنشاه في « تاريخه » : وفي سنة ثمان وسبعين وخمسائة توفي عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك . وكان ينوب عن صلاح الدين بدمشق ؛ وهو ثقته من بين أهله . وكان شجاعاً كريماً فاضلاً ، وله شعر جيد . ووصل خبر موته الى صلاح الدين وهو ببلاد الجزيرة ؛ فأرسل الى دمشق شمس الدين بن محمد المقدم ليكون بها ؛ وأقر بعلبك على بهرام شاه بن فرخشاه المذكور . انتهى
- ١٥ وحكي في الروضتين عن ابن أبي طي أنه قال : كان فرخشاه من أكرم الناس ، وأظهرهم أخلاقاً ، وأسدّهم رأياً ، وأشجعهم قلباً . ومما يحكى من كرمه أنه دخل الحمام يوماً ، فرأى رجلاً قد قعد به الزمان ؛ وكان يعرفه من أهل اليسار ، وشاهد عليه ثياباً رثة يبين منها بعض جسده . فاستدعى بجميع ما يحتاج الرجل الى لبسه ، وأمر له بغلام وبغلة مسرجة وبألف دينار ، وقال لبعض غلمانه : اجعل هذا كله في موضع ثياب الرجل ، وخذ ثيابه ، واجعل هذا الغلام والبغلة له . ففعل . ولما اغتسل الرجل وخرج ؛ رأى موضع ثيابه تلك الثياب ؛ فسأل الحمامي عن ثيابه ، فقال : تبدلت بتلك الثياب . فتقدم اليه الغلام ، وأخبره بجميع ما صنع عز الدين معه ، وأخبره بأنه قد صنع له معيشة عشرين ديناراً في كل شهر . فلبس الثياب ، وخرج من الحمام غنياً .
- ٢٥ وكان فرخشاه مضافاً الى شجاعته كونه عالماً متفنناً ، كثير الأدب ، مطبوع النظم والنثر . فمن شعره قوله :

أنا في أسر السقام من هوى هذا الغلام
رشأ ترشق عينا ه فؤادي بالسهم
كلما أرشفني فا ه على حر الاوام
ذقت منه الشهد بالثدا ج المصفى في المدام

٥ وكان المترجم يصحب الشيخ أبي اليمن الكندي . وامتدحه الشعراء بقصائد غراء؛ ذكر بعضها صاحب الروضتين ، وذكرها هنا يخرجنا عما قصدناه من الاختصار . وقد درس في هذه المدرسة من الحنفية : عماد الدين ابن الفخر ، ثم سبعة مدرسين آخرهم شمس الدين بن الصفي . وممن له أثر يذكر منهم :

ابن الحريري

١٠ هو محمد بن عثمان بن أبي الحسن بن عبد الوهاب الأنصاري المعروف بابن الحريري . ولد في دمشق سنة ثلاث وخمسين وستمائة . كذا قاله نجم الدين الطرسوسي في شرحه على منظومته . وتفقه على جماعة ، وشرح « الهداية » ، وعلق فوائد فقهية ، ودرس بعدة مدارس ، وولي القضاء ، وتوفي بمصر سنة ثمان وعشرين وسبعمائة . وقال صاحب « الفوائد البهية في تراجم الحنفية » : كان المترجم عالما فاضلا ، فقيها عارفا بالمذهب ، انتهت اليه الرئاسة في زمانه ، وتولى قضاء دمشق . انتهى ١٥

حرف القاف

المدرسة (القجماسية)

قال في « التنبيه » : هي داخل باب النصر ودار السعادة . انتهى
أقول : أما باب النصر ، فقد كان في السوق المعروف الآن بسوق الأروان (١) . ويظهر من « الروضة الغناء » لنعمان أفندي القساطلي أن المتأخرين سموا هذا الباب بباب السرايا ؛ فانه قال : باب السرايا بقي كما كان قبلا الى سنة ثلاث وستين وثمانمائة وألف للتاريخ المسيحي ، عندما أصلحت الطرقات في أيام شرواني باشا فهدم . انتهى
أقول : وهذه المدرسة باقية الى الآن مشهورة ومعروفة ، وليس بها من أثر قديم يستحق الذكر .

(١) كذا في الاصل وهو المعروف حاليا بسوق الاروام .

ترجمة بانيتها

قجماس الاسحاقى
٨٩٢-٠٠٠

- أنشأها نائب الشام يومئذ ، يعني واليها ، قجماس الاسحاقى الجركسي . كفل دمشق سبع سنين وثمانية أشهر . فعمر هذه المدرسة ، ورتب فيها أربعين مقرا ، بعد عصر كل يوم يقرأ كل منهم جزءا من الربعة ، وجعل لهم شيخا ، ورتب بها أيضا مجاورين ، وعين لهم شيخا ، وأوقافا دارة . قلت : وقد انقرض كل هذا . توفي المترجم سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ، ودفن بتربته التي أنشأها بالمدرسة المذكورة عند بيته .

- وترجمه السخاوي في « الضوء اللامع » فقال ما ملخصه : قجماس الاسحاقى الظاهري جقمق ، نائب الشام ، نشأ في خدمة أستاذه ، وكتب الخط الحسن ، وتقدم في المناصب ، وأقامه الظاهر خشقدم خازن دار أركيسي . ثم أمره بلباي على عشرة بعد أن توجه لنقل المنصور الى دمياط للاذن للمؤيد بالركوب . فلما استقر الأشرف قايتباي ، رقيه وأسكنه بيته ؛ ثم أرسله الى الشام لما تركها نائبها الشمقدار ودواداره أبو بكر . ثم استقر في نيابة الاسكندرية . وأضاف اليه مولاه وهو بها مقدمة ، ثم نقله من النيابة لامرة أخور . وتحول الى الديار المصرية ، وسافر أثناء هذه المدة أميرا على الحاج ، ثم توجه لعمارة برج السلطان في بابل ، وعمر لنفسه جامعا في الاسكندرية ظاهر الباب المسمى بباب رشيد . وجعل هناك تربة وخانا لأبناء السبيل ؛ لأن المسافرين كانوا اذا وصلوا الى هناك بعد الغروب ، لا يقدرون على الوصول للاسكندرية لعدم أمن الطريق ؛ فحصل من الخان نفع كبير . وجعل بجانب التربة بستانا هائلا . وجدد أيضا جامع الصواري ظاهر باب السدرة . وعمر خارجها بالجزيرة ، خارج باب البحر على شاطئ بحر السلسلة هيئة رباط ، وأودع به أسبلة ونحوها . وعمر ، وهو أمير أخور ، مدرسة هائلة بالقرب من خوخة أيدغمش ، وجعل لها متصدرا وقارئا للبخاري . وبنى تربة أيضا ، وعمل خيرات كثيرة . ثم نقل الى نيابة الشام بعد أسر قانصوه اليحياوي ؛ فبنى بجوار باب السعادة داخل باب النصر منها مدرسة ، وقرر لها صوفية ، وعمل بجانبها مطبخا للدشيشة . وسافر لعدة غزوات ، ومات سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة . انتهى . بحذف أشياء لا طائل تحتها .

- ولا بأس بتقييد أشياء تاريخية هنا لتكون كالشرح لما تقدم وهي :

ان الظاهر خشقدم هو الملك الظاهر أبو سعيد الناصري ثم المؤيدي ، وهو السلطان

الأول من الأروام بمصر أن لم يكن المعز أيبك التركماني منهم . وكانت مدة سلطنته ست سنين وخمسة أشهر وأياما . وتوفي سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة .

وأما بلباي ، فهو الملك الظاهر أبو سعيد بلباي العلاني . تولى مصر يوم وفاة خشفقدم . فأقام سبعة وخمسين يوما ، وخلع ، وجهر إلى الاسكندرية ؛ فأقام بها حتى مات .

٥ وأما قايتباي ، فهو الملك الأشرف أبو النصر قايتباي الظاهري المحمودي ، نسبة للخوارج محمود الذي اشتراه ، وللظاهر جقمق معتقه ، وهو السادس عشر من ملوك الجراكسة ، والحادي والأربعون من ملوك الترك . بويع له يوم خلع الظاهر تمريفا سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة ؛ فأقام تسعة أشهر وأربعة وعشرين يوما . وتوفي سنة إحدى وتسعمائة .

١٠ قال الشرقاوي في تاريخه « تحفة الناظرين » : كان قايتباي ملكا جليلا ، له اليد الطولى في الخيرات ، وكانت أيامه كالطراز المذهب ، وهو واسطة عقد ملوك الجراكسة ، وبسار في المملكة بشهامة ما سار (بمثلها (١)) أحد قبله من عهد الناصر محمد بن قلاوون . وله في مصر العمارات الكثيرة من مساجد ومدارس ورباطات وغيرها . ومن هنا تعلم أن مملكة مصر والشام كانت ميراثا للمماليك يديرونها كيف شاءوا ؛ إلى أن كانت سلطنة بني عثمان فأخذت الأمور في الضبط رويدا رويدا إلى الآن .

المدرسة (القصاعية)

هي بحارة القصاعين ، كما في « تنبيه الطالب » . والظاهر أن القصاعين هي محلة الخيضرية أو الخضرية وما والاها . أنشأتها خطلشاه (٢) بنت ككجا سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .

خطلشاه بنت
كوكجا

٢٠ قال عز الدين في « تاريخه » : والذي رأيته مكتوبا بنقرة في صخرة فوق بابها أن اسمها فاطمة بنت الأمير كوكجا . وكذا هو في كتاب الوقف ، كما أخبرني به عاملها القاضي بهاء الدين الحجيني . وشرط الواقف أنه إذا تعذر الحضور بالمدرسة ، فليكن بالجامع الأموي بالرواق الشمالي . وان شرط المدرس بها أن يكون أعلم الحنفية بالأصلين .

(١) لم ترد في الأصل والمعنى لا يكتمل بدونها .

(٢) كذا في الأصل ، وفي « الدارس » : « خطيلسي » .

ودرس بها شهاب الدين الكاشي . ثم درس بها سبعة ، آخرهم حسام الدين الرازي ،
ثم بعد السبعة اثنا عشر مدرسا أيضا ، آخرهم محب الدين ابن القصيف .

أقول : قد فتشت عن مكانها فلم أظفر به ، ولم أجد سوى جدران تدل على أن
هناك كان مدارس . فأصبحت مأوى لريم أو لكبش ؛ فسبحان الباقي بعد فناء خلقه !

٥

(١)

المدرسة (القاهرية)

هي بالصالحية على حافة نهر يزيد ، لصيق دار الحديث القلانسية المشهورة الآن
بالخانقاه ، يفصل بينهما الطريق ، وغربي المدرسة العمرية . قال النعيمي ولم يزد على
هذا .

أقول : وقفت على أطلالها ؛ فلم أجد باقيا منها سوى الجدار الغربي ، وهو مبني
بالحجارة الصفراء ، ولونها فاقع ، ينعي لسان حالها زمنها الماضي ، وعصرها الزاهب .
وبها تربة ، قرأت على باب شباك منها ما صورته :

١٠

هذه تربة الشهيدة الفقيرة التي رحمة ربها ، الست الجليلة عين الشمس زوجة
الشهيد السلطان الملك المعظم ابن الملك العادل ، وابنتها ربيعة بنت السلطان ابن الملك ؛
توفيت سنة احدى وثلاثين وستمائة . ولم أظفر بشرح أحوال هذه المدرسة بأكثر
مما ذكرته .

١٥

المدرسة (القليجية)

قال ابن شداد : الموصي بوقفها الأمير سيف الدين علي بن قليج النوري الى القاضي
صدر الدين ابن سني الدولة الشافعي . وعمرها بعد وفاة الموصي سنة خمس وأربعين
وستمائة .

قال الأسدي : وبها قبر الواقف ، توفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة . وهي قبلي
الخضراء ، شمالي الصدرية ، غربي تربة القاضي جمال الدين المصري . درس بها :
شمس الدين ابن قاضي العسكر ، ثم أولاده ، ثم بعدهما ستة مدرسين .

٢٠

(١) في « القلائد الجوهريّة » لابن طولون أن الذي أنشأها هو الملك القاهر اسحق ابن الملك العادل
أبي بكر بن أيوب .

قال ابن شهبة في «تاريخه»: كان سيف الدين أميراً كبيراً ، صالحاً فاضلاً ، شاعراً .
 وأورد من شعره في « التاريخ » ، ولا يحضرني الآن . واحترقت في فتنة تيمورلنك سنة
 ست وثمانمائة . واستمرت كوم تراب الى حدود سنة أربع وستين وتسعمائة . قال
 ابن شهبة : وتعذرت اعادتها لعدم وقف لها . بلغني أن جميع وقفها كان سقفا داخل
 البلد ؛ فاحترق في الفتنة المذكورة . ثم قىض الله لها بمباشرة أهل الخير المرحوم محمد
 جلبي قاضي الشام ابن المفتي أبي السعود صاحب « التفسير » ؛ فصرف مائة
 سلطاني على نقل تراب ، وضرب لبن واقامة بعض القناطر والعضائد ، ووقف
 أمرها . ثم سنع للشيخ أحمد ابن الشيخ سليمان أن ينتقل من زاوية له كانت
 ضيقة ، ومن بيته بمحل السلاحة اليها ؛ وأن يعمرها . فصرف عليها من ماله ماشاء الله ؛
 ثم ساعده فيها أركان الدولة . وجيء بخشبها من غيضة السلطان وماله . وتمت وكملت
 في غاية الحسن والسعة والبركة . وأقيمت فيها الأذكار والموائد والجمعيات ؛ وذلك
 في حدود سبعين وتسعمائة . وقال المحبي في ترجمة أحمد المذكور : انه عزل التراب
 الذي كان فيها من بقايا الخراب في فتنة تيمور ، وعمرها ، وأنشأ سبيلا في جوار
 تربتها سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة . وقال مامية الرومي مؤرخا بناء السبيل :

هذا السبيل الأحمدى الله ما فيه خفا
 وقد أتى تاريخه اشرب هنثا بل شفا

هذا ما كان من أمرها . وأما حالتها الآن : فقد وقفت على اطلالها أسائلها ؛ فأعيت
 جوابا ، وما بالربع من أحد . ما بالربع سوى الجدار القبلي . ومن جهة الغرب منه باب
 المدرسة وهو مبني على هندسة جميلة ؛ وقد قسم الآن بابين لدارين ؛ والبناء القديم
 يلوح من أعلاههما . وبجانب ذلك الباب من الجانب الشرقي التربة المذكورة ؛ وهي قبة
 عظيمة ، وبنائها قائم الى الآن ، ولها شباك على الطريق ، ومحفور على صخرة فوق
 الشباك الأيمن : قال الأمير المجاهد الكبير ، الم رابط الاسفهلار ، السعيد الشهيد سيف
 الدين أبو الحسن علي بن قليج بن عبد الله هذه الأبيات ، وأمر أن تكتب على تربته بعد
 وفاته . وعلى عتبة الشباك الأيسر ما صورته :

هذه دارنا التي نحن فيها دار حق وما سواها يزول
 فاعتمر ما استطعت دارا اليها عن قليل يفضى بك التحويل
 واعتمد صالحا يؤنسك فيها مثل ما يؤنس الخليل الخليل

وبعد هذين الشباكين ، شباكان أيضا مسدودان ، يظهران للناظر . والجدار شاهق البناء ، مبني بالاحجار الكبيرة الصفراء ، جمال منظره يقول : ان هناك كان مدرسة كبيرة أنفقت الأموال الكثيرة في بنائها . ثم بعد رؤيتي لذلك ، دخلت بابا وسرت في زقاق ضيق ؛ فوصلت الى فسحة واحدة في وسطها بركة ماء ، وبعض حجرات معدة للحياكة . فسبحان الباقي !

ترجمة واقفها

سيف الدين بن قليج
٦٤٣-٠٠٠

هو الأمير سيف الدين علي بن قليج النوري ، توفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة . قال ابن كثير : ودفن بتربته التي بمدرسته المذكورة التي كانت سكنه بدار الفلوس . قال ابن قاضي شهاب في « تاريخ الاسلام » : علي بن قليج بن عبد الله الظاهري الأميري الكبير الفاضل سيف الدين أبو الحسن ، كان أميرا جليلا ، وعنده فضيلة . قال الشهاب القوسي : جمع بين الامرة والسيادة وجزالة الرأي ، وما قدم على جيش الا ولم شعته . انشد لنفسه في التحذير من احتقار العدو :

لا تحقرن عدوا لان جانبه وأن تراه ضعيف البطش والجلد
فللذبابة في الجرح المديد يد تنال ما قصرت عنه يد الأسد

وقال : ان دار الفلوس التي كانت داره ، سميت في أيام تنكز بدار الذهب ، وهي دار خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وهي قبلي المدرسة .

ترجمة القاضي محمد جلي

قال الفزي في « الكواكب السائرة » : هو محمد بن محمد بن محمد أحد الموالى الرومية وابن مفتيها الملا أبي السعود ، كان فاضلا بارعا ، ترقى في المناصب حتى أعطي قضاء القضاة بدمشق في سنة خمس وستين وتسعمائة . وكان سخيا ، ما أتانا من الروم أسخى منه ، وكان ودودا . قال : واجتمعت الخصال المحموده فيه . ومر يوما بسوق الأساكفة غربي باب البريد ؛ فوقفوا وشكوا اليه ما هم فيه من هم العوارض من السفين الغربي والشرقي ؛ فأزالها ، ولم يسأل عن غنيهم ولا عن فقيرهم . ا. ه . وما ذكرت هذه الحكاية الا لأبين ان وظيفة البلدية في ذلك الزمان كان بعضها الى القضاة .

ترجمة مرممها الأخير

أحمد بن الصواف
٩٢٥-١٠٠٥

هو الشيخ أحمد بن الشيخ سليمان . قال في « الكواكب » ما خلاصته : كان المترجم يعرف بابن الصواف ، وكان شافعيًا على طريقة القادرية ، معتقدا بين الناس ، وله مريدون يداخل الناس في الإصلاح بينهم ؛ فيترددون عليه . وكان وقورا حسن الخلق بشوشا . يتردد على الحكام ، ويعتقدون فيه ؛ ويكتب للناس الحروز فيقبلون عليه . توفي سنة خمس بعد الألف عن ثمانين سنة ، ودفن بزاويته جوار سيف الدين . ومات له ولد قبله ؛ فدفن بجواره . وقد قام الناس عليه لذلك ؛ ثم اطمأن .

المدرسة (القيمازية)

كانت داخل بابي النصر والفرج ؛ فاخفت آثارها ، كما اختفى باب النصر . وربما يؤخذ من كلام العماد الكاتب شيء من التعريف بها ، فانه قال في ترجمة واقفها ما نصه: وداره بدمشق هي التي بناها الملك الأشرف أبو الفتح موسى ابن العادل دارا للحديث في سنة ثلاثين وستمائة . وخرب الحمام الذي كان مجاورا لها ، وأدخله في ريعها ؛ وذلك في جوار قلعة دمشق ، بينهما الخندق والطريق . وهناك مدرسته المعروفة بالقيمازية . وقال ابن كثير نحو من هذا ، ومنه : والمدرسة شرقي القلعة المنصورة . ولما خرب الأشرف الحمام ؛ بناه مسكنا للشيخ المدرس بمدرسة دار الحديث . فالمدرسة تحقق أنها كانت بالقرب من دار الحديث الأشرفية ، ولكنها أخنى عليها الزمان ، ولم يعلم لها أثر . وهناك الآن مسجد لطيف ولعله باق من آثارها والله أعلم !

ترجمة واقفها

صارم الدين قايماز
٥٩٦-١٠٠٠

بناها صارم الدين قايماز النجمي . قال في « الروضتين » نقلا عن العماد الكاتب في حوادث سنة ست وتسعين وخمسائة : وفي هذه السنة توفي في داره في دمشق الأمير صارم الدين قايماز النجمي ، وكان متولي أسباب صلاح الدين في مخيمه وبيوته ، وعمل عمل أستاذ الدار . وكان صلاح الدين اذا فتح بلدا سلمه اليه ، واستأمنه عليه ؛ فيكون أول من افتض عذرتة ، وشام ديمته . وحصل له من بلد آمد عند فتحه ، ومن ديار مصر عند موت عاضدها أموال عظيمة . وتصدق في يوم واحد بسبعة آلاف

دينار مصرية عينا ، وأظهر أنه قضى ما في ذمته من حقوق الله . وهو بالعرف معروف ، وبالخير موصوف . يحب اقتناء الفاخر ببناء الربط والقناطر ، ومن جملتها : رباط خسفين ، ورباط نوى . وله مدرسة مجاورة داره . ولما كفى الله دمشق الحصر ؛ نهض وراء العادل الى مصر ؛ فردّه الى دمشق ليلازم خدمة الملك ولد المعظم ، ويكون من أقوى عدده وأوفى عدده . وكان في خلقه ذعارة (١) ، وكان خصافته (٢) مستعارة . ٥

قال : ولما دفن ؛ نبشت أمواله ، وفتشت رحاله ، وحضر أمناء القاضي وضمناء الوالي ؛ وأخرجوا خبايا الزوايا ، وسموط النقود ، وخطوط النسايا ؛ وغيروا رسوم المنزل ومعالمه ، واستنبطوا دنائره ودراهمه ، وحفروا أماكن في الدار ، وبركة الحمام في الجوار ، فحملوا أوقارا من النضار . وظهروا على الكنوز المخفية ، والدفائن الألفية ؛ فقليل : زادت على مائة ألف دينار . وهو قليل في جنب ما يحرز به من كذا وكذا قنطاراً . ١٠

واستقل ماطواه الحزن (٣) وأخفاه الدفن . وقيل : كان يكنز في صحارى ضياعه ، ومغارات أقطاعه . قلت : واتهم بعده جماعة بأن له عندهم ودائع ؛ وتأذى بذلك المتأبى منهم والطائع . انتهى

قلت : وأيا ما كان ، فإن تلك العصور هي العصور السود ، فما هذه الأعمال ؟ عامل يترك شأنه حتى ينهب الأمة ، ويفرق أموالها في جوف الأرض ؛ ثم تأتيه النكبات والبليات في حياته أو بعد مماته ؛ فلا تستريح الأمة منه في حياته ولا بعد مماته !؟ وما هذه العقول التي تحب المال حبا جما ، ثم تجعل بطن الأرض مأواها ؟! والله في خلقه شؤون !

ودرس بهذه المدرسة حميد الدين السمرقندي ، ثم بعده سبعة ، آخرهم عماد الدين الطرسوسي . ٢٠

عماد الدين الطرسوسي

هو علي بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم بن عبد الصمد ، قاضي القضاة عماد الدين الطرسوسي . تولى القضاء بدمشق سنة سبع وعشرين وسبعمائة ؛ ثم تركه

(١) عيوب وخبث .

(٢) اجتهداه في تكلف ما ليس عنده .

(٣) ما غلظ من الأرض .

لولده . ودرس بعدة مدارس . وذكر القاري أنه مات سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة .
وفي «الشقائق النعمانية» : أن المترجم هو صاحب «الافتتاح شرح المصباح» في النحو ،
وشرح «مراح الأرواح» في الصرف .

حرف الميم

المدرسة (المرشدية)

هي على نهر يزيد بصالحية دمشق ، جوار دار الحديث الأشرفية . وهي الآن
مفقودة في صورة موجودة ، ينشد لسان حالها :

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم فيها صدور مراتب ومجالس
وتفقهوا حتى ينالوا فرصة من أخذ مال مساجد ومدارس

ولقد وقفت عليها ؛ فرأيت بابها بابا عظيما ، والجدار الشمالي منها عجيب البناء
جدا ، إلا أن داخلها خراب . وقد اختلسها قوم فاتخذوها للسكنى . وإذا وفق الله لها
من يلم شعثها ؛ أصبحت مدرسة بديعة زاهرة .

ودرس بها أيام عزها : شمس الدين بن عطاء الله الأذري ، ثم أربعة آخرهم شمس
الدين الحريري .

ترجمة البانية

أنشأتها بنت الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل سنة أربع وخمسين
وستمائة . قال ابن قاضي شهاب : واسمها خديجة . توفيت ببستان الماردانية سنة
ستين وستمائة ، ودفنت بتربتها التي أنشأتها جوار تربة الشيخ الفرنتي بالجبل .

خديجة بنت
الملك المعظم
٦٦٠-١٠٠٠

أقول : والتربة مشهورة . ولما وقفت على تلك المدرسة مرة ثانية ؛ وجدت منقوشا

على حجر بأعلى بابها ما صورته بعد البسملة :

هذا ما أوقفت الست الجليلة عصمة الدين خاتون بنت السلطان الملك المعظم شرف
الدين عيسى ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب . وذلك حصة من
الحمام الكائن أسهمه خمسة وثلاثين ، وخمس وسبع سهم من طاحون الطرف الخميس ،

ودار بجبل الصالحية ، وحصة بقصر تقي الدين سبعة أسهم ونصف سهم وربع سهم وثمان سهم وثلث عشر سهم ، وحصة بقرية الطره ثلثا سهم وثلث وسبع سهم ، وحصة بخان ثمانية أسهم ونصف ، وحصة بحجة عسال من قصر معلولا ثلاثة أسهم ، ومن الجية سهم ونصف ، ومن القربانية سبعة أسهم ، وبستان المردانية بكماله . وذلك في سنة خمسين وستمائة . هذا ما وجدته مكتوبا ؛ ولعل في بعضه تصحيفا لعسر قراءة حروفه من الحجر .

المدرسة (المعظمية)

هي بالصالحية بسفح قاسيون الغربي ، جوار المدرسة العزيزية . وقد درس بها مجد الدين قاضي الطور ، ثم درس بها عشرة بعده آخرهم شرف الدين الأذرعي .

أقول : ولم يتيسر لي الآن معرفة مكانها ؛ ولئن عرفت الحقته هنا (١) .

ترجمة واقفها

أنشأها الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . قال الذهبي في « العبر » في حوادث سنة أربع وعشرين وستمائة : وفي هذه السنة توفي الملك المعظم صاحب دمشق . وكان مولده بالقاهرة سنة ست وسبعين وخمسمائة . وكان أديبا فقيها على مذهب النعمان بن ثابت . حفظ القرآن ، وبرع في الفقه ، وشرح « الجا مع الكبير » في عدة مجلدات باعانة غيره ، ولازم الاشتغال زمانا ، وسمع « مسند الامام أحمد بن حنبل » كله . وله شعر كثير . وكان عديم الالتفات الى النواميس (٢) وأنفة الملوك . ويركب وحده مرارا ؛ ثم يتلاجج به مماليكه بعده . وكان فيه خير وشر كثير .

وقال ابن الأثير في « تاريخه الكامل » في حوادث السنة المذكورة : توفي المعظم بمرض الدوسنطاريا وكان ملكه لمدينة دمشق من حين وفاة والده الملك العادل ، عشر

(٣) بعد هذا الكلام في الاصل بياض قدره أربعة أسطر .

(٢) النمامون .

سنتين وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوما . وكان عالما بعدة علوم فاضلا ، منها : الفقه على مذهب أبي حنيفة؛ فانه كان قد اشتغل به كثيرا، وصار من المتميزين فيه . ومنها : علم النحو ؛ فانه اشتغل به أيضا اشتغالا زائدا ، وصار به فاضلا ، وكذلك اللغة وغيرها؛ وكان قد أمر أن يجمع له كتاب في اللغة جامع كبير فيه كتاب « الصحاح » للجوهري، ويضاف اليه ما فات « الصحاح » من « التهذيب » للزهري و « الجمهرة » لابن دريد وغيرهما . وكذلك أيضا ، أمر بأن يرتب «مسند الامام احمد بن حنبل» على الأبواب ، ويرد كل حديث الى الباب الذي يقتضيه معناه . مثاله أن يجمع احاديث الطهارة ، وكذلك يفعل في الصلاة وغيرها من الرقائق والتفسير والغزوات ؛ فيكون كتابا جامعاً . وكان قد سمع « المسند » من اصحاب ابن الحصين . ونفق العلم في سوقه ، وقصده العلماء من الآفاق ؛ فأكرمهم ، وأجرى عليهم الجرايات الوافرة ، وقربهم ، وكان يجالسهم ، ويستفيد منهم ويفيدهم . وكان يرجع الى علم وصبر على سماع ما يكره ؛ لم يسمع أحد ممن يصحبه منه كلمة سوء . وكان حسن الاعتقاد ، يقول كثيرا : ان اعتقادي في الأصول ما سطره أبو جعفر الطحاوي . ووصى عند موته بأن يكفن في البياض، ولا يجعل في اكفانه ثوب فيه ذهب ، وأن يدفن في لحد ولا يبنى عليه بناء ، بل يكون قبره في الصحراء تحت السماء . ويقول في مرضه : لي عند الله تعالى في أمر دمياط ما أرجو أن يرحمني به . ولما توفي ، ولي بعده ابنه داود ويلقب بالملك الناصر ، وكان عمره عشرين سنة .

وترجمه ابن كثير بنحو ما ذكره ابن الأثير ، وقال : كان شجاعا عاقلا فاضلا ، وكان محفوظه « مفصل الزمخشري » ، وكان يصل من يحفظه بثلاثين دينارا . وقد جمع الله له بين الشجاعة والسماحة والبراعة والعلم ومحبة اهله .

وترجمه الأسدي في « تاريخه » فقال : تفقه الملك المعظم على الحصري ، ولازم التاج الكندي مدة . وكان ينزل الى داره بدرب العجم من القلعة ، والكتاب تحت ابطه، فيقرأ عليه «كتاب سيبويه» و«شرح» للسيرافي . وأخذ عنه الحجة في «القراءات» لأبي علي الفارسي ، و « الحماسة » وغير ذلك من الكتب المطولة . وحفظ « الايضاح » في النحو ، و « المسند » ، وصنف في العروض . وله ديوان شعر مشهور . وكان يحب «كتاب سيبويه» وطالعه مرارا . وكان يحب الفضيلة ؛ جعل لمن يحفظ « المفصل » مائة دينار، ولمن يحفظ « الجامع الكبير » مائتي دينار ، ولمن يحفظ « الايضاح » ثلاثين دينارا ،

سوى الخلع . وحج سنة احدى عشرة وستمئة . وجدد البرك والمصانع ، واحسن الى الحجاج . قلت : وبركة المعظم في طريق الحجاز تنسب اليه . قال : وبنى سور دمشق ، والطارمة التي على باب الحديد . وبنى بالقدس مدرسة ، وبنى عند قبر جعفر الطيار مسجدا .

٥ قال ابو المظفر ابن الجوزي : بنى بمعان دار مضيف وحمامين . وكان قد عزم على تسهيل طريق الحجاز ، وأن يبني في كل منزلة مكانا . وكان يتكلم مع العلماء ويناظر ويبحث . واعتد للجواسيس والقصاص ؛ فان الافرنج كانوا على كتفه ؛ فلذلك كان يظلم ويعسف ويصادر . وخرب القدس لعجزه عن حفظها من الافرنج . وكان يملك من العريش الى حمص والكرك .

١٠ قال ابن الأثير : وكان جنده ثلاثة آلاف فارس ؛ ومع ذلك كان يقاوم اخوته . ولما مات ، دفن بالقلعة . ثم أخرجه الملك الأشرف لما قدم دمشق ، ودفنه مع والدته بالقبة بالمدرسة المعظمية ، وفيها أخوه المغيث .

وترجمه ابن خلكان بنحو ما تقدم ، وقال : وكانت له رغبة في الأدب . وسمعت أشعارا منسوبة اليه ولم استثبتها .

١٥ وترجمه القاري في « طبقات الحنفية » ، وذكر انه حفظ « المسعودي » ، وصنف كتابا سماه « السهم المصيب في الرد على الخطيب » وهو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ، فيما تكلم به في حق أبي حنيفة في « تاريخ بغداد » . وقد كان أمر الفقهاء أن يجردوا له مذهب أبي حنيفة دون صاحبيه ؛ فجردوه ، فحفظه . ويمكن أن يكون لسان العرب هو كتاب اللغة الذي أمر بجمعه الملك المعظم .

٢٠ المدرسة (المعينية)

هي بالطريق الآخذ الى باب المدرسة العسرونية الشافعية بحصن الثقيين . قاله في « تنبيه الطالب » وغيره .

أقول : وقد انمحت آثارها ورأيت في كتاب وقف فضل الله العمري ما يدل على انها كانت مقابل باب الفرج . وتاريخ الكتاب المذكور سنة ٧٣٢ . وشاهدت بعيني آثار مدرسة وراء الحوانيت المقابلة لباب الفرج . فيمكن أن تكون هي .

٢٥

وأيام حياتها درس بها رشيد الدين الغزنوي ، ثم بعده أحد عشر مدرسا ، آخرهم نجم الدين النعماني .

وحصن الثقفيين قد بقي جداره الشرقي ، وهو في أول الطريق الذي يمر شرقي المدرسة العادلية الصغرى .

ترجمة بانيها

٥

أنشأها معين الدين أنر ، أتابك محب الدين أو مجير الدين صاحب دمشق ، في سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

معين الدين أنر
٥٤٤-٥٥٥

قال الذهبي في « العبر » : الأمير معين الدين بن عبد الله الطفتكيئي مقدم عسكر دمشق ، مدبر الدولة ، كان عاقلا سائسا مدبرا حسن السياسة ، ظاهر الشجاعة ، كثير الصدقات ، وله مدرسة بالبلد .

١٠

وقال في « مختصر تاريخ الاسلام » : والأتابك ملك الامراء معين الدين أنر واقف المعينية ، وبنته خاتون هي واقفة الخاتونية . وضبط الذهبي أنر بضم الهمزة وفتح النون وبعدها راء .

وترجمه في « الروضتين » فقال ما حاصله : قال أبو يعلى التميمي : فصل معين الدين بعسكره من حوران ، ووصل الى دمشق لأمر أوجب ذلك ودعا اليه ؛ فأمعن في الأكل ؛ فلحقه عقيب ذلك انطلاق أودى به . ثم حمله اجتهداه فيما يدبره على العود الى عسكره بحوران ، وهو بهذه الحالة . فضعفت قوته ، وأصابه مرض في الكبد ، فعاد الى دمشق في محفة ، فمات بها ، ودفن في ايوان الدار الأتابكية التي كان يسكنها ؛ ثم نقل بعد ذلك الى المدرسة التي عمرها .

١٥

٢٠

قال أبو شامة : قلت : قبره في قبّة بمقابر العونية ، شمالي دار البطيخ الآن ، واسمه مكتوب على بابها . فلعله نقل من ثم اليها . وفيه يقول مؤيد الدولة أسامة ابن منقذ ، لما لقي المترجم الافرنج في أرض بصرى وصرخد مع نور الدين :

كل يوم فتح مبين ونصر
واعتلاء على الأعادي وقهر
صدق النعت فيك أنك معين الدين ان النعوت فأل وزجر

٢٥

أنت سيف الإسلام حقاً فلا كل غرارك أيها السيد دهر
لم تزل تضرر الجهاد مسرا
ثم أعلنت حين أمكن جهر
كل دخر الملوك يفنى وذخرا
لهما الباقيان أجر وشكر

وقال أيضا : ان أتر كان مملوكا لطفتكين ، لكنه كان الحاكم والمدير لدمشق والعسكر
أيام ولايته مجير الدين آبق بن محمد بن بوري بن طفتكين على دمشق . وكان عاقلا دينا
خيرا حسن السيرة . وقال أسامة بن منقذ في كتاب « الاعتبار » : أبلى الأمير معين
الدين في حرب الألمان ، لما أتوا دمشق ، بلاء حسنا ، وظهر من شجاعته وصبره وبسالته
ما لم يشاهد في غيره .

المدرسة (الماردانية)

- ١٠ على حافة نهر ثورا لصيق الجسر الأبيض بالصالحية ، وهي معروفة مشهورة .
والذي وجد من وقفها سنة عشرين وستمائة بكشف محمد بن منجك الناصري : بستان
بجوار الجسر الأبيض ، وبستان آخر جوار المدرسة المذكورة ، وثلاثة حوانيت بالجسر
المذكور ، والأحكار جوارها أيضا . ومن شرط مدرستها ألا يكون مدرسا بغيرها . ومن
دفن بها أسنك ، بالسین المهمة والنون ، ابن ازدر ، مات سنة ست عشرة وثمانمائة .
واشترى أخوه الأمير أسبك ، بالباء الموحدة ، وقفا ، ووقفه على مقرئين يقرؤون على
١٥ تربته . واشترى للمدرسة بسطا .
ودرس بها الصدر الخلاصي ، ثم درس بها نحو عشرة ، آخرهم تاج الدين المارداني .
ثم رأيت فيما زاده محمود بن محمد العمري على « مختصر العلموي » أن وقف
المدرسة الآن أعني في القرن الحادي عشر : بستان المحمديات الفوقاني ، وبستان
المحمديات التحتاني ، وحكر أرض من الجسر الأبيض ، وأرض الجنائن التي بالجسر
٢٠ الأبيض ، المعلوم ذلك من دفتر المحاسبة . انتهى

ترجمة البانية

أنشأتها عزيزة الدين أخشا (١) خاتون بنت الملك قطب الدين (٢) صاحب ماردين ،
زوجة الملك المعظم سنة عشر وستمائة . ووقفها كان سنة أربع وعشرين بعد الستمائة .

(١) كذا في الاصل وذكرها ابن شداد : « أخشاو » .

(٢) يظن ابن طولون في كتابه « القلائد الجوهريّة » أن والدها هو قطب الدين مودود ابن أتابك زكي ،

أخو نور الدين الشهيد .

وواقفة المكان لم تدفن فيه ؛ لأنها رجفت بعد موت المعظم إلى ماردین . كما قاله ابن قاضي شعبة . وقيل : انها حجت ، واستمرت مقيمة بمكة حتى افتقرت ، ولم يبق معها شيء من المال ، وصارت تسقي الماء . فمر بها من كان يعرفها وهي بدمشق ، ورآها على هذه الحالة . فلما رجع إلى دمشق ، أخبر من كان متوليا على أوقافها ومصالحها ؛ فجمع لها شيئا من المال ، ثم أرسله إليها . فقالت : أي شيء هذا ؟! فقالوا : هذا من وقفك . فقالت : الذي خرجت عنه لله لا أعود فيه . وقالت : أعطوا كل ذي حق حقه . فرحمها الله رحمة واسعة .

المدرسة (المقدمة الجوانية)

داخل باب الفراديس ، وهو الباب الحديدي الذي في محلة العمارة المسماة قديما بالقباقبية . ومكانها معروف ، وهي مشهورة . لكن استولى عليها بنو السفرجلاني ؛ فسكنوا البيت الذي بها ، وتصرفوا بمسجدها . ولم يبق منها الا ساحتها الواسعة ، وايوان في الجانب الشمالي للصلاة ، وبركة ماء واسعة .

قال الصفدي في « تحفة ذوي الألباب » في ترجمة واقف المقدمة : وله الدار الكبيرة التي داخل باب الفراديس ، وإلى جانبها المدرسة المقدمة ، وله تربة ومسجد وخان . كل ذلك داخل باب الفراديس .

قال العلموي : قلت : صارت الدار الكبيرة دورا متعددة ، وهي المعروفة الآن ببوابة خوندالان . ثم تملك بعضها ، وتعطل الآخر .

وقال العدوي الدمشقي : أقول : ثم في حدود سنة تسعين وتسعمائة ، خرب غالب المدرسة الشيخ أحمد بن الأكرم ، وغير صيغة الواقف ، وتصرف فيها تصرف الملاك . فلما فعل ذلك منعه قاضي الشام ، وأرسل نائبه مصطفى جلبلي ؛ فكشف عليها ، ومنع المتعدي ، وهدم ما بناه ، وأمر باعادته كما كان . فلم يزل يكابر ويعمر ما أحب وأراد حتى توفاه الله سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة ؛ ولم يكمل العمارة ، ولم يفرح بها ولم يهنأ ؛ وانما تممها أولاده من بعده .

وحكى القصة النجم الغزي في « الكواكب » بنحو هذا ؛ فانه قال في ترجمة ابن الأكرم : هو أحمد بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن الأكرم الحنفي ، كان من الرؤساء

بدمشق ، وكان في ذي العلماء ، ولم يكن في العلم بذلك . ولي تدرّيس المقدّمة الجوانية بدمشق ، وانتسب الى واقفها ، وعمر له فيها سكنا . فأنكر عليه ذلك قاضي القضاة منلا أحمد الكردي الأنصاري ، وكشف عليها بنفسه فوجده قد غير فيها وبدل ، وحصل لصاحب الترجمة منه تعزيز ومشقة بسبب ذلك . ثم ان المترجم تزهد وتعمّم بالصوف ، وربى شعر رأسه ، وسكن الحجرة الحلبية لصيق الجامع الأموي الى أن توفي سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة . انتهى

أقول : ثم دار دورها الى أن تصرف بها وبأوقافها بنو السفرجلاني ، واغتصبوها بلا منازع ولا مدافع . ولم أدر بأية وسيلة وصلوا اليها ! والدهر كشاف المخبات . والوقف على هذه المدرسة كل من قرّيتي المحمدية وجسرّين بغوطة دمشق .

ترجمة واقفها

١٠

شمس الدين
ابن المقدم
٥٨٣-٥٠٠

هو شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم . كان من أكبر الأمراء في دولة السلطان صلاح الدين . وله وقائع وأخبار نشرها في القسم السياسي عند الكلام على الدولتين الصلاحية والنورية . وهو الذي سلم سنجار لنور الدين ، ثم امتلك بعلبك أيام صلاح الدين ، بأمر منه ، سنة أربع وسبعين وخمسمائة . ولم يمض على امتلاكه لها مدة حتى طلبها ثوران شاه من أخيه صلاح الدين . فلم يمكنه منع أخيه عنها ، فأرسل للمترجم يأمره بتسليمها ؛ فعصى بها ، ولم يسلمها . فأرسل اليه عسكريا ، وحاصره بها و طال الحصار ، الى أن أجاب المترجم لتسليمها على عوض ؛ فعوض عنها ، وتسلمها السلطان ، وأقطعها أخاه . قاله صاحب حماة في « تاريخه » . ولما توفي السلطان نور الدين ، وقام ابنه الملك الصالح اسماعيل بالملك بعده وعمره إحدى عشرة سنة ، وحلف له العسكر بدمشق ، وأقام بها ، وأطاعه صلاح الدين بمصر ، وخطب له بها ؛ كان المترجم هو المتولي لتدبير الملك الصالح ، وتدبير دولته . ولما رأى صلاح الدين وهو بمصر أن الملك الصالح طفل لا يقدر على النهضة بأعباء الملك ، ولا يستقل بدفاع الأعداء عن البلاد ؛ تجهز للخروج الى الشام ، وكاتب المترجم . ووصل البلاد مطالبا بالملك الصالح ليكون هو الذي يتولى أمره ، ويربي حاله ؛ فيقوم له ما اعوج من أمره . فأجابه المترجم لذلك . فوصل دمشق ، ولم يشق عليه عصى . ودخلها بالتسليم في سنة سبعين وخمسمائة ؛ وتسلم قلعتها . ثم آل امر المترجم الى أن مات قتيلا .

وسببه على ما رواه ابن الأثير في « الكامل » أنه لما فتح المسلمون البيت المقدس أيام صلاح الدين ، وكان ابن المقدم مع العساكر ؛ طلب من السلطان الاذن بالحج والاحرام من القدس ليجمع بين الجهاد والحج ، وزيارة سيدنا ابراهيم الخليل وزيارة سيد المرسلين ؛ فأذن له بذلك ، وكان قد اجتمع في تلك السنة في الشام ، من حجاجها وحجاج البلاد والعراق والموصل والجزيرة وبلاد الروم وغيرها ، خلق كثير . فجعل السلطان الأمير عليهم المترجم ؛ فسار بهم حتى أوصلهم سالمين الى عرفات . ولما كانت عشية عرفة ؛ تجهز هو وأصحابه ليسيروا من عرفات . فأمر بضرب كؤوساته التي هي علامة الرحيل ؛ فضربها أصحابه فسمعها أمير الحاج العراقي مجير الدين طاشتكين ؛ فنهاه عن الافاضة من عرفات قبله ، وأمره بأن يكف أصحابه عن ضرب الكؤوسات . فأرسل اليه يقول : اني ليس لي معك تعلق ، أنت أمير الحاج العراقي ، وأنا أمير الحاج الشامي ؛ وكل منا يفعل ما يراه ويختاره . ثم سار ولم يقف ، ولم يسمع قوله . فلما رأى طاشتكين اصراره على مخالفته ؛ ركب في أصحابه وأجناده ، وتبعه من غوغاء الحاج العراقي وبطاطيهم وطماعتهم العالم الكثير والجسم الفقير . وقصدوا الحاج الشامي مهولين عليهم . فلما قربوا منهم ؛ خرج الأمر عن الضبط ، وعجزوا عن تلافيه . فهجم أهل العراق على الركب الشامي ، وقتلوا ، وفتكوا ، ونهبوا ، وسبوا النساء الا أنهم رددن بعد ذلك . وجرح ابن المقدم عدة جروح ، وكان يكف أصحابه عن القتال ؛ ولو أذن لهم به لانتصفوا منهم وزادوا ؛ ولكنه راقب الله وحرمة المكان . فلما أثخن بالجراحات ؛ أخذه طاشتكين الى خيمته ، وأنزله عنده ليمرضه ويستدرك الفارط في حقه . وساروا تلك الليلة من عرفات . فلما كان الغد مات بمنى ، ودفن بمقبرة المعلى ، ورزق الشهادة وذلك سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، فرحمه الله تعالى .

المدرسة (المقدمة البرانية)

قال في « تنبيه الطالب » : هي تجاه الركنية بسفح قاسيون ، شرقي الصالحية . انتهى .
أقول : أخبرني الثقات أن هناك لم توجد مدرسة . ويمكن أن يكون الزمان قد اخنى عليها ، فسلمها لأيدي المختلسين ، فجعلوها كأمثالها دورا للسكنى .

وقد أنشأ هذه المدرسة ابن المقدم الذي مرت ترجمته سابقا ، ووقف عليها أزوارا بأرض حماة معروفة .

ودرس بها نجم الدين بن فخر الدين الغازي . ثم تغلب عليها أولاد الواقف ؛ فتعطل الدرس مدة . ثم بعد ذلك درس بها الصفي البصروي ، ثم بعده أربعة ، آخرهم فخر الدين بن الوليد . ثم سارت سيرا كان آخره ما علمت من انطماس آثارها ، وانمحاق هلال النفع بها .

ابراهيم بن عبد
الملك
٥٩٧-٥٠٠

- ٥ ولنا مقدمة ثالثة ، وهي تربة بمرج الدحداح تعرف بتربة ابن المقدم . أنشأها ولد المترجم سابقا ابراهيم بن محمد بن عبد الملك ، ودفن بها سنة سبع وتسعين وخمسمائة . قال الأسدي : كان ابراهيم شجاعا عاقلا ؛ ولي القلعة بماردين ، وعدة حصون وله بها نواب . فمد عينه اليها الملك الظاهر غازي ؛ فأخذها . وبقيت له ماردين . انتهى

المدرسة (المنجية)

- ١٠ هي المنجية الحنفية بالخلخال قبلي الصوفية الى الغرب كذا في « التنبيه » و « مختصره » . والوقف عليها حمام منجك المشهور ، والفرن الى جانبه ، والربع فوقهما . ودرس بها جمال الدين ابن القطب ، ثم شرف الدين الانطاكي ، ثم ولده ، ثم قوام الدين العجمي .

أقول : لم يبق لهذه المدرسة أثر يتعين .

- ١٥ وقد رأيت في آخر « مختصر العلموي » ما لفظه : ان هذه المدرسة اندرست ، وانخربت تلك البنايات المؤسسة ، وصار مكانها بستانا . كأن الذي خربها وحرثها أخذ من الله ثم من الدهر أمانا . وصار وقفها الحمام والفرن والطباق ، على بلاعة البرش موقوفا ، ومنفقا عليهم كالراتب لهم مصروفا .

فالله تعالى غيور وبيده مقاليد الأمور

- ٢٠ وأما الخلخال فهو متنزه غربي مرجة دمشق . وكان به سويقة وحوانيت وفرن وحمام . وكان في الأزمان السالفة ، هو والمنبيع ، مسكن الأتراك ، وبه تدق طبلخاناتهم . وبالخلخال كانت زاوية الأدهمية والهنود ؛ تحف بهما الناس والأعيان .

وفيه يقول جمال الدين ابن نباتة :

وفرجتني مع الغزال الحالي
مرتشفاً لآخر الخلخال

يا حبذا يومي بـوادي جلق
من أول الجبهة قد قبلته

فارتشف حلاوة تلك التورية ؛ فان الجبهة والخلخال متنزهان بين نهر بردى
ونهرى القنوات وبانياس ، واسمان لجبهة المحبوب وخلخاله ، على قاعدة الزمن الماضي
من أن الفلمان كانوا يلبسون الخلخال . أو أنه أطلق الحال وهو الخلخال ، وأراد المحل ،
على طريقة المجاز المرسل بعلاقة الحالية والمحلية ؛ وقد تأتي له مع حسن التورية
الانسجام .

ترجمة واقفها

انشأها الأمير سيف الدين منجك اليوسفي الناصري . أصله من ممالك الناصر
محمد بن قلاوون . نشأ مملوكا ؛ ثم تنقلت به الأحوال الى أن صار اميرا بمصر . ثم ولي
حجوبة الحجاب بدمشق سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ؛ فظل بها مدة يسيرة . ثم
توجه الى مصر ، وصار مقدما ، وولي الوزارة . ثم قبض عليه وسجن . ثم أطلق عند
زوال دولة الناصر حسن بن محمد بن قلاوون . ثم ولي نيابة طرابلس سنة خمس
وخمسين . ثم صار نائبا على حلب سنة سبع وخمسين ، ثم بصفد ، ثم طلب الى
مصر ، فأكرم هناك اكراما عظيما وأطلق . وأقام بالقدس ، فعمر بها خانقاه ومدرسة .
ولما أظهر نائب الشام بيدمر العصيان ؛ كان المترجم متوليا قتاله . فقبض عليه وسجنه ،
ثم أطلقه . ثم صار نائبا في طرسوس سنة ست وستين . ثم نقل الى طرابلس ، ومنها
الى نيابة دمشق عوضا عن بيدمر بعد قتل يلغا ؛ فاستمر بها سبع سنين . ثم طلب
الى مصر سنة خمس وسبعين ؛ فولي نيابتها . واستمر بها الى أن توفي سنة ست
وسبعين وسبعمائة ، ودفن بتربته التي انشأها بالقرب من الجبل .

سيف الدين منجك
٧٧٦-٠٠٠

وقال ابن حجي : عمر الأمير منجك المدارس والخوانق والخانات ، وأصلح القناطر ،
ومهد السبل والطرق ، وأقام بالاماكن المخوفة الخفراء .

وقال العلموي : كان من الأكابر المعتبرين المعتمدين ، له ذكر قديم ، وفضل جسيم ،
ومآثر وصدقات ، وكان حسن الملتقى خصوصا لأهل العلم . وقال النعيمي : جمعت
في ترجمته كراسة ، قلت : ولم أرها .

شرف الدين الأنطاكي

- من مدرسي هذه المدرسة شرف الدين محمود الأنطاكي الحنفي ، شيخ وقته في النحو والتصريف . اشتغل عليه أعيان البلد ، وتنبهوا وفضلوا . جلس في أول الأمر لنفع الناس . وكان يتردد على الأكابر ويقرئهم بالأجرة ، ويشهد ، ويكتب خطا حسنا؛ ولا يزال فقيرا يضرب به المثل في الفقر ، وازداد فقره بعد الفتنة ، الى أن كان يلبس عدلا . وكانت له اليد الطولى في النظم والنثر والتكلم ، وكلما ازداد فضلا ازداد تأخرا، وكان رث الهيئة والملبس ، وقل نفعه في آخر عمره ، وكان في غاية الظرف ، له كلمات مأثورة ، وتنديدات حسنة . توفي سنة خمس عشرة وثمانمائة ، ودفن بالصالحية .

المدرسة (الميطورية)

- كانت بالجانب الشرقي من جبل الصالحية ، بينها وبين القابون . والميطور الشرقي ١٠ في وقفها . ثم هدمت ؛ واشتري بدلا عنها مكان امام الجامع المظفري بالقرب من التربة الصارمية ، وجعل مدرسة . وقد اقفرت المدرسة أيضا ، وبقيت الآن خاوية على عروشها مثل غيرها .

- وقال الأسدي : كان الميطور مزرعة ليحيى بن احمد بن يزيد بن الحكم ، وكان له به روزنا(١) يسكنه ؛ وهناك كان موضع المدرسة الميطورية . ثم انها في سنة احدى ١٥ وعشرين وثمانمائة هدمت ، وأخذت أنقاضها وآلاتها ؛ وحصل بسببها تشنيع كثير على الفقهاء . قال النعيمي : ثم اشترى مكانها موضع امام باب الجامع المظفري . انتهى .

- قلت :** وقد شاهدتها فوجدتها خرابا يبابا . وجدارها الشرقي باق ، لكنه يريد أن ينقض . وبستان الميطور معروف بأرض الصالحية الى يومنا هذا . وواقفة الميطورية هي الست فاطمة خاتون بنت السلار سنة تسع وعشرين وستمائة . والسلار كلمة فارسية معناها قائد الجيش .
- ٢٠ فاطمة خاتون بنت السلار

ودرس بها : حميد الدين السمرقندي ، ثم ولده محي الدين ، ثم محي الدين بن عقبة .

(١) كذا في الاصل وذكره ابن شداد : « أرزونا وهو الميطور الشرقي » .

المقصورة (الحنفية)

كانت هذه المقصورة بالجانب الغربي من الجامع الأموي . وكان محراب الحنفية فيما سلف بين باب الزيادة وهذه المقصورة . ثم تغيرت وأوقف بها درسا القاضي فخر الدين كاتب الممالك ، وهو محمد بن فضل الله ناظر الجيوش بمصر ، أصله قبطي ثم أسلم ، وأوقف أوقافا كثيرة ، وجعل جهات احسان وبر الى أهل العلم ؛ واليه تنسب المدرسة الفخرية بالقدس . توفي سنة ثلاثين وسبعمائة .

حرف النون

المدرسة (النورية الكبرى)

موضعها كان يسمى بالخواصين . وهي معروفة الآن مشهورة ؛ فلا نطيل الكلام على وصفها . قال النعمي : كان موضعها قديما دارا لمعاوية بن أبي سفيان . وكانت لمعاوية دار ثانية بباب الفراديس تحت السقيفة ، يقال : انها الدار المعروفة الآن بابن المقدم . انتهى . يعني المحلة التي بها المدرسة المقدمة . ويؤخذ من كلام الذهبي أن دار معاوية بالخواصين صارت لهشام . وفي « الكواكب الدرية » : انها صارت بعده لسليمان بن عبد الملك . ولم تنزل تنتقل من يد الى يد ، الى أن بنى بعضها الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود بن زنكي ، المدرسة المعروفة الآن بالنورية . بناها لأصحاب الامام أبي حنيفة . ثم نقل والده اليها ، فدفنه في قبر معروف به ، بعد أن كان مدفنه في القلعة . وفي المدرسة يقول عرقله الشاعر المشهور :

ومدرسة سيدرس كل شيء	وتبقى في حمى علم ونسك
تضوع ذكرها شرقا وغربا	بنور الدين محمود بن زنكي
يقول وقوله حق وصدق	بغير كناية وبغير شك
دمشق في المدائن بيت ملكي	وهذي في المدارس بيت ملكي

أقول : صورة ما هو مكتوب على استكفة بابها بعد البسملة :

انشأ هذه المدرسة المباركة الملك العادل الزاهد نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكي ابن آق سنقر ضاعف الله ثوابه . ووقفها على اصحاب الامام سراج الأمة أبي حنيفة

- رضي الله عنه . ووقف عليها ، وعلى الفقهاء والمتفقهة بها جميع الحمام المستجد بسوق القمح ، والحمامين المستجدين بالوراقة ظاهر باب السلامة ، والدار المجاورة لهما ، والوراقة بعونية الحمى ، وجسر الوزير ، والنصف والربع من بستان الجوزة بالأرزة ، والاحدى والعشرين حانوتا خارج باب الجابية ، والساحة الملاصقة لها من الشرق ، والستة حقول بداريا ، على ما نص وشرط . فكتب الوقف رغبة في الآخرة والثواب ، ٥ وتقدمة بين يديه يوم الحساب . « فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم » ١٨١/٢ وذلك في مدة آخرها شعبان سنة سبع وستين وخمسمائة .
- وعلى تلك المدرسة الرونق والبهاء ؛ ولكن بعض جيرانها اختلس بعض حجراتها . وهي الآن كبقية المدارس خالية من طلبة العلوم الحقيقيين . فلعل الزمان يساعدها فتصبح روضة زاهرة بالعلم وأهله ، فانها تستحق ذلك . ١٠
- ودرس بها في أول أمرها : بهاء الدين ابن العقاد ، ثم ثلاثة بعده ، ثم وليها جمال الدين الحصري ، ثم ولده قوام الدين ، ثم أخوه نظام الدين ، ثم خمسة آخرهم شمس الدين الصفدي .

ترجمة بانيها

- ١٥ اختلف المؤرخون في تعيين بانيها ؛ فقال في « الروضتين » : بنى نور الدين المدرسة النورية لأصحاب أبي حنيفة بجوار الخواصين ، في الشارع الغربي . وقال ابن شداد : أنشأها الملك نور الدين . قال النعمي : وفيه نظر ! إنما الذي أنشأها الملك الصالح اسماعيل ابن نور الدين محمود بن زنكي في سنة ثلاث وستين وخمسمائة . انتهى . والذي في « العبر » للذهبي : أن الذي بناها نور الدين .
- ٢٠ ويلوح لي أن بانيها الأول إنما هو نور الدين . ولعل ولده بنى التربة التي بها ، وتمم بعض ما كان ناقضا منها ، فنسبت إليه . وأيا ما كان فعلى روح منشئها الرحمة والرضوان .

الملك الصالح اسماعيل

قال تاج الدين شاهنشاه بن أيوب في « تاريخه » في سنة ست وسبعين وخمسمائة :

الملك الصالح
اسماعيل
٥٧٦-٥٥٧

توفي الملك الصالح اسماعيل ابن نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر صاحب حلب وعمره نحو تسع عشرة سنة . ولما اشتد به مرض القولنج ، وصف له الأطباء الخمر ؛ فمات ولم يستعملها . وكان حليماً ، عفيف اليد والفرج واللسان ، ملازماً لأموال الدين ، لا يعرف شيئاً مما يتعاطاه الشباب . وأوصى بملك حلب الى ابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل . فلما مات ؛ سار مسعود ومجاهد الدين قيمان من الموصل الى حلب ، واستقر بملكها . ثم كاتبه أخوه عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار في أن يعطيه حلب ، ويأخذ منه سنجار . فأشار عليه قيمان بذلك ؛ فلم يمكن مسعود الا موافقته ؛ فأجاب الى ذلك . فسار عماد الدين الى حلب ، وتسلمها ، وسلم سنجار الى أخيه مسعود ، وعاد مسعود الى الموصل .

نور الدين

نور الدين بن زنكي
٥٦٩-٥١١

قال الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » : محمود بن زنكي بن آق سنقر ابن أبي سعيد قسيم الدولة الذكي الملك العادل نور الدين وناصر أمير المؤمنين ، كان جده آق سنقر قد ولاه السلطان أبو الفتح ملك شاه بن الب أرسلان حلب ؛ وولي غيرها من بلاد الشام . ونشأ أبوه قسيم الدولة بعده بالعراق . وندبه السلطان محمود بن محمد ابن ملكشاه بن الب أرسلان ، بإي الخليفة المسترشد بالله أمير المؤمنين ، لولاية ديار الموصل والبلاد الشامية ، بعد قتل آقسنقر البرسفي وموت ابنه مسعود ؛ فظهرت كفايته ، وظهرت شهامته في مقابلة العدو ، وثبوتة عند ظهور متملك الروم ونزوله على شيزر ، حتى رجع الى بلاده خائباً . وحاصر أبوه قسيم الدولة دمشق مرتين ؛ فلم يتيسر له فتحها . وفتح الرها والمعة وكفر طاب وغيرها من الحصون الشامية ، واستنقذها من أيدي الكفار .

فلما انقضى أجله ؛ قام ابنه نور الدين مقامه في ولاية الاسلام . ومولده ، على ما ذكر لي كاتبه أبو اليسر شاعر بن عبد الله التنوخي المعري ، وقت طلوع الشمس من يوم الأحد سابع عشر شوال سنة إحدى عشرة وخمسمائة . ولما راهق لزم خدمة والده الى أن انتهت مدته ليلة الأحد السادس من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة على قلعة جعير ؛ وكان محاصراً لها . ونقل تابوته الى مشهد الرقة ، فدفن بها . وسير صبيحة الأحد الملك الب أرسلان ابن السلطان محمود بن محمد الى الموصل مع

جماعة من اكابر دولة ابيه ، وقال لهم : ان وصل اخي سيف الدين غازي الى الموصل ، فهي له وانتم في خدمته . وان تأخرنا اقرر أمور الشام واتوجه اليكم . ثم قصد حلب ، ودخل قلعتها المحروسة على اسعد طائر وايمن بركة يوم الاثنين سابع ربيع الآخر .

ورتب في القلعة والمدينة النواب ، وانعم على الأمراء وخلع عليهم . وكان بعض الأمراء قد عمل على أخذ الرها ، وحصل في البلد ؛ فوجه اليه أمراء دولته حتى استنقذها منه ، وخرج هاربا منها .

ولما استتب له الأمر ؛ ظهر منه بذل الاجتهاد في القيام بأمر الجهاد والقمع لأهل الكفر والعناد ، والقيام بمصالح العباد . وخرج غازيا في أعمال ناشر ؛ فافتتح حصونا كثيرة . وافتتح قلعة عليم ، وقلعة عزاز وتل ناشر ودلوك ومرعش ، وقلعة عينتاب ونهر الجوز وغير ذلك ، وحصن البارة ، وقلعة الدولوندان ، وقلعة تل خالد ، وحصن كفرلانا ، وحصن سرنوب بجبل بني قامية . وغزا حصن أنب ؛ فقصدته الأبرقس متملك أبطاله ، وكان من أبطال العدو وشياطينهم ؛ فرحل عنها ، ولقيهم دونها ؛ فكسره وقتله وثلاثة آلاف افرنجي معه . وبقي ابنه صغيرا مع امه بانطاكية . وتزوجت بابرنس (١) آخر .

فخرج نور الدين في بعض غزواته ؛ فأسر الأبرنس الثاني ، وتملك انطاكية . ووقع في أسره ابن الأبرنس الأول في نوبة حارم ؛ وباعه نفسه بمال عظيم أنفقه في الجهاد .

وأظهر بحلب السنة ، حتى أقام شعائر الدين ، وغير البدعة التي كانت لهم في الأذان ، وقمع بها الرافضة المبتدعة ، ونشر بها مذاهب أهل السنة الأربعة ، وأسقط عنهم جميع المؤن ، ومنعهم من النشوب في الفتن . وبنى بها المدارس ، ووقف الأوقاف ، وأظهر بها العدل والانصاف . وقد كان صالح المعين الذي كان بدمشق ، وصاهره ؛ واجتمعت كلمتهما على العدو . ولما أزره ، وحاصر دمشق مرتين ؛ فلم يتيسر له فتحها .

ثم قصدتها الثالثة ؛ فتم له صلحها ، وسلم اليه أهلها البلد لغلاء الأسعار ، والخوف من استعلاء كلمة الكفار ؛ فضبط أمورها ، وحسن سورها ، وبنى بها المدارس والمساجد ، وأفاض على أهلها الفوائد ، وأصلح طرقها ، ووسع أسواقها . وأدر الله على رعيته ببركته أرزاقها . وبطل منها الانزال ، ودفع عن أهلها الأثقال . ومنع ما كان يومئذ منهم من المغارم كدار البطيخ ، وسوق البقل ، وضمان النهر ، والكيالة ، وسوق الفنم ، وغير

(١) كلمة أعجمية معربها الأمير .

ذلك من المظالم . وأمر بترك ما كان يؤخذ على الخمر من المكس ، ونهى عن شربها وعاقب عليه باقامة الحد والحبس . واستنقذ من العدو ثغر بانياس ، وغيره من المعقل المنيع كالمنيطرة وغيرها بعد الاياس .

• وبلغني أنه في الحرب رابط الجأش ، ثابت القدم ، شديد الانكماش ، حسن الرمي بالسهم ، صليب الضرب عند ضيق المقام . يقدم أصحابه عند الكرة ، ويحمي منهزمهم عند الفرّة ، ويتعرض بجهدده للشهادة لما يرجو بها من كمال السعادة . ولقد حكى عنه من خدمه مدة ، ووازره على فعل الخيرات أنه سمعه يسأل الله تعالى أن يحشره من بطون السباع وحواصل الطير .

١٠ ولقد أحسن الى العلماء واکرمهم ، وقرب المتدينين واحترمهم ، وتوخى العدل في الأحكام والقضايا ، والان كتفه ، وأظهر رافته بالرعية . وبنى في أكثر مملكته دورالعدل، وأحضر لها القضاة والفقهاء للفصل . وحضرها بنفسه في أكثر الاوقات ، واستمع من المتظلمين الدعاوى والبيّنات ، طلبا للانصاف والفصل ، وحرصا على اقامة العدل .

١٥ وأدر على الضعفاء والأيتام الصدقات، وتعهد ذوي الحاجة من أولي التعفف بالصلوات، حتى وقف وقوفا على المرضى والمجانين ، وأقام لهم الأطباء والمعالجين ، وكذلك على جماعة العميان ، ومعلمي الخط والقرآن ، وعلى ساكني الحرمين، ومجاوري المسجدين .

٢٠ واکرم أمير المدينة الحسين ، وأحسن اليه ، وأجرى عليه الضيافة لما قدم عليه ، وجهاز معه عسكريا لحفظ المدينة ، وقام لهم بما يحتاجون اليه من المؤونة . واقطع أمير مكة اقطاغا سنبل، وأعطى كلا منهما ما يأكله هنيا مريا . ورفع عن الحجاج ما كان يؤخذ منهم من المكس ، واقطع أمراء العرب الاقطاعات لئلا يتعرضوا للحجاج بالنخس . وأمر باكمال سور المدينة ، واستخراج العين التي بأحد وكانت قد دفنتها السيول . ودعي له بالحرمين ، واشتهر صيته في الخافقين . وعمر الربط، والخانقاهات، والبيمارستانات . وبنى الجسور في الطرق والخانات .

٢٥ ونصب جماعة من المعلمين لتعليم يتامي المسلمين ، وأجرى الأرزاق على معلمهم بقدر ما يكفيهم . وكذلك صنع لما ملك سنجار، وحران ، والرها، والرقّة ، ومنبج ، وشيزر، وحماة ، وحمص ، وبعليک ، وصرخد ، وتدمر . فما من بلد منها الا وله فيه حسن اثر، وما من أهلها أحد الا نظر له أحسن نظر .

وحصل الكثير من كتب العلوم ، ووقفها على طلابها ، وأقام عليها الحفظة من أهلها وأربابها . وجدد كثيرا من قني السبيل ، وهدى بجهدته الى سواء السبيل .

- وأجهد نفسه في جهاد أعداء الله ، وبالغ في حربهم . وتحصل في أسرة جماعة من أمراء الافرنج كجوسلين وابنه ، وابن القنس ، وقومش اطرابلس ، وجماعة من حزبهم . وكان متملك الروم قد خرج من قسطنطينية، وتوجه الى الشام طامعا في تسلم انطاكية . فشغله عن مرامه الذي رامه بالمراسلة ، الى أن وصل أخوه قطب الدين في جنده من المواصلة . وجمع له الجيوش والعساكر ، وانفق فيهم الأموال والذخائر . فأيسر الرومي من بلوغ ما كان يرجو ، وتمنى منه المصالحة عساه ينجو . فاستقر رجوعه الى بلاده ذاهبا ، فرجع من حيث جاء خائبا . ولم يقتل بالشام مع كثرة عسكره مقتله ، ولم يرع فيها من زرع خادم أو أمير سنبله . وحمل الى بيت مال المسلمين من التحف ما حمل ، ولم يبلغ وصل ما عمل . وغزا معه أخوه قطب الدين في عسكر الموصل وغيرهم من المجاهدين . فكسر الافرنج والروم والأرمن على حارم ، وأذاقهم كؤوس المنية بالأسنة والصوارم ؛ فأبادهم حتى لم يفلت منهم غير الشديد الذاهل ، وكانت عدتهم ثلاثين الفا بين فارس وراجل . ثم نزل على قلعة حارم ، فافتتحها ثانية وحواسها . وأخذ أكثر قرى انطاكية ، وسبى أهلها . وكان قبل ذلك قد كسرهم بقرب بانياس ، وقتل جماعة من أبطالهم ، وأسّر كثيرا من فرسانهم .

- وقد كان شاور السعدي أمير جيوش مصر ، فوصل الى جانبه مستجيرا لما عاين الذعر . فأحسن جواره وأكرمه ، وأظهر بره واحترمه، وبعث معه جيشا كثيفا ليرده الى درجته ؛ فقتلوا خصمه . ولم يقع منه الوفاء بما قرر من جهته ؛ فاستجاش جيش العدو طلبا للبقاء في السمو . ثم وجه اليه بعد ذلك جيشا آخر . فأصر على المسابقة له ، واستنجد بالعدو فأنجدوه ، وضمن لهم الأموال الخطيرة حتى عاضدوه . وانكفأ جيش المسلمين الى الشام راجعا ، وحدث متملك الافرنج نفسه بملك مصر طامعا؛ فتوجه اليها بعد عامين راغبا في انتهاز الفرصة؛ فأخذ بلبيس، وخيم من مصر بالعرصة . فلما بلغه ذلك تدخل جهده في توجيه الجيش اليها ، وخاف من تسلط عدو الدين عليها . فلما سمع العدو بتوجه جيشه ، رجعوا خائبين ، وأصبح أصحابه بمصر لمن عاندهم غالبين . وأمل أهل أعمالها بحصول جيشه عندهم ؛ وزال عنهم ما كانوا قد خشوا . واطلع من شاور على المخامرة ، وأنه قد راسل العدو طمعا منه في المظاهرة ، وأرسل

اليهم ليردهم ليدفع جيش المسلمين بجيشهم . فلما خيف من شره ومكره لما عرف من غدره وختره ، واتضح الأمر في ذلك واستبان ؛ تمارض الأسد ليقتنص الثعلبان فجأة ، قاصدا لعيادته ، جاريا في خدمته على عادته . فوثب جرديك وبرحش موليا نورالدين فقتلا شاورا ، وأراحا البلاد والعباد من شره . وأما شاور فانه أول من تولى القبض عليه ، ومد يده الكريمة اليه بالمكره . وصفي الأمر لأسد الدين ، وملك ، وخلعت عليه الخلع ، وحل . واستولى أصحابه على البلاد ، وجرت أموره على السداد ، وظهرت منه حميد السيرة وحسن الآثار ؛ وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار .

وظهرت كلمة أهل السنة بالديار المصرية ، وخطب فيها للدولة العباسية بعد اليأس . وأراح الله من بها من الفتنة ، ورفع عنهم المحنة . ومع ما ذكرت من هذه المناقب كلها ، وشرحت من دقها وجلها ؛ فانه كان رحمه الله حسن الخط والبنان متأثرا لفرقة العلوم بالفهم والبيان ، كثير المطالعة ، مائلا الى نقل الكتب ، مواظبا وحريصا على تحصيل كتب « الصحاح » و « السنن » ، مشتريا لها بأوفر الأعواض والثلثين ، كثير المطالعة للعلوم الدينية ، متبعا للآثار النبوية ، مواظبا على الصلوات في الجماعات ، مراعى لأدائها في الاوقات ، مؤديا لفروضها ومسنوناتها ، معظما لها في جميع حالاتها ، عاكفا على تلاوة القرآن على الأيام ، حريصا على فعل الخير من الصدقة والصيام ، كثير الدعاء والتسبيح ، راغبا في صلاة التراويح ، عفيف البطن والفرج ، مقتصدا في الانفاق والخرج ، متحريرا في الطعام والمشارب والملابس ، متبرئا من التباهي والتمادي والتنافس ، عريا عن التكبر والتجبر ، بريئا من التطير ؛ مع ما جمع الله له من العقل المتين ، والرأي الصواب الرصين ، والاقتداء بسيرة السلف الماضين ، والتشبه بالعلماء والصالحين ، والاقتفاء لسيرة من سلف منهم في خير سمتهم ، والاتباع لهم في حفظ حالهم ووقتهم . حتى روى حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وأسمعه . وكان قد استجيز له ممن سمعه وجمعه حرصا منه على الخير في نشر السنة والتحديث ، ورجاء أن يكون ممن حفظ على الأمة أربعين حديثا لما جاء في الحديث .

فمن رآه شاهد من جلال السلطنة ، وهيبة الملك ما يبهره ؛ فاذا فاوضه ، رأى من لطافته وتواضعه ما يحيره . وقد حكى عنه من صحبه في سفره وحضره ، أنه لم يسمع منه كلمة فحش في رضاه ولا في ضجره ، وأن أشهى ما يكون اليه كلمة حق يسمعا ، أو ارشاد الي سنة يتبعها . يحب الصالحين ويؤاخيهم ، ويזור مساكنهم لحسن ظنه

- فيهم . فاذا احتلم مماليكه ؛ اعتقهم ، وزوج ذكرانهم بانائهم ، ورزقهم . ومتى تكررت الشكاية اليه من أحد ولاته ؛ أمر بالكف من اذى من تكلم بشكاية . فمن لم يرجع منهم الى العدل ؛ قابله بأسقاط المرتبة والعزل . وقد جمع الله له من شريف الخصال ، مايسر له جميع ما يقصده من الأعمال ، وسهل على يديه فتح الحصون والقلاع ، ومكن له في البلدان والبقاع ؛ حتى ملك حصن شيزر ، وقلعة دوسر وهما من احصن المعازل .
- والحصون ، واحتوى على ما فيهما من الذخر المصون ، من غير سفك محجمة من دم عليهما ، ولا قتل أحد من المسلمين بسببهما . وأكثر ما أخذه من البلدان ، تسلمه من أهله بالأمان ، ووفى لهم بالعهود والأيمان ؛ فأوصلهم الى مأمّنهم من المكان . واذا استشهد أحد من أجناده ؛ حفظه في أهله وأولاده ، وأجرى عليهم الجرايات ، وولى من كان أهلا منهم للولايات . وكلما فتح الله عليه فتحا ، وزاده ولاية ؛ أسقط عن رعيته قسطا ، وزادهم رعاية ؛ حتى ارتفعت عنهم الظلامات والمكوس ، واتضعت في جميع ممالكه الغرامات والنحوس . ودرت على رعاياه الأرزاق ، ونفقت عندهم الأسواق ، وحصل بينهم يمينه الاتفاق ، وزال ببركته العناء والشقاق . فان فتكت شرذمة من الملاحين ؛ فانها لما علمت منه من الرافة واللين . ولو خلط لهم شدته بليته لخاف سطوته الأسد في عرينه ؛ فالله يحقن به الدماء ، ويسكن به الدهماء .

١٥

ثم قال ابن عساكر بعد أن رعا الله له : ومناقبه خطيرة ، وممادحه كثيرة ؛ ذكرت منها غيضا من فيض ، وقليلًا من كثير . وقد مدحه جماعة من الشعراء ؛ فأكثروا وان لم يبلغوا وصف آلائه ، بل قصروا . وهو قليل الابتهاج بالشعر زيادة في تواضعه لعلو القدر .

- ٢٠ انتهى ما قاله الحافظ ابن عساكر بحذف بعض جمل يسيرة . وقد حكى في خطبة « تاريخه » أنه جمع منه أولا شيئا كثيرا ، ثم تركه . فأقبل الناس يشوقونه على الاتمام ، الى أن وصل خبره الى نور الدين ؛ فحينئذ اهتم باكماله .

- وقال ابن الجوزي في « تاريخه » : ولي الشام سنين ، وجاهد الثغور ، وانتزع من الصليبيين نيفا وخمسين مدينة وحصنا ، وبني بيمارستان بالشام . وعاهد صاحب طرابلس بعد أن قبض عليه على أن يطلقه بشرط أن يدفع ثلاثمائة ألف دينار ، وخمسمائة حصان ، وخمسمائة زردية ، ومثلها أتراس ، ومثلها قنطاريات ، وخمسمائة أسير مسلم ،

وبأن لا يغير على بلاد المسلمين سبع سنين وسبعة أشهر ؛ وأخذ بناته رهنا على الوفاء مع بعض أولاد الأفرنج وبطارقتهم ؛ وإن نكث أراق دماءهم . وعزم على فتح بيت المقدس فتوفي .

وقال الفيلسوف عبد اللطيف البغدادي : كان نور الدين يأكل من عمل يده ؛ ينسج تارة ، ويعمل علبا تارة ثانية . ويلبس الصوف ، ويلزم السجادة والمصحف . وكان حنفيا ، ويراعي مذهبي الشافعي ومالك .

وقال ابن الأثير : كان نور الدين كثير اللعب بالكرة ؛ فكتب إليه رجل يدعي الصلاح ينكر عليه ، ويقول : تتعب الخيل في غير فائدة . فكتب إليه بخطه : والله ما أقصد اللعب ، وإنما نحن في تعب ، فربما وقع الصوت فتكون الخيل قد أمنت . ١٠ هـ

١٠ قلت : ولم يخل وقت من اعتراض بعض من يدعي الصلاح على ما لا يعرفونه ولا يعنيهم ؛ بل يعترضون على الذرة ويتلعون الجبل . ومما يسطر في تاريخ نور الدين مع الفخر ما ذكره ابن الأثير : أنه كان يوما يلعب في ميدان دمشق ؛ فجاءه رجل وطلبه إلى الشرع ؛ فجاء معه إلى مجلس الشريعة وكان به القاضي مجد الدين الشهرزوري ، فأرسل إليه السلطان حاجبه يقول للقاضي : لاتزعج ، واسلك معه ما تسلكه مع آحاد الناس . فلما حضر ؛ سوى بينه وبين خصمه ، فتحاكما . فلم يثبت للرجل عليه حق ، وكان يدعي ملكا في يد نور الدين . فلما فرغت المحاكمة قال : هل ثبت له حق ؟ قالوا : لا ! قال : فاشهدوا علي أنني قد وهبت له ما ادعى به ؛ وإنما حضرت معه لئلا يقال عني : أنني دعيت إلى الشرع فأبيت . ودخل بيته يوما فرأى مالا كثيرا ، فسأل عنه ، فقالوا له : بعث به القاضي كمال الدين من فائض الأوقاف ؛ فقال : ردوه وقولوا له : إن رقبتي رقيقة لا أقدر على حمله غدا ، وأنت رقبتك غليظة تقدر على حمله . ولما قدم أمراؤه دمشق ، اقتنوا الأموال واستطالوا على الناس ؛ وكان أعظمهم استطالة شيركوه ؛ فبنى السلطان دار العدل ، وكان يحضرها في الأسبوع أربع مرات ، ويحضر معه العلماء والفقهاء ، ويأمر بإزالة الحجاب والبوابين . فانتصف أمراؤه من أنفسهم خوفا من دار العدل والسلطان . ولما وقع ملك الأفرنج في أسره ؛ أطلقه على ثلاثمائة ألف ؛ وبنى بها بیمارستان المشهور في دمشق ، وجعله على كافة الناس من غني وفقير . وبنى بها أيضا المدرسة النورية ، ودار الحديث المار ذكرها . ٢٥

قال ابن واصل : كان السلطان من أقوى الناس بدنا وقلبا ، وأنه لم ير على ظهر فرس أشد منه ، كأنما خلق عليه فلا يتحرك . وكان اذا حضر القتال أخذ قوسين وتر كاشين وباشر القتال بنفسه ، وكان يقول : طالما تعرضت للشهادة فلم أدركها . قال الذهبي : قلت : وقد أدركها على فراشه . وبقي ذلك في أفواه الناس تراهم يقولون : نور الدين الشهيد ، وما شهادته الا بالخوانيق !

٥

قال ابن الجوزي : كان السلطان يخطط الكوافي ، ويعمل السكاكر ويعطيها للعجائز فتبيعها له سرا ، وكان يوم يصوم يفطر على أثمانها .

قال ابن كثير : وكان يجلس يوم الثلاثاء بالمسجد المعلق الذي بالكشك ، ليصل اليه كل أحد من المسلمين وأهل الذمة . وقد عمد الى الأوقاف التي لا يعرف واقفها ، ولا تعرف شروطهم فيها ؛ فأضافها الى أوقاف الجامع ، وجعلها قلما واحدا سماه قلم المصالح ؛ ورتب منه مرتبا لذوي الحاجات من الفقراء والمساكين والأرامل والإيتام ، وما أشبه ذلك .

١٠

قال الصلاح الكتبي في « تاريخه » : كان نور الدين يحلف بالله أن جميع ما بناه من المدارس والأوقاف والربط وغيره ، إنما هو من مال المفاداة يوم قارم ، وليس فيها من بيت المال الدرهم الفرد .

١٥

هذا ما قصدناه من ترجمة نور الدين ومن أراد الزيادة فعليه « بالبرق الشامي » وغيره من مؤلفات العماد الكاتب ، و « بالروضتين » لأبي شامة ، و « الدر الثمين » و « الكواكب الدرية » للأسدي . ويجدر بي الآن أن أذكر حكاية قد تداولتها السن الناس ، فزادوا بها وأكثروا ، وغيروا وبدلوا ، وكثيرا ما كنت أسمعها من والدي مغيرة مبدلة ، وأدأب في التنقيب عنها حتى ظفرت بها في كتاب « تحفة الأنام » للبصروي ، فنقلتها كما رأيتها ، والعهد على الراوي .

٢٠

قال : أن السلطان نور الدين رأى ليلة النبي صلى الله عليه وسلم في منامه يقول له : يا محمود ! الي من هذين ، وأشار الى اثنين في زي العجم ؛ فاستيقظ من منامه فزعا مرعوبا . ثم تكررت الرؤيا ثلاثا ؛ فتجرت همته للسفر ، فأحضر الهجن وركبها مع فرقة قليلة من العسكر ، وسار مسرعا حتى وافى المدينة ، وأظهر أنه يريد الزيارة ؛ فزار المسجد وجلس لا يدري ما ذا يصنع . فقال له وزيره : أتعرف الشخصين اذا

٢٥

رأيتهما ؟ قال : نعم ! فطلب الناس للصدقة ، وفرق عليهم الذهب والفضة ، ثم قال : لا يتخلف أحد من أهل المدينة . فجاءوا كلهم ، وقالوا له : لم يبق الا رجلان مجاوران من أهل الأندلس ، نازلان في الناحية التي تلي قبلي الحجرة ، خارج رأس عمر بن الخطاب ، التي تعرف اليوم بدار العشرة . فطلبهما للصدقة ؛ فامتنعا ، وقالا : نحن على كفاية ما نقبل شيئا ! فجد في طلبهما ؛ فجيء بهما . فلما رآهما عرفهما ، وقال للوزير : هذان هما ! فسألهما عن حالهما ، وما جاء بهما ؟ فقالا : لمجاورة النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : اصدقاني ! وتكرر السؤال حتى أفضى الحال الى معاقبتهم . فأقرا أنهما من النصارى ، وأنهما أتيا لكي ينقلا النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الحجرة الشريفة بالاتفاق مع ملوكهما . ووجدتهما قد نقبا نقبا تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلي ، وهما واصلان الى جهة الحجرة ، وقد جعلوا التراب في بئر عندهما في البيت الذي هما فيه . فضرب عنقيهما عند الشباك الذي في حجرة النبي صلى الله عليه وسلم خارج المسجد ، ثم أحرقهما بالنار آخر النهار ، ثم ركب متوجها الى الشام . فصاح من كان نازلا خارج السور ، واستغاثوا ، وطلبوا أن يبني لهم سورا يحفظ أبنائهم ومواشيهم ؛ فأمر ببناء هذا السور المجدد اليوم ؛ فبني سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . وكتب اسمه على باب البقيع ؛ فهو باق الى اليوم . هذا ما قاله البصري في « تحفته » والله أعلم .

المدرسة (النورية الصغرى)

هي بجامع قلعة دمشق . كذا في « تنبيه الطالب » . وقال العموي : هي تجاه قلعة دمشق ، بناها السلطان نور الدين المتقدم . درس بها بهاء الدين بن عياش ، ثم بعده تسعة أنفس ، آخرهم عماد الدين الطرسوسي .

أقول : أيا ما كانت ؛ فلم أر مكانها أثرا ! فان كانت في جامع القلعة ، فلعلها كانت حلقة أو هي مقام الصحابي الجليل أبي الدرداء . وان كانت تجاه القلعة ؛ فاما أن يعني بها مدرسة دار الحديث النورية المتقدم ذكرها ، واما أن تكون أدخلت في الجامع المسمى الآن بسيدي خليل ، لأن بناءه يدل على أنه مدرسة . واما أن تكون أيدي الزمان تلاعبت بها كما تلاعبت بغيرها ، فجعلتها دارا أو دكانا أو غير ذلك ، والله أعلم !

خرف الياء

المدرسة (اليفمورية)

جمال الدين
ابن يغمور
٥٦٩-٦٦٣

قال في « تنبيه الطالب » : هي بالصالحية للحنفية ؛ ولم أقف على ترجمة بانيتها .
ولكن قال في « العبر » في حوادث سنة ثلاث وستين وستمئة : جمال الدين بن يغمور
البارومي (١) ، ولد بالصعيد سنة تسع وتسعين وخمسمئة . وكان من أعيان الأمراء ؛
ولي نيابة مصر ، ونيابة دمشق .

قال ابن كثير : دخل ابن يغمور دمشق من جهة الملك الصالح أيوب ؛ فنزل داخل
باب الجابية ، وأمر النائب بتخريب الدكانين (٢) المحدثه في وسط باب البريد ، وأمر أن
لا يبقى فيه دكانين سوى ما في جانبه إلى جانب الحائطين القبلي والشمالي ، وأن يهدم
ما في وسط الطريق فهدم . ا.هـ

قال العدوي فيما كتبه زيادة على العلموي : اليفمورية . هي بالسكة غربي الصالحية ،
بالقرب من خان السبيل من جهة الغرب بقبلة .

وقال ابن كثير أيضا : وفي السنة المذكورة أرسل الصالح أيوب إلى نائبه ابن يغمور
بدمشق أن يخرب دار أسامة المنسوبة إلى الناصر ، وأن يأتي بستانا بالقابون ، وهو
بستان القصر ؛ فيقطع أشجاره ، ويهدم القصر . ورأيت في « زيادات العدوي » : أن المدرسة
اليفمورية تشتمل على حرم بشباكين مطلين على نهر يزيد ، وباب يفتح إلى الشمال ،
قدامه ثلاث قناطر ، وبشرقا إيوانان لطيفان ، وبئر ماء ينتفع الناس به أيام انقطاع النهر ،
وشمالي هذه القناطر الطريق السالك . وكانت لم تزل مغلوقة ، إلى أن سكن الشيخ
محمد بن رمضان الحنفي تلك المحلة ففتحها ودرس بها . انتهى

أقول : أما الآن فقد اندرست آثارها ، ولم يبق من أطلالها إلا حجارة ضخمة في
أساس أبنية بنيت على انقاضها ، قال لها المختلسون : كوني دورا ، فكانت ! وأما خان
السبيل ، فلم يزل موجودا إلى الآن فسبحان الدائم الباقي ! وهذا آخر الكلام على
مدارس الحنفية .

(١) كذا في الأصل ، وفي « الدارس » : « الباروقي » نقلا عن الذهبي في العبر .

(٢) كذا في الأصل والأصح دكاكين .

الباب الخامس في مدارس المالكية

من الهمزة الى الراء مهمل

حرف الزاي

(الزاوية)

هي ملاصقة للمقصورة الجنفية في الجامع^(١) الغربي من الجامع الأموي . والمقاصير قد تغيرت ، والأوضاع تلاشت ، وقد جاء زمن غير ذلك الزمن ؛ فلا حاجة الى كثرة التنقيب عن أمثال هذه المواضع بعد ما احترق الجامع مرارا ، واعتراه الهدم والحريق أيام تيمورلنك وغيره .

واقفها

أوقفها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب المشهور . ودرس بها جمال الدين ابن الحاجب ، وجماعة كثيرون .

١٠ صلاح الدين
الأيوبي
٥٨٩-٥٣٢

ابن الحاجب

هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الرولي ، ثم المصري . قال ابن كثير في « تاريخه » في حوادث سنة ست وأربعين وستمائة : كان أبوه حاجبا للأمير عز الدين موسك الصلاحي ، وكان كرديا . واشتغل هو بالعلم ، وقرأ القرآن ، وحرر النحو تحريرا بليغا ، وتفقه ، وساد أهل عصره ، وكان رأسا في علوم كثيرة منها : الأصول ، والفروع ، والعربية ، والنحو ، والتصريف ، والعروض ، والتفسير ، وغير ذلك . وكان قد استوطن دمشق سنة سبع عشرة وستمائة ، ودرس بها للمالكية في الجامع ، حتى كان خروجه صحبة الشيخ عز الدين بن عبد السلام سنة ثمان وثلاثين فسار الى الديار المصرية ؛ فتوفي بالاسكندرية ، ودفن بالمقبرة التي بين المنارة والبلد .

١٥

٢٠

(١) كذا في الاصل ، ولعلها الجانب .

قال أبو شامة: وكان من أذكي الأمة قريحة ، ثقة حجة ، متواضعا ، عفيفا ، كثير الحياء ، منصفا ، محبا للعلم وأهله ناشرا له ، محتملا للأذى ، صبورا على البلوى ، وله « مختصر » في فقه مالك من أحسن المختصرات ، و « مختصر » في أصوله استوعب فيه عامة فوائد الأحكام لسيف الدين الأمدي ، وله « الأمانى في الحديث وفي النحو » ، وله « شرح المفصل للزمخشري » ، و « المقدمة » المشهورة في النحو اختصر فيها « المفصل » وشرحه ، وله « الشافعية وشرحها » ، وقصيدة في العروض على وزن « الشاطبية » .

وقال ابن خلكان في تاريخه : كان ابن الحاجب مالكا ، وأتقن علوم القرآن غاية الاتقان . ولما درس بجامع دمشق في زاوية المالكية ؛ أكب الخلق على الاشتغال عليه ؛ والتزم لهم الدروس . وتبحر في الفنون ، وكان الأغلب علم العربية . قال : وكل تصانيفه في غاية الحسن والإفادة . وخالف النحاة في مواضع ، وأورد عليهم اشكالات والزامات ١٠ تبعد الإجابة عنها . وكان من أحسن خلق الله ذهنًا . ثم عاد إلى القاهرة وأقام بها ، والناس ملازمون للاشتغال عليه . ثم انتقل للإسكندرية للإقامة بها ؛ فلم تطل مدته هناك ، وتوفي بها سنة ست وأربعين وستمائة . وكان مولده في آخر سنة سبعين وخمسمائة بأسنا وهي ، بفتح الهمزة وسكون السين المهملة ، بليدة صغيرة من أعمال القوصية بالصعيد الأعلى من مصر .

حرف الشين

من الزاي إلى الشين مهمل

المدرسة (الشرايشية)

شهاب الدين
الشرايشي
٧٣٤-٠٠٠

عرف النعيمي مكانها بأنها بدرب الشعارين لصيق حمام صالح ، شمالي الطيوريين داخل باب الجابية . أنشأها شهاب الدين ابن نور الدولة بن محاسن الشرايشي التاجر ٢٠ السفار سنة أربع وثلاثين وسبعمائة .

درس بها : تاج الدين الزواوي ، ثم صدر الدين البارزي .

قال البرزالي : وفي السنة المذكورة توفي أحمد ابن نور الدولة المذكور ، ودفن بالمكان الذي أوقفه والده خارب الباب الصغير ، قبالة جامع جراح .

خرف الصاد

المدرسة (الصلاحية)

أنشأها السلطان صلاح الدين بالقرب من البيمارستان النوري ؛ وسماها ابن قاضي شهبة بالنورية . وهي اليوم دور ومساكن ، وبابها يظهر في جدارها الجنوبي ، لكنه خفي ولسوف يزول .

صلاح الدين
الأيوبي

٥

ودرس بها أيام حياتها : جمال الدين المعروف بحمار المالكية ، ثم العلامة ابن الحاجب ، ثم زين الدين الزواوي ، ثم جمال الدين الزواوي .

المدرسة (الصمصامية)

بمحلة حجر الذهب ، شرقي دار القرآن الوجيهية ، وقبلي السرورية الشافعية ،
وشمالي الخاتونية العصمية الحنفية . قال العلموي : وهي التي وضع يده عليها سنان
الرومي ناظر البيمارستان في حدود ثمانين وستين وتسعمائة . والآن لا يعرف مكان
الصمصامية . وقال المحبي في « تاريخه » في ترجمة احمد بن سنان صاحب التاريخ
المشهور « بالقرماني » : قدم أبوه سنان الى دمشق ، وولي نظارة البيمارستان ، ونظارة
الجامع الأموي . وانتقد عليه أنه باع بسطا للجامع الأموي وحصرًا ، وأنه خرب مدرسة
المالكية بالقرب من البيمارستان النوري وتعرف بالصمصامية وحصل به الضرر في مدرسة
النورية ببعلبك ؛ فقتل بسبب هذه الأمور هو وناظر السليمية حسين في يوم الخميس
رابع عشر شوال سنة ست وستين وتسعمائة جميعا معا بدار السعادة بشاشيهما
وعمامتهما على رأسهما . انتهى . فقول العلموي : سنة ثمانين وستين سهو أو غلط من
الناسخ . وأما حجر الذهب فهو اسم لمحلة بالقرب من البيمارستان النوري كما في
المحبي .

٢٠

ووقف درسا عليها صاحب شمس الدين غبريال سنة سبع عشرة وسبعمائة ،
وتوفي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة . ولم يذكر النعيمي ولا العلموي اسم بانيتها .

قلت : والوجيهية ، والسرورية ، والخاتونية ، والصمصامية صارت دورا ، وانمحت
آثارها . فالتطويل في تراجمها لا يجدي نفعا . وهذا آخر الكلام على مدارس المالكية .

الباب السادس في مدارس الحنابلة

حرف الجيم وما قبله مهمل

المدرسة (الجوزية)

- هي بالضرورة المسمى قديما بسوق القمح . وقد اختلس جيرانها معظمها ، وبقي منها الى الآن بقية ، ثم صارت محكمة الى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بعد الألف .
- وهي الآن مقفلة لا ندري ما يصنع بها الزمان فيما بعد .
- ودرس بها : ابن المنجا ، والجمال المرذاوي ، وابن قاضي الجبل ، والبرهان ابن مفلح وغيرهم .

- قرأت كتابة على حجر موضوع في أسكفة إحدى حجراتها ؛ فاذا فيه : فرغ من عمل هذه المدرسة المباركة سنة اثنتين وخمسين وستمائة . تقبل الله من منشئها
- ١٠ صاحب محي الدين رحمه الله تعالى .

ترجمة واقفها

محي الدين ابن
الجوزي
٦٥٦-٥٨٠

- يوسف بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله الجوزي القرشي البكري البغدادي ، الفقيه الأصولي ، الواعظ الشهيد . قرأ بالروايات واشتغل بالفقه والخلاف والأصول ، وبرع في ذلك ، وكان أمهر من أبيه فيه ، وأبوه ابن الجوزي المشهور . ووعظ في صغره على قاعدة أبيه ، وعلا أمره ، وعظم شأنه ، وولي الولايات الجليلة .
- ١٥

- قال الذهبي : كان اماما كبيرا ، وصندرا معظما ، عارفا بالذهب ، كثير المحفوظ ، ذا سمت ووقار ، درس وأفتى وصنف . وأما رياسته وعقله فممنقولان بالتواتر ، حتى أن الملك الكامل مع عظم سلطانه قال : كل أحد يعوز زيادة عقل الامحى الدين ابن الجوزي
- ٢٠ فانه يعوز نقص عقل . وله تصانيف : منها « معادن الابرين في تفسير الكتاب العزيز » ، ومنها « المذهب الأحمد في مذهب أحمد » .

قال برهان الدين بن مفلح في « المقصد الأرشد » : ولما دخل هولاكو ملك التتار الى بغداد ، فقتل الخليفة المستعصم وغالب أولاده ، وقتل معه أعيان الدولة والامراء

وشيوخ الشيوخ ، وقتل المترجم وأولاده الثلاثة ، وذلك في صفر سنة ست وخمسين
وستمئة بظاهر سور كلواذا .

وقال ابن كثير : كان المترجم أنجب أولاد الحافظ ابن الجوزي ، وأصفرهم . وعظ بعد
أبيه ، واشتغل وحرر وأتقن ، وساد أقرانه ؛ وباشر حسبة بغداد ، وكان رسول الخليفة
الى الملوك بأطراف البلاد ولاسيما الى بني أيوب بالشام ؛ فحصل منهم من الأموال
والكرامات ما ابتنى منها المدرسة الجوزية التي بدمشق . ثم صار استاذ دار الخليفة
المستعصم سنة أربعين وستمئة ، واستمر مباشرها الى أن قتل مع الخليفة . وله
نظم حسن . ومدرسته التي في دمشق من أحسن المدارس ، وقد احترقت في سنة
عشرين وثمانمئة على ما ذكره ابن قاضي شهاب ؛ ثم أعاد عمارتها القاضي شمس الدين
النايلسي ، وبها إعادة ، وقراءة حديث ، وإمامة .

والذي علم من وقفها : نصف دير أبي عصرون ، قرية عند القصير ، وفدانان بقرية بالاء ،
وأرض بقرية يلدا .

وترجمه الحافظ ابن رجب وأطال في مدحه بالعلم والفضل ، وأورد شيئاً من أشعاره
في الغزل ، وقال : ولي تدريس المستنصرية . وذكر من مؤلفاته زيادة عما تقدم ، كتاب
« الإيضاح في الجدل » .

حادثة بغداد

هي الحادثة الفظيعة ، وإن كان محلها القسم السياسي ؛ فإننا نذكرها هنا مختصرة
حسبما رواها عبد الرحيم بن شقدة في « مختصر شذرات الذهب » لتعلقها بترجمة
ابن الجوزي ، ونترك بسطها وإيضاحها الى محلها فنقول : إن الخليفة المستعصم بالله
آخر الخلفاء بالعراق كان قد استوزر ابن العلقمي ، وكان على ما ذكره المؤرخون رافضياً .
وفي أيامه أهينت الرافضة بالنهب وضياع الحقوق . فحقد ابن العلقمي لذلك ، وأضر
في نفسه أن يبدل الخلافة العباسية بخلافة علوية ؛ فجعل يرسل أخاه ومملوكه الى
هولاكو ، ويشوقه الى امتلاك بغداد ، على أن يكون نائباً له عليها . ففطن لذلك لؤلؤ
صاحب الموصل ، فأخذ يهيئ للتار الاقامات والمقابلة ، ويراسل الخليفة سرا . فكان
ابن العلقمي يخفي المكاتبات ، ولا يطلع الخليفة عليها . وعلى فرض اطلاعه عليها ، فانه
لايجدي نفعا لقله رأيه وتفغله ، ورد جميع أموره الى وزيره . ولما نجحت حيلة ابن
العلقمي ؛ بعث ولد محي الدين ابن الخوارزمي رسولا الى هولاكو يعده بالأموال والغنائم .

- فركب في مائتي ألف من التتار والكرج ، ومدد من صاحب الموصل مع ولده الصالح اسماعيل . فخرج ركن الدين الدوادار وتقابلا ، فكانت الكسرة للعساكر البغدادية . ونزل جيش هولاء في شرقي بغداد ، فاضطرب الخليفة لذلك ، واستشار ابن العلقمي ، فأشار عليه بأن يرسله اليهم لتقرير الصلح . فخرج ، وتوثق لنفسه ، ورجع فقال : ان الملك قد رغب في أن يزوج ابنته بابنك الأمير أبي بكر ، وأن تكون الطاعة له ، كما كان أجدادك مع الملوك السلجوقية ، ثم يترحل . فراجت المكيدة على المستعصم ، وخرج في أعيان الدولة . ثم استدعى الوزير العلماء والرؤساء ليحضروا العقد ، فخرجوا ، فضربت رقاب الجميع ، وصار كلما خرجت طائفة تضرب أعناقهم ، حتى بقيت الرعية بلا راع . فلما خلا الجو للتتار ، دخلوا بغداد ، وبذلوا السيف في أهلها ، فاستمر القتل والسبي نحو أربعين يوما ، ولم يسلم الا من اختفى في بئر أو قنارة . وقتل الخليفة ١٠ رفسا . ويقال : أن هولاء أمر بعد القتل ؛ فبلغ عددهم ألف ألف وثمانمائة ألف وزيادة . وبعد هذه المقتلة ، نودي بالأمان . وقال سبط التعاويذي في بعض مرثي بغداد :

بادت وأهلوها معا فبيوتهم بقاء مولانا الوزير خراب

- وما ينفع الندب بعد فقد الميت ، والعويل بعد الخراب والدمار ! ولما فرغ هولاء من فناء أهل بغداد ، أقام نوابا على العراق . وكان ابن العلقمي حسن لهم أن يجعلوا خليفة علويا ، فلم يوافقوه ، واطّرحوه ، وعاملوه معاملة بعض الفلماني ، الى أن مات حزنا وأسفا ، وتلك عاقبة الخيانة . ثم ان هولاء أرسل الى الناصر كتابا يتهدده فيه ، ويقول له : أجب ملك البسيطة ، ولا تقولن : قلاعي المانع ، ورجالي المقاتلات ! وجرت أمور طويلة نستوفيها في القسم السياسي من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى . ٢٠

الجمال المرادوي

الجمال المرادوي
٧٦٩-٧٠٠

من مدرسي الجوزية يوسف بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمود المرادوي . قال في «المقصد الأرشد» : كان اماما عالما علامة ، صالحا خاشعا ، اشتغل بالحديث والفقه والعلوم ، وباشر وظيفة قضاء الحنابلة بالشام سبع عشرة سنة .

- قال الذهبي في « المعجم المختص » : هو الامام المفتي الصالح ، امام في المذهب ، ٢٥

وله اعتناء بالمتن والاسناد . وقال ابن حجي : كان عفيفا ورعا ، صالحا ناسكا خاشعا ، ذا سمت ووقار ، ولم يغير ملبسه وهيئته ، يركب الحمار ، ويفصل الحكومات بسكون ولا يحابي احدا ، ولا يحضر مع النائب يعني الوالي الا يوم دار العدل ، واما في العيد والمحمل فلا يركب . وكان مع ذلك عارفا بالمذهب ، لم يكن في الحنابلة في وقته مثله ، مع فهم وكلام جيد في النظر والبحث ، ومشاركة في اصول وعربية . وجمع كتابا في احاديث الاحكام حسنا سماه « الانتصار » ، وبوبه على ابواب « المقنع » . توفي سنة تسع وستين وسبعمائة . وحكى في « مختصر الشذرات » ان له كتابا سماه « الواضح الجلي في نقض حكم ابن قاضي الجبل الحنبلي » وذلك انه اختار جواز بيع الوقف لمصلحة ، وحكم به .

وترجمه ابن حبيب في « تاريخه » فقال : هو عالم ، علمه زاهر وبرهان على الدين ، ورعه ظاهر ، وامام تتبع طرائقه ، وتفتنم ساعاته ودقائقه ، الى ان قال : صنف ، وناظر وافاد ، وكان ذا حظ من زهد وتعفف ، مع صيانة وورع ودين متين .

ابن قاضي الجبل

من مدرسي الجوزية ايضا أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي عمر محمد بن أحمد ابن قدامة . قال البرهان ابن مفلح في « المقصد الأرشد » : هو الشيخ العلامة جمال الاسلام صدر الأئمة الاعلام ، شيخ الحنابلة ، المقدسي الأصل ، ثم الدمشقي المعروف بابن قاضي الجبل ، كان مولده على ما كتب بخطه يوم الاثنين تاسع شعبان سنة ثلاث وتسعين وستمائة . كان من اهل البراعة والفهم ، متفننا عالما بالحديث وعلمه ، والنحو واللغة ، والأصليين ، والمنطق ، وكان له في الفروع القدم العالي . قرأ على الشيخ تقي الدين شيخ الاسلام أحمد بن تيمية عدة مصنفات في علوم شتى منها « المحصل » للرازي ، وأذن له الشيخ بالافتاء وهو شاب . ودرس بعدة مدارس في مصر والشام ، وصار رئيسا على أقرانه ، انتهى ملخصا . وقال ابن كثير : ولي القضاء ، ولم تحمد مباشرته ، ولا فرح به صديقه ، بل شمت به عدوه . وبأشر القضاء ذون الأربع سنين الى أن مات وهو قاض . وقال ابن مفلح : كان عنده مداراة وحب للتعصب . وذكره الذهبي في « معجمه » فقال فيه : هو مفتي الفرق ، سيف المناظرين . وبالف ابن رافع وابن حبيب في مدحه . وكان فيه مزح ، وانكاء في البحث ، ومن انشاده وهو في القاهرة :

ابن قاضي الجبل

٧٧١-٦٩٣

١٥

٢٠

٢٥

والصالحون بها أقاموا
مني التحية والسلام

الصالحية جنة
فعلى الديار وأهلها

وله أيضاً :

وشيخي أحمد كالبحر طامي
شفاعة سيد الرسل الكرام

نبيي أحمد وكذا إمامي
واسمي أحمد وبذلك أرجو

وكان يقول : أحفظ عشرين ألف بيت من الشعر . وله اختيارات في مذهب أحمد ،
وآلف كتاباً فيه سماه « الفائق » ، وشرح « المنتقى » للمجد ابن تيمية ، ولم يتمه .
وآلف كتاباً في الأصول لم يتمه أيضاً . توفي بمنزله بالصالحية رابع عشر رجب سنة
أحدى وسبعين وسبعمائة ، ودفن بمقبرة جده أبي عمر .

- ١٠ وترجمه في « شذرات الذهب » بنحو ما تقدم ، ثم قال : وله عدة مصنفات ، منها ،
كتاب « المناقلة في الأوقاف وما في ذلك من النزاع والخلاف » . وتبعه على ذلك جماعة ،
وكلهم تبعوا الشيخ تقي الدين بن تيمية .

شمس الدين النابلسي

شمس الدين النابلسي
٨٠٥-٠٠٠

- ومن مدرسيها محمد بن أحمد بن محمود النابلسي . قال في « المقصد الأرشد » :
١٥ قرأ العربية وأحكمها ، والفقه ، وجد في طلب العلم ؛ واشتهر أمره ، وعلا صيته ، وكان
له معرفة تامة ، وكتابة حسنة . ولم يزل يترقى حتى عزل قاضي القضاة ابن المنجا ،
وجلس مكانه . وكانت له حلقة لأقراء العربية يحضرها الفضلاء . درس بدار الحديث
الأشرفية والحنبلية ، وله حرمة عظيمة ، وأبهة زائدة . لكن باع من الأوقاف كثيراً .
توفي خمس وثمانمائة ، ودفن بالصالحية . انتهى ملخصاً .
٢٠ وقال ابن حجي : ولم يكن بالرضي في شهادته ، ولا في قضائه ، وباع كثيراً من
الأوقاف بدمشق . قيل : أنه ما بيع من الأوقاف في الإسلام مثل ما بيع في أيامه ، وقل
ما وقع منها شيء صحيح في الباطن ، وفتح على الناس باباً لا ينسد أبداً . ولما جاء
تيمورلنك ، دخل مع أعوانه في أمور منكرة ، ونسب إليه أشياء قبيحة من السعي في
أذى الناس وأخذ أموالهم .

عز الدين الخطيب

من مدرسيها ، محمد بن علي بن عبد الرحمن بن محمد الخطيب . قال ابن مفلح : هو الشيخ الامام العلامة ، قاضي القضاة ، خطيب الجامع المظفري ، تفقه في مذهب أحمد ، وكان خطيبا بليغا ، له مؤلفات حسنة ، وله كتاب «النظم المفيد لأحمد في مفردات مذهب الامام أحمد» . ناب في القضاء عن ابن المنجا ، وتوفي سنة عشرين وثمانمائة . وقال ابن شقدة في «مختصر الشذرات» : حفظ المترجم «المقنع» ، وبرع في الفقه والحديث ، واخذ عن الحافظ ابن رجب ، وكان له النظم الرائق ، وآلف مؤلفات حسنة .

عز الدين الخطيب
٨٢٠-٠٠٠

القاضي عز الدين

من مدرسيها ، عبد العزيز بن علي بن العز بن عبد العزيز بن عبد الحمود ، العالم المفسر ، قاضي القضاة عز الدين ، البغدادي الأصل ثم المقدسي . اعتنى بالوعظ ، وكان يستحضر كثيرا من «تفسير البغوي» ، واعتنى بعلم الحديث ، وله مشاركة في الفقه والحديث . اشتغل ودرس وكتب على الفتاوى يسيرا ، وله مصنفات منها : أنه اختصر «المغني» ، وشرح «الشاطبية» ، وصنف في المعاني والبيان ، وجمع كتابا سماه «القمير المنير في احاديث البشير النذير» . ولي بعد الفتنة قضاء بيت المقدس ، وطالت مدته وجرى له فصول . ثم ولي قضاء دمشق مدة مديدة ، ثم صرف عنه ، وولي تدريس المؤيدية . ثم ولي قضاء مصر مدة ، ثم ولي قضاء دمشق ، وكان منظورا لم تحمد سيرته في القضاء . توفي سنة ست وأربعين وثمانمائة . قاله ابن مفلح .

القاضي عز الدين
٨٤٦-٠٠٠

وقال عنه ابن شقدة : قاضي الأقاليم ، وسمي بذلك لأنه تولى قضاء بغداد ، والعراق ، وبيت المقدس ، ومصر ، والشام . قال : وكان فقيها دينا ، عديم التكلف في ملبسه ومركبه ، له معرفة تامة . ولما ولي قضاء مصر ، صار يمشي لحاجته في الاسواق ويردف عبده على بقلته ، وأشياء من هذا النسق . وكان جميع ولاياته من غير سعي . قاله الغليمي .

٢٠

برهان الدين ابن مفلح

من مدرسيها ، صاحب «المقصد الأرشد» ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح بن محمد بن مفلح . بالغ عبد الحي بن العماد في «شذرات الذهب» في مدحه ،

٢٥

برهان الدين
ابن مفلح
٨٨٤-٨١٠

فقال عنه : الشيخ الامام ، البحر الهمام ، العلامة القدوة الرحلة ، الحافظ مجتهد الامة ،
شيخ الاسلام ، سيد العلماء والحكام ، الى غير ذلك من القاب المدح ، الى ان قال :
باشر قضاء دمشق مرارا ، وصنف « المبدع شرح المقنع » في الفقه ، و « المقصد
الأرشد في طبقات اصحاب الامام احمد » مرتبة على حروف المعجم ، وصنف كتابا في
الأصول . توفي سنة اربع وثمانين وثمانمائة . انتهى .

٥

ورأيت بخط حفيده محمد بن ابراهيم بن عمر ابن المترجم ، ترجمته في آخر
« الطبقات » ، فقال ما ملخصه : مولده سنة عشرة وثمانمائة في دار الحديث العالمية
قبالة الجامع الأفرم ، وحفظ القرآن و « المقنع » و « الفيتي ابن مالك والعراقي »
و « الانتصار » و « مختصر ابن الحاجب » الأصولي . ومن مشايخه : الحافظ ابن حجر
العسقلاني ، وابن نصر الله ، وصار اليه المرجع ، وسلم اليه العلماء من اصحاب المذاهب ،
وكان المعول عليه . ثم ذكر من مؤلفاته : « المبدع » و « الطبقات » و « مرقاة الوصول
الى علم الأصول » . وسود في الفروع والأصول ، والنحو وغيرها شيئا كثيرا . مات
قبل تبييضها . انتهى .

وقال الأسدي في « تاريخه » : هو افضل أهل مذهبه في عصره ، ودرس بمدرسة
أبي عمر ، ودار الحديث الأشرفية وكان بها منزلة ، وبمدارس كثيرة .

١٥

حرف الجيم

المدرسة (الجاموسية)

قال النعيمي : هي غربي العقيبة بدمشق ، لم أعرف واقفها . وحكى نظام الدين
ابن مفلح أن وقفها على الحنابلة . وقال يوسف بن عبد الهادي المعروف بابن المبرد :
ان الاخبار تواترت بذلك ، وان الوقف عليها : الثلث من الحانوت بالعقيبة الكبرى ،
والبستان المعروف بالطبرزية ، وجنيئة الرصاص ، ومحاكرة الجنيئة بمساطب الطرق ،
ومحاكرة البستان بقرية جسرين ، ومحاكرة تمر ابن الأمير وابن الرملي جوار المدرسة ،
والمحاكرة جوارها باسم ابن نور الدين ، والبستان فوق حمام الورد . انتهى . قال العلموي :
قلت : قد تسلط عليها محمود ولد تاج الدين السلطي ، وفكها فطمسها !

٢٠

حرف الشين

المدرسة (الشريفة الحنبلية)

كانت عند القباقيب العتيقة المعروفة اليوم بالعمارة ، بالقرب من الجامع الأموي .
وقرات بهامش « طبقات الحنابلة لابن رجب » ، عند ترجمة بانيها ما صورته :

٥ وهذا عبد الواحد هو باني المدرسة الحنبلية داخل باب الفراديس ، وهي سكن
الشيخ محمد الأسطواني يومئذ وهي سنة ٩٧١ مع سبق سكناه بها من حدود ٩٤٥ .
انتهى . وهي الآن لا اثر بها ولعلها صارت دورا للسكنى . قال النعيمي : والوقف عليها :
البيستان والحصّة في الحولة ، وأرض في جهة حلبون وعسال . ثم ان الشيخ شعيب
ابن ميكائيل التركماني الجاكيري كان رجلا حنبليا مباركا صالحا ، اتجر بالكتب مدة ،
١٠ ثم ضعف وعجز عن الحركة ، فاشترى بما كان معه ملكا ووقفه على نفسه ، ثم على
المدرسة الحنبلية ، وتوفي سنة سبعمائة واثنتين وثلاثين . قال : ولا تفتر بقول ابن
شداد حيث قال : مدرسة شيخ الاسلام أخي صلاح الدين يوسف بن أيوب بالقرب من
مدرسة الرواحية داخل باب الفراديس . انتهى . فانه نسب الحنبلية لغير أهلها !

ترجمة واقفها

قال في « شذرات الذهب » ما مختصره : وفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة توفي
شرف الاسلام عبد الوهاب ابن الشيخ أبي الفرج الحنبلي عبد الواحد بن محمد الأنصاري
الشيرازي ثم الدمشقي ، الفقيه الواعظ ، شيخ الحنابلة بالشام بعد والده ، ورئيسهم ،
وهو باني المدرسة الحنبلية داخل باب الفراديس .

١٥ شرف الاسلام
الشيرازي
٥٣٦-٠٠٠

وقال ابن رجب في « الطبقات » : توفي والد عبد الوهاب وهو صغير ، فاشتغل
٢٠ بنفسه ، وتفقه وبرع ، وناظر وأفتى ، ودرس الفقه والتفسير ، ووعظ ، واشتغل عليه خلق
كثير . وكان فقيها بارعا ، وواعظا نافعا ، وصدرا معظما ، ذا حشمة وحرمة ، وسؤدد
ورياسة ووجاهة ، وهيبة وجلالة ، كان ينشد على الكرسي في جامع دمشق اذا طاب
وقته :

سيدي علل الفؤاد العليلا وأحيني قبل أن تراني قتيلا
ان تكن عازما على قبض روعي فترفق بها قليلا قليلا

٢٥

وله تصانيف في الفقه والأصول ، منها « المنتخب في الفقه » مجلدان ، و« المفردات »
و « البرهان » وغير ذلك . انتهى

ولما بنى مدرسته الحنبلية ، جرى له أمور في بنائها . ووالده هو الذي نشر مذهب
أحمد في القدس والشام . قال ابن مفلح : والأشهر أنه من ولد سعد بن عبادة رضي
الله عنه .

ابن المنجا

ابن المنجا
٦٤١-٠٠٠

من مدرسيها ، عثمان بن أسعد بن المنجا بن بركات بن الموصل التبوخي الفقيه .
أخذ عنه ابن الحاجب وغيره ، وكان تاجرا ذا مال وثروة ، توفي سنة إحدى وأربعين
وستمئة (١) . وقال الحسيني في « الذيل » : برع في علوم كثيرة أصولا وفروعا
وعربية وتفسيرا ، وصنف في الأصول ، وشرح « المقنع » ، وله تعليقات في التفسير .
١٠ انتهى .

وقال غيره : انتهت إليه رئاسة مذهب أحمد ، مع التبحر في العربية وغيرها من
العلوم ، وأخذ النحو عن ابن مالك ؛ وسئل ابن مالك شرح كتابه « الخلاصة » فقال :
شرحها لكم ابن المنجا . وجلس في الجامع للفتوى نحو ثلاثين سنة . .

ابن شيخ السلامة

ابن شيخ السلامة
٧٦٩-٧١٦

من مدرسيها ، حمزة بن موسى بن أحمد بن الحسين بن بدران . قال في « المقصد
الارشاد » : هو العلامة المعروف بابن شيخ السلامة ، درس بالحنبلية وبمدرسة
السلطان حسن ، وأفتى ، وصنف تصانيف عدة ، منها كتاب « الاستدراك على أجماع
ابن حزم » وشرح « منتقى الأحكام » للمجد ابن تيمية ، ولم يكمل . وكان له اطلاع
جيد ، ونقل مفيد على مذاهب العلماء المعتبرين ، واعتناء جيد بمنصوص أحمد ،
٢٠ وفتاوى تقي الدين بن تيمية ، وله فيه اعتقاد صحيح ، وقبول لما يقوله ، وينصره ويوالي
عليه ، ويعادي فيه .

(١) ذكر النعمي في « الدارس » نقلا عن السيد الحسيني رحمه الله في « ذيل العبر » أن زين الدين
عثمان بن المنجا ولد سنة إحدى وثلاثين وستمئة ، وتوفي سنة خمس وتسعين وستمئة .

قال ابن قاضي شهبة : ووقف درسا بتربيته بالصالحية ، وكتبا ، وعين لذلك الحافظ ابن رجب . توفي سنة تسع وستين وسبعمائة ، ودفن عند جامع الأفرم بتربيته .

وقال الصلاح الصفدي في « تاريخه » : ان المترجم ينسب الى الفتح بن خاقان وزير المتوكل ، توفي والده وهو في الجيش يباشر مشارفته بدمشق . ثم ان الأمير تنكر أخذ منه مبلغ مائة ألف درهم فيما أظن من غير ذنب ولا جناية ، لكن نقم على والده . فترك المترجم المناصب ، وزهد فيها ، وأقبل على العلم الى ان صار علامة في المنقول ومذاهب الناس ، وشرح « مراتب الاجماع » لابن حزم في عشرة أسفار ، واستدرك عليه قيودا أهملها ، وحسبك بمن يستدرك على ابن حزم ! وشرح « أحكام مجد الدين » في مجلدات كثيرة .

الحافظ ابن رجب

- ١٠ الحافظ ابن رجب ٧١٦-٧٦٩
- من مدرسيها ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، العلامة الحافظ الزاهد ، شيخ الحنابلة ، البغدادي ، قدم به والده من بغداد الى دمشق وهو صغير ، ولازم ابن النقيب والنووي وغيرهم ، واشتغل بسماع الحديث ، وشرح « الترمذي » و « الأربعين النووية » وزادها الى الخمسين ، وشرح مازاده ، وشرح في كتاب سماه « فتح الباري شرح البخاري » ، ونقل فيه كثيرا من كلام المتقدمين ولم يتمه . وله كتاب « اللطائف في الوعظ » وكتاب « أهوال القبور » وكتاب « التخويف من النار والتعريف بدار البوار » و « القواعد الفقهية » و « اختيار الأولى شرح حديث اختصاص الملائكة » و « نور الاقتباس من مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس » وله « الدليل على طبقات القاضي أبي يعلى » و « غاية النفع في شرح حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع » وغير ذلك . وكان لا يعرف شيئا من أمور الناس ، ولا يتردد على أحد من أرباب الولايات ، وكان يسكن المدرسة السكرية بالقصاعين . توفي سنة خمس وتسعين وسبعمائة بأرض الحميرية ببستان كان استأجره ، ودفن بباب الصغير .
- ٢٠

وقال في « شذرات الذهب » : كانت مجالس تذكيره للقلوب صادعة ، وللناس نافعة ، اجتمعت الفرق عليه ، ومالت القلوب بالمحبة اليه .

وقال ابن حجي : أتقن المترجم فن الحديث ، وصار أعرف عصره بالعلل وتتبع الطرق ،
تخرج به غالب الحنابلة بدمشق .

حرف الصاد

مدرسة (الصاحبة)

- هـ هي بسفح قاسيون من الشرق ، وهي الآن معروفة مشهورة في حارة الأكراد ،
وبناؤها عظيم يدل على الأبهة والجلالة ، وهي من الآثار التي تدل على ارتقاء الفن
المعماري في ذلك الزمن .

قال النعيمي : والذي علم من وقفها : غالب قرية جبة عسال ، والبستان الذي تحت
المدرسة ، والطاحون ، وحكورة غالب تلك الحارة في جوارها .

- ١٠ قال ابن كثير : وكان في خدمة الواقعة الشيخة الصالحة العالمة أمة اللطيف بنت
الناصح الحنبلي ، وكانت فاضلة لها تصانيف ، وهي التي أرشدتها الى وقف المدرسة
الصاحبة على الحنابلة ، ثم صودرت لأجلها .

- وقال الصفدي بعد أن ذكر ما تقدم : حصلت منها أموالا عظيمة ، وأشارت عليها
ببناء المدرسة ؛ فبنتها ، ووقفتها على الناصح والحنابلة ، ودفنت بمدرستها تحت القبو .
ولقيت العالمة شذائد ؛ فحبست ثلاث سنين بالقلعة . انتهى . وتزوجها الأشرف صاحب
١٥ حمص ؛ فسافرت معه الى الرحبة وتل ناشر ، ثم توفيت ، ووجد لها بدمشق جواهر
وذخائر نفيسة تقارب ستمائة ألف درهم غير الأملاك والأوقاف .

- وقال ابن مفلح في ترجمة الناصح عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن عبد
الواحد الشيرازي الأنصاري : ان الصاحبة ربيعة خاتون لما بنت له المدرسة درس بها ،
وكان يوما مشهودا ، وحضرت الواقعة من وراء ستر . وقال أيضا : كان الناصح فقيها
٢٠ واعظا ، شرع في الاشتغال بالعلم ، ورحل الى بغداد وأصبهان والموصل وبلاد كثيرة
لأخذ العلم ، وحضر فتح بيت المقدس مع السلطان صلاح الدين ، وانتهت اليه رئاسة
المذهب بعد الشيخ موفق الدين عبد الله بن قدامة ، وكان يساميه في حياته ، وبينهما

مراسلات ، وله مصنفات . توفي سنة أربع وثلاثين وستمائة بدمشق ، ودفن بسفح قاسيون . ومن مصنفاته ، كما في « طبقات ابن رجب » و « شذرات الذهب » : كتاب « أسباب الحديث » في مجلدين ، وكتاب « الاستفسار بمن لقيهم من صالح العباد في البلاد » وكتاب « الانجاد في الجهاد » . وقال الديبتي في « تاريخه » : له خطب ، ومقامات ، وكتاب « تاريخ الوعاظ » ، وكان حلو الكلام ، جيد الايراد ، مهيبا صارما ، وكان رئيس المذهب في زمنه في دمشق .

العالمة أمة اللطيف

من الأسف أن مؤرخينا لم يعتنوا بتراجم النساء الفاضلات ، ولم أظفر من ترجمة هذه الفاضلة إلا بما ذكره ابن شقدة في « مختصر الشذرات » ؛ فانه قال : وفي تربة بني الشيرازي دفنت أمة اللطيف صاحبة التصانيف ، من جملتها : كتاب « التسديد في شهادة التوحيد » ، وكتاب « بر الوالدين » . وأنشأت دارا بالقرب من هذه التربة ، بالصف القبلي من الطريق الآخذ لجامع الأفرم قبل أن تصل الى مدرسة الناصرية بشيء يسير ، ومنقوش اسمها واسم والدها الشيخ عبد الرحمن على أسكفة أحد أبوابها ، وجعلت هذه الدار دار حديث ، وتوفيت في رجب سنة نيف وأربعين وستمائة . وقيل : دفنت بالمدفن المواجه لخان السبيل ، بالقرب من التربة ، وعلى مدفنها قبة عظيمة العمارة ، ملاصق ذلك للطريق الآخذ الى نهر يزيد لمن ورد النهر وهو الأصح .

العالمة أمة اللطيف
٦٤٠-٠٠٠

١٠

١٥

ترجمة الواقفة

أنشأتها ربيعة خاتون صاحبة اخت صلاح الدين والعاذل . قال ابن شقدة : توفيت وقد نيفت على الثمانين ، ودفنت بمدرستها ، وكانت وفاتها سنة ثلاث وأربعين وستمائة .

ربيعة خاتون
٦٤٣-٠٠٠

٢٠

ابن عبد القوي

من جملة المدرسين في الصاحبة ، محمد بن عبد القوي بن بدران المقدسي الفقيه المحدث . كان من العلماء الأعلام ، درس وأفتى وصنف ، وتخرج به جماعة ، وقرأ عليه

ابن عبد القوي
٦٩٩-٠٠٠

العربية شيخ الاسلام ابن تيمية ، وله مؤلفات أكثرها منظومة ، منها : « منظومة الأداب كبرى وصغرى » ، وله كتاب « النعمة في الفقه » جزآن ، و « الفرائد في الفقه » على حرف الدال في خمسة آلاف بيت ، وكتاب « المفردات » نظم فيه المسائل التي انفرد بها الامام أحمد عن سائر الأئمة ، وتبلغ ألف مسألة ، توفي سنة تسع وتسعين وستمائة

الدرسة (الصدرية)

كانت بدرب يقال له : درب الريحان ، بجوار تربة القاضي جمال الدين المصري . ويؤخذ من كلام الذهبي أن محلها كان دارا للواقف؛ فجعلها مدرسة، ووقف لها أوقافا ، ودفن بها .

قلت : وتربة الجمال المصري هي عند القبور التي يزعم الناس أن من جملتها قبر معاوية ، ولا مدرسة هناك اليوم . والمحقق أن الصدرية محيت آثارها وصارت دورا ! ١٠

ترجمة واقفها

صدر الدين ابن
المنجا

٥٩٨-٦٥٧

أنشأها أسعد بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي ثم الدمشقي .

قال الذهبي : كان رئيسا محتشما متمولا ، ووقف داره مدرسة تسمى الصدرية على الحنابلة ، ووقف عليها ، ودفن بها . اعتنى بالحديث . ولي نظر جامع بني أمية ، وثمر له أموالا كثيرة ، وله آثار حسنة . توفي سنة سبع وخمسين وستمائة . ١٥

أفاضل مدرسيها :

ابن عبد الهادي

ابن عبد الهادي
٧٠٥-٧٤٤

من مدرسيها ، محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي ابن يوسف بن محمد بن قدامة الجماعيلي ثم الصالحي ، الفقيه المقرئ الحافظ ، النحوي المتفنن . ٢٠

قال ابن مفلح : عني بالحديث وفنونه ، ومعرفة الرجال والعلل ، وبرع في أصل الدين

وأصل الفقه ، ولأزم شيخ الاسلام ابن تيمية ، وأخذ عن الذهبي ، وله مصنقات كثيرة في فنون شتى . توفي سنة أربع وأربعين وسبعمائة .

قال الحسيني في « ذيل العبر » : كان المترجم من أجل أصحاب ابن تيمية . وسمعت شيخنا الذهبي يقول : والله ما اجتمعت به قط الا استفدت منه . انتهى . ومن مؤلفاته : « تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق » مجلدان ، « الأحكام الكبرى » سبع مجلدات ، « الرد على الخطيب » مجلد ، « المحرر في الأحكام » مجلد ، « فصل النزاع بين الخصوم في الكلام على حديث أفطر الحاجم والمحجوم » ، « شرح الفية ابن مالك » ، وله غير ذلك من الأجزاء يطول سردها ، وقد استوفاهما الحافظ ابن رجب في ترجمته من « الطبقات » .

ابن ابن القيم

١٠

ابن ابن القيم
٧٦٧-٧١٩

من مدرسيها ، ابراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن الامام المعروف بابن القيم . اشتغل في أنواع العلوم ، وأفتى ، ودرس ، وناظر ، ودرس بالصدرية والتدمرية ، وله كتاب « ارشاد السالك الى حل الفية ابن مالك » ، وكان له أجوبة مسكتة . توفي سنة سبع وستين وسبعمائة .

ابن القيم

١٥

ابن القيم
٧٥١-٦٩١

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الزرعي ثم الدمشقي ، الفقيه الأصولي المفسر ، النحوي العارف ، الشهير بابن قيم الجوزية . ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة .

قال ابن رجب ما حاصله : تفقه في المذهب وبرع ، وأفتى ، ولأزم شيخ الاسلام ابن تيمية وأخذ عنه ، وتفنن في علوم الاسلام ، وكان عارفا بالتفسير لايجارى فيه ، وبأصول الدين ، واليه فيهما المنتهى ، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه لايلحق في ذلك ، وبالفقه وأصوله ، وبالعبادية وله فيها اليد الطولى ، ويعلم الكلام وغير ذلك ، وعالما بعلم السلوك ، وكلام أهل التصوف وإشاراتهم ودقائقهم ، له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى .

قال الذهبي في « المختصر » : عني بالحديث ومتوئنه وبعض رجاله ، وكان يشتغل في الفقه ويجيد تقريره ، وفي النحو ويدريه ، وفي الأصولين . وقد حبس مدة لانكاره شد الرحيل الى قبر الخليل ، وتصدر للاشتغال ونشر العلم . قلت : وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد وطول صلاة الى الغاية القصوى ، وتأله ولهج بالذكر ، وشغف بالمحبة والانابة ، والافتقار الى الله والانكسار له ، والاطراح بين يديه ٥ على عتبة عبوديته . لم أشاهد مثله في ذلك ، ولا رأيت أوسع منه علما ، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق القرآن منه ، وليس هو بالمعصوم ، ولكن لم أر في معناه مثله . وقد امتحن وأوذى مرات ، وحبس مع شيخ الاسلام في المرة الأخيرة بالقلعة منفردا عنه ، ولم يفرج عنه الا بعد موت الشيخ . وكان في مدة حبسه مشتغلا بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر ؛ ففتح الله عليه من ذلك خيرا كثيرا ، وحصل له جانب عظيم من ١٠ الأذواق والمواجيد الصحيحة ، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف، والدخول في غوامضهم ، وتأليفه ممتلئة بذلك .

وقال برهان الدين الزرعي عنه : ما تحت أديم السماء أوسع علما منه ، واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره ، فمن تصانيفه : « تهذيب سنن أبي داود » وايضاح مشكلاته والكلام على ما فيه من الأحاديث الملهولة مجلد ، كتاب « سفر الهجرتين وباب السعادتين » ١٥ مجلد ضخيم ، كتاب « مراحل السائرين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين » مجلدان وهو شرح منازل السائرين ، كتاب « الكلم الطيب والعمل الصالح » ، كتاب « شرح أسماء الكتاب العزيز » ، كتاب « رد المسافرين الى منازل السعداء » ، كتاب « زاد المعاد في هدي خير العباد » أربع مجلدات ، كتاب « حلي الأفهام في ذكر الصلاة والسلام على خير الأنام » ، كتاب « بيان الدليل على استغناء المسابقة عن التحليل » ، كتاب « نقد المنقول والمحل ٢٠ المميز بين المردود والمقبول » ، كتاب « أعلام الموقعين عن رب العالمين » ثلاث مجلدات ، كتاب « بدائع الفوائد » مجلدان ، « الشافية الكافية في الانتصار للفرقة الناجية » وهي النونية مجلد ، كتاب « الصواعق المنزلة على الجهمية المعطلة » مجلدان ، كتاب « حادي الأرواح » مجلد ، كتاب « نزهة المشتاق وروضة المحبين » مجلد ، كتاب « الداء والدواء » ، كتاب « تحفة المودود في أحكام المولود » ، كتاب « مفتاح دار السعادة » ، كتاب « اجتماع ٢٥ الجيوش الاسلامية على غزو الفرقة الجهمية » ، كتاب « مصايد الشيطان (١) » ، كتاب

(١) كذا ذكره ، والصحيح « اغانة اللهفان من مصائد الشيطان » في ثلاث مجلدات .

- « الطرق الحكمية » ، كتاب « رفع اليدين في الصلاة » مجلد ، « نكاح المحرم » مجلد ،
« تفضيل مكة على المدينة » ، كتاب « فضل العلم » ، كتاب « عدة الصابرين » ، كتاب
« الكبائر » ، كتاب « حكم تارك الصلاة » ، كتاب « نور المؤمن وحياته » ، « حكم اغمام
هلال رمضان » ، « التحرير فيما يحل ويحرم من لباس الحرير » ، « جوابات عابدي
الصلبان وأن ما هم عليه دين الشيطان » ، كتاب « بطلان الكيمياء من أربعين وجها » ،
« الفرق بين الخلعة والمحبة ومناظرة الخليل لقومه » ، كتاب « عقد محكم الاحفاء بين الكلم
الطيب والعمل الصالح المرفوع الى رب السماء » ، « الفتح القدسي » ، « التحفة
المكية » ، كتاب « أمثال القرآن » ، « شرح الأسماء الحسنى » ، « إيمان القرآن » ،
« المسائل الطرابلسية » مجلدان ، « الصراط المستقيم في أحكام القرآن » مجلدان ،
كتاب « الطاعون » مجلد لطيف ، كتاب « الفروسية » .
- ١٥ توفي ثالث عشر رجب سنة احدى وخمسين وسبعمائة ، ودفن بمقبرة الباب
الصغير . وترجمه العدوي فقال : هو المجتهد المطلق ، المفسر المتفنن في علوم عديدة .
انتهى .

حرف الفساد

الدرسة (الضيائية) (١)

- ١٥ هي بسفح قاسيون شرقي الجامع المظفري ، بناها واقفها من ماله ، وأعانه عليها
بعض أهل الخير ، وجعلها دار حديث ، وأن يسمع فيها جماعة من الصبيان ، وأوقف
عليها كتبه وأجزائه . وفيها من وقف موفق الدين بن قدامة ، والبهاء عبد الرحمن ،
والحافظ عبد العزيز ، وابن الحاجب ، وابن سلام ، وابن هامل ، والشيخ علي الموصلي .
٢٠ وقد نهبت في نكبة الصالح أيام قازان ، وذهب منها شيء كثير ، ثم تمايلت وتراجعت .
قاله الذهبي .
- وقال غيره : بناها للمحدثين ، والغرباء الواردين مع الفقر والقلّة ، وكان يبني منها
جانبا ويصير الى أن يجتمع معه ما يبني به غيره ، ويعمل فيها بنفسه ، ولم يقبل
من أحد شيئا تورعا . انتهى .

(١) كذا في الاصل ، وذكرها النعمي في « الدارس » : « الضيائية الحمديّة » ، وكذلك ابن شداد
في « الاعلاق » .

قلت : رأيت شرقي الجامع المظفري جدارا عظيما ، وفيه أربعة شبائيك إلى القبلة ، وفيه الباب ، ويفصل الطريق بين هذا البناء وبين الجامع ، ولعل هذه المدرسة المذكورة .

ترجمة واقفها

ضياء الدين المقدسي
٦٤٣-٥٦٧

أنشأها محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل بن منصور السعدي المقدسي ، الحافظ الكبير ، محدث عصره ، ووحيد دهره ، وشهرته تغني عن الاطناب في مدحه . يقال : انه كتب الحديث عن أزيد من خمسمائة شيخ .

وقال ابن النجار : هو حافظ متقن ثبت صدوق نبيل حجة ، عالم بالحديث وأحوال الرجال ، له مجموعات وتخريجات ، وهو ورع تقي زاهد مجاهد في سبيل الله ، وله مؤلفات ، منها كتاب للأحاديث المختارة وهي الأحاديث التي تصلح أن يحتج بها سوى ما في الصحيحين ، خرجها من مسموعاته ، قال بعضهم : هي خير من صحيح الحاكم ، وله مؤلفات كثيرة ذكرها ابن رجب . توفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وأثنى عليه ابن الحاجب والذهبي والمزي . ومن مصنفاته كتاب « فضائل الأعمال » . وكان الوقف على المدرسة الضيائية : غالب دكاكين السوق الفوقاني ، وخوانيت وجنية في النيرب ، وأرض بسقبا ويؤخذ لأهلها ثلث قمح ضياع وقف دار الحديث الأشرفية ، وبالجبل الدير والدوير والمنصورة والتليل والشرقية .

قال العلموي : كان الضياء عابدا زاهدا ، ما أكل من وقف قط ، ولا دخل حماما ، وكان يعمل بمدرسته بنفسه ، ولما فرغ من بنائها درس بها ، ودرس بعده بها جماعة منهم : تقي الدين بن غرس الدين ، وعز الدين التقي ، وشمس الدين خطيب الجبل ، والبقاقيبي المرادوي .

٢٠ المدرسة (الضيائية الحاسنية)

ضياء الدين محاسن

هذه المدرسة ذكرها النعيمي ، ولم يبين محلها ، ولم يذكر الا قول ابن شداد ، واليك ما حكاه :

قال ابن شداد : مدرسة ضياء الدين محاسن ، كان رجلا صالحا ، بنى هذه المدرسة ، وجعلها موقوفة على من يكون أمير الحنابلة يذكر فيها الدرس ؛ ثم قال : قلت : ولعله

الشرابيشي والد نور الدولة واقف الشرايشية المالكية ، وواقف التربة قبالة جامع جراح فليحرر . ثم نقل عن « المقصد الأرشد » ترجمتين لاعلاقة لهما بالمدرسة . هذا ما وقفت عليه في شأنها ؛ وقد أضرب العلموي عن ذكر تلك المدرسة !

حرف العين

المدرسة (العمرية الشيخية)

هي موجودة بالصالحية ، مشهورة معمورة الجدران ، لا ظل للعلم فيها ولا اثر ، يسكنها قوم من ذوي المتربة ، ويمر بها نهر يزيد ، وداخلها مدرسة لطيفة ، وبهما مايقرب من تسعين خلوة . وقد كان بها خزانة كتب لانظير لها ، فلعبت بها أيدي المختلسين ، الى أن أتى بعض الطلبة النجديين فسرق منها خمسة أحمال جمل من الكتب وفر بها ؛ ثم نقل ما بقي ، وهو شيء لا يذكر بالنسبة لما كان بها ، الى خزانة الكتب في قبة الملك الظاهر في مدرسته . وكذلك لعبت أيدي المختلسين في أوقافها فابتلعوها . هذه حالتها اليوم .

وأما حالتها في ابان صباها وشبابها ، فقال عز الدين : هي بالجبل في وسط دير الحنابلة . وقال ابن كثير : وقف عليها سيف الدين بكتمر درسا . وقال ابن الزملكاني : ان أحمد بن زريق المعروف بابن الديوان وسع مدرسة أبي عمر من الجهة الشرقية ، ويمكن أن تكون هي المدرسة الصغيرة داخلها . انتهى .

وعمر ناصر الدين محمد بن منجك الجانب الشرقي من المدرسة فجاء في غاية الحسن . قال الشيخ جمال الدين بن عبد الهادي : هذه المدرسة عظيمة لم يكن في بلاد الاسلام أعظم منها . والشيخ أبو عمر بنى بها المسجد ، وعشر خلاوي فقط . وقد زاد الناس فيها ، ولم يزالوا يوقفون عليها من زمنها الى اليوم ، قل سنة من السنين تمضي الا ويصير اليها فيها وقف ، فوقفها لايمكن حصره ، فمن جملته : العشر من البقاع ، والمرتب على داريا من القمح ستين غرارة ، ومن الدراهم خمسة آلاف للفنم في شهر رمضان . ومما رأيناه وسمعنا به من مصالحها : الخبز ، لكل واحد من المنزلين بها رغيفان ، والشيخ الذي يقريء أو يدرس ثلاثة وهو مستمر طول السنة ؛ والقمصان

- في كل سنة لكل منزل فيها قميص ، وقد رأيناه ؛ والسراويل لكل واحد سراويل (١) ، سمعنا به ولم نره ؛ وطعام شهر رمضان بلحم ، وكان الشيخ عبد الرحمن ينوع لهم ذلك ، ويوم الجمعة العدس ، ثم انقطع التنوع ؛ واستمرت القمحية وزبيب وقضامة ليلة الجمعة ، يفرق عليهم بعد قراءة ما تيسر ، رأيناه ، ووقفه دكانان تحت القلعة ؛ وكل سنة مرة زبيب ، وقفها خارج عن وقف المدرسة ؛ وفراء وبشوت (٢) في كل سنة ، ووقفها خارج عنها أيضا ؛ ودراهم ، لها وقف ، تفرق على من يقرأ في السبع في كل شهر ، وهو خارج عن وقفها أيضا ؛ وحلاوة دهنية من وقفها ، سمعنا به ولم نره ؛ وحصر لبيوت المجاورين ، مستمرة ؛ وصابون ، سمعنا به ولم نره ؛ وختان من لم يكن مختونا ، في كل سنة من المجاورين بها الفقراء والأيتام ، رأيناه ثم انقطع ؛ وسخانة يسخن بها الماء في الشتاء لفصل من اختلم ؛ وكعك ، سمعنا به ولم نره ؛ ومشبك بعسل ١٠ في ليلة العشرين من شهر رمضان ، ثم نقلت الى النصف ، مستمرة ؛ وقنديل يشعل طول الليل في المقصورة للمدرس ، مستمر ؛ وحلاوة في الموسم في شهر رجب لوزية وجوزية وغيرهما ، مستمرة في نصف شعبان ؛ وأضحية في عيد الأضحى ، مستمرة ؛ وطعام في عيد الفطر حامض ولحم وهريسة وأرز حلو ، مستمر الى الآن . انتهى . وكان بها حلقة الثلاثاء ، والوقف عليها نصف حمام الشبلية ثم خرب فعمر بالنصف فبقي الربع ، ١٥ والجنينة خلفه ، والبيت فوقه .

- وفي تاريخ الأسدي : أن ابن حجي استجد لخطاب العجلوني الشافعي درسا بالعمرية ، وجعل له في الشهر مائة وخمسين درهما ، فتوقف الناظر في ذلك ، ثم اتفق الحال على أن قرر له في الشهر سبعين درهما ، فشق ذلك على الحنابلة . قال يوسف بن عبد الهادي : وفي مدرسة أبي عمر وقف على الحنابلة لم يدخل فيه غيرهم قط ؛ وأخبرت أنه في أيام القاضي ابن قاضي الجبل أراد غيرهم الدخول ، فقال : لا والله لا تنزلوا فيها أحدا الا أنزلنا في الشامية الكبرى مثله ! فلما كان في أيام عبد الرحمن بن داود ، ووقع بينه وبين الحنابلة ، أدخل فيها غيرهم من المذاهب ؛ فشق ذلك على الحنابلة ، وأما أنا فرأيت حسنا ؛ فان فضل الشيخ كان على الحنابلة فقط ، فصار على الأربعة مذاهب . وكان شهاب الدين بن عبد الرزاق قصد اخراج غيرهم ٢٥ منها ، وأرسل الى مصر ليخرج مراسيم بذلك ؛ فأدركته المنية . ودرس للشافعية بها :

(١) كذا في الاصل وصحيحها سراويل .

(٢) جمع بشت وهو العباءة الرقيقة تلبس في الصيف .

الشيخ خطاب ، ثم ابن قاضي عجلون ، ثم أخوه تقي الدين ، وللحنفية : عيسى البغدادي ،
ثم الزين ابن العيني في الايوان الشمالي ؛ وجدد القاضي المالكي درسا بها ثم انقطع .
انتهى .

وأما شيوخ اقراء القرآن بها ، فكان داخلها سبعة أماكن معدة لذلك : أحدها على
الخزانة الغربية استجده ابن مبارك واقف الحاجبية ، والآخر على الشرقية ، وآخر
بينهما ، وشيخ المدرسة في المحراب ، وآخر شرقيه ، واثنان غربيه ، وحلقة ابن الحبال
لاقراء القرآن والعلم بين بابي المدرسة والسلم الشرقيين .

قلت : وجميع هذه المرتبات درست وانقرضت وماتت بموت أهلها . وكان يقال :
لم يكن شيء من أنواع البر الا وهو موضوع في العمرية . ثم لم تزل الأيام تأتي على
أوقافها ومرتباتها بالنقصان الى أن تولى نظرها الشهاب أحمد الميني ، ثم صارت في
زمننا الى توفيق الميني من ذريته ، فابتلع الوشل (١) الذي بقي من أوقافها ، وأهلكها
هلاكا لا يرجى له برء .

ترجمة واقفها

اختلف في بانيها ، فقال النعيمي : الظاهر أن هذه المدرسة أصلها من بناية نورالدين
محمود بن زنكي ، لما حكاه في « مرآة الزمان » عن الشيخ أبي عمر أنه قال : كان نورالدين
يزور والدي أحمد في المدرسة الصغيرة التي على نهر يزيد المجاورة للدير ، ونور الدين
بنى هذه المدرسة والمصنع والفرن . قال : فجاء نور الدين لزيارة والدي ، وكان في
سقف المسجد خشبة مكسورة ، فقال له : يا نور الدين ، لو كشفت السقف وجددته !
فنظر الى الخشبة وسكت ، فلما كان من الغد جاء معماره ومعه خشبة صحيحة ، فوضعها
موضع المكسورة ومضى . قال : فعجب الجماعة . فلما جاء الى الزيارة ، قال بعض
الحاضرين : يا نور الدين ، فإكرتنا في كشف سقف واعادته ! فقال : لا والله ، وإنما هذا
الشيخ أحمد رجل صالح ، وأنا أزوره لأنتفع به ، وما أردت أن أزخرف له المسجد ،
وأنقض ما هو صحيح ، وهذه الخشبة يحصل بها المقصود ؛ فدعوني مع حسن ظني
فيه ، فلعل الله ينفعني به .

ولكن التحقيق والصواب أن هذه المدرسة التي بناها نور الدين هي المسجد

• (١) الوشل : الماء القليل

المسمى بمسجد ناصر الدين غربى المدرسة العمرية، يفصل بينهما الطريق، وهي صغيرة بالنسبة الى العمرية، ومرتب فيها عشرون من الطلبة. والدير المذكور يعرف بدير الحنابلة ايضا، وعليه أوقاف، منها قرية الهامة فقيل: انها وقف على الدير، وقيل: على أهله من الحنابلة، وعليه غير ذلك. والمصنع المذكور قبلي الدير، يفصل بينهما النهر. والحاصل ان باني المدرسة هو أبو عمر.

٥

الشيخ أبو عمر

الشيخ أبو عمر
المقدسي
٦٠٧-٥٢٨

هو محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الصالح. ولد سنة ثمان وعشرين وخمسائة بجماعيل، ثم هاجر به والده وبأخيه الموفق وبأهليهم الى دمشق لاستيلاء الافرنج على الأرض المقدسة، فنزلوا بمسجد أبي صالح ظاهر باب شرقي، فأقاموا به نحو من سنتين؛ ثم انتقلوا منه الى سفح الجبل وليس به من العمارة سوى دير الحوراني. قال أبو عمر: فقال الناس: الصالحة الصالحة! ينسبوننا الى مسجد أبي صالح لأننا صالحون. ذكره ابن رجب وابن مفلح. ثم ان أبا عمر حفظ القرآن، وقراه بحرف أبي عمرو، واعتنى بالحديث ورحل لأجله الى مصر، وحفظ «مختصر الخرقى»، وتفقه في مذهب أحمد، وأخذ النحو عن ابن بري صاحب «حواشي الصحاح». وكان سريع الكتابة ربما كتب في اليوم كراسين بالقطع الكبير. وكتب «الحلية» لأبي نعيم و«تفسير البغوي» و«المغني» لأخيه الموفق، و«الابانة» لابن بطة، وكتب مصاحف كثيرة لأهله، وكتب الخرقى للناس، والكل بغير أجر. فانظر الى هذه الهمة والغيرة على العلم. وكان له معرفة في الفقه والفرائض والنحو، مع الزهد والعمل وقضاء حوائج الناس. وترجمه ابن رجب بترجمة مطولة كلها ثناء وذكر مناقب. وقال سبط ابن الجوزي: كان المترجم على مذهب السلف الصالح، حسن العقيدة، متمسكا بالكتاب والسنة والآثار المروية، ويمرّها كما جاءت من غير طعن على أئمة الدين وعلماء المسلمين. قال: وأنشدنا لنفسه، نفعنا الله ببركاته:

أوصيكم في القول بالقرآن	بقول أهل الحق والايقان
ليس بمخلوق ولا بفان	لكن كلام الملك الديان
آياته مشرقة المعاني	متلوة في اللفظ باللسان
محفوظة في الصدر والجنان	مكتوبة في الصحف بالبنان

٢٥

والقول في الصفات يا اخواني كالذات والعلم مع البيان
امرارها من غير ما كفران من غير تشبيه ولا عدوان

قلت : وهذه الأبيات جمعت سائر عقيدة السلف . وبالجمله فان المترجم كان من العباد الصالحين ، والأولياء المتقين . توفي ثامن عشر ربيع الاول سنة سبع وستمائة .

المدرسة (العالمة)

شرقي الرباط الناصري، غربي سفح قاسيون، تحت جامع الأفرم . قاله النعيمي (١) .

أقول : أما جامع الأفرم فهو حديث مضي وانقضى فانه لم يبق منه أثر ، والمدرسة تبعته فصارت بستانا . ولقد وقفت تحت جامع الأفرم ، وسرت في الطريق الى جهة الغرب ، فرأيت بناء في الجانب القبلي شاهقا مبني بالحجر الأحمر ، وله باب شاهق لطيف الصنع والهندسة ، وداخله قبة عالية . فتأملت الجدار ، فلم أر فيه كتابة ، وسألت بعض أهل الصالحية عنه ، فقال لي : اسمه خاتون . وبالجمله فقد ضاعت العالمة وغيرها ، وسيلحقها هذا الأثر .

والوقف عليها : بستان بجسر البطة، والفيضة الثانية ، وحكر ابن صبح عند الشامية . وحكى القاضي برهان الدين انها محصورة في عشرين من أعيان الطلبة . وكان بهذه المدرسة دار حديث ، درس بها محمد بن هامل الحراني ، وكان له عناية كلية بالحديث ، وكتب الكثير ، وتعب وحصل ، ووقف أجزاءه بالضيائية . وفي «شذرات الذهب» ما ملخصه : محمد بن عبد المنعم بن عمار بن هامل بن موهوب الحراني الحنبلي نزيل دمشق . قال الذهبي : عني بالحديث عناية كلية ، وكتب وحصل ، وأسمع الحديث ، وفيه دين وحسن عشرة . وقال الدمياطي : هو الامام الحافظ ، سمع منه جماعة من الاكابر ، توفي سنة احدى وسبعين وستمائة . ودرس بها أيضا يوسف بن يحيى ابن الناصح عبد الرحمن الشيرازي الأصل ثم الصالحي الحنبلي ، وهو من بيت مشهور بالعلماء والفضلاء . قال ابن قاضي شهاب : ولي مشيخة العالمة ، والنظر عليها وعلى صاحبة ، ودرس بها ،

(١) كما قال أيضا : « ان واقفتها الشيخة الصالحة العالمة أمة اللطيف بنت الشيخ ناصح الحنبلي » .

انتهى . وقد تقدمت ترجمتها .

وكان محدثا فاضلا ، توفي سنة احدى وخمسين وسبعمائة بالصالحية ، ودفن بسفح قاسيون .

حرف الميم

المدرسة (السمارية)

- ٥ قبلي القيمرية الكبرى ، داخل دمشق ، قرب مئذنة فيروز . قال العلموي : مئذنة فيروز هي التي جددت الآن مع المدرسة مسجدا ، جددها علي جلبي الدفتردار ، ووقف لها وقفا ، وجعل لها امامين ومؤذنا . ورأيت بخطه على هامش « طبقات ابن رجب » :
السمارية هي التي بمحلة القيمرية ، جددها علي جلبي دفتردار التمار ، وجعل لها منارة في سنة سبعين وتسعمائة ، وتسمى مدرسة شرف الاسلام . انتهى .
- ١٠ قلت : والمدرسة اليوم معلومة ، ولكنها خربة ، والوقف عليها : الحكر المعروف بها وحده من طريق جامع تنكر الى مقابر الصوفية الى الطريق الذي فيه القنوات الى الطريق الآخذ الى مدرسة شادي بك ويعرف قديما ببستانها ، وحكر الزقاق وهو المعروف بالساقية بأرض مسجد القصب .

ترجمة واقفها

- ١٥ أنشأها الحسن بن مسمار الهلالي الحوراني المقرئ التاجر . قال ابن عساكر :
قرأ بالروايات ، وسمع الحديث ، ورحل الى بغداد ، وكان يصلي بجامع دمشق التراويح بحلقة الحنابلة ، ويقرأ فيها بعدة روايات يخلطها ويردد الحرف المختلف فيه ؛ فأنكروا ذلك عليه ، وقالوا : هذا مذهب يغير ترتيب النظم من القرآن الكريم . وكان مشريا ، مقترأ على نفسه . بلغني أنه أوصى عند موته باخراج جملة من زكاة ماله اجتمعت عليه من سنين كثيرة حتى أمر باخراجها . توفي سنة ست وأربعين وخمسمائة . قال الذهبي : وقد بنى الشيخ هذه المدرسة لأجل الشيخ أسعد بن المنجا ، ووقفها عليه .

ابن المنجا

أسعد ويسمى محمد بن المنجا بركات بن المؤمل التنوخي المعري ثم الدمشقي القاضي وجيه الدين أبو المعالي . قال الذهبي : ارتحل الى بغداد ، وتفقه بها على مذهب أحمد ، وأخذ الفقه عن الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وتفقه وأخذ عنه الشيخ موفق الدين المقدسي ، وروى عنه المنذري وابن خلیل وابن النجار . توفي سنة ست وستمئة .

قال في « الشذرات » : وهو واقف الوجيحية التي بباب البريد ، وهي مدرسة قريبة من مدرسة الخاتونية الجوانية ، وبها خلاوي كثيرة ، ولها وقف كثير اختلس .

- قال الناصح ابن الحنبلي : درس ابن المنجا بالمسمارية ، وكان له اتصال بالدولة وخدمة السلاطين ، وأسن وكبر ، وكف بصره في آخر عمره ، وله تصانيف منها : ١٠ كتاب « الخلاصة في الفقه » مجلد ، و « النهاية في شرح الهداية » في بضعة عشر مجلدا ، قال ابن رجب : وفيها فروع ومسائل كثيرة غير معروفة في المذهب ، والظاهر انه كان ينقلها من كتب غير الأصحاب ، ويخرجها على ما يقتضيه المذهب عنده ، وله « العمدة في الفقه » . وقال الأسدي : ولي قضاء حران في آخر دولة نور الدين .
- قال ابن رجب : قرأت بخط السيف بن المجد الحافظ ، قال : حدثني الشيخ الموفق ، ١٥ حدثني القاضي أبو المعالي أسعد بن المنجا ، قال كنت يوما عند الشيخ أبي الثناء وقد جاء ابن تميم ، فقال له : ويحك ! الحنابلة اذا قيل لهم : من أين لكم أن القرآن بحرف وصوت ؟ قالوا : قال الله تعالى : الم ، حم ، كهيعص ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات » ، وقال صلى الله عليه وسلم : ٢٠ « يجمع الله الخلائق فيناديهم بصوت » الحديث . وأنتم اذا قيل لكم : من أين قلتم : ان القرآن معنى في النفس قلتم : قال الأخطل : ان الكلام لفي الفؤاد . فالحنابلة اتوا بالكتاب والسنة ، وقالوا : قال الله ، قال رسوله . وأنتم قلتم : قال الأخطل ، وهو شاعر نصراني ، وخالفتم قول الله وقول رسوله . وقال أبو محمد ابن الخشاب : فتشت دواوين الأخطل ، فوجدت البيت : ان البيان من الفؤاد ، فحرفوه وقالوا : ان الكلام . انتهى .

(المنجاية) (١)

زاوية بالجامع الأموي كانت تعرف بابن المنجا ، ووقفها ينسب للعلامة عثمان ابن أسعد بن المنجا المترجم سابقا . قال العلموي : ووقفها يبلغ ارتفاعه نحو مائة سلطاني كل سنة . انتهى . قلت : والسلطاني لم نعرف ما يساوي اليوم .

٥

تتمة

قد عرفنا من مدارس أصحاب المذاهب الأربعة المذكورة فيما وقفنا عليه من كتب التاريخ الى سنة التسعمائة ، والتقطنا أثناء المطالعة مواضع لم تذكر سابقا ، وسنسردها هنا اتماما للفائدة ، فنقول :

ذكر الأسدي في ترجمة القاضي نظام الدين ابن مفلح أنه اشترى بيت ابن الشهيد، وبناه دار قرآن ، وكان يأخذ على القضاء على وجه شنيع ، ويصرفه في العمارة . ثم قال : وبنى مدرسة شرقي الصالحية ، جوار حمام العلاني، ورتب فيها مشيخة للحديث . توفي سنة سبعين وثمانمائة .

وللحنابلة أوقاف كثيرة . قال النعيمي : منها وقف التزويج ، يعطى منه كل من تزوج من فقراء الحنابلة ، وكان بيد القاضي علاء الدين المرداوي . ووقف الاعراض بكسر الهمزة ، يعطى منه كل من حفظ كتابا على مذهب أحمد وعرضه على أحد شيوخ المذهب .

ووقف المراودة من أولاد العجوز وفقراء جماعيل من الحنابلة ، وهو قرية الكتيبة من بلاد حوران . فرق هذا الوقف زمنا ، ثم تغلب عليه بنو عبد الملك ، ثم حكم بانتزاعه منهم القاضي محب الدين ، وكان النظر عليه لخطباء الجامع المظفري ، وفرق منه سنة ثمان وسبعين وسبعمائة .

٢٠

وقال الأسدي عندما عد مدارس الحنابلة : وللحنفية والحنابلة حلقة الأوزاعي ، وللحنابلة حلقة السفينية وحلقة المحراب ، وكلها بالجامع الأموي .

(١) ذكرها النعيمي في « الدارس » باسم « المدرسة المنجائية » .

الباب السابع

في مدارس الطب

المدارس المختصة بعلم الطب القديمة في دمشق كلها مندرسة ، ولم يبق لها الآن أثر ، وتبعها فن الطب في الاندراس حتى صار بيد الدجالين والممخرقين والعجائز والطارين ، اللهم الا أفراداً كان لهم به المام ، الى أن اشتهر في زمننا اشتهارا كبيرا ، واخذ في الرقي ، وبنيت لأجله المدارس . ونحن ذاكرون تراجم المدارس وان كانت مندرسة ، ليعلم القوم ما كان عليه سلفهم من الاعتناء بالعلم وترقيه ، وبذل الأموال فيه ، وبه تعالى العون :

المدرسة (الدخارية)

كانت بالصاغة العتيقة قرب الخضراء بدرب العميد ، قبلي الجامع الأموي . قال العلموي : وبستان الدخوار عند أراضي الجامع الأموي من قصر اللباد شماليها ، وحده شمالا نهر ثورا . ا. ه .

ترجمة واقفها

قال ابن شقدة في «منتخب شذرات الذهب» : المهذب الدخوار عبد الرحيم بن علي ابن حامد الدمشقي ، شيخ الطب ، وواقف المدرسة التي بالصاغة العتيقة على الاطباء . ١٥ المهذب الدخوار ٥٦٥-٦٢٨

ولد سنة خمس وستين وخمسمائة ، واخذ عن الموفق ابن المطران والرضي الرحبي ، واخذ الادب عن الكندي ، وانتهت اليه معرفة الطب ، وصنف التصانيف فيه ، وحظي عند الملوك . ولما تجاوز سن الكهولة ، عرض له خرس حتى بقي لا يكاد يفهم كلامه ، واجتهد في علاج نفسه ، فما أفاد بل ولد له أمراضا ، وكان دخله في الشهر مائة وخمسين دينارا ، وله اقطاع تعدل ستة آلاف وخمسمائة دينار . ولما ثقل لسانه ، ٢٠ كان الجماعة يبحثون بين يديه ، فيكتب لهم ما اشكل عليهم في اللوح . واستعمل

- المعاجين الحادة ؛ فعرضت له حمى قوية أضعفت قوته ، وزادت الى أن سالت عينه .
- وترجمه أحمد بن أبي أصيبعة في « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » ترجمة مطولة ،
- وثنى عليه ثناء عظيما ، وبالف في مدحه ، وقال : أتعب نفسه في الاشتغال ، وكد خاطره في تحصيل العلم حتى فاق أهل زمانه في صناعة الطب ، وحظي عند الملوك ، ونال من جهتهم من المال والجاه ما لم ينله غيره من الأطباء الى أن توفي ، واشتغل بالعربية ، وحصل العلوم ، وخدم الملك العادل أبا بكر بن أيوب في صناعة الطب ، ثم صار رئيسا على أطباء مصر والشام ، وتولى التدريس بالبيمارستان النوري الكبير ، واشتغل بالتدريس ، قال : وكان يظهر من ملح صناعة الطب ، ومن غرائب المداواة ، والتقصي في المعالجة ، والاقدام بصفات الأدوية التي تبرىء في أسرع وقت ، ما يفوق به أهل زمانه ؛ ويحصل من تأثيرها شيء كأنه سحر .
- ولازم سيف الدين الأمدي في الاشتغال عليه بالعلوم ١٠
- الحكمية ، وحفظ شيئا من كتبه ، وحصل معظم مصنفااته ليشتغل بها ، ونظر في علم الهيئة والنجوم ، واقتنى من آلتها ما لم يكن عند غيره ، وتوفي سنة ثمان وعشرين وستمئة . قال : ووقف داره التي بدمشق عند الصاغة العتيقة ، شرقي سوق المداخلين ، وجعلها مدرسة يدرس فيها من بعده فن الطب ، ووقف لها ضياعا وعدة أماكن يستغل منها ما ينصرف في مصالحها ، وفي جامكية المدرس ، وجامكية المشتغلين بها . ووصى ١٥
- أن يكون المدرس بها الحكيم شرف الدين علي ابن الرحبي ؛ ثم درس بها المظفر ابن قاضي بعلبك . وalf الدخوار كتبها منها : « اختصار الحاوي في الطب للرازي » ، و « اختصار كتاب الأغاني الكبير لأبي الفرج الأصبهاني » ، ومقالة في « الاستفراغ » ، وكتاب « الجنينة في الطب » ومسائل وتعاليق وشكوك طبية رد أجوبتها له ، وكتاب « الرد على شرح ابن صادق لمسائل حنين » ، ومقالة يرد بها على رسالة أبي الحجاج يوسف الاسرائيلي في ترتيب الأغذية اللطيفة والكثيفة في تناولها . انتهى منتخبا من « طبقات الأطباء » .

الرخي

- من المدرسين بهذه المدرسة ، يوسف بن حيدرة ، شيخ الطب بالشام ، وأحد ٢٥
- من انتهت اليه معرفة الفن ، ويقال له : الرخي بتشديد الخاء المعجمة نسبة الى الرخ ناحية

بئسابور . قال ابن شقدة : قدم دمشق مع أبيه حيدرة الكحال في سنة خمسين وخمسمائة ، ولازم الاشتغال على المذهب ابن النقاش ، فنوه باسمه ، ونبه على علمه ، وصار من أطباء صلاح الدين ، وامتدت أيامه ، وصارت أطباء البلد تلامذته حتى أن من جملة أصحابه المذهب الدخوار ، وعاش سبعا وتسعين سنة ممتعا بالسمع والبصر . توفي سنة اثنتين وثلاثين وستمائة . قاله في « العبر » .

الموصلي

ومن مدرسيها ، علي بن أحمد بن مقبل الموصلي . قال ابن كثير : كان شيخ الحديث ، وأعلم أهل زمانه بالطب ، وله فيه تصنيف حسن ، وكان كثير الصدقة ، حسن الأخلاق ، توفي سنة عشرة وستمائة .

السويدي

ومن مدرسيها ، ابراهيم بن محمد بن طرخان الأنصاري الدمشقي ، ولد سنة ستمائة . سمع من الشمس العطار وابن ملاعب وطائفة ، وتأدب على ابن معطي ، وأخذ الطب عن المذهب الدخوار وبرع فيه ، وصنف ، وفاق الأقران ، وكتب الكثير بخطه المليح ، ونظر في العقليات ، وألف كتاب « الباهر في الجواهر » ، وكتاب « التذكرة في الطب » ، وتوفي سنة تسعين وستمائة . قاله في « منتخب الشذرات » نقلا عن « العبر » ، وقال عنه : السويدي الحكيم ، شيخ الأطباء ، وهو منسوب إلى السويداء بلدة بحوران (١) .

ابن النفيس

هو العلامة علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي ابن النفيس الدمشقي ، شيخ الطب بالديار المصرية ، وصاحب التصانيف ، من انتهت إليه معرفة الطب مع الذكاء المفرط ، والذهن الخارق ، والمشار إليه في الفقه والأصول والعربية والمنطق . قال الذهبي : ألف في الطب كتاب « الشامل » وهو كتاب عظيم ، تدل فهرسته على أن يكون ثلاثمائة مجلدة ، بيض منها ثمانين مجلدة ، وكانت تصانيفه يملئها من حفظه ولا يحتاج إلى مراجعة لتجرده في الفن .

(١) كذا في الاصل ، والسويداء كما هو معروف الآن مركز لمحافظة السويداء التي كانت تسمى قبلا جبل الدروز .

وقال السبكي في « الطبقات » : هو امام الأطباء ، ذو التصانيف الفائقة ، ذكر أنه كان يكتب تصانيفه من صدره من غير مراجعة كتاب حال التصنيف . وبالجمله اجمع الناس على أن الأعين لم تر مثله في الطب ، ولا من يدانيه لا في زمانه ولا قبله بمائتي سنة ، وكان اشتغاله بالطب بدمشق على مذهب الدين الدخوار ، وقد صنف في أصول الفقه ، وفي الفقه والحديث ، والعربية والبيان ، ومات سنة سبع وثمانين وستمائة ٥ بالقاهرة .

وقال الأسنوي في « طبقات الشافعية » : كان ابن النفيس امام وقته في فنه شرقا وغربا بلا مدافعة ، اعجوبة زمانه ، وصنف في الفقه ، وفي أصوله ، وفي العربية والجدل والبيان ، وانتشرت عنه التلامذة .

وقال : في « العبر » : ووقف أملاكه وكتبه على المارستان المنصوري ، ولم يخلف ١٠ بعده مثله .

وقال ابن كثير : شرح القانون لابن سينا ، وصنف « الموجز في الطب » .

الدينسرية

كانت غربي باب المارستان النوري والصلاحية ، بآخر الطريق من قبله . ويظهر من كلام العلموي أنها تهدمت ، وتغيرت صورتها ، قال : وهي المسجد الذي بناه محمد بك ١٥ قاضي القضاة بدمشق ، وجعل به مكتبا فليحرر . ا.هـ . قلت : وحررت ؛ فلم أقف له على أثر ، والله أعلم بما صار اليه !

ترجمة واقفها

ترجمه ابن أبي أصيبعة في « طبقات الاطباء » بترجمة حافلة ذكر فيها كثيرا من نظمه ، وقال : محمد بن عباس بن أحمد بن عبيد الربعي الدينسري ، ذو النفس الفاضلة ، والمروءة الكاملة ، والأريحية التامة ، والعوارف العامة ، والذكاء الوافر ، والعلم الباهر ، ولد بمدينة دنيسر سنة خمس وستمائة ، واشتغل بصناعة الطب الى أن برع فيه ، وتفقه على مذهب الشافعي ، وأقام بدمشق ، وخدم البيمارستان النوري ، ثم أورد له شعرا كثيرا منه :

محمد الدينسري

٦٨٦-٦٠٥

٢٠

غذارك المخضر يأميني
أقام عذري عند أهل الهوى
وكان في ذلك لنا آية
لما بدأ الخد ثم استدار
وصح ما قيل عن الاعتذار
اذ جمع الليل مع النهار

وله من الكتب : « المقالة المرشدة في درج الأدوية المفردة » ، وكتاب « نظم الترياق
الفاروقي » ، كتاب في « المتروديوس » ، كتاب في « مقدمة المعرفة لابقراط »
أرجوزة ، وله ديوان شعر . وقال في « الشذرات » : صحب المترجم البهاء زهير مدة ،
وتأدب به ، وصنف ، وقال الشعر ، وبرع في الطب والأدب ، ومن شعره :

فيما التعلل بالألحاظ والمقل
وكم أعرض من فرط الغرام به
ما لذة العيش الا أن أكون كما
صرحت باسمك يا من لاشبيه له
يا عاذلي كف عن عذلي فبي قمر
معقرب الصدغ في تكوين صورته
وكم أشير الى الغزلان والغزل
عن قده بغصون البان في الميل
قد قيل فيما مضى من سالف المثل
أنا الفريق فما خوفي من البلل
قد حجبوه عن الأبصار بالأسل
معنى يجل عن الإدراك بالمقل

وله :

من يكن شافعي الى حنبلي
حنفي بوصله عن كئيب
بثقات من الجمال شهود
ناظر فائن وطرف كحيل
قد تذلت اذ تدلل حتى
وطلبت الوصال منه فنادى
قمر تخجل البدور لديه
رشأ بالجمال نبىء فينا
أهيف بالجنون أسهر جفني
قد أمال القلوب قسرا لديه
لامني فيه عاذلي وتعدى
توفى سنة ست وثمانين وستمائة .

المدرسة (اللبودية) (١)

هي مدرسة كانت خارج البلد ملاصقة لبستان الفلك المشيري . قال العلموي :
هذه المدرسة شرقي بستان الشموليات وبستان اللبودي (٢) وكلاهما وقف الجامع
الأموي عند جسر النهر الصغير الخارج من حمام الفلك مقابل بابه ، وهي الآن رحبة
خراب ، ورسم بابها موجود ، ورسم شبّاكها بل ودمنة المقبرة بالمدرسة موجودة الى
الآن . ا.هـ .

قلت : وهذا كان في زمنه ، وأما الآن فلا رسم ولا تطل لها ولا للحمام « وان الأرض
لله يورثها من يشاء من عباده » آية ١٢٧/٧ .

ترجمة واقفها

- ١٠ يحيى بن محمد بن عبدان الدمشقي اللبودي هو واقف اللبودية التي عند حمام
الفلك ، المبرز على الأطباء ولديه فضيلة بمعرفة الطب ، وقد ولي نظر الدواوين بدمشق .
وقال العلموي : كان علامة وقته في العلوم الحكيمة ، مفرط الذكاء والفطنة ، توفي
سنة احدى وستين وسبعمائة (٣) عن سبع وخمسين سنة ، وشرح « محصل الرازي » ،
و « فصول ابقراط » ، ودفن بتربيته بطريق المزة .
- ١٥ وقال في « عيون الأنباء » : هو الحكيم السيد العالم صاحب نجم الدين ابوزكريا
يحيى ابن الحكيم محمد بن عبدان بن عبد الواحد ، اُوحِد في الصناعة الطبية ، قدوة
في العلوم الحكيمة ، مفرط الذكاء ، فصيح اللفظ ، شديد الحرص في العلوم ، متفنن
في الآداب ، قد تميز في الحكمة على الأوائل ، وفي البلاغة على سحبان وائل ، له النظم
البديع ، مولده بحلب سنة سبع وستمائة ، وأتى به أبوه الى دمشق وهو صغير ، ولازم

(١) كذا في الأصل ووردت في « الدارس » : « المدرسة اللبودية النجمية » .

(٢) « ان المدرسة اللبودية مجهولة ، وفي أراضي باب السريحة بستان يعرف ببستان اللبودي » كذا
ذكره الأمير جعفر الحسني في تحقيقه « للدارس » .

(٣) كذا في الأصل وقد ذكر ابن شداد أن هذه المدرسة أنشأها ابن اللبودي في سنة أربع وستين
وستمائة . وذكر ابن أبي أصيبعة أن وفاته كانت سنة سبعين وستمائة . وقال في « عيون الأنباء » : ان مولده
كان سنة سبع وستمائة .

المهذب عبد الرحيم الدخوار بصناعة الطب ، وتميز في العلوم حتى صار أوحده زمانه ، وخدم الملك المنصور ابراهيم بن شيركوه بن شاذي صاحب حمص ، ولم تنزل أحواله تنمو عنده حتى استوزره وفوض اليه أمور دولته ، وكان لا يفارقه لافي سفر ولا في حضر . ولما توفي الملك المنصور اتصل بخدمة الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل وهو بالديار المصرية ؛ فجعله ناظرا على الديوان بالاسكندرية ، وجعل مقرره في كل شهر ثلاثة آلاف درهم ، وبقي على ذلك مدة ، ثم توجه الى الشام وصار ناظرا على الديوان بجميع الاعمال الشامية . وأورد له في « عيون الأنباء » نثرا وقصائد في مدح سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام ، ومن كلامه :

إذا ضاق أمر فاصبر سوف ينجلي فكم حر نار أعقت بسلام
ولا تسأل الأيام دفع ملمة فلست ترى أمرا حليف دوام

ومن مؤلفاته : « مختصر الكليات من كتاب القانون لابن سينا » ، « مختصر كتاب المسائل لحنين بن اسحاق » ، « مختصر كتاب الاشارات والتنبيهات لابن سينا » ، « مختصر كتاب عيون الحكمة لابن سينا » ، « مختصر كتاب الملخص ابن خطيب الري » ، « مختصر كتاب المعاملين في الأصولين » ، « مختصر كتاب أوقليدس » ، « مختصر مصادرات أوقليدس » ، كتاب « اللغات في الحكمة » ، كتاب « آفاق الاشراق في الحكمة » ، كتاب « المناهج القدسية في العلوم الحكيمية » ، « كافية الحساب في علم الحساب » ، « غاية الفايات في المحتاج اليه من اقليدوس والمتوسطات » ، « تدقيق المباحث الطبية في تحقيق المسائل الخلافية على طريق مسائل خلاف الفقهاء » ، « مقالة » في البر شعنا » ، كتاب « ايضاح الرأي السخيف من كلام الموفق عبد اللطيف » ، « ألف هذا الكتاب وله من العمر ثلاث عشرة سنة » ، « غاية الاحكام في صناعة الأحكام » ، « الرسالة السننية في شرح المقدمة المطرزية » ، « الأنوار الساطعات في شرح الآيات البينات » ، كتاب « نزهة الناظر في المثل السائر » ، « الرسالة الكاملة في علم الجبر والمقابلة » ، « الرسالة المنصورية في الأعداد الوفقية » ، « الزاهي في اختصار الزيج الشاهي » ، « الزيج المقرب المبني على الرصد المجرب » . هذا كلام « عيون الأنباء » ملخصا ، ولكنه لم يذكر أنه بنى مدرسة .

ثمة في ذكر البيمارستانات

يُحسن بنا أن نردف الكلام على مدارس الطب بما كان في دمشق من البيمارستانات (١)؛ لأنها بنيت للغاية التي بنيت لأجلها مدارس الطب وزيادة وهي أنها كانت مأوى المرضى ومجتمع العقاقير ، فنقول :

٥ البيمارستان (الصغير)

قال ابن شقدة في « منتخب شذرات الذهب » : البيمارستان الصغير بدمشق أقدم من البيمارستان النوري ، وكان محله قبلي مطهرة الجامع الأموي . وأول من عمره بيتا ، وخرب رسوم البيمارستان منه أبو الفضل الاخنائي ؛ ثم ملكه بعده أخوه البرهان الاخنائي ، وهو تحت المئذنة الغربية بالجامع الأموي من جهة الغرب ، وينسب إلى أنه عمارة معاوية وابنه . انتهى . قلت : ولا رسم له الآن ولا طلل ! ١٠

البيمارستان (النوري)

بناه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، وأوقف عليه جملة كبيرة من الكتب الطبية ، وكانت في الخزانيتين اللتين في صدر الايوان . وقد تقدم الكلام عليه في ترجمته ، وهو مشهور لم يزل إلى الآن . وقد كان الأطباء يردون إليه ، وينام فيه المرضى إلى قرب الثلاثمائة بعد الألف ، إلى أن عمرت الحكومة مستشفى الغرباء بمحلة البرامكة ، وتناوبته الأطباء ، وقصده المرضى من الفقراء والغرباء ؛ فاتخذته الحكومة مدرسة للأناث فلم ينقطع منه النفع ، فرحم الله بانيه وأسكن روحه فراديس الجنان . ١٥

البيمارستان (القيمني)

هو بالصالحية بدمشق بالقرب من جامع الشيخ محي الدين محمد بن عربي الطائي الحاتمي الأندلسي ، وهو باق إلى الآن ، ولكنه قد تناولته يد المختلسين ، وعلى بابها مكتوبة أوقافه واسم بانيه ، وهو يدعو أهل الهمة والغيرة لترميمه والانتفاع به ولو بجعله مدرسة ؛ وسأتشبه بذلك أن أعانني الله تعالى . ٢٠

(١) في الأصل المارستانات .

والذي مكتوب على بابه :

- ٥
- ١ - خان التوتة بحكر السماق بكماله . ٢ - وحصة بطاحونة باب توما أربع
قراريط . ٣ - وخان شمالي البيمارستان يشتمل على بيوت جماعة . ٤ - وقاعة
شرقي البيمارستان . ٥ - وحوانيت ومسلخ باب البيمارستان حانوت ١٧ . ٦ - وقاعة
وحجر واصطبل تحت وقف أمير الدين بدا .

ترجمة بانيه

- ١٠
- قال ابن شقدة : هو سيف الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن أبي الفوارس القيمري
صاحب البيمارستان بصالحية دمشق ، كان من أجلة الأمراء وأبطالهم المذكورين
وصلحائهم المشهورين ، وهو ابن اخت صاحب قيمر ، توفي بنابلس ، ونقل فدفن بقبته
التي بقرب مارستانه بالصالحية سنة ثلاث وخمسين وستمئة . وتقدمت ترجمته عند
الكلام على مدرسته .

سيف الدين
القيمري
٦٥٣-٠٠٠

هذا هو المكتوب على الأحجار كل حجر بمفرده ، والباقي سطران وهما :

هذا ما أوقفه وحبسه وأبده الأمير سيف الدين القيمري رحمه الله تعالى على هذا
البيمارستان :

- ١٥
- فمن المبرج نصف قرية البحدلية ، وكذلك قرية المسعودية بكمالها ، وأيضا قرية
المعضادية ، وأيضا من قرية بالا تسعة قراريط ، ونصف الحصص من الاضاع الحولانية،
دير أيوب عليه السلام بكمالها ، دير الهرير وطواحينها بكمالها ، ودير السوج بطواحينها،
والحصة النصف والربع منها ، ومن قرية عترة الربع ، ومن قرية فادا النصف والثلث
سرية ، ثلاثة قراريط ونصف من المسقف ، حصة بزماخشي ، بقيسارية
٢٠ قيراطين ، وحانوت بالفسقار مضمونة ، برستم الشوى وصفة نوح سبعة عشر حانوتا،
الحصة من اللط ربع قيراط .

أوابد وضم شوارد تليق بالمقام في أولية فن الطب

حكى الوزير جمال الدين علي بن يوسف القفطي في كتابه « اخبار العلماء بأخبار

الحكماء « في ترجمة اسقليوس الحكيم كلاما طويلا في شأن أولية الطب ؛ فمخضنا زبدته وأثبتنا نتيجته ، واليك ذلك :

- ان الكلام في الأوليات عموما ، وفي أولية الطب ومن أحدثه وفي أي زمن وجد ، عسر جدا ؛ وذلك ان الذين يقولون بقديم العالم يقولون : ان الطب قديم بقديم العالم ؛ لان الطب ملازم للانسان في حالة وجوده والانسان قديم ؛ فالطب قديم . والفرقة ٥
الآخري التي تعتقد حدوث الأجسام تقول : الطب محدث ؛ لان الاجسام التي يستعمل فيها الطب محدثة . واصحاب الحدوث ينقسمون في القول الى قسمين : فالقسم الواحد يقول : ان الطب خلق مع الانسان اذ كان من الأشياء التي بها صلاحه ، وبعضهم يقول : ان الطب خلق بعد خلق الانسان . وأجاب هؤلاء عن قول بعض الحكماء : ان اسقليوس هو مخترع الطب ، بأن حديثه ليس الا على سبيل السمر ، هذا مع اجماع الأطباء الأول ١٠
على أنه أول من استخرج الطب واستنبطه ، وقالوا : جاءه الطب على لسان الوحي . فأما حصر زمانه وزمان من جاء بعده ؛ فقد ذكروا من عدة السنين مما بينه وبين جالينوس ما يزيد على خمسة آلاف سنة ، فهذا يدل على أنه كان قبل الطوفان ، وكل ما هو قبل الطوفان لم تعلم حقيقته لعدم المخبر به على الوجه الصحيح . على أن جالينوس قال في تفسير كتاب « العهود لابقراط » : الذي يتناهى إلينا من قصة اسقليوس قولان : ١٥
أحدهما لغز ، والآخر طبيعي . أما اللغز فيذهب فيه الى أنه قوة من قوى الله تعالى ، واشتق لهذا الاسم من فعلها وهو منع اليبس . وزعم ابن جلجل أنه كان تلميذاً لهرمس المصري . وذكر ابقراط في كتاب « إيمانه وعهده » أن هذا الاسم في لسان اليونانيين مشتق من البهاء والنور ، والطب صناعة اسقليوس ، يعني لا يجب تعاطيها الا لمن كان على الطهارة والعفاف والتقوى ، وأنه لا يجب أن يعلم للأشرار ولا للذي الأنفس الخبيثة ، وإنما ٢٠
يجب أن يتعلمها الأشراف والمتألهون العارفون بالله . ثم ان الأولين منذ نشأة الطب كان بينهم العهود والمواثيق أن لا يعلموا صناعة الطب غريباً . وحكى القفطي في ترجمة بقراط أو ابقراط أن الطب كان استنباطه بالتجربة ؛ وذلك أن امرأة ابتليت بضعف المعدة وامتلاء الصدر بالأخلاق ؛ فاتفق أن أكلت الرأس بشهوة منهالة ، فذهب وجعها ، ورجعت الى صحتها ، وكانت من أهل مصر ؛ فانتبهوا لذلك ، وأقبلوا على فن الطب بالتجارب . ٢٥
وذكر هذا اسحاق بن حنين في « تاريخه » . انتهى .

قلت : ومثل هذا هو الصواب ؛ لان فن الطب الى الآن ولم يزل يتقدم بالتجربة

والاكتشاف والاختراع ، وثم اقوال كثيرة في كتب الاطباء . وتقدم أن الاطباء الذين كانوا قبل ابقراط كانوا يبخلون بتعليم هذا الفن ، ولا يعلمونه للغرباء حتى جاء ابقراط ؛ فكان أول من علمه الغرباء وجعلهم كأولاده لما خاف على الطب أن يفنى من العالم ، كما ذكر ذلك عن نفسه في كتاب عهده الى الأطباء الغرباء ، وألف التأليف الغريبة النافعة فيه ، وشاع ذلك الفن . ثم جاء بعده جالينوس ، ولكن بنحو ستمائة سنة ، فاستنبط علم التشريح ولم يسبقه اليه أحد ، وألف فيه سبع عشرة مقالة ، وكانت له بمدينة رومية مجالس مقامية يخطب فيها ، ويظهر من علمه بالتشريح ما يعرف به فضله ، وكان لايقنع من علم الاشياء بالتقليد دون المباشرة ، ولولاه ما بقي علم الطب وكان مندرسا وأثرا من العالم جملة ، ولكنه أقام أوده ، وشرح غامضه ، وبسط مستصعبه ، وكان متصفحا لجميع كلام المؤلفين فلم يسلم أحد من القدماء منه الا مشدوخا ، وكانت وفاته قبل المسيح بسبع وخمسين سنة .

وقال عبيد الله بن بختيشوع : ظهر جالينوس أيام الملك انطونينوس باني مدينة ايليوبوليس المسماة ببعليك ، وهو الذي استخدم جالينوس .

وقال اسحاق : ان بين وفاة جالينوس الى سنة تسعين ومائتين للهجرة ثمانمائة وخمس عشرة سنة . وعاش جالينوس ، على ما ذكره اسحاق بن حنين في «تاريخه» ونسبه الى يحي النحوي ، سبعا وثمانين سنة ، وهذا اعدل ما يمكن علمه .

وفي كتاب « التوضيح في أصول التشريح » ليوحنا ورتبات : أن صناعة التشريح كانت معدومة في الأزمنة القديمة ، الى أن قامت مدرسة الاسكندرية الشهيرة التي أنشأها بطليموس الأول الذي تولى مصر بعد الاسكندر الكبير قبل التاريخ المسيحي بنحو ثلاثمائة سنة ، وهي أول مدارس العالم في ذلك الوقت ؛ فجمعت فيها مكتبة عظيمة ، وأدوات التعليم في الهيئة والطب ، ودعي اليها المعلمون ، وأمرت الحكومة بدفع جثث المقتولين بسبب جرائمهم الى المدرسة الطبية لأجل التشريح ، وبقي الاسم الأول لهذه المدرسة الى ما بعد التاريخ المسيحي بنحو ثلاثمائة سنة . ويظهر أن معارف الرومانيين كانت منقولة عنها بالتدريج .

ثم اضمحلت العلوم في المغرب من القرن السابع بعد المسيح الى القرن الثاني عشر؛ فأخذها الإسلام في المشرق ، وازدهرت بينهم الى أن بلغوا فيها الرتبة الأولى ، الا أنهم لم

يتقدموا على من سبقهم في علم التشريح ، بل اكتفوا بما نقلوه من الكتب اليونانية لانهم كانوا يابون تشريح الموتى .

ومن القرن الثاني عشر الى القرن الخامس عشر بنيت عدة من المدارس الكلية في اوربا ، واضيف لكل واحدة منها مدرسة طبية . وكان أول من شرح الجثة البشرية فيها تشريحا مشتهرا المعلم مونديني مدرس التشريح في مدرسة بولونيا وذلك نحو سنة ٥ خمس عشرة وثلاثمائة وألف مسيحية . ومن ذلك الوقت أخذ علم التشريح في التقدم ، لكنه خاصا بالمدارس الى بداية القرن الثامن عشر ؛ فظهر ظهورا عاما الى أن وصل لدرجة لا يكاد يكون عليها مزيد ؛ وكثرت فيه المؤلفات الى أن صار الآن أوضح وأثبت العلوم الطبية . هذا ما قيل عن التشريح .

- ١٠ واما الطب فانه تأخر في القرون الاولى الى أن صارت له شعشة في مدرسة الاسكندرية ، ثم تضائل وصغر الى أيام الخلفاء العباسيين ؛ فأقبل الملوك على احياء آثاره ، وترجمت كتبه أيام المأمون ؛ فبرع المسلمون وغيرهم فيه براعة زائدة ، كما يعلم من «طبقات الأطباء» الى أن بنيت مدرسة بولونيا ؛ فصار ظله يتقلص من الشرق ، ويظهر نوره في الغرب ، الى أن انتقضت قواعده الاولى ، وظهر في طور جديد .
- ١٥ وفي نصف القرن الثالث عشر للهجرة بدأ الشرق يسترد ما سلب منه شيئا فشيئا ، الى أن رد اليه بعض شبابه في زمننا هذا ، واكثرت الدولة العثمانية من بناء مدارس ، وبنيت بدمشق مدرسة الطب على الطراز الجديد في نحو الألف وثلاثمائة وعشرين ، وقد قضى الله أنه لا يسلب من أحد شيء الا ويرد اليه بعد حين .

خاتمة في ذكر ما أنشئ في دمشق من المعاهد العلمية وذكر

٢٠ ما هو موجود منها الآن مما تقدم ذكره

- يعلم المطالع لهذا الكتاب أن الزمان أخنى على معظم ما مر ذكره من المدارس والمعاهد العلمية ، ولم نذكر ما أباده الا للتذكير ولتنبيه القوم على ما أسسه أسلافهم من المجد ، ثم قام من بعدهم خلف أضاعوا العلم ودياره ، وطمسوا معالمه وآثاره ، حتى أصبح العلم عندهم جبة وعمامة كبيرة ، واحتفاظا برسوم ابتدعوها وتداولوها ، وحفظ خرافات يأخذونها عن العوام وعجائز البيوت ، وفخفة وأنسابا ما أنزل الله بها من سلطان ، واختراع
- ٢٥

كرامات للعظام الرفات ، وعقولا جامدة وأفهاما كاسدة . هذا وقد بنى جماعة بعض مدارس لم يذكرها من تصدر لجمع هذا النوع في كتاب مستقل وانما ذكرت في غضون التراجع ؛ وقد أحببت أن أفرد لها في كتابي هذا موضعا خاصا بها لتتم الفائدة ، فأقول:

المدرسة (المرادية)

٥ هي في باب البريد مشهورة معروفة ، ذات مدرستين صفري وكبرى ، والثانية ذات حجرات سفلى ووسطى وعليا ، والاولى ذات حجرات أيضا سفلى وعليا . وكانت محط رحال الأفاضل ، معمورة بالعلماء وطلاب العلم ولهم من أوقافها ما يكفيهم ، وكان بها مكتبة عظيمة حتى كانت يقال لها : أزهر دمشق . ثم ان نظارها باعوا جانبها من أوقافها ، وقطعوا راتب الطلبة ، وأمست في عصرنا هذا كأمثالها خالية من دراسة العلم ، معطلة عن الانتفاع بها ، يسكنها بعض الفقراء وبعض من لا شغل له . وكان انشاء هذه المدرسة سنة ثمان ومائة وألف . وحكى المرادي في ترجمة الشيخ أحمد الميني أن جده باني هذه المدرسة لما بناها اقام الشيخ عبد الرحمن اخا الشيخ أحمد ناظرا على العمال والصناع بها ، وجعله على أوقافها كاتبا وأميناً على كتبها وعلى وظائفها ، وبقي الأمر على أولادهم أعني أولاد عبد الرحمن وأحمد .

ترجمة واقفها

١٥ قال خليل أفندي المرادي في تاريخه « سلك الدرر » : هو مراد بن علي بن داود ابن كمال الدين بن صالح بن محمد الحسيني الحنفي البخاري النقشبندي نزير دمشقي وقسطنطينية ، كان آية في العلوم العقلية والنقلية خصوصا في التفسير والحديث والفقه ، وكان معظما مبجلا ، يتقن الفارسية والتركية والعربية ، قيل : كان يحفظ أكثر من عشرة آلاف حديث ، وكان دائما مكشوف الرأس . ولد سنة خمسين وألف ، وكان والده تقيب الأشراف في سمرقند ، ولما تم له من العمر ثلاث سنين حصلت له نزلة على قدميه وساقيه فعطلتهما وبقي مقعدا ، ثم اجتهد في اكتساب العلوم والكمالات ، وقرأ العلوم العربية والفنون العلمية ، ورحل الى بلاد الهند وتلقى بها الطريقة النقشبندية عن الشيخ محمد معصوم الفاروقي ، ثم قدم الى بلاد الحجاز حاجا ، ثم عاد الى بغداد واستقام بها مدة ، ثم رحل الى مصر ، ثم منها الى دمشق وقطن بها . وفي سنة اثنتين

مراد الحسيني
١٠٥٠-١١٣٢

- وتسعين وألف قصد التوجه لبلاد الروم ؛ فارتحل الى القسطنطينية ، فأقبل عليه الناس وأخذوا عنه الطريق ، فأقام بها خمس سنين . وأخذ من السلطان مصطفى خان قرى بدمشق اقطاعا بمال يدفعه للخزينة الأميرية في كل سنة ، وهو الآن المعروف بالمالكانات . ومن آثاره بدمشق المدرسة المعروفة به ، وكانت قبل ذلك خانا يسكنه أهل الفسق والفجور ، وشرط في كتاب وقفه أنه لا يسكنها أمرد ولا متزوج ولا شارب للتتن (١) .
- و كذلك بنى مدرسة في داره بمحلة سوق صاروجا وتعرف بالنقشبندية البرانية ، مع مسجد كذلك هناك . وله من التأليف «المفردات القرآنية» في مجلدين تفسير للآيات ، وجعله بالعربية ثم بالفارسية ثم بالتركية ، وله رسائل كثيرة في الطريقة النقشبندية ، وتحريرات ومكاتبات . وكانت وفاته سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف في القسطنطينية ، ودفن في المدرسة المعروفة في محلة نيشانجي باشا . انتهى ملخصا (٢)
- ١٠

الزاوية (الخلوتية)

منصور الخلوتي
١١٣٦-٠٠٠

- رايت بخط خليل افندي المرادي أثناء ترجمته لمنصور بن مصطفى بن منصور السرميني الحلبي الخلوتي ما صورته :
- ان الشيخ منصور المذكور اختلى على عادة مشايخ الطرائق ، ولزمه جماعة وأخذوا عنه ، وأقبل عليه الناس واشتهر ، واستقام بدمشق بعياله قدر عشرين سنة ، قال : ١٥
- وكان والدي اشترى المكان المبني تجاه باب جيرون بالجامع الأموي ، وأوقفه على المترجم ، وبعده على من يصير خليفة بعده من المشايخ البكرية الخلوتية ، وكان القاضي بالحكم سليمان بن أحمد الخطيب المحاسني الحنفي .
- وحكى المرادي ما خلاصته : ان الشيخ المذكور كان مولده سنة ست وثلاثين ومائة وألف بـسـرمين ، ونشأ بحلب ، وطلب العلم وقرأ على أساتذة زمنه في حلب ومصر ، ٢٠
- وأخذ الطريق عن الشيخ مصطفى البكري ، وألف رسالة في البسملة سماها « كشف الستور المسدلة عن ألف وجه من أسرار البسملة ، وكشف اللثام والستور عن مخدرات أرباب الصدور » .

(١) التبغ .

(٢) بعد هذا الكلام في الاصل بياض قدره سبعة أسطر .

المدرسة (السليمانية)

سليمان العظم

- هي بمحلة نور الدين بالقرب من باب البريد معروفة هناك ومشهورة . أوقفها بعد أن بناها الحاج سليمان باشا ابن إبراهيم بك العظم محافظ مدينة الشام يومئذ وأمير الحاج ، وكان برتبة مشير على ما هو اصطلاح الدولة العثمانية . ورأيت تاريخ وقفها أنه كان في سابع عشر جمادى الاولى سنة خمسين ومائة وألف . وحكى في كتاب وقفها أنه جعل بها بركة ماء يجري مأوها من نهر القنوات ، ومسجدا ، وست عشرة خلوة سفلية وعلوية ؛ فالسفليات قبو ، والعلويات مسقفة بالخشب ، وبها مطبخ وبيت لأدوات المطبخ . وجعل لها خزانة كتب وأوقف عليها كتب كثيرة ، وسرد في كتاب وقفها أسماءها ولم نذكرها هنا لشيئين : أولهما أن تلك الكتب قد فقدت بالكلية فلم يبق منها في خزانتها ولا ورقة ؛ فقسم منها الله أعلم بما صار إليه ، وقسم آخر أودع في خزانة الكتب التي أنشئت في قبة الملك الظاهر بدمشق . وثانيهما أن تلك الكتب ليس فيها ما هو نادر سوى « حاشية الجابري على الكشاف » و « معالم التنزيل للبغوي » و « فتاوى مؤيد زاده » و « حاشية عزمي على الدرر » وحصّة من « تفسير ابن كمال باشا » ، وكتاب « الأبحر السبعة في اللغة » و « منتخب مجمع الزوائد » و « بهجة الناظرين للشيخ مرعي الكرمي الحنبلي » و « شرح ديوان أبي العلاء المعري لابن الدرة » ، وباقي الكتب على كثرتها كلها مطبوع « كاحياء علوم الدين » و « الشفاء للقاضي عياض » وشروحه ، وامثال ذلك .

أوقافها

- أوقف عليها الدار التي هي لصيقها وهي دار كبيرة بها حمام ، والدار الصغرى وهي جنوبي الدار الكبرى ، ودارا ثالثة تجاه الدار الثانية ، ودارا بمحلة الخراب بالشارع السلطاني تجاه قناة الفضّة ، وحماما عند طالع الفضّة ، وفرنا لصيق الحمام من الجانب الشامي ، والمصبغة الملاصقة لذلك ، والطباق التي على الأقيم والحاصل والمصبغة وعدتها ثلاثة طباق ، ومشرقة ، ومرتفقا ، وقاعة نشاء داخل باب الشاغور الجواني بزقاق بني المزلق وما يتبع القاعة ، وطاحونا بالصالحية بزقاق جري باشي ، وطاحونا بمحلة سوق صاروجا لصيق المدرسة الشامية ، وطاحونا بالشرف الأدنى بمرجة دمشق ، وطاحونا بقرب المزاز المعروف بالشيخ أرسلان ، وطاحونا بالقرب من قرية الدوير وتعرف بطاحون العشبية ، وطاحونا بأرض قرية الدوير وتعرف بطاحون البيدر ، وطاحون دارة

- الرحى الكائنة بقرية القصير العتيقة بالقرب من الخان وتعرف بالمكيسرة (تنبيه : هذه الطواحين الثلاث موجودة الى الآن ، وهي راكبة على النهر الذي يسقي أرض قرية عذرا ، وهذا النهر يخرج من سفح الجبل المطل على الدوير من الجانب الشمالي ، وفي محل نبعه ثلاث عيون : أحدها من الجانب الشرقي هذا النهر ، وبجانبه الى الغرب النهر الذي يسقي مزارع قرية الدوير ، وبالقرب منه نهر ثالث مشترك بين قريتي القصير والريحان : ٥
- الثلاث من الاول ، والباقي للثانية . ومن خصائص هذه الأنهر أن ماءها على مقدار معين لا ينقص لافي الصيف ولا في الشتاء ، وأنه يخرج من ينبوعه معتدل الحرارة دائما ، ففيه دليل على أنه ماء معدني ، ويقال لهذه العيون : عيون فاس ريا) . وأما الدوير فقد كانت زمن هذا الوقف قرية عامرة ، وأما الآن فلا أثر لها . وأما القصير فالذي يظهر من كتاب وقف هذه المدرسة انها كانت قرية عامرة بالقرب من الخان على جانب نهر عذرا ١٠
- من الجهة الجنوبية ، ثم خربت وعمر بدلا عنها قرية أخرى تبعد عنها الى الشمال بنحو خمس عشرة دقيقة مقابل طاحون القصير ، ثم خربت أيضا وانتقل أهلها الى قسبة دوما وبقيت مزارعها في أيديهم . وذكر ياقوت في « معجم البلدان » البلدة العتيقة فقال : القصير ضيعة أول منزل لمن يريد حمص من دمشق ، ولم يزد على هذا ، ومنه يظهر أنها قرية قديمة كانت مشهورة . وقال في « القاموس » وشرحه « تاج العروس » : ١٥
- القصير بلدة بدمشق على فرسخ منها . انتهى . وليس بصواب بل بينها وبين دمشق نحو من أربع ساعات سير الابل . وأخبرني بعض الثقات ممن آباؤه من القصير أن الجيش العثماني لما توجه من طريق البر الى طرد الفرنسيين من مصر سنة أربع عشرة ومائتين وألف ، جعل معسكره عند ثنية العقاب بالقرب من نهو عذرا ؛ فجعلت العساكر تأتي قرية القصير ، وينهبون أهلها ويتعدون عليهم ؛ فسار كبراء القرية وشكوا أمرهم الى القائد ؛ فأرسل لهم من يحفظهم مدة وجود الجيش هناك . ولما رحل القائد بعسكره عنهم ، اغتنم الأعراب الفرصة فغاروا على القرى ، وجعلوا يأخذون من أهلها الخفارة ويظلمون وينهبون ؛ فسئم أهل القرى الصغيرة وأخذوا ينضمون الى القرى الكبيرة المجاورة لهم ليقدروا على مقاومة الأعراب ودفع شرورهم ؛ فانضم أهل القصير الى أهل دوما وسكنوا معهم ، وكذلك أهل قرية بتوانه والدوير وغيرهما ؛ فكبرت دوما حينئذ ، وضمت ٢٥
- الى أرضها أرض أهل القرى المنضم أهلها اليها ، وهذا هو سبب خراب القرى الصغيرة في الغالب .

رجعنا الى سر أوقاف المدرسة ، ومن وقفها : الدار بدمشق بزقاق الوزير شمالها
المدرسة الجوهريّة ، وجميع غراس المقسم الغربي المفروس من بستان القصير البكروجي
بالقرب من قرية القدم ويعرف بنصب حمزة ، وجميع غراس قطعتين من الأرض لصيق
البستان المذكور تعرف الاولى ببني قيصر والثانية بحليلة ، وبستان بأرض قرية المزة
أرضاً وغراساً وماءً ويعرف بالعتيقة ، وجميع جنينة الحبراصي بالمزة وتعرف
بالحبراصيات ، وبستان الصابوني بالمزة أرضاً وماءً وغراساً ، وغراس مزرعة القصير
البكروجي ، وأربع قطع سلايخ بأرض القطايح معروفة بالقرنة ، وجميع غراس بستان
بأرض الشاغور البراني بالقرب من مزار شمعون وبستان الحاجبية والعبارة بأرض
الشاغور البراني أرضاً وماءً وغراساً ، وبستان الدولابي كذلك ، وقطعتا
أرض تعرف أولاهما بالعوجاء والثانية بالقويسات تابع الدولابي . ثم بين في كتاب أنه
أوقف على هذه المدرسة أرض النحاسية ، وأشار ذلك الكتاب الى أن هذه الأرض كانت
مواتاً من مدة تقرب من مائتي سنة ، وهي من أرض بلاد المرج ؛ فأحيّاها الواقف ، وحفر
لها قناة لسقيها وأصلحها ، ثم أوقفها مع قناتها ، وأوقف ذلك على طلبة العلم المجاورين
بالمدرسة وعلى الواردين اليها لطلب العلم ، وجعل المدرس الشيخ محمد التدمري ، وعين
له في كل يوم خمسة عشر درهما عثمانياً ، وعين للامام ستة دراهم كل يوم ، وأقام بها
شيخ قراء وخازن كتب ولهما كل يوم ستة قروش ، ومعيداً وقارئاً عشر ولهما أربعة
دراهم كل يوم ، وجعل وظيفة الامامة ومشیخة القراء ووظيفة خزانة الكتب وقراءة
العشر للشيخ ابراهيم ابن الشيخ عباس ، وجعل طبخ طعام للمجاورين ، وعين للطباخ
والشغال كل يوم أربعة دراهم ، وللكناس وللربواب كل واحد درهمين في اليوم ، ولخادم
ماء المدرسة درهمين .

تنبيه : قد مر ذكر شمعون آنفا . قال الشيخ جلال الدين عبد الرحمن ابن علاء
الدين البصري في كتابه « تحفة الانام » : شمعون بن زيد الأزدي خليف الأنصار أبو
ريحانة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبره بدمشق خارج باب الصغير ، وبأرض
الشاغور ضريح يعرف بشمعون ؛ فيحتمل أن يكون هو وأن يكون غيره . انتهى . وحكى
الحافظ ابن عساكر في « تاريخه » خلافاً في سكنى شمعون ؛ فحكى عن خليفة ابن
خياط أنه قال : هو من ساكني مصر . وقال البرقي : كان يسكن بيت المقدس . وأكثر
الروايات علي أنه كان يسكن الشام . ولم يذكر الحفاظ : ابن عساكر في « تاريخه »

وَأَبْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «الْأَسْتِيعَابِ» ، وَأَبْنُ حَجَرٍ فِي «الْأَصَابَةِ» مَوْضِعَ قَبْرِهِ .

- وشرط الواقف أن لا يسكن المدرسة الا طلبة العلم المتجردون عن التزويج ، وأن يكونوا من أهل الدين والصلاح ، ومتى تزوج أحدهم يخرجهُ الناظر ويسكن غيره في حجرته . وعين لساكني حجراتها الست عشرة الذين هم ستة عشر طالبا كل يوم أربعة أرطال من الخبز بالوزن بالرطل الدمشقي ، ورطلين من الأرز يطبخ لهم شوربة (١) يوما أرز ويوما نصف مد من العدس يطبخ برطل من اللحم . هذا في سائر الايام ما عدا شهر رمضان ، وأما في الشهر المذكور ؛ ففي كل يوم منه يطبخ لهم رطلان من الأرز في أربع أواق من السمن ، ورطل من اللحم يطبخ بنصف مد من الحنطة شوربة ، ولكل واحد من الطلبة في الشهر ثماني أواق من الزيت ، وللمدرسة ثلاثة أرطال من الزيت لشعل ثلاثة قناديل ، وفي شهر رمضان يشعل كل يوم ثلاثون قنديلا وشمعتان بجانب المحراب زنتهما رطلان . وعلى المجاورين قراءة ختم قرآن في صباح يوم الجمعة ، ويهدون ثواب القراءة لروح الواقف وروح والديه . واشترط أن يكون توجيه الوظائف والاسكان في الحجرات بيد الناظر لا يشاركه غيره في ذلك . هذا ما رأيناه في كتاب وقف المدرسة ثم رأيت في كتاب وقف آخر أوقفه على ذريته بعد الكتاب الأول أنه جعل من وقف الذرية لكل طالب مقيم في مدرسته قرشا لكل واحد منهم ، وجعل الطلبة ستة عشر ، وجعل لهم كل يوم رطلا من الخبز زيادة على الأربعة أرطال المار ذكرها ، وعين كل يوم مصرية يشتري بهار للطبخ ، وثلاثة قروش كل يوم لمن يقرأ دلائل الخيرات ، وقرشين كذلك لمن يقرأ القرآن في الشهر مرتين ويهدي ثواب قراءته لروح الواقف . هذا ما قرأته في كتاب وقفها .

٢٠ ورأيت مكتوبا على أسكفة بابها نقشا على حجر ما صورته :

- | | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| للخير والعلم والطلاب مدرسة | قد شادها أوحد الدنيا سليمان |
| أعني الوزير أمير الحج سيدنا | من كل أفعاله بر واحسان |
| بالقرب من داره الزهراء أوقفها | وشيد منها على الاخلاص بنيان |
| أثابه الله في الدارين صالحه | كذا له السعد والتوفيق أعوان |
| وهاتف البشر بالاخلاص أرخها | أس القبول على الاشراف عنوان |

٢٥

(١) الكلمة من العامية وصوابها الحساء .

مكتوب على أسكفة بابها(١) :

أحسن بمدرسة زهت بلباسها وتفاخرت عزاً على أجناسها
قد شادها المولى الوزير محمد شمس المعارف من أجل أناسها
لله وقفها والقبول مؤرخ ناش على التقوى مجيد لباسها
١١٩٣

مدرسة عبد الله باشا العظم

٥

اننا نذكر هنا ما قرأناه في كتاب وقفها المحفوظ في سجل أوقاف سورية الجديد في عدد ١٧٦ ، فنقول : واقف هذه المدرسة عبد الله بك ابن الوزير محمد باشا محافظ الشام وأمير الحاج ابن مصطفى بك العظم ، أوقفها عن والده بالوكالة عنه ، وكانت قبل ذلك قاعة غربية من دار الواقف الوكيل مع مساكن تابعة لها من داخلها وخارجها ؛ فهدم تلك المساكن ، وبني مكانها المدرسة المذكورة من ماله، وجعل لها بابا خاصا بها بقنطرة من حجر ، وجعل الباب مصفحا بالنحاس ، وجعل لها شبابيك مطلة على الزقاق ، وجعل في الأسفل حجرات وجامعا وبني فوقه حجرات أيضا بقبو ، وجعل في الأعلى حجرات أيضا ، وجعل القصر الذي بين الطبقة الثانية والثالثة الراكب على الطريق خاصا بالمدرس الذي يكون في المدرسة ، وجعل للمدرس ستين غرشا عن كل شهر خمسة غروش ، وللإمام ثمانية عشر غرشا في السنة عن كل شهر غرش ونصف ، ولخازن الكتب خمسة عشر غرشا عن كل شهر غرش وربع ، وتسعة وثلاثين غرشا لمن يكون شيخا للربعة وقراءة جزء شريف في السنة ، وستة غروش في السنة لمن يكون معيدا للمدرس، وأربعة وعشرين غرشا لمن يقرأ دلائل الخيرات ، وجعل للساكين في الخلاوي لكل خلوة في السنة خمسة عشر قرشا(٢) ، ولمن يكون في المدرسة أربعة وعشرين غرشا في السنة ، وجعل للطباخ كل شهر غرشين ، ورتب للمطبخ مدا من الارز كل يوم ، ويزاد عليه مد آخر من الارز كل يوم للشوربا ، وخمسة أرطال من الخبز كل يوم للمجاورين بها ، وجعل مائة وثمانين غرشا ليشتري منها كل يوم نصف رطل من اللحم للشوربا وغرارتان وربع حنطه للشوربا ، وجعل اثني عشر رطلا وربع رطل من الزيت في كل شهر لايقاد قناديل المدرسة وخلالوها ، وزاد عليها في رمضان خمسة أرطال من الزيت

١٠

١٥

٢٠

(١) كذا رتب المؤلف ، وهذه الأبيات تعود الى المدرسة المذكورة بعدها (أي مدرسة عبد الله باشا العظم) .

(٢) هو الغرش وهو من نقود العثمانيين .

- توقد في حرم المدرسة ، وعشرة أرطال من السمن لأجل الأرز في رمضان ، وسبعة أرطال من الحطب كل يوم لأجل طبخ ذلك ، وخمسة عشر قرشا في كل سنة ثمن بهار ولوازم لأجل دق الحنطة ، ومائة وخمسين قرشا مرتبة لجهة الحرمين توزع على المقيمين فيهما . وجعل تولية النظر على وقفه لنفسه مدة حياته ، ثم على عقبه من بعده ، واشترط على المتولي أن يبدأ بتعمير المدرسة وترميمها واصلاح المحال الموقوفة ، وأن لا تؤجر أوقافها أكثر من ثلاث سنين ، وأنه تجوز الزيادة والنقصان في الوظائف والمبرات ، وشرط في سكان المدرسة أن يكونوا ممن له رغبة في طلب العلم وتحصيله ، وأن يكون من أهل الصلاح والتقوى ، وأن لا يكون متزوجا ولا أمرد ولا محترفا بحرفة ولا ذا سفه ، وأن يكون مقيما في المدرسة لا يغيب عنها غيبة غير شرعية كالحج وصلة الرحم ، وإذا تزوج يخرج المتولي ويسكن غيره مكانه (١) .
- ١٠

التكية (الأحمدية)

رأيت في بعض المجاميع ما نصه : تاريخ تكية أحمد باشا بن قزل الخالدي التي تجاه قلعة دمشق :

- | | |
|----------------------------|----------------------------|
| رب بالاحسان جازي من بنى | للفقرا تكية سائدة |
| وانظر بعين اللطف في تاريخه | وانزل علينا ربنا مائدة (٢) |
| | سنة ٩٦٣ |
- ١٥



(١) بعد هذا الكلام في الاصل بياض قدره سبعة أسطر .
(٢) بعد هذا الكلام يوجد ثماني ورقات بيضاء ، يظن أن المؤلف كان يريد أن يذكر فيها اضافات جديدة ولم يفعل . وقد قارنا مخطوطتنا على مصورة مخطوطة الاوقاف الموجودة حاليا في الجمع العلمي بدمشق فوجدنا أنه لازيادة في تلك على نسختنا هذه .

الباب الثامن في الخوانق

الخانقاه ، ويقال : الخانكاه بالقاف والكاف ، وهي كلمة أعجمية : دار الصوفية .
قاله النعيمي . وقال الخفاجي في كتابه « شفاء الغليل » : خانقاه بالقاف : رباط
الصوفية ، معرب مولد استعمله المتأخرون . ا.هـ . وجمعه الناس على خوانق .

حرف الهمزة

الخانقاه (الأسدية)

قال ابن شداد : هي بدرب الوزير . وقال في « الروضتين » : هي داخل باب
الجابية بدرب الهاشميين المعروف بدرب الوزير ، أنشأها أسد الدين شيركوه منشئ
المدرسية الأسدية بالشرف القبلي ظاهر دمشق المطلة على الميدان الأخضر ، وقد تقدمت
ترجمته في مدرسته .

أسد الدين شيركوه

تنبيه : ليعلم الواقف على هذا المكان أنني لم أنقب عن محال تلك الخوانق لعلمي
بأن غالبها قد اندرس ؛ فلا يمكن الوقوف على محله ، ولا على تراجم أصحابها في الغالب
لعدم الجدوى وصعوبة المنال ، اللهم اذا كان ثمة نفع فاني لا أتأخر كما تعلمه مما يأتي .

الخانقاه (الاسكافية)

قال ابن شداد : أنشأها شرف الدين محمد بن الاسكاف على نهر يزيد بسفح
قاسيون .

١٥

شرف الدين
ابن الاسكاف

الخانقاه (الأندلسية)

هي من المفقودات ، كانت شرقي العزيزية والأشرفية ، وخلاء (١) الكلاسة لصيق
الجقمقية ، وغربي السمساطية قبالتها .

(١) كذا في الاصل ، وذكر الأمير جعفر الحسني في الطبعة المحققة « للدارس » أن الصواب فيها :
« داخل الكلاسة » .

وأول من ولي مشيخة هذه الخانقاه ابراهيم بن أحمد بن ناصر بن خليفة المقدسي الشافعي الناصري الباعوني الدمشقي ، سمع من العراقي ، ولازم البلقيني ، واشتغل بالعلم كثيرا ، وبرع في الأدب ، وكان خطه حسنا ، وولي خطابة الجامع الأموي ، وأنشأ ديوان خطب ، وله ديوان شعر ، واختصر « صحاح الجوهري » اختصارا حسنا ، توفي سنة سبعين وثمانمائة . ٥

ثم تنقلت هذه الخانقاه جماعة منهم : الشيخ اسماعيل النابلسي والد الشيخ عبد الغني ، ثم الى أخيه الشيخ يوسف ، ثم الى الشيخ محمود العدوي ، ثم الى اناس اكلوا أوقافها وأهلكوها .

حرف الحاء المهملة

الخانقاه (الحسامية)

١٠

شمالي المدرسة الشبلية البرانية عند جسر كحيل ، ينسب بناؤها لام حسام الدين لاجين المشهورة بسبت الشام أخت السلطان الناصر . ودفن حسام الدين بالتربة التي أنشأها بمحلة العونية بالشامية البرانية بالقبر الأوسط على والدته صلاح الدين ، وتوفي في الليلة التي توفي بها تقي الدين عمر سنة سبع وثمانين وخمسمائة . وتولى مشيختها جماعة منهم الشيخ شرف الدين نعمان . ١٥

حرف الخاء

الخانقاه (الخاتونية)

ظاهر باب السعادة ، أول الشرف القبلي على بانياس ، شرقي جامع تنكر ولصيقه، وبابها يفتح الى القبلة . قاله في « تنبيه الطالب » . ورأيت على هامشه ما صورته : هي التي يقال لها : اللطيفة . انتهى . واليوم لم نعرف الخاتونية ولا اللطيفة . وبناؤها ينسب الى خاتون بنت معين الدين، زوجة نور الدين الشهيد. قال ابن شقدة في حوادث سنة احدى وثمانين وخمسمائة : وفيها توفيت عصمة الدين خاتون بنت الأمير معين الدين أنر ، زوجة نور الدين ، ثم صلاح الدين ، وواقفة المدرسة التي بدمشق للحنفية .

عصمة الدين خاتون
٥٨١-٠٠٠

٢٠

قال بعضهم : وقفها مختلط مع السميّاطية ، وهي تعرف بأبي عبد الله محمد ابن أحمد بن يوسف الأندلسي ، ولم يذكر النعيمي سنة وفاته . قلت : وهي الآن موجودة يجلس بها متولي الجامع الأموي .

حرف الباء

الخانقاه (الباسطية)

٥

- بالجسر الأبيض غربي المدرسة الأسعدية ، وشمال الخانقاه العزية ، أنشأها القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الجيوش الإسلامية في زمنه والخوانق والكسوة ، وكانت هذه الخانقاه دارا له ، فلما توجه السلطان الملك الأشرف برسباي الى آمد سنة ست وثلاثين وثمانمائة خاف من نزول العسكر بها ؛ فجدد لها محرابا وأوقفها .
- ١٠ ثم اجتمع ببرسباي واتصل به ، وصار له به علاقة عظيمة حتى صار الحل والعقد بيده فلا يبرم الأشرف أمرا الا برأيه . وشرع في عمارة بلاد السلطان فزاد متحصلها بذلك ، وكان سعيد الحركة ، عمّر المدارس بالحرمين والقدس ومصر ودمشق ، وأوقف عليها أوقافا حسنة ، ورتب في ركبي الحج المصري والشامي سحابتين وما يحتاج اليه فيهما من الجمال والرجال للفقراء والمساكين ، والسحابتان : خيمتان كبيرتان على صفة الجملون ، وجعل لكل سحابة خمسة وعشرين قنطارا من البقسماط (١) وما يكفيهما من أحمال الماء ، توفي بمصر سنة أربع وخمسين وثمانمائة . كذا ترجمه النعيمي .
- وقال العموي : والوقف الخاص بالباسطية : بستان الشياح بقرية كفر بطنا من غوطة دمشق ، والجنت الثلاث الملاصقات والمقابلات لها من الجانب القبلي ، وحكر طاحون الدورة ، وحكر طاحون ثانية بأرض المرجة ، وحكر بستان الناعمة ، وحكر طاحون ابن الجاموس التي في مقابلة طاحون الأنصار ، وقاعة باب البريد ، ونصف الدكاكين في مقابلة المؤيدية في دمشق : ستة عشر دكانا ، وحكر بجانب الجنيّة التحتانية لصيق الخانقاه العزية ، وتاريخ كتاب وقفها سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة .
- وكتب قاضي القضاة برهان الدين الباعوني الى شرف الدين كاشف ثغر صيدا يوصيه بجهات الخانقاه الباسطية قائلا : أوصيك به ، وبالأحسان الى أهل بلادك عموما ، والى أهل يسيل خصوصا فانه من جملة أوقاف الخانقاه المذكورة .
- ٢٥

(١) هو الكعك الناشف .

- وبنت خانقاه للصوفية على الشرف القبلي خارج باب النصر ، وبنت تربة بقاسيون على نهر يزيد تجاه قبة جركس ، ودفنت بها ، وهي في يومنا هذا داخل الجامع الجديد بالصالحية ، وأوقفت على هذه الأماكن أوقافا كثيرة . انتهى . قال النعيمي : ولي مشيخة الخاتونية ونظرها الشهاب الدلجي المصري ، فباشرها مباشرة مدمومة . وقال ابن قاضي شعبة في حوادث سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة : في هذه السنة نزل الشهاب الدلجي الزنديق عن مشيخة خانقاه خاتون ونظرها لابن قاضي عجلون بعوض أخذه ، وكان وقع له قضية بسببها ، وقام معه ابن حجي وساعده ، ووقع بينه وبين علاء الدين البخاري بسبب ذلك ؛ فكتب الشيخ في القاضي الى مصر فعزل ، ثم بعد أيام وقعت له قضية قبيحة صار بها من أبين الناس ، وبعد مدة يسيرة أشهد عليه ابن قاضي عجلون أن الوظيفة المذكورة يختص بها أخوه ولي الدين دونه .
- ١٠

حرف الدال

الخانقاه (الدويرية)

- أبو الفرج حمد ٤٠١-٠٠٠
- لاشك في أن الزمان سلمها ليد المختلسين فجعلوها دورا للسكنى ، وكانت بدرب السلسلة بباب البريد ، وتعرف بدويرة حمد نسبة لصاحبها حمد بن عبد الله بن علي أبي الفرج الدمشقي المقرئ المعدل . حكى الذهبي في « تاريخه » أنه وجد هو وزوجته وصبي من أقربائه مذبحين بباب البريد سنة احدى وأربعمائة .
- ١٥
- ولها أوقاف كثيرة ذكرها في « تنبيه الطالب » نقلا عن حجة وقف اطلع عليها وحكم بها عبد الله بن مفلح ، ولأبأس بسردها وان لم يكن به فائدة سوى الاستبصار ، فمنه النصف شائعا من جنيئة بني وهبان بالطريق الوسطاني الآخذ الى المزة ، ونصف البستان المعروف بالصوفية من أرض اللوان ، ونصف البستان المعروف بدفوف الأصابع ، وجميع أرض البستان المعروف بحسين الأمدي ، والرابع والسادس ونصف الثمن من مزرعة العصامية بزقاق الماء ، وسهم من أربعة وعشرين سهما من بستان القاطوع ، ومثله من جنيئة قريبة من القاطوع يفصل بينهما نهر داريا والمزة ، ومثله من الجنيئة الملاصقة لحمام العوافي ، ومثله من أرض بستان الخرار ، وجميع ذلك بأرض المزة ، وعلى البستان حكر يساوي ستين درهما ، ونصف سهم من أصل أربعة وعشرين من
- ٢٥

دار كانت تسمى الشهابية بوادي الثرب قبلي بردى، وقطعة سليخة في أرض قصور داريا من أراضي كفرثوثا . والنصف من قطعتي الدورة والطويلة بأرض الشاغور ، ونصف جنيئة الوتار ، وربيع حقل الفرس ، وربيع المكان المعروف بالمطبخ شمالي وقف الشامية البرانية ، وسهم من ثمانية وأربعين سهما من مزرعة الصفوانية شمالي بردى وطاحون الشيخ ، وسهم من اثني عشر سهما من قرية البويضة بوادي العجم ، والسدس من حقل قافية ، ومن حقل محفوظ ، ومن حقل عبيد ، والثلاثة بأرض داعية ، وسهم من أربعة وعشرين سهما من وقف القاطوع بأرض بيت رانس وهي سبعة خراجيات : الكرم الصغير ، وحقل الزيتون ، والماحل اثنتان ، والتبوكية ، والقطنية ، والبرانس ، وحصّة من أرض حوائيت بالبرورية ، وجميع قرار أرض الاسطبل بدرب السلسلة بجوار الخانقاه ، والطباق التي فوقه ، وحكر الأقرع بسوق ساروجا وبحارة السودان بالقرب من تربة يونس ، وحصّة من حجة . انتهى . هذا وقفها ولا يستفاد من ذكره الا الاصطلاحات والأسماء .

حرف الراء

الخانقاه (الروزنهاريه)

كانت بالبرج المجدد خارج باب الفراديس الأول والتربة ، أنشأها أبو الحسن علي الروزنهاري المتوفى سنة عشرين وستمئة ، ودفن بالمكان المنسوب اليه بين السورين عند باب الفراديس . قاله ابن كثير . وقال الذهبي : دفن بالبرج الذي عن يمين باب الفراديس بالخانقاه التي أنشأها .

أبو الحسن
الروزنهاري
٦٥٠-٠٠٠

حرف السين

الخانقاه (السمساطية)

بسينين وطاء مهملات ، وهي معروفة مشهورة عند باب الجامع الأموي الشمالي ، وكان هذا الباب يسمى بباب الناطفيين (١) . وحكى النعيمي أنها كانت في مبدأ أمرها دارا لعبد العزيز بن مروان بن الحكم ، ثم انتقلت الى ابنه عمر بن عبد العزيز ، وكان ذلك

(١) في الاصل الناطفانيين .

مكتوبا على عتبة بابها ، ولم تزل الأيدي تتناولها الى أن قدم أبو القاسم السميساطي دمشق وسكن بدرب الخزاعية واليه كان يفتح باب هذه الدار ، وعرف الدرب به ، فاشترى الدار المذكورة ، وبني بها الصفة القبليّة وجنبها لاغير ، وبقي باقيها ساحة . قال ابن شداد : ولما ملك تاج الدولة تتش ، سأله أن يفتح لها بابا في دهليز الجامع فأذن لهم ، ففتح حيث هو الآن . ثم عمّرت، وكان أول من ابتدأ في عمارتها الوزير الفلكي، فبنى البركة والصفة الغريبة والطباق على دهليزها ، ثم مجد الدين ابن الداية وكان مدرسا بها ، فأخذ يجمع ما يأخذه من راتبه من وقفها ويبني بها حتى عمر الصفة الشرقية .

وقال ابن عساكر : ان السميساطي وقف هذه الخانقاه على الفقراء الصوفية ، ووقف علوها على الجامع ، ووقف أكثر نعمته على وجوه البر . انتهى . ١٠

وقرات الحجر المكتوب في أسكفتها ؛ فاذا فيه بعد البسملة :

هذه الدار وقف على الفقراء المتجردين من الصوفية ، أثاب الله من وقفها .

ثم انها لم تزل مقررة على الصوفية ، والنظر فيها لمن يلقب بشيخ الشيوخ الى سنة أربع وعشرين وثمانمائة . قال الأسدي : وفي هذه السنة أسقط القاضي نجم الدين ابن حجي المتزوجين من الخانقاه السميساطية ، وأهل البلد ، وقرر فيها عزابا وغرباء ، وكان قد تقرر فيها الفقهاء وصارت مدرسة ، وقل الحاصل ثم انقطع أخيرا ، ثم أعيد الحضور سنة خمس وعشرين الى ما كان عليه قبل فتنة تيمورلنك في أول النهار ، وكان الحضور في هذه المدة لسماع القراء والمداح ، وكل من يرد من البلاد يعمل فيها ويسمعه الناس . انتهى . ١٥

ثم انها صارت مدرسة أيضا . وفي نحو الألف ومائة هجرية سكن في أحد حجراتها أحمد بن علي المنيّني ، وكان فيما بعد مدرسا بها الى أن توجه عليه تدريس العادلية الكبرى ؛ فانتقل اليها ودرس بها ، ثم صارت عليه توليتها وتولية العمرية ، ولم تزل التوليتان تنتقلان في نسله الى يومنا هذا ؛ فضاعت أوقاف المدرستين ! ٢٠

ومن كلام الوداعي يمدح الأمير سنجر التركي لما اتخذ هذه المدرسة بيتا له :

لدويرة الشيخ السميساطي من
هي موطن للأولياء ونزهة
دون البقاع فضيلة لا تبخل^(١)
في الدين والدنيا لمن يتأمل
كملت معاني فضلها مذلها الـ
فرد الفياث العالم المتبتل^(٢)
اني لأنشد كلما شاهدتها
ما مثل منزلة الدويرة منزل

وتقدم عند الكلام على المدرسة الفزالية أن الامام حجة الاسلام الفزالي لما دخل دمشق قصد الخانقاه السميساطية ليدخل فيها ، فمنعه الصوفية من الدخول لعدم معرفتهم به ؛ فعدل عنها وأقام بزاوية الشيخ نصر الى أن علم مكانه وعرفت منزلته ، فحضر الصوفية بأسرهم اليه واعتذروا له ، وتلطفوا به الى أن أدخلوه الخانقاه .

ترجمة واقفها

قال ابن عساكر في «تاريخه» : علي بن محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن زكريا أبو القاسم السلمي الحبيشي المعروف بالسميساطي ، صاحب دويرة الصوفية ، روى عن أبيه وعن عبد الوهاب بن الحسن ، وكان جده يحيى بن محمد قد كتب الحديث عن عثمان بن محمد بن علان الذهبي ، روى عنه أبو بكر الخطيب وجماعة ، وخرج ابن عساكر لصاحب الترجمة حديثا . وحكى أبو محمد بن صابر عن أبي القاسم النسيب أنه سأل أبا القاسم السميساطي عن مولده فقال : في شهر رمضان سنة سبع وسبعين وثلاثمائة . وقال الأكفاني : سنة ثمان وسبعين ، يعني وثلاثمائة . وكان متقدما في علم الهيئة والهندسة ، مطلقا على علوم الشريعة وعلى أقاويل الأوائل . قال ابن طاهر : وإن كان ما علمناه قائلا بشيء سوى الاسلام والسنة ، وذكر عنه كلاما بالكذب بأحكام المنجمين . قال الأكفاني : توفي في العاشر من ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ، ودفن من الغد في داره في باب الناطفانيين ، يعني في الخانقاه المذكورة . انتهى ملخصا من ابن عساكر .

وسميساط قلعة على الفرات بين قلعة الروم وملطية . وقال الذهبي : كان المترجم صاحب حشمة واسعة ومروءة وافرة . وقال الواني : كان مذهب أبيه محمد الاعتزال .

(١) كذا في الاصل ووردت في « الدارس » : « لاتحل » .

(٢) كذا في الاصل ورواه النعيمي : « العالم الفرد الفياث المتبتل » .

مشاهير صوفيتها

الفلكي

هو سعيد بن سهل بن محمد بن عبد الله أبو المظفر المعروف بالفلكي النيسابوري ، سكن خوارزم وولي الوزارة لأمرها ، ودخل بغداد مرارا وحدث بها وكان محدثا فاضلا ، ثم سافر الى دمشق لزيارة القدس ، فوردها في أيام نور الدين فأكرم مؤرده ، ولما طلب العود الى بلاده لم يسمح له ، وأمسكه وأنزله الخانقاه السميساطية ؛ فبنى بها الايوان الشمالي والسقاية وذلك من نصيبه من وقفها ، ولم يزل بها الى أن توفي سنة ثمان وسبعين وخمسائة فيما أظن .

ثم خلفه أبو الفتح بن حمويه ، ثم بدر الدين بن جماعة ، ثم ناصر الدين بن عبد السلام ، ثم صفى الدين الهندي ، ثم عبد الكريم ابن الذكي ، ثم الشهاب الكاشغري ، ثم ابن صصري ، ثم الجمال الزرعي ، ثم الصدر المالكي ، ثم العماد القونوي ، ثم التقي العثماني ، ثم الناصر الشرفي ، ثم القلانسي ، ثم الجمال ابن الأثير ، ثم الفتح ابن الشهيد ، ثم بعده بمدة وليها محمد بن أبي بكر الأيكي ، ثم جماعة لم يحصر التاريخ أسماءهم .

المراغي

علي بن عبد القادر المراغي ثم الدمشقي الصوفي المعتزلي . قال ابن حجي : كان فاضلا في العلوم العقلية ، ويعرف العربية ، ويقرئ «المنهاج» في الأصول ، وكان بارعا في الطب ، ويدري النجوم وما يتعلق بها ، ويقرئ «الكشاف» ، وكان معتزليا ، وينسب الى التشيع والرفض ، وكان أولا صوفيا بالسميساطية ؛ فقام جماعة وشهدوا عليه بالاعتزال ، وأخرجوه ورفعوه الى بعض الحكام فعزروه واستتابه ، ثم قرره بخانقاه خاتون فنزل بها الى أن مات . وحصل له استيحاش من الفقهاء ، وربما كان يقرأ عليه من يأنس به . أخذ عنه التقي ابن مفلح ، والتقي ابن حجي . توفي سنة ثمان وثمانين وسبعمائة .

حرف الشين

الخانقاه (الشومانية)

أنشأها شومان ظهير الدين ، وهو أحد مماليك بني أيوب . هذا ما ذكره النعيمي ولم يزد عليه . وضرب العلموي عنها صفحا ، ولعلها بعض المدرسة الشومانية المار ذكرها .

ظهير الدين شومان

الخانقاه (الشهابية)

كانت داخل باب الفرج غربي العادلية الكبرى ، وشمال المعينية واللاقية ، وقد صارت الآن دورا ، وبابها يدل عليها ، وهي تقابل المار في الطريق النافذ الى العسرونية شرقي العادلية الصغرى للسائر الى الشمال .

وقال ابن الجابي : خربت هذه الخانقاه في أيام تيمورلنك وكانت بيد بني العدوي ، وهي تجاه الطريق الآخذ الى العسرونية في نفس المفارق الثلاثة ، وهي الرابع لجهة الشمال .

ترجمة بانيها

أنشأها أيديكين بن عبد الله الشهابي . قال يوسف بن تغري بردي في « الذيل الشافي على المنهل الصافي » : كان المترجم مملوكا للأمير الطواشي شهاب الدين رشيد النجمي الصالحي ، تنقل بعد استاذة الى أن ولي نيابة حلب ، وتوفي سنة سبع وتسعين وستمئة . انتهى . وقال ابن كثير : كان من خيار الأمراء بدمشق ، ولاه الظاهر نيابة حلب ، وكان شجاعا وله احسان الى الفقراء .

أيديكين الشهابي
٦٩٧-٠٠٠

الخانقاه (الشبلية)

أنشأها شبل الدولة كافور المعظمي ، تقدمت ترجمته في مدارس الحنفية . وقال ابن شقدة في حوادث سنة ثلاث وعشرين وستمئة : وفيها توفي شبل الدولة كافور الحسامي طواشي حسام الدين محمد ولد ست الشام ، له فوق جسر ثورا من صالحية

شبل الدولة كافور
٦٢٣-٠٠٠

دمشق المدرسة والتربة والخانقاه ، وأوقف عليها الأوقاف ، ونقل لها الكتب الكثيرة ، وفتح للناس طريقا من الجبل قريبة من عين الكرش ، وبنى المصنع الذي على رأس الزقاق ، والخانقاه للصوفية الى جانب مدرسته ، ومصنعا آخر عند مدرسته ، وكان ديننا صالحا وافر الحشمة ، روى عن الخشوعي ، ودفن بتربته الى جانب مدرسته .

الخانقاه (الشنباشية)

أبو عبد الله
الشنباشي

هي بحارة بلاطة ، تعرف بأبي عبد الله الشنباشي . قاله ابن شداد في كتابه « الأعلام الخطيرة » .

قلت : لقد وقفت عليها ؛ فاذا محلتها الآن تعرف بحارة الشماعين من ثمن الشاغور ، وهي بالجانب الغربي من الطريق ، لها مئذنة من الحجر ، وبها مسجد ، وبجانبها الشمالي ايوان وحجرة وفوقهما غرفتان . وقد تقلبت بها الأيام الى أن صارت مكتبا للأنث من سنة سبع وتسعين ومائتين وألف الى سنة تسع عشرة بعد الثلاثمائة والألف ، ثم صارت مكنيا للأطفال ، ونظرها بيد بني ركاب .

الخانقاه (الشريفة)

شهاب الدين
الفقاعي

كانت تجاه العروية ، شرقي دار الحديث الأشرفية ، لصيق الطومانية ، شرقي باب القلعة ، وغربي العادلية الصغرى ، بها تربة ، والآن لم نجد لها أثرا ولا للعروية ولا للطومانية ، وذكرها النعمي في الخوانق . ويظهر من كلام ابن شداد أنها مدرسة حيث قال : وأول من درس بها رشيد الدين الفارقي . ويحتمل أن تكون خانقاه وبها تدريس ، وكانت الفقراء الأفاقية تتردد اليها ، أنشأها شهاب الدين أحمد بن شمس الدين الفقاعي . قال النعمي : لم أر لها كتاب وقف ، ولم أعلم متى بنيت ، ولها دار قرآن وزاوية . انتهى . ووقفها : بمدينة حمص عدة حوانيت ، ومزرعة بحوران ، ووقف عليها ولد الواقف محمد ثلث قرية عربيل ، وولده أحمد قراءة بخاري على من له أهلية ، ونسب وقفها الى شهاب الدين أحمد بن محمد الفقاعي .

الخانقاه المعروفة بخانقاه (الطاحون)

نور الدين بن زنكي

كانت خارج البلد وهي بالوادي ، وينسب بناؤها الى نور الدين محمود بن زنكي .
ومن مشائخها الشيخ سعيد القاشاني الفرغاني تلميذ الصدر القونوي . قال الذهبي :
كان من القائلين بوحدة الوجود ، شرح « تائية ابن الفارض » في مجلدين ، ومات في
ذي الحجة سنة تسع وتسعين وستمائة عن نحو سبعين سنة .

حرف الطاء

الخانقاه (الطواويسية)

هي الآن معروفة مشهورة بمحلة البحصه ، وجدرانها الغربية الى طريق الصالحية،
وبها قبة شاهقة ، والى جانبها الغربي مسجد ، ولها فسحة كبيرة ، وهي غنية بمائها
فقيرة مما بنيت لأجله .

قال ابن شداد اثناء كلامه على المساجد التي هي خارج البلد : الطواويسية مسجد
كبير فيه قبر الملك دقاق في قبة معروفة بقبة الطواويس في الشرف الأعلى ، وفي
الرباط دفنت أم دقاق ، وهي منسوبة لدقاق أو لابنه . وقال في « الروضتين » :
دقاق كان سلطان دمشق ، وقبره بقبة الطواويس ، وبها بنته ، وبالمشهد والدته .

تنش

هو بتائين معجمتين وشين معجمة . قال ابن عساكر في « تاريخه » : تنش بن ألب
أرسلان أبو شجاع محمد بن داود بن ميكال أبو سعيد الملك المعروف بتاج الدولة التركي
السلجوقي ، استنجد به أئز بن أوق التركي صاحب دمشق على جيش قدم من مصر ؛
فقدم دمشق سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة ، فقتل أئز وغلب على البلد ، وامتدت
ولايته الى أن قتل ثامن صفر سنة ثمان وثمانين وأربعمائة بنواحي الري وكان قد توجه
الى خراسان عند موت أخيه أبي الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان لطلب الملك ؛ فلقبه ابن
أخيه ؛ فقتل في المعركة ، وصار الأمر بعده بدمشق لابنه دقاق بن تنش ، ودخلها سنة
اثنتين وسبعين وأربعمائة وحسنت السيرة بها . قال ابن خلكان : وخلف تنش ولدين :

- أحدهما فخر الملوك رضوان ، والثاني دقاق ؛ فاستقل رضوان بمملكة حلب ، ودقاق بمملكة دمشق ، وتوفي رضوان سنة سبع وخمسمائة . ومن نوابه أخذ الأفرنج أنطاكية سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة . وتوفي دقاق في ثامن عشر شهر رمضان سنة سبع وتسعين وأربعمائة ، ودفن في مسجد في حكر الفهادين بظاهر دمشق الذي على نهر بردى ، وكان قد حصل له مرض متناول ، وقيل : أن أمه سمته بعنقود عنب . فلما مات ، قام بالملك ظهير الدين طغتكين وكان أتابكه ، ولم يزل مالكا دمشق الى أن توفي سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، وتولى الأمر بعده ولده تاج الملوك أبو سعيد بوري الى أن توفي سنة ست وعشرين وخمسمائة من جراحة أصابته من الباطنية ، وتولى بعده ولده شمس الملوك اسماعيل الى أن قتل سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، قتله أمه خاتون زمرد بنت جاولي ، وأجلست أخاه شهاب الدين أبا القاسم محمود بن بوري ؛ فتولى الأمر بعده بدمشق الى أن قتل سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ؛ فملك بعده أخوه محمد بن بوري الى أن توفي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، ثم تولى بعده ولده آبق ابن محمد بن بوري الى أن نزل على دمشق نور الدين محمود بن زنكي وأخذها منه ، وعوضه عنها حمص ؛ فأقام بها يسيرا ، ثم انتقل الى بلس التي على الفرات بأمر نور الدين وأقام بها مدة ، وأقبل عليه الامام المقتفي ، ولا أعلم متى مات . انتهى ملخصا . ١٥

حرف العين

الخانقاه (العزية)

- هي بالجرس الأبيض قبلي الباسطية ، وغربي الماردانية ومدرسة الخواجة ابراهيم الأسعدي . قال ابن كثير : هي خانقاه على نهر ثورا . انتهى .
- ٢٠ وحاصل كتاب وقفها : أن التربة العزية بصالحية دمشق بالجرس الأبيض والمسجد بها والرباط ، يكون على ذلك : احدى وعشرون قيراطا وربع قيراط من أصل أربعة وعشرين قيراطا من قرية دسيا بضم الدال وفتح السين المهملة وتشديد المثناة التحتية وهي من قرى وادي بردى ، وجميع الخان بمحلة باب الجابية المعروف بخان العميان ، وجميع الفرن المعروف قديما بوقف التربة المذكورة بالقرب من حمام المقدم ، وغير ذلك . وتاريخ وقفها سنة ست وتسعين وستمائة ، وسجل سنة أربع وثمانين وثمانمائة . ٢٥

ترجمة واقفها

عز الدين أيدير
٧٠٠-٠٠٠

- هو الأمير عز الدين أيدير الظاهري . قال في « منتخب الشذرات » : هو الذي كان نائب دمشق في دولة مخدومه ، حبس مرة ثم أطلق ؛ فلبس عمامة مدورة ، وسكن بمدرسته عند الجسر الأبيض ، توفي في ربيع الأول سنة سبعمائة ، ودفن بتربته ، وكان أبيض الرأس واللحية . قاله في « العبر » . وقال العلوي في « مختصره » : كان السلطان قد خرج من مصر ودخل الكرك سنة سبعين وستمائة ، فلما خرج منها استصحب الأمير عز الدين أيدير معه إلى دمشق ؛ فولاه النيابة بها ، وعزل الأمير جمال الدين النجيب . ولم يزل بدمشق نائباً إلى أن مات الظاهر وولي ابنه السعيد ، فاستمر أيدير في دمشق ولما جاءها السعيد ، وتغيرت خواطر الأمراء عليه ، وطلبوا منه إبعاد الخاصكية فلم يجبهم خوفاً من سوء العاقبة ، وساروا إلى مرج الصفر ، وترددت الرسل بينهم ، وعاد الأمير المذكور ومعه العسكر إلى دمشق ، وطلع يتلقى النائب أيدير ؛ قبض عليه أقوش عند المصلى وأفرده عن الركب ، ودخلوا به من باب الجابية وحبسوه بالقلعة ، ولم يزل معتقلاً مدة الدولة المنصورية إلى أن أفرج عنه الملك الأشرف خليل ابن قلاوون .
- قال الذهبي : رأيت بالجامع وعليه قباء أبيض وتخيفة وهو لائق به ، وعليه سكون ووقار فأعجبني شكله . قال الصلاح الصفدي : لما أقام برباطه كان يأتي بالخضر بنفسه ، ويمسك فرسه عند البيطار بيده بعد ذلك الحال والنيابة بدمشق .

حرف القاف

خانقاه (القصر)

- كانت مطلّة على الميدان الأخضر المعروف الآن بالمرجة ، وهي ظاهر دمشق ، وقد انمحت آثارها ، أنشأتها (١) شمس الملوك . قاله ابن شداد .

الخانقاه (القصاعية)

- هي بالقصاعين والله أعلم بمكانها ، أنشأتها الخاتون فاطمة بنت الخطليجي (٢) وولي

الخاتون فاطمة

(١) كذا في الأصل ، والصواب « أنشأها » لأن شمس الملوك هو دقاق بن تنش كما ذكر ذلك الصلاح الصفدي في « أمراء دمشق في الإسلام » .

(٢) كذا في الأصل ، وفي « الأعلام » : « ابنة خطليجي » ، وفي « الدارس » نسخة الجمع العلمي بدمشق : « ابنة خطليسي » .

مشيختها محمد بن أبي الفتح البعلي الدمشقي الحنبلي صاحب « المطلع » . قال في « المقصد الأرشد » : هو الفقيه المحدث النحوي ، سمع من اليونيني وابن عبد الهادي وغيرهما ، وعني بالحديث ، وبرع في الفقه وأفتى ، وقرأ العربية واللغة على ابن مالك ولازمه ، وصنف كتابا منها : « الفاخر في شرح جمل عبد القاهر » و « شرح الفية ابن مالك » ، وله « المطلع على أبواب المقنع » شرح به غريب الفاظه ولغاته ، وله تعليقات . درس بعدة مدارس ، وأفتى وتصدر للاشتغال ، وتخرج به جماعة وانتفعوا به ، توفي سنة تسع وسبعمائة .

حرف الكاف

الخانقاه (الكججانية)

كانت بالشرف الأعلى بين الطاووسية (١) والمدرسة العزية ، وقد هدمت واندرست ولم يبق منها اليوم الا قبة مهدومة الأعلى امام مجتمع الكهرباء ، وعلى بابها كتابة بالخط الكوفي ، وقد كان موضعها دارا للأمير بلاط ، فتهدمت وخربت ، فأوقفها ابراهيم الكججاني خانقاه سنة أربع وأربعين وسبعمائة . قاله الذهبي في موضع ، وقال في موضع آخر : أنشئت سنة احدى وستين وسبعمائة . ولعل الأول تاريخ الابتداء بها ، والثاني عام فتحها ونهاية بنائها .

قال العلموي : كان بهذه التربة مشيخة وفقراء وغير ذلك مما هو مفصل في كتاب وقفها وعلى بابها .

حرف الميم

الخانقاه (المجاهدية)

كانت على الشرف القبلي ولم أعلم محلها ، وقد اندرست بيقين . قال ابن شقدة في « منتخب الشذرات » في حوادث سنة أربع وخمسين وستمائة : وفيها توفي

(١) كذا في الاصل وتقدم ذكرها : « الطاووسية » .

الأمير مجاهد الدين إبراهيم بن أوتبا (١) الذي بنى الخانقاه المجاهدية بدمشق على الشرف القبلي ، وكان واليا على دمشق عاقلا فاضلا ، ومن نظمه :

أشبهت الفصن في خصال القد واللين والتشني
لكن تجنيك ما حكاه الفصن يجنى وأنت تجني
وله في مليح :

ومليح قلت مالا سم حبيبي قال مالك
قلت صف لي وجهك الزا هي وصف حسن اعتدالك
قال كالفصن وكالبدر وما أشبه ذلك

توفي بدمشق ، ودفن بخانقائه المذكورة . انتهى . وقال يوسف بن تغري بردي .
١٠ في «ذيل المنهل الصافي» له : إبراهيم بن أوتبا الأمير مجاهد الدين أبو اسحق أمير جندار الملك الصالح ، مات سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، ودفن بخانقائه التي أنشأها على شرف الميدان القبلي ظاهر دمشق . انتهى . وفي « تاريخ الأسدي » أنه قرر في تلك الخانقاه عشرين صوفيا وهو مستمرض . ومن مشايخها علي الاسفندار (٢) الواعظ . قال ابن كثير : كان يعظ في كل سبت من الأشهر الثلاثة ، وكان فاضلا بارعا ، وكان جده يكتب الإنشاء للخليفة الناصر . ومن شعر المترجم :

١٥ إذا زار بالجثمان غيري فاني أزور مع الساعات ربك بالقلب
وما كل ناء عن ديار بنازح ولا كل دان في الحقيقة ذو قرب
توفي سنة ست وسبعين وسبعمائة .

حرف النون

الخانقاه (النجيبية)

٢٠ قال النعمي : يقال لها النجيبية البرانية ، و خانقاه القصر ، يعني لمجاورتها للقصر الأبلق ، وهي مطلة على الميدان . انتهى .

قلت أراد بالميدان المرجه . وكان ذلك القصر قصرا للملك الظاهر ، ولما عمرت التكية

(١) كذا في الاصل، وفي «تاريخ الأسدي» : « ابن أرينا » . وفي « الشذرات » : « ابن أدينا » و « ابن أدنبا » .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « الاسفنديار » .

السليمانية خرب وأقيمت مكانه ؛ فلم يبق أثر للنجيبية ولا للقصر اللهم الا أن تكون أدخلت في خانقاه المولوية . وفي هذه الخانقاه اعتقل ابن خلكان ، اعتقله الأميرسنجر ، وأقام مقامه ابن سني الدولة قاضيا ، وأمره أن يتحول من المدرسة العادلية الكبرى ليسكنها خلفه ، وألح عليه في ذلك ؛ فاستدعى جمالا لينقل أهله الى الصالحية ، فجاء العفو عنه من السلطان بمصر وتقريره على القضاء . وقد كانت الخانقاه مع أوقافها تحت الحيطه . وينسب بناؤها الى جمال الدين أقوش ، وتقدمت ترجمته في مدرسته .

جمال الدين أقوش

الخانقاه (النحاسية)

هي والتربة بها غربيالذهبية ، وشمالى حمام شجاع بطريق مقبرة الفراديس ، وهي الآن موجودة وتسميها العامة مدرسة النحاسين ، وقد وضع على أوقافها يد جماعة ادعوا أنهم من نسل الواقف يقال لهم : بنو النحاس ، ورجل يدعي العلم يقال له : الشيخ أحمد رمضان ؛ فاختلسوا وقفها ، ثم تحيلوا الى جعلها بيتا للسكنى . ولعل رجلا فيه خير يرفع تلك الأثيمة عنها .

١٠

قال النعمي : أنشأها الخواجة الكبير شمس الدين ابن النحاس الدمشقي ، توفي بمدينة جدة من أعمال الحجاز سنة اثنتين وستين وستمائة ، وخلف أموالا وأولادا .

شمس الدين ابن
النحاس
٦٦٢-٠٠٠

١٥

الخانقاه (النجمية)

كانت بنواحي باب البريد ، ثم أخنى عليها الذي أخنى على لبد ، وطمست آثارها . قال أبو شامة : هي داخل الدرب الذي بقرب المعينية بباب البريد .

ترجمة واقفها

أوقفها الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي بالذال المعجمة الدويني ، وهو والد الملوك : صلاح الدين ، وسيف الدين ، وشمس الدولة ، وسيف الاسلام ، وتاج الملوك بوري ، وست الشام ، وربيعه خاتون ، وأخو الملك أسد الدين ، شب به فرسه فحمل الى داره ، ومات بعد أيام في ذي الحجة سنة ثمان وستين وخمسماية ، وكان يلقب بالأجل الأفضل . ولي بعلبك فبنى فيها خانقاه للصوفية وهي المعروفة بالنجمية ، وكان صالحا

نجم الدين أيوب
٥٦٨-٠٠٠ ٢٠

حَسَن السيرة كريم السريرة ، ولما تولى ولده صلاح الدين مصر استدعاه وكان في دمشق في خدمة نور الدين محمود ؛ فاستأذنه فأذن له ، فلما قدم على ولده أراد أن يخلع الأمر اليه فكره ، ولما مات نجم الدين دفن عند أخيه بالقاهرة ، ثم نقلا سنة تسع وسبعين الى المدينة المنورة . قاله في « شذرات الذهب » . وقال الأسدي : أوقف نجم الدين بمصر خانقاه ومسجدا وقناة بباب النصر ، وكان أبوه من أهل دوين بضم الدال المهملة وكسر الواو بلدة بآخر أذربيجان تجاور بلاد الكرج ، وشاذي اسم أعجمي معناه فرحان ، وكان من أبناء أعيانها ، وكان صديقا لكمال الدولة فاستصحبه معه لما ولي نيابة بغداد ، وأعطى السلطان أباه شاذي قلعة تكريت فلم يزل بها الى أن توفي ؛ فتولاها ولده أيوب فقام بها حق القيام ، فشكره بهروز وأحسن اليه ، وفي القلعة ولد صلاح الدين ، ثم خرج الى الموصل فأكرمه زنكي والد نور الدين ، ثم استنابه على بعلبك ، ثم استدعاه ولده صلاح الدين الى مصر كما مر . قال الأسدي : وكان رجلا دينيا مباركا كثير الصدقات ، سمحا كريما ، وافر العقل قليل الكلام جدا لا يتكلم الا للضرورة .

الخانقاه (الناصرية الاولى)

انشأها الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز محمد غازي بن أيوب بسفح قاسيون بجوار تربته على نهر يزيد . قاله ابن شداد . وتقدم الكلام عليها في دور الحديث ، ولا بأس هنا بإيراد ترجمته مختصرة عن « شذرات الذهب » :

الملك الناصر
صلاح الدين
٦٢٧-٦٥٩

الملك الناصر

هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن العزيز محمد ابن الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين صاحب الشام ، ولد سنة سبع وعشرين وستمائة ، وسلطنوه بعد أبيه سنة أربع وثلاثين ، ودبر المملكة شمس الدين لولو ، والأمر كله راجع الى جدته صفية ابنة العادل . فلما ماتت سنة أربعين اشتد الناصر ؛ ففتح له عسكره حمص ، وتملك دمشق بلا قتال سنة ثمان وأربعين فولياها عشر سنين ، وكان حليما جوادا حسن الاخلاق محببا الى الرعية ، فيه عدل في الجملة وقلة جور وصفح ، وكان الناس معه في بلهنية من العيش لكن مع ادارة الخمر والفواحش ، وكان للشعراء دولة في أيامه

لأنه كان يقول الشعر ويجيز عليه ، ومجلسه مجلس ندماء وأدباء ، ولكنه خدع وعمل عليه حتى وقع في قبضة التتار ؛ فذهبوا به الى هولاء ، فأكرموا ، ثم غضب عليه فقتله سنة تسع وخمسين وستمائة .

- قال ابن قاضي شعبة في « تاريخه » : بنى الناصر بدمشق داخل باب الفراديس مدرسة في غاية الحسن ، ووقف عليها أوقافا جليلة ، وبنى بجبل الصالحية رباطا وتربة ومدرسة ، وهي عمارة عظيمة ما عمر مثلها ، أحضر لها من الرخام والاحجار شيئا كثيرا ، وغرم عليها أموالا عظيمة ، ونهر يزيد جار فيها .

الخاتمة (الناصرية الثانية)

- كانت بدرب خلف قاسارية الصرف ، وكانت دارا للسلطان صلاح الدين لما كان واليا على دمشق . وهذه القاسارية عمرها الملك المؤيد بالحجارة ، وجعل فيها مخازن وطباقا ، وجعل بعضها للجهة التي كانت موقوفة عليها . قاله ابن قاضي شعبة .

ترجمة واقفها

صلاح الدين
الأيوبي
٥٨٩-٥٣٢

- هو السلطان صلاح الدين الملك الناصر أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان ابن يعقوب ، الدويني الأصل ، أول دولة الأكراد وملوكهم ، وقد ألف العلماء المؤلفات في سيرته وتاريخه ، وطرز المؤرخون بذكره مؤلفاتهم فما نذكره هنا شذرة يسيرة من مناقبه ، وسنبسط الكلام في القسم السياسي من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى . ونلخص هنا من « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لابن شداد » ، ومن « شذرات الذهب لعبد الحي بن العماد » ، ومن « تاريخ ابن خلكان » ، ومن « تاريخي الذهبي وابن كثير » ، ومن كلام ابن الأثير ، شذرات تليق بذلك السلطان العادل والكوكب المنير فنقول :
- قال ابن كثير : أصل هذه الطائفة من الأكراد ، ولكن بني أيوب ينكرون هذه النسبة ، ويقولون : إنما نحن عرب نزلنا عند الأكراد وتزوجنا منهم . انتهى . ويمكن أن يكون هذا صحيحا لأن العرب تفرقت في الإقطار بعد الفتح الإسلامي .

وقال ابن خلكان : اتفق أهل التاريخ على أن أباه وأهله من دوين ، بضم الدال المهملة

وكسر الواو ، وهي بلدة في آخر عمل أذربيجان من جهة أراال وبلاد الكرد ، وأنهم أكراد راودية قبيلة كبيرة من الاكراد . انتهى .

- ولد صلاح الدين سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بقلعة تكريت ، وكان والده أيوب واليا بها ثم اتفق له الانتقال منها الى الموصل ، فكان بها مع والده الى أن ترعرع . واتفق لوالده الانتقال الى الشام ، وأعطى بعلبك وأقام بها مدة وصلاح الدين يتربى تحت حجر والده ويرتضع ثدي محاسن أخلاقه ، حتى بدت منه أمارات السعادة ولاحت لوائح التقدم والسيادة ؛ فقدمه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، وعول عليه ونظر اليه وقربه . ولم يزل كلما تقدم قدما تبدو منه أسباب تقضي تقديمه الى ما هو أعلى منه ، حتى تعمد أسد الدين الحركة الى مصر وذهابه اليها ؛ فاستصحبه معه عن كراهية منه لمكان افتقاره اليه ، وجعله مقدم عسكره وصاحب رأيه وذلك سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ؛ فقام بما عهد اليه أحسن قيام ، ثم قفل راجعا الى الشام بعد أن عرف أسد الدين أن مصر بلاد بغير رجال تمشي الأمور فيها بمجرد الإيهام والمحال . ثم في سنة اثنتين وستين وخمسمائة عاد أسد الدين الى مصر ، وسير السلطان نور الدين معه صلاح الدين على كره منه ؛ ولم تزل مصر بيد أسد الدين حتى مات بعلة الخوانيق سنة أربع وستين وخمسمائة فتولاها الملك صلاح الدين . ولما استتب له أمر مصر جعل يشن الغارات على الأفرنج الى الكرك والشوبك وبلادها ، وغشي الناس من سحائب الأفضال والنعم ما لم يؤرخ من غير تلك الأيام . هذا كله وهو وزير متابع القوم ، ولكنه مقول لمذهب السنة ، غارس في أهل البلاد العلم والفقه والتصوف والدين ، والناس يهرعون اليه من كل صوب ويفدون عليه من كل حدب وهو لا يخيّب قاصدا ولا يعدم وافدا . وفي سنة تسع وستين وخمسمائة توفي السلطان نور الدين بعلة الخوانيق ، وخلفه في الملك ولده الصالح اسماعيل . فلما تحقق صلاح الدين موت نور الدين ، وأن ولده الصالح طفل لا ينهض بأعباء الملك ولا يستقل بدفع الأعداء عن البلاد ؛ تجهز للخروج الى الشام مصاحبا جمعا كثيرا من العساكر ، وأقام بمصر من يقوم بحفظها ، وسار مع جمع من أهله وأقاربه الى أن دخل دمشق بالتسليم سنة سبعين ولم يشق عليه عصا ، وتسلم قلعتها . قال في « شذرات الذهب » في حوادث سنة سبعين : وفيها قدم صلاح الدين فأخذ دمشق بلا ضربة ولا طعنة ، وسار الصالح اسماعيل بن نور الدين مع حاشيته الى حلب ، ثم سار صلاح الدين فحاصر حمص بالمجانيق ، ثم سار فأخذ حماه وحاصر

حلب ، وأساء العشرة في حق آل نور الدين ، ثم رد وتسلم حمص ، ثم عطف إلى بعلبك وتسلمها .

- وقال الذهبي في «تاريخه» : ملك صلاح الدين البلاد ودانت له العباد ، وأكثر من الغزو وكسر الأفرنج مرات ، وكان شديد الهيبة محببا إلى الأمة عالي الهمة . انتهى .
- وأعظم ما ابتهجت به الأمة من فتوحاته ، فتح بيت المقدس بعد أن مكث بيد الأفرنج نيفا وتسعين سنة . وقال ابن قاضي شهابية في « تاريخ الإسلام » : كان شجاعا سمحا جوادا مجاهدا في سبيل الله ، يجود بالمال قبل الوصول إليه ، وكان مغرما بالانفاق في سبيل الله ، وكان لا يلبس إلا ما يحل له لبسه ، ومن جالس له لا يعلم أنه جليس سلطان ، وكان شديد الرغبة في سماع الحديث ، ما شتم أحدا قط ، ولا كتب بيده ما فيه أذى مسلم . فتح الديار المصرية ، والحجاز ومكة والمدينة ، واليمن من زبيد إلى حضرموت ٥ متصلا بالهند ، ومن الشام : دمشق وبعلبك وحمص وبانياس وحلب وحماء ، ومن الساحل : بلاد القدس وغزة وتل الصافية وعسقلان ويافا وقيسارية وحيفا وعكا وطبرية والشقيف وصفد وكوكب والكرك والشوبك وصيدا وبيروت وجبله واللاذقية والشقر وصهيون وبلاطنس ، ومن الشرق : حران والرها والرقعة ورأس عين وسنجار ونصيبين وسروج وديار بكر وميافارقين وآمد وحصونها وشهر زور . ويقال : أنه فتح ستين ١٥ حصنا ، وزاد على نور الدين بمصر والمغرب والحجاز واليمن والقدس والساحل وديار بكر وبلاد الأفرنج ، ولو عاش عمرا طويلا لفتح الدنيا شرقا وغربا وبعدا وقربا ، ولكنه لم يبلغ ستين سنة .

- قال ابن الأثير : ويكفي دليلا على كرمه أنه لما مات لم يخلف في خزانته غير دينار واحد صوري وأربعين درهما ناصرية ، وقال في آخر ترجمته : وبالجملية فقد كان نادرا ٢٠ في عصره ، كثير المحاسن والأفعال الجميلة ، عظيم الجهاد في الكفار وفتوحه تدل على ذلك ، وخلف سبعة عشر ولدا ذكرا . انتهى .

- وقال الفيلسوف عبد اللطيف البغدادي في « رحلته » : أتيت الشام وكان السلطان صلاح الدين بالقدس ؛ فأتيته فرأيت ملكا عظيما يملأ العيون روعة والقلوب محبة ، قريبا بعيدا محببا ، وأصحابه يتشبهون به ويتسابقون إلى المعروف . وأول ليلة حضرته ، ٢٥ وجدت مجلسا محفوقا بأهل العلم يتذكرون في أصناف العلوم وهو يحسن الاسماع

والمشاركة ، يأخذ في كيفية بناء الأسوار وحفر الخنادق ، ويأتي في ذلك بكل معنى بديع ، وكان مهتما ببناء سور بيت المقدس ، وحفر خندقه يتولى ذلك بنفسه وينقل الحجارة على عاتقه ، ويتأسى به جميع الناس : الأغنياء والفقراء والأقوياء والضعفاء حتى الكاتب والقاضي الفاضل ، ويركب لذلك قبل طلوع الشمس الى وقت الظهر ؛ فيأتي داره ويمد السباط ثم انه يستريح ، ويركب وقت العصر ويأتي على ضوء المشاعل ، ويصرف أكثر الليل فيما يعمل نهارا ، وكان يحفظ «ديوان الحماسة» . وأطال البغدادي في الكلام عليه ، وسيرته أفردت بالتأليف وأكثرها مطبوع « كالروضتين لأبي شامة » و « سيرته للغزي » و « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية للقاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد(١) » و « سيرته للعماد الكاتب » وغيرهم مما هو معروف ومشهور .

١٠ قال ابن شداد في « النوادر » ما خلاصته : ان السلطان لما دنا وقت رحيله الى دار البقاء ، وجد في جسمه كسلا عظيما ؛ فما انتصف الليل حتى غشيته حمى صفراوية كانت في باطنه أكثر من ظاهره ، وأصبح الصباح وهو متكاسل عليه أثر الحمى ولم يظهر ذلك للناس ، ثم أخذ المرض يتزايد الى أن انتهى لغاية الضعف ، ولما مضى على مرضه أحد عشر يوما ، وتحقق الناس موته ؛ أسرع ولده الأفضل في تحليف الناس ، واستحضر القضاة ، وعمل له نسخة يمين مختصرة محصلة للمقاصد ، هذا ولم يزل الحال يشتد بالسلطان صلاح الدين الى أن توفي الى رحمة الله وغفرانه بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسائة ، وكان يوما شديدا على الاسلام والمسلمين .

٢٠ وقال صاحب حماة في « تاريخه » : لما مات السلطان غسله الفقيه الدولي خطيب دمشق ، وأخرج بعد صلاة الظهر في تابوت مسجى بثوب ، وجميع ما احتاجه من الثياب في تكفينه أحضره القاضي الفاضل من جهة حل عرفها ، وصلى الناس عليه ، ودفن في قلعة دمشق في الدار التي كان مريضاً فيها . ثم ان الملك الأفضل عمل لوالدته تربة قرب الجامع ، ونقل اليها السلطان يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين وخمسائة فدفنه بها . انتهى . ويقال : انه دفن معه سيفه الذي كان يحضر به الجهاد ، وتقدم بعض من سيرته فيما مضى من هذا الكتاب . قرأت في « تاريخ المحبي » ما صورته : ان ابراهيم باشا ابن عبد المنان المعروف بالدفتردار نزيل دمشق بنى حماما بالقرب من تربة

(١) وهو غير عز الدين الحلبي المعروف بابن شداد صاحب « الأعلاق الخطيرة » .

السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وأوقفه وجعله من أملاكه على تدريس فقه وأجزاء رتبها في التربة المذكورة ، فقال أبو بكر العمري في « تاريخه » :
بنى وأوقف إبراهيم دام له منجزا لصلاح الدين حماما
وهذا من التواريخ البديعة بين فيه المراد من غير حشو ، توفي الباني سنة ثلاث وأربعين
وآلف . انتهى . قلت : وهذا الحمام بالقرب من دهليز الجامع الأموي من الجهة
الشمالية ، وهو الآن خراب .

الخانقاه (النهرية)

كانت بأول شارع نهر القنوات . قال النعيمي : وهي المشهورة بخانقاه عمر شاه ،
وكانت مشيختها والنظر عليها (١) لمحمد ابن الحسيني الحنبلي المصري الدمشقي سنة خمس
وعشرين وثمانمائة ، وللقاضي محمد الحموي المعروف بابن اللبودي . انتهى . قلت : ١٠
وهي موجودة في صورة مفقودة !

حرف الياء

الخانقاه (اليونسية)

كانت بأول الشرف الشمالي ، شرقي الخانقاه الطاويسية (٢) . قال النعيمي :
أنشأها الأمير الكبير يونس دوادار الظاهر برقوق سنة أربع وثمانين وسبعمائة كما هو
مكتوب على بابها ، وفي شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وسبعمائة كما هو مكتوب
في الدائر داخلها ؛ ولعل الأول كان ابتداء الشروع في عمارتها ، والثاني كان تاريخ
انتهائها ، وذلك بنظر الكافلي بدمر الظاهر . وشرط في كتاب وقفها الأصلي للشيخ
بها وللإمام وللصوفية أن يكونوا حنفية آفاقية ، ولم يشترط في المختصر كونهم آفاقية ،
وشرط أن يكون الإمام بها حنفيا ، وأن يكون بها عشرة من القراء . ووقف عليها الدكاكين
خارج باب الفرج ، ثم احترقت في أيام المؤيد شيخ ؛ فعمرها وأدخلها في وقفه ، وعوض

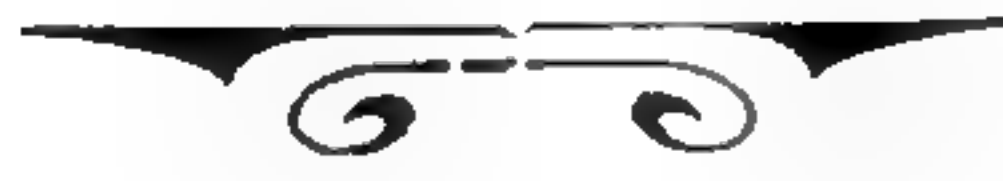
(١) في الاصل اليها .

(٢) كذا في الاصل وقد تقدم ذكرها « الطاويسية » .

عنها الحمام العلاني خارج بابي الفرّج والفراديس ، والحمام بكفر عامر ، وآل من ذريته اليها قطعة أرض مسلة (١) الحمام ، والقاعة لصيق الخانقاه . وولي مشيختها شمس الدين عزيز ، ثم شمس الدين ابن عوض . انتهى . وهذه الخانقاه خفي مكانها عني اللهم الا أن تكون هي الزاوية التي هي قبل الطاووسية من الجانب الشرقي التي تسميها العوام زاوية السلطان أبو يزيد والله أعلم .

خانقاه (مجهولة)

حكى في « العبر » في حوادث سنة تسع وستين وستمائة أن ابن السفار أمير الحاج عماد الدين يوسف بن أبي النصر بن أبي الفرّج الدمشقي توفي في زمن التتار ووضع في تابوت ، فلما أمن الناس نقل الى النيرب ، ودفن بقبته التي في الخانقاه . انتهى . فتراه ذكر خانقاه ، ولم نر من شرح محلها ولا من بناها ، وهي الآن بستان بلا شك !



(١) كذا في الاصل . وفي « الدارس » : « بسكة » ، وهو الاصح .

الباب التاسع في الربط التي كانت بدمشق

رباط (أبي البيان)

داخل باب شرقي بحارة درب الحجر ، والوقف عليه مكان بجسرين .

ترجمة الباني

أبو البيان ابن
الخوراني
٥٥١-٥٥٥

- ٥ قال في « منتخب الشذرات » ما خلاصته : أبو البيان نبيا (١) بن محمد بن محفوظ القرشي الشافعي اللغوي الدمشقي الزاهد ، شيخ الطائفة البيانية بدمشق ، ويعرف بابن الخوراني ، كان كبير القدر عالما زاهدا تقيا خاشعا ، ملازما للعلم والعمل والمطالعة ، كثير العبادة والمراقبة ، كبير الشأن بعيد الصيت ، ملازما للسنة ، صاحب أحوال ومقامات ، سمع أبا الحسن علي ابن الموازيني وغيره ، وله تأليف ومجاميع ورد على المتكلمين ، وأذكار مسجوعة وأشعار مطبوعة ، وأصحاب ومريدون وفقراء بهديه ١٠ يقتدون ، وكان هو والشيخ أرسلان شيخي دمشق في عصرهما وناهيك بهما . قاله في « العبر » . دخل يوما إلى الجامع الأموي فرأى جماعة في الحائط الشمالي يثلبون أعراض الناس ؛ فقال : اللهم كما أنسيتم ذكرك فأنسهم ذكري .

- قال السخاوي : قبره يزار بباب الصغير . ولم يذكره ابن عساكر في « تاريخه » ولا ابن خلكان في « وفيات الأعيان » . وقال السبكي في « الطبقات الوسطى » : الشيخ ٢٠ أبو البيان شيخ الطائفة البيانية بدمشق ، كان شيخا زاهدا ورعا عابدا ، اماما في اللغة ، فقيها ، له شعر كثير ، وتأليف حسان ، توفي يوم الثلاثاء ثاني شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وخمس مائة . وقال البصروي في « تحفة الأنام » بعد أن ترجمه بمثل ترجمة السبكي : والرباط المنسوب إليه أنشئ بعد موته بأربع سنين ، اجتمع أصحابه على بنائه ، وقد أعانهم عليه السلطان نور الدين ، وأوقف عليه مكانا بجسرين . ٢٥

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » نقلا عن الذهبي في « العبر » : « بنا » .

رباط (التكريتي)

بالقرب من الرباط الناصري بقاسيون ، بناه وجيه الدين محمد بن علي بن سويد
التكريتي الناصري ، كان معظما عند الملوك ، وصاحب أموال كثيرة ، توفي سنة سبعين
وستمئة ، ودفن بتربته برباطه .

رباط (زهرة)

بالقرب من حمام جاروخ ، وهو مقابل القرن المعروف بقرن خليفة . وهذه تعريفات
ذكرها النعيمي والعموي ، ولم نعلم الآن منهما شيئا .

رباط (صفية)

قال البرزالي في حوادث سنة ثلاث وثلاثين وستمئة : رباط صفية القلعية بالقرب
من المدرسة الظاهرية .

قال ابن شداد بعد أن ذكر هذه الربط المتقدمة : وثم رباطات آخر ؛ فعدها ، واليك
بيانها حسبما ذكرها :

رباط طومان ، من أمراء بني سلجوق ، تحت القلعة .

رباط جاروخ التركماني .

رباط غرس الدين خليل ، كان واليا بدمشق .

رباط المهراني ، أقول : في جادة سوق صاروجا بيت كبير ، وعند بابه شباك فوقه
حجر مكتوب عليه بعد البسملة :

هذه تربة الأمير شمس الدين شروة بن حسين المهراني المعروف بالسبع المجانيين
الحاجي الغازي المجاهد في سبيل الله تعالى ، توفي إلى رحمة الله تعالى سنة اثنتين
وأربعين وستمئة .

فالظاهر أن الرباط كان هنا ، ومن العجب أن العوام وطلبة العلم يعتقدون أن هذا

قبر الشيخ مجاهد المفسر التابعي المشهور ؛ والمكتاية المذكورة محفورة في الحجر بخط واضح ولا يقرؤونه ، وهذا من التقليد الاعمى نعوذ بالله منه .

رباط البخاري عند باب الجابية .

رباط السفلاطوني (١) .

رباط الفلكي .

رباط داخل باب السلام (٢) .

رباط عنراء خاتون داخل باب النصر .

رباط بدر الدين عمر .

رباط الحبشة ، بمحلة قصر الثقفين يعني بمحلة المعينية .

رباط أسد الدين شيركوه بدرب زرعة .

رباط القصاعين .

رباط بنت عز الدين مسعود صاحب الموصل .

رباط بنت الدفين داخل المدرسة الفلكية .

رباط الدوادار داخل باب الفرج .

رباط الفقاعي في السفح .

ذكر هذين الرباطين الأخيرين البرزالي في حوادث خمس وثلاثين وستمائة . وقال العلموي :

رباط الوزراء ، بمحلة سويقة صاروجا ، داخل الدخلة التي بها برسباي الحاجب ،

شمالي حمامه ، قال : وهو الى الآن موجود . انتهى .

وهذه الربط قد عسر علي معرفة محالها ، ولم أدر من الذي بناها ؛ فنقلتها كما

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « السفلاطوني » .

(٢) ذكر هذا الرباط في « الدارس » منسوباً الى « بنت السيلار » .

وجدتها في « تنبيه الطالب ومختصره » .

اطلعت على كتاب وقف علاء الدين يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري المؤرخ
سنة ٧٦٣ ؛ فاستفدت منه ما أذكره :

رباط العرس بين السورين من حي العمارة وهو علوي ، وقد صار اليوم مسجدا .

- ٥ سوق المناخلية كان يسمى سوق البقلي . بيت الآبار قرية بالغوطة . بيت لهيا كانت
عند ماصية العادل بالقرب من جسر نهر ثورا من طريق القابون . البحرة المشهورة كانت
يقال لها بالو وهي بحرة الهيجانة . تل بني بسيابه بالهيجانة . الملاحة بجهة اراضي بالا .
قرية . . . (١) والقرية السوداء كانتا عند تلفيتا وصيدنايا . الغار المعروف بالمنقب ،
والحقاب هو ما يلي جبل الغار المطل على دوما وأرض معرونية . وقد ذكرت ذلك
١٠ هنا استطرادا ولا يخلو من فائدة . وبريتايا كانت قرية بالقرب من عربيل ، ويقال لأرضها
اليوم : أرض بريتايا .



(١) كذا في الاصل وقد سها المؤلف عن ذكر اسمها .

الباب العاشر في الزوايا^(١)

حرف الهمزة

الزاوية (الأرموية)

عبد الله الأرموي
٦٣١-٠٠٠

- أقول : الزاوية هي المكان المعد للأفعال الصالحة والعبادة . وهذه الزاوية كانت فوق الروضة بسفح قاسيون ، أنشأها عبد الله بن يونس الأرموي . قال ابن شقدة : هو الزاهد القدوة صاحب الزاوية بجبل قاسيون ، كان صالحا متواضعا مطرحا للتكلف ؛ يمشي وحده ويشترى الحاجة لنفسه ، وله أحوال ومجاهدات وقدم راسخ في العبادة ، سافر الأقطار وكان في بدايته لا يأوي الا الى القفار ، قرأ القرآن وتفقه على مذهب أبي حنيفة وحفظ «القدوري» ، وبالجمله فقد كان من عباد الله الصالحين ، وكانت زاويته مطلة على قبر الشيخ موفق الدين ، توفي سنة احدى وثلاثين وستمئة .
- ١٠

حرف الحاء

الزاوية (الحريرية)

- كانت بظاهر دمشق بالشرف الأعلى القبلي ، وكان الناس يجتمعون بها للسماعات ، أنشأها أبو محمد علي بن أبي الحسن بن منصور الدمشقي الفقير .
- ١٥ قال الذهبي في « العبر » : ولد بقرية بصرى^(٢) من حوران ، ونشأ بدمشق وتعلم بها نسج العتابي^(٣) ، ثم تمفقر ، وعظم أمره وكثر أتباعه ، واقتبل على المطيبة والراحة والسماعات والملاح ، وبالف في ذلك ؛ فمن يحسن الظن به يقول : هو كان صحيحا في نفسه صاحب حال ووصول ، ومن خبر أمره رماه بالكفر والضلال ، وهو أحد من لا يقطع له بجنة أو بنار ؛ فانا لانعلم بما يختم له به ، لكنه توفي في يوم شريف يوم الجمعة قبل العصر السادس

(١) لم يتقيد المؤلف في ذكره للزوايا بالتسلسل الأبجدي فاضطررنا الى ترتيبها أبجديا مراعاة لنسق الكتاب .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « بسر » .

(٣) نوع من النسج الحريري .

والعشرين من رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة وقد نيف على التسعين ، مات فجأة . وقال ابن قاضي شعبة في « تاريخه » : وقف على زاويته التي يقال لها : زاوية الحريري ، دراهم في أول أمره فحبسه أصحاب الديون ؛ فأقام ستة أشهر محبوسا ، ثم جبوا له وأخرجوه ؛ فصار كل يوم يتجدد له أتباع الى أن آل أمره الى ما آل اليه . قال شرف الدين خطيب عقربا : خرج الفلك المشيري يقسم قرية له وأخذ معه جماعة ؛ فلما قسموا ووصلوا الى زرع قالوا : نمشي الى عند الشيخ الحريري ؛ فقال أحدهم : ان كان صالحا يطعمنا حلوى ساخنة بعسل وسمن وفستق وسكر ، وقال الآخر : يطعمنا بطيخا أخضر ، وقال الآخر : يسقينا فقاعا عليه الثلج . فلما وصلوا تلقاهم بالرحب ، وأحضر شيئا كثيرا من جملته حلوى كما قال ذلك الرجل ، فأمر بوضعها بين يدي مشتهيها ، ثم أحضر بطيخا أخضر وأشار الى مشتهيه بالأكل . فلما فرغوا نظر الى صاحب شهوة الفقاع فقال : يا أخي ، كان عندي تحت الساعات أو باب البريد ، ثم صاح : يا فلان أدخل ؛ فدخل فقير وعلى رأسه دست فقاع وعليه الثلج منحوت ، وقال : بسم الله اشرب ! انتهى . وقد نقلت هذه القصة كما رأيتها ، وهي خبر والعهد على الراوي الأول . ولما مات كانت ليلة مثلجة ؛ فأنشدتهم نجم الدين بن إسرائيل :

بكت السماء عليه ساعة دفنه	بمدامع كاللؤلؤ المنشور	١٥
وأظنها فرحت بمصعد روحه	لما سمت وتعلقت بالنور	
أوليس دمع الغيث يهمني باردا	وكذا تكون مدامع المسرور	

وقال ابن كثير في « تاريخه » : أقام الحريري بدمشق مدة يعمل صنعة الحرير ، ثم ترك ذلك وأقبل على صنعة الفقيري على يد الشيخ علي المغربي تلميذ الشيخ أرسلان ؛ فاتبعه طائفة من الناس يقال لهم : الحريرية ، وابتنى لهم زاوية على الشرف القبلي ، وبدأت منه أفعال أنكرها عليه الفقهاء كالعز بن عبد السلام ، وابن الصلاح ، وابن الحاجب وغيرهم ؛ فلما كانت مدة الأشرف سجنه بالقلعة مدة سنين ، ثم أطلقه الصالح اسماعيل واشترط عليه أن لا يقيم بدمشق ؛ فلزم بلده قرية بصرى الى أن توفي .

قال أبو شامة في « الذيل » : تبعه طائفة من الفقراء المعروفين بالحريرية أصحاب الزي المنافي للشرعية . قال : وكان عند الحريري من الاستهزاء بالشرعية والتهاون بها ، وعنده من شعار أهل الفسوق والعصيان شيء كثير ، وانفسد بسببه جماعة كثيرة من أولاد كبراء الدماشقة ، وصاروا على زي أصحابه بسبب أنه خلع العذار ، وجمع في

مجلسه الغناء الدائم والرقص والمردان ، وترك الصلوات ، وكثرة النفقات ، وأضل خلقا كثيرا وأفسد جمعا غفيرا ، وأفتى بقتله جماعة من علماء الشريعة مرارا . انتهى .

وممن أنكر عليه ولده محمد ، وكان صالحا دينا خيرا يأمر أصحاب أبيه باتباع الشريعة . فلما مات أبوه ؛ طلب منه الجلوس في المشيخة فلم يقبل وانعزل عنهم ، توفي سنة إحدى وخمسين وستمائة ، ودفن عند الشيخ أرسلان عن سبع وأربعين سنة . ٥

الزاوية (الحرية الأعفوية)

أحمد الحريري
٧٢٣-٦٤٤

كانت بقرية المزة ، والظاهر أن منشئها الشيخ أحمد بن حامد بن سعيد التنوخي الأعف الحريري لأن ابن كثير قال في ترجمته : انه توفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة بزاويته بالمزة ، ودفن بمقبرتها . قال : واشتغل بشيئته على التاج الفزاري ، ثم سحب الحرية ، وأخذ عنهم طريقتهم ، ولزم صاحبه الشيخ نجم الدين بن إسرائيل ، وسمع الحديث ، وحج مرارا ، وكان مليح الشكل ، كثير التودد الى الناس ، حسن الأخلاق . ١٠

الزاوية (الحصنية)

تقي الدين الحصني
٨٢٩-٧٥٢

هي بحي الشاغور ، أوقفها الشيخ تقي الدين أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن الشهير بالحصني الشافعي نسبة الى الحصن قرية من قرى حوران . وقد أنهى نسبه في « شذرات الذهب » الى سيدنا الحسين رضي الله عنه ، وقال : ولد سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة ، وتفقه بالشريشي والزهرري وابن الجابي والغزي والصرخدي وابن غنوم ، وأخذ عن الصدر الياصوفي ، ثم انحرف عن طريقته ، وحط على ابن تيمية وبالغ في الحط ، وتلقى عنه الطلبة بدمشق وثارث بسبب ذلك فتن كثيرة ، وكان يميل الى التقشف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وللناس فيه اعتقاد زائد ، ولخص « المهمات » في مجلد ، وكتب على « التنبيه » . وقال الأسدي : كان الحصني خفيف الروح منبسطا له نواذر ، ويخرج الى المتنزه ، ويبعث الطلبة على ذلك ، مع الدين المتين والتحري في أقواله وأفعاله ، قال : ومال الى التقشف ، ولا سيما بعد الفتنة التيمورلنكية فإنه تقشف وانجمع ، وكثرت مع ذلك أتباعه حتى امتنع من مكالمة الناس ، وكان يطلق لسانه

في القضاة وأصحاب الولايات ، وله في الزهد والتقلل من الدنيا حكايات تضاهاى ما نقل
عن الأقدمين ، وكان يتعصب للأشاعرة ، وأصيب بسمعه وبصره فضعف ، وشرع في
عمارة رباط داخل باب الصغير فساعدته الناس بأموالهم وأنفسهم ، ثم شرع في عمارة خان
السبيل ففرغ في مدة قريبة ، وكان قد جمع تأليف كثيرة قبل الفتنة ، وكتب كثيرا
بخطه في الفقه والزهد . وقال السخاوي في « الضوء اللامع » : شرح « التنبيه »
و « المنهاج » وشرح « مسلم » في ثلاث مجلدات ، ولخص « المهمات » في مجلدين ،
وشرح أحاديث « الاحياء » مجلد ، وشرح « الأربعين النووية » في مجلد ، و « أهوال
القيامة » مجلد ، وجمع سير نساء السلف في مجلد ، وله « قواعد الفقه » مجلد ،
و « تفسير القرآن الى الأنعام » آيات متفرقة مجلد ، و « تأديب القوم » مجلد ، و « سير السالك » مجلد ،
و « تنبيه السالك على مظان المهالك » ست مجلدات ، وشرح « الفاية » مجلد ، وشرح
« النهاية » مجلد ، و « قمع النفوس » مجلد ، و « دفع الشبه » مجلد ، وشرح أسماء
الله الحسنى » مجلد ، و « المولد » مجلد ، وتوفي بخلوته بجامع الماز بالشاغور في نصف
جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانمائة ، ودفن في القببات في أطراف العمارة
على جادة الطريق عند والدته . وقال ابن قاضي شعبة في آخر ترجمته : والحاصل أنه
ممن جمع بين العلم والعمل . انتهى . وأوقف على الزاوية الحصنية الأمير سودون
أوقافا ، وأشرك فيها الشيخ محمد ابن أخي الشيخ . ومن كلام تقي الدين الحصني كما
ذكره العدوي :

إذا مالت بنا النفس	الى الدنيا تركناها	
تخادعنا ونخدعها	وبالصبر غلبناها	
لها قوت من الفقر	وفيه قد أنخناها	٢٠

حرف الدال

الزاوية (الداودية)

بسفح قاسيون تحت كهف جبريل ، أنشأها عبد الرحمن ابن أبي داود ، وترجمه
البرهان بن مفلح في « المقصد الأرشد » فقال : هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود ،
الشيخ العالم الناسك مجيد الطريقة وعلم الحقيقة ، تخرج بجماعة من الشيوخ منهم
والده ، ونشأ على طريقة حسنة ملازما للذكر وقراءة الأوراد التي رتبها والده ، وكان
محبا للناس يتردد عليه النواب والقضاة والفقهاء من كل مذهب ، اشتغل في فنون

عبد الرحمن ابن
أبي داود
٧٧٣-٨٥٦

٢٥

كثيرة ، وأخذ العلم عن جماعة ، منهم برهان الدين بن مفلح ، وكتب بخطه كثيرا وكان له قلم حسن مع جودة الخط ، ألف كتباً كثيرة ، منها « الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » وهو أجلها ، وكان بشوشا متصدرا لقضاء الحوائج ، وكانت كلمته مسموعة في الدولة الشرفية والظاهرية ، وألزم بالكلام على مدرسة الشيخ أبي عمر والبيمارستان القيمري ؛ فحصل به غاية النفع من عمارة جهاتهما وعمل مصالحهما ، وكان يرغب الناس في نفع الفقراء بكل طريق ، توفي آخر ربيع الأول سنة ست وخمسين وثمانمائة ، ودفن بالتربة التي أنشأها عند باب الزاوية . وحصل في أمر الزاوية أمور ، وتولاها من لا يستحقها شرعا . انتهى .

- وقال في « شذرات الذهب » ما ملخصه : هو الصوفي القادري شيخ الطريقة ، ومن مؤلفاته : « نزهة النفوس والافكار في خواص النبات والحيوان والاحجار » ، وكتاب ١٠ « الدر المنتقى المرفوع في أوراد اليوم والليلة والأسبوع » و « المولد الشريف » . وقال جمال الدين ابن المبرد : أعظم زوايا الصالحية زاوية ابن داود ، وهي كان قد بناها والده الشيخ أبو بكر ؛ فزادها ولده الشيخ عبد الرحمن ووسعها ، وجعل لها الأوقاف والمرتببات ، وجعل لها مدارا للماء وصهريجاً ومنارة جيدة ومسجداً وخلوي وميضأة وبيتاً للكتب الموقوفة ومساكن للنساء ، ورتب بها اماماً ومؤذناً وقيماً وواعظاً حتى صارت ١٥ من محال الدنيا الغريبة ؛ يقام فيها الذكر ليلة الثلاثاء ، ويقصدها الناس من كل جهة ، ويجعل لهم الوان الأطعمة ، ورتب فيها الأوراد كل يوم وليلة وله ورد المساء والصباح الذي يقرأ في غالب بلاد الاسلام ، وعمر خاناً بقرب الحسينية من وادي بردى على طريق بعلبك ، وعزل عقبة دمر وغيرها من الطرق ، وعمر مدرسة الشيخ أبي عمر لما كان متولياً عليها ، وكذا البيمارستان القيمري ، وكان نفعه عاماً خصوصاً في خلاص المظلومين من ٢٠ الظالمين ، توفي عن ثلاث وسبعين سنة ، وقبره مشهور مقصود للزيارة . انتهى .

وقال العلوي : تولى هذه الزاوية بعد موت منشئها الشيخ قاسم الديري الصوفي وكان رجلاً جيداً ، ثم تولاها بعده ابن بنته علي بن عمر الصالحي البانياسي وكان قد ركبته ديون ، فجعل يطالب بها ويضيق عليه ؛ فیتسلم أوقافها أصحاب الديون والأواجير (١) منه ؛ فتلاشى أمرها وأمر وقفها ، ثم اضمحل حالها بعد ذلك جداً .

(١) كذا في الاصل .

(١)

أبو بكر ابن داود

أبو بكر ابن
أبي داود
٦٠٨-٠٠٠

هو الباني الأول للزاوية ترجمه ولده عبد الرحمن في شرحه « تحفة الأوراد » ،
وإبن العماد في « شذرات الذهب » ، فقال في « الشذرات » : هو الشيخ الكبير الولي
العارف الشيخ أبو بكر ابن أبي داود الصالح ، الحنبلي المسلك ، المخلص الفقيه المتين .
قال الشهاب ابن حجي : كان مقدودا في الصالحين وهو على طريقة السنة ، وله زاوية
حسنة بسفح قاسيون فوق جامع الحنابلة ، وله المام بالعلم ، ومات في سابع عشر
رمضان سنة ست وثمانمائة . انتهى . ودفن بحوش تربته من جهة الشمال قريبا من
الطريق . قال الشيخ ابراهيم ابن الأحذب : له التصانيف النافعة ، منها « قاعدة السفر » ،
ومنها « الوضعية الناصحة » لم يسبق الى مثلها ، ومنها « النصيحة الخالصة » وغير
ذلك من التصانيف النافعة الدالة على فقهه وعلمه وبركته ، له مفارقة في زاويته انقطع عن
الخلق فيها . انتهى . وقال ولده في ترجمته : كان متمسكا بأحكام الشريعة ، مائلا
الى سد الذريعة ، وأطنب في مدحه ، وذكر أن له كتاب « أدب المريد والمراد » .

الزاوية (الدهستانية)

كانت عند سوق الخيل ولم أدر مكانها ، أنشأها الشيخ الدهستاني ، وفي بعض نسخ
« مختصر العلموي » : الدهيناني . قال ابن كثير : توفي سنة عشرين وسبعمائة ، وكان قد
أسن وعمر ، وكان يحضر هو وأصحابه تحت قبة النسر ، قال : ودفن لما توفي بزاويته
وله من العمر مائة وأربع سنين .

الزاوية (الدينورية)

هي بسفح قاسيون ، أنشأها عمر بن عبد الملك الدينوري الزاهد نزيل قاسيون .
قال في « الشذرات » : كان صاحب أحوال ومجاهدات وأتباع . انتهى . توفي سنة
تسع وعشرين وستمائة . وقال الذهبي : قدم من الدينور الى دمشق ، وسمع الكثير ،
ونسخ الأجزاء ، وحصل ، وكان دينا فاضلا عالما . انتهى . وقال العلموي : كان له
مريدون وأتباع يذكرون بأصوات حسنة .

عمر الدينوري
٦٢٩-٠٠٠

(١) كذا ذكره وقد أورده في عرض الكلام « أبو بكر ابن أبي داود » .

الزاوية (الدينورية الشيخية)

هي بالصالحية ، بناها أبو بكر الدينوري . قال في « العبر » : وكان له فيها جماعة يريدون يذكرون الله بأصوات حسنة طيبة ، توفي سنة احدى وستين وستمائة . انتهى . قلت : وليس هذا هو الدينوري المشهور ؛ فان ذاك أحمد بن محمد بن أحمد الدينوري البغدادي أبو بكر ، أحد الفقهاء الأعيان ، وأحد أئمة مذهب أحمد ؛ كان محدثاً فقيهاً ، وتقدم في المناظرة على أبناء جنسه ، وصنف « التحقيق في مسائل التعليق » ، وأخذ عنه الأئمة كالحافظ ابن الجوزي ، وأبي الفتح ابن المنى ، والوزير ابن هبيرة ، وتخرجوا به . ومن كلامه :

تمنيت أن تمسي فقيها مناظرا
بغير عناء فالجنون فنون
وليس اكتساب المال دون مشقة
تلقيتها فالعلم كيف يكون ؟ !

١٠

توفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ببغداد ، ودفن بالقرب من قبر الامام أحمد .

حرف الراء

الزاوية (الرفاعية) :

ذكرها المحبي في « تاريخه » في ترجمة محمد بن حسن الشهر بابن عجلان ، فقال : وبنو عجلان طائفة بالشام مشهورون بصحة النسب ، وأسلافهم كانوا قدموا من مصر ، وسكنوا بزاوية الرفاعية وهي الزاوية المعروفة بزاوية شيخ المشايخ عند مزار سيدي حسن ابن الرفاعي ، وهي زاوية كبيرة فسيحة ، وكانت خربت بسبب فتنة صدرت في أواخر دولة الجراكسة في سنة عشرين وتسعمائة ، وذلك ان السلطان الغوري أرسل حاكماً الى دمشق يقال له : النائب ، وكان بها حاكم غيره فما أراد تسليمه ؛ فتحصن النائب المذكور في زاوية ابن الرفاعي المذكور ؛ فرمى نائب القلعة على الزاوية بأحجار المدافع الكبيرة فهد ايوان الزاوية . قاله البوريني . انتهى .

٢٠

الزاوية (الرومية الشرفية)

بسفح قاسيون ، أنشأها محمد بن الشيخ الكبير عثمان بن علي . قال في « الشذرات » : هو الرومي الزاهد شرف الدين ، صاحب الزاوية التي بسفح قاسيون ، كان عجبا في

أبو بكر
الدينوري
٦٦١-٠٠٠

شرف الدين الرومي
٦٨٤-٠٠٠

الكرم والتواضع ومحبة السماع ، توفي في جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين وستمائة
وقد نيف على التسعين . قاله الذهبي في « العبر » .

حرف السين

الزاوية (السراجية)

- ٥ كانت بالصاغة العتيقة داخل دمشق . لم يترجم النعيمي بانيها ، ولكنه نقل عن
« ذيل العبر » للحسيني ترجمة الأخميمي وأنه دفن بزاوية ابن اسراج ، فقال : عبد
الوهاب بن عبد الرحمن بن عبد الولي الأخميمي المراغي المصري ثم الدمشقي الشافعي ،
كان عارفا بالمعقولات ، تخرج بالعلاء القونوي ، وألف أشياء ، منها كتاب « المنقذ من
الزلل في القول والعمل » ، توفي سنة أربع وستين وسبعمائة . انتهى .
- ١٠ قلت : وفي آخر سوق السلاح من الجانب القبلي مسجد لطيف وفيه قبر ، فلعل
هذا هو الزاوية المذكورة .

زاوية الشيخ (أبي السعود)

- كانت بسفح قاسيون بجانب الروضة من جهة الشرق ، وبها قبر صاحبها . قال
العلموي : هو الشيخ الصالح أبو السعود ابن هنغري الجعفري البدوي ، توفي سابع
رمضان سنة خمس وستمائة ، وقيل : كان بينه وبين الشيخ أرسلان أخوة ، وخلف قبره
قبر يقال : انه قبر الشيخ يوسف الدسوقي . انتهى ملخصا .
- ١٥ أبو السعود
ابن هنغري
٦٠٥-٠٠٠

الزاوية (السيوفية)

- بسفح قاسيون على نهر يزيد ، غربي دار الحديث الناصرية والعالمية ، بناها نجم
الدين ابن شاه أرمن الرومي السيوفي ، توفي سنة عشر وسبعمائة (١) . قاله الذهبي .
وأوقف عليها وعلى ذرية الشيخ نجم الدين الملك الناصر قرיתי عين الفيحة ودير مقرر
بوادي بردى ، الثلث للزاوية والثلثان للذرية ، وبنى له ولجماعته بيوتا حولها .
- ٢٠ نجم الدين السيوفي
٧١٠-٠٠٠

(١) لم يذكر المؤلف سنة وفاته وأثبتناها نقلا عن « الدارس » .

حرف الشين

(١) الزاوية (الشريفة)

هي الشريفة ، كانت شرقي الناصرية الجوانية . قال العلموي : أنشأها السيد محمد الحسيني ، وكان يقيم الوقت بها ليلة الأربعاء ، ودفن بها . قال : قلت : رأيت قبره بها ، وكان قبلا مسكنا للجلال المصري الشاهد ، ثم للشيخ المعتقد عبد الأحد العجمي ، وهي ظاهرة غير أنها مسكن . انتهى .

أقول : لم يبق لها الآن أثر ، ولم أقف على ترجمة بانيتها ولا على مكانها .

حرف الطاء

الزاوية (الطالبة)

هي الطالبة الرفاعية ، كانت بقصر حجاج . قال ابن كثير في حوادث سنة ثلاث وثمانين وستمئة : بها توفي الشيخ طالب الرفاعي بقصر حجاج ، وله زاوية مشهورة به ، وكان يزور بعض المريدين فمات .

الزاوية (الطيبة)

كانت ، كما قاله النعمي ، شمالي القيمرية الكبرى عند الرحبة التي كانت الصناديق تباع بها عند دار بني القلانسي ، شرقي حمام سامة . انتهى . قلت : وكل هذه التعاريف تغيرت وانقرضت ، والقيمرية الكبرى موجودة بأول القيمرية ، والناس يسمونها بالمدرسة العتيقة وبمدرسة القطاط ، وحمام سامة أمام المدرسة الباذرائية معروف . قال العلموي : ولعل الزاوية المذكورة هي المشهورة بالشيخ فرج . انتهى . والواقف لها الشيخ طه (٢) المصري ، وكان كيسا زاهدا ، يتردد عليه الأكابر ، توفي سنة إحدى وثلاثين وستمئة ، ودفن بزاويته .

(١) في « الدارس » : « الشريفة التفاريتية » .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « طي » .

حرف العين

الزاوية (العمادية المقدسية)

عند كهف جبريل بالسفح ، أنشأها الشيخ العماد أحمد بن العماد بن ابراهيم ابن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الصالحي . قال الذهبي في « العبر » : ولد سنة ثمان وستمئة ، وسمع من أبي القاسم ابن الحريستاني وجماعة ، واشتغل وتفقه ، ثم تمفقر وتجرد ، وصار له أتباع ومريدون أكلة بطلة (١) ، توفي سنة ثمان وثمانين وستمئة .

العماد المقدسي
٦٠٨-٦٨٨

٥

حرف الفين

الزاوية (الفسولية)

وفي « مختصر العلموي » : الفسولية (٢) ، كانت بسفح قاسيون ، أنشأها عبدالله ابن محمد بن أبي الزهر الفسلولي أو الفسولي ، وكان صوفيا محدثا ، وله مريدون ، توفي سنة سبع وثلاثين وسبعمئة .

عبد الله الفسولي
٦٥٤-٧٣٧

حرف الفاء

الزاوية (الفرثية)

أقول : هي بسفح قاسيون غربي الخاتونية ، وهناك قبة ولها شباك الى الطريق ، ومحفور بحجر في جدارها بعد البسملة :

١٥

« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون » آية ٣٠/٤١ . هذه تربة الفقير الى رحمة الله تعالى الشيخ علي الفرثي ، توفي في العشر الآخر من جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين وستمئة . انتهى .

علي الفرثي
١٠٠٠-٦٢١

٢٠

والفرثي بضم الفاء وسكون الراء وفتح النون وكسر المثناة . قال في « الشذرات » :

(١) كذا في الاصل والاصح بطالون .

(٢) في « الدارس » : « الفسولية » .

- هو الزاهد صاحب الزاوية والأصحاب بسفح قاسيون ، وكان صاحب حال وكشف وعبادة وصدق . وقال العدوي في « الزيارات » : زاويته جوار المدرسة المرشدية بصالحية دمشق من جهة الغرب ، وقال : كان رجلا صالحا كبير القدر ، ثم ذكر له أشياء أضربنا عنها لانا لسنا بصددنا . قال ابن شقدة : وفي جدار القبة الشمالي فوق الباب منقوش اسمه وتاريخ وفاته ، على الطريق السلطاني بالزقاق المعروف بين المدارس . ٥ انتهى . قلت : والزاوية معطلة مقفلة وربما تتداولها أيدي المختلسين . وقال الذهبي : كان الفرنجي صاحب حال وكشف ، وعبادة وصدق ، ورياضات وسياحة . انتهى .

الزاوية (الفقاعية)

يوسف الفقاعي
٦٧٩-٠٠٠

- أنشأها الشيخ يوسف الفقاعي . قال في « الشذرات » : هو الزاهد ابن نجاح ابن مرهوب ، كان عبدا صالحا ، كبير القدر قانتا ، له أتباع ومريدون ، توفي في شوال سنة ١٠ تسع وسبعين وستمئة ، ودفن بزاويته بسفح قاسيون ، وقد نيف على الثمانين . قال ابن قاضي شعبة : كان الفقاعي من أهل عقربا قرية من أعمال نابلس . قال الكتبي : وله بها زاوية ، وكان يتردد إليها في كثير من الأوقات ، وله زاوية ورباط بسفح قاسيون ، بنى له ذلك الأمير جمال الدين ابن يغمور ، وكان كثير العبادة والزهد ، كريم الأخلاق لطيف الحركات ، كثير التواضع لين الكلام ، من المشايخ المشهورين بالعرفان ، وللناس فيه ١٥ عقيدة سالحة . قال : ودفن بتربيته الى جانب زاويته .

حرف القاف

الزاوية (القلندرية الحيدرية)

- هي زاوية ثانية للطائفة المتقدم ذكرها ، كانت ظاهر دمشق بمحلة العونية ، بنيت للشيخ حيدرة ولأتباعه سنة خمس وخمسين وستمئة ، وفي هذه السنة رحلت الفقراء ٢٠ الحيدرية من الشام بعد النفي السابق . كذا قاله النعيمي والعلموي .

(١) الزاوية (القلندرية الدركزنية)

كانت بمقبرة باب الصغير شرقي محلة مسجد الذبان ، وشرقي مئذنة البصير ،

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « الدركزنية » .

وتعرف بالدركزية ، أنشأها محمود بن محمد الدركزيني (١) الطالب . ودركزين بدال
مهمله ثم نون وراء ساكنة ثم كاف مكسورة ثم زاي معجمة بعدها ياء اسم بلدة من
همدان بينهما اثنا عشر فرسخا .

الطائفة (القلندرية)

اني ذاكر هنا أحوال هذه الطائفة كما رأيته مسطورا في أسفار العلماء ، ولا أتعرض
لتفنيد شيء من أحوالهم الآن ، بل أقيم نفسي مقام المؤرخ الناقل لا مقام المحقق المنتقد
لأن هذا له مجال في مؤلفاتنا ، واليك سيرتهم :

قال الحافظ ابن كثير : دخلت الفقراء الحيدرية الشام سنة خمس وستين وستمائة ،
وكان من شعارهم لبس الفراجي والطراير ، يقصون لحاهم ويتركون شواربهم وهو
خلاف السنة ، وانما فعلوا ذلك متابعة لشيخهم حيدر حينما أسره الملاحدة فقصوا
لحيته وتركوا شواربه ؛ فاقتدوا به في ذلك ، وهو معذور مأجور وليس لهم به قدوة ،
وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وبنيت له زاوية بظاهر دمشق قريبا من
العونية ؛ رأيت في كتاب « حسن التنبية » للنجم الغزي ، وقال الصلاح الصفدي في
« الوافي بالوفيات » ما صورته :

محمد بن يونس الشيخ جمال الدين الساوجي الزاهد شيخ الطريقة القلندرية قدم
دمشق ، وقرأ القرآن والعلم ، وسكن قاسيون في زاوية الشيخ عثمان الرومي ، ثم
حصل له زهد وفراغ عن الدنيا فترك الزاوية وأقام بمقبرة باب الصغير بقرب موضع
القبة التي بنيت لأصحابه ، وبقي مدة بقبة السيدة زينب بنت زين العابدين ، واجتمع
بالجلال الدركزيني والشيخ عثمان كوهي الفارسي المدفون بالقنوات بمكان القلندرية ،
ثم ان الساوجي حلق وجهه ورأسه ولاق حاله بذلك ، وأولئك وافقوه يعني أصحابه ،
وحلقوا مثله ، ثم ان أصحاب الشيخ عثمان طلبوا الساوجي ؛ فوجدوه بالقبة ، فسبوه
وقبحوا فعله فلم ينطق ، ثم انه اشتهر وتبعه جماعة ، ثم انه لبس دلق شعر ، وسافر
الى دمياط فأنكروا هناك حاله وزيه ، ثم آل الأمر الى أن اعتقدوا فيه ، فتوفي بدمياط ،
وقبره مشهور بها .

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « الدركزيني » .

وحكى ابن الجوزي في « تاريخه » أنه رأى كراريس بخطه من تفسير له . وجلس في
المشيخة بعده بباب الصغير الجلال الدركزني وبعده الشيخ محمد البلخي ؛ فشرع
لهم الجوالق الثقيلة ، وأقام الزاوية وأنشأها ، وكثر أصحابه ، وكان للملك الظاهر فيه
اعتقاد ؛ فلما أن تسلطن طلبه ، فلم يمض اليه ، فبنى لهم السلطان هذه القبة من مال
الجامع ، وكان اذا قدم الشام يعطيهم ألف درهم وشقتي بسط ، ورتب لهم ثلاثين غرارة
قمح في السنة ، وفي اليوم عشرة دراهم ، وكان السويداوي ، وهو منهم ، يحضر سباط
السلطان الملك الظاهر ويمارحه . ولما أنكر الناس على الشيخ علي الحريري في دولة
الملك الأشرف موسى ، أنكروا على القلندرية ونفوههم الى قصر الجنيد . وذكر نجم الدين
ابن اسرائيل الشاعر أن هذه الطائفة ظهرت بدمشق سنة ست عشرة وستمائة . وكانت
وفاة الساوجي المذكور في حدود الثلاثين وستمائة . وقد نكت بعض الشعراء على غلام
قلندري فقال :

بدالي في حلق الشوارب فتنة	فقلت بعقل ذاهل فيه ذاهب
حببي بحق الله قل لي ما الذي	دعاك الى هذا فقال مجاوبي
وعدت بوصلي العاشقين تعظفا	فلم يثقوا واسترهنوا قوس حاجبي

١٥

ابن اسرائيل

هو نجم الدين بن خضر اسرائيل بن خضر بن اسرائيلي الدمشقي صاحب الحريري،
كان ظريفا ، مليح النظم ، رائق المعاني لولا أنه شانه بالاتحاد تصريحاً وتلويحاً ، ومما كتبه
الى النجم الكمال :

ياسيد الحكماء هذي سنة	مثبوتة في الطب أنت ثبتها
أوكلما كلت جفون سيوف من	سفكت لواظظه الدماء سننتها

٢٠

توفي رابع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وستمائة عن أربع وسبعين سنة ،
ودفن خارج باب توما عند قبر الشيخ أرسلان . *

الزاوية (القوامية البالسية)

غربي جبل قاسيون ، والزاوية السيوفية ودار الحديث الناصرية والصالحية
والعادية ، على نهر يزيد . فانظر الى أسماء لامسميات لها الآن ، والى أماكن لاتجدها إلا

٢٥

في صحف التاريخ . وترجم صاحبها ابن العماد في « الشذرات » ، والعدوي في كتاب « الزيارات » ترجمة مطولة ، واليكها خالية عن المبالغة وعملا لا ينطبق على عقل . قال : هو أبو بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي ، كان زاهدا عابدا قدوة ، صاحب حال ، وله زاوية وأتباع ، ولد سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، وتوفي أواخر رجب سنة ثمان وخمسين وستمئة ببلاد حلب ، ثم نقل الى دمشق فدفن بزاويته بسفح قاسيون بعد موته بسنتين ، وكان شافعي المذهب ، أشعري العقيدة . ولد بمشهد صفين ، ثم انتقل الى بالس وهي غربي الفرات فنشأ بها ، وألف حفيده الشيخ محمد بن عمر بن أبي بكر في مناقبه مؤلفا حسنا ، وحكى له العدوي في الزيارات كرامات كثيرة ، فمن أحبها فليراجعها فيه وفي « الطبقات الكبرى » للسبكي . قال ابن كثير : ولم يكن لهذه الزاوية وقف ولا مرتب . قال الصفدي : أوقف عليها بعض التجار بعض قرية .

أبو بكر بن قوام
٥٨٤-٦٥٨

٥

١٠

زاوية (الموصلي)

بميدان الحصى ، تنسب الى الشيخ عبد القادر الموصلي ، وتربته بها . قال العلمي بعد ذكر ما تقدم : الزاوية الأولى ، يعني زاوية أبي بكر الموصلي ، نقلتها من « طبقات ابن قاضي شهبة » ، والثانية معزوة الى التاجي ، والتتمة قرائنها من خط مولانا العلامة الشرفي ابن الجابي .

عبد القادر
الموصلي

١٥

زاوية (بميدان الحصى)

قال العلمي : توفي الشيخ الصالح أبو بكر الموصلي سنة سبع وتسعين وسبعمائة بالقدس ، وله مصنغات في التصوف ، وزاوية كبيرة بميدان الحصى ، وكان يحضر مواعيده كبار العلماء فيسمعون منه النكت الغريبة ، وعظم قدره عند السلطان برقوق الظاهر ، وكان يكتبه ويأمره بما فيه نفع للمسلمين ، وأعطاه مالا فأبى أن يقبله . انتهى ملخصا .

أبو بكر الموصلي
٧٩٧-٠٠٠

٢٠

حرف الواو

الزاوية (الوطية)

شمالي جامع جراح ، ويقال لها : زاوية المغاربة ، أوقفها الرئيس علاء الدين علي

علاء الدين ابن وطيبة

المشهور بابن وطية الموقت سنة اثنتين وثمانمائة ، وجعلها برسم المغاربة على اختلاف
أجناسهم بشرط أن لا يكون النازل بها مبتدعا ولا شريرا ، وأوقف عليها حوانيت وطباقا
حولها ، وشرط على شيخها أن لا يكون بأبواب القضاة والحكام .

حرف الياء

٥

الزاوية (اليونسية)

كانت بالشرف الشمالي غربي الوراق والعزية البرانية ، بنيت للشيخ يونس الآتي
ذكره .

الطائفة (اليونسية وشيخهم)

أقول : هذا الاسم يطلق على طائفتين : أحدهما من الشيعة وهم أتباع يونس
ابن عبد الرحمن القمي مولى آل يقطين ، ولهم اعتقاد غريب ، والثانية من الصوفية وهم
أتباع يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني المخارقي القني نسبة إلى القنية من نواحي
ماردين . ولنذكر هنا الطائفة الثانية لأنها المقصودة هنا ، ثم تتبعها بالاولى استطرادا .
فأما يونس المخارقي ، فقال الذهبي في « العبر » عنه : هو شيخ الطائفة اليونسية أولي
السطح والذعارة وقلة العقل وكثرة الجهل أبعد الله شرهم ، وكان رحمه الله صاحب حال
وكشف يحكى عنه كرامات ، وحكى له ابن خلكان حكايات يطول بنا ذكرها . ومن
شعره مواليا :

أنا حميث الحمى وأنا سكنت فيه وأنا رميت الخلائق في بحارالتيه
من كان يبغي العطا مني أنا أعطيه أنا فتى ما أداني من به تشبيه

والله :

إذا صرت سندانا فصبرا على الذي ينالك من مكروه دق الطارق
لعل الليالي أن تعيدك ضاربا فتضرب أعناق العدى بالبوارق

توفي ، كما ذكره في « الشذرات » ، سنة تسع عشرة وستمائة بقرية القنية وقد
ناهز التسعين ، وقبره مشهور هناك . وقال ابن خلكان عن الشيخ يونس هذا : تنسب

الطريقة اليونسية اليه ، ويعرفون به ، وكان رجلا صالحا ، وسألت جماعة من أصحابه عن شيخه ، فقالوا : لم يكن له شيخ وانما كان مجذوبا ، وهم يسمون من لاشيخ له بالمجذوب يريدون بذلك أنه جذب الى طريق الخير والصلاح ، ويذكرون له كرامات كثيرة . انتهى . وفيه كلام طويل . أقول : ان نقل الكرامات أصبح أمرا عسيرا لأن أصحاب الرجل يستعملون الفلو دائما ، والاخبار تحتل الصدق والكذب . وكثيرا ما أرى كرامة لرجل قد نسبها له المتأخرون ، ثم أراها بعينها في ترجمة من قبله ومن قبله . وتارة ينقل المترجم الكرامة ولا يتفطن لمناقضتها الشرع والعقل ، وأنا أضرب لك مثالا ليتضح به المرام ، وهو ما حكاه ابن خلكان وصاحب « شذرات الذهب » عن الشيخ يونس ، ذلك أن ابن خلكان قال : سألت رجلا من أصحابه عنه ، فقال : كنا مسافرين والشيخ يونس معنا ، فنزلنا في الطريق بين سنجار وعانة وهي مخوفة ، فلم يقدر واحد منا أن ينام من شدة الخوف ونام الشيخ يونس ، فلما انتبه قلنا : كيف قدرت تنام؟ فقال : والله ما نمت حتى جاء اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وتذكر القفل ، ودخلنا سالمين ببركة الشيخ يونس . فانظر أولا الى المتكلم ، ولو حملناه على محمل حسن وقلنا : انه صادق ، فهل يليق به أن يجعل سيدنا اسماعيل أو والده الخليل عليهما الصلاة والسلام حارسين عنده لينام نوما هنيئا وهما ساهران كالأجير الذي يأخذ أجرته ، ويدافع عن مال سيده؟! وهب أن الأمر صحيح ، فكيف جاز له الاتكال على غير الله سبحانه وتعالى؟! نعم ! لو قال : اني قبل نومي دعوت الله تعالى ، وفوضت أمري وأمر القافلة اليه ، كان كلامه مقبولا ! ثم ليت شعري هل ذلك الراوي صادق فيما نقله ، أو هو عدل مرضي الشهادة أم لا ، مع أن رواية الحديث لانصدقهم حتى تتحقق لنا عدالتهم ، ونعلم صدقهم؟! فكيف نجيز قبول خبر واحد مجهول الحال؟! تالله ما هذا الا هذيان ، وعدم تمكن من العلم الصحيح !

وحكى الذهبي عن الشيخ أنه كان زاهدا كبيرا الشأن ، له الأحوال والمقامات والكشف، وذكر أيضا أنه سمع شيخ الاسلام ابن تيمية ينشد للشيخ يونس بيتا ظاهره شطح والحاد ، قال : وبالجمله لم يكن الشيخ من أولي العلم ، بل كان من أولي الحال والكشف، وكان عاريا عن الفضيلة ، وكان شيخ الاسلام ابن تيمية يتوقف في أمره ، ثم أطلق لسانه فيه وفي غيره من الكبار ، والتثبت مما ينقل عن الرجل أولى .

وأما أتباعه ، فقال الذهبي : هم شر طوائف الفقراء ، ولهم أعمال تدل على الاستهتار

والانحلال قولا وفعلًا استحيي من الله ومن الناس التفوه بها ، قال : ولا يفتر مسلم
بكشف ولا بحال؛ فقد تواتر الكشف والبرهان عن الكهان والرهبان، وذلك الهام الشيطان،
أما حال أولياء الله وكراماتهم فحق ، وأخبار ابن صياد بالمغيبات حال شيطاني ، وحال
عمر بن الخطاب ، يعني لما قال : ياسارية الجبل الجبل ، وحال العلاء الحضرمي ، حال
رحماني ملكي . وكثير من المشايخ يتوقف في أمر مثل يونس والحريري وغيرهما؛ فلم
يتبين لهم من أي القسمين هم . قال الشيخ شهاب الدين ابن العماد في كتابه « الانتقاد
على طائفتي الشهود والعقاد » : لو جهلنا فسق الشاهد ولكن رأيناه يظهر الكرامات
والمشي على الماء والطيران في الهواء ، لم ينعقد النكاح به لثلاثة أوجه :

أولها أنه يجوز اظهار الكرامة على يد الكافر ؛ كما ظهرت على يد السامري في رؤيته
لفرس جبريل (١) عليه السلام ، دون بني اسرائيل ، حتى قبض قبضة من أثر الرسول
يعني اخذ من تراب موضع حافر فرسه .

الثاني ان الولي يجب عليه اخفاء الكرامة كما صرح به أبو محمد في أول كتابه في
« اللطائف والحكم » .

الثالث لو رأيت صاحب بدعة يطير في الهواء لم أقبله حتى يتوب من بدعته . ذكره
أبو نعيم في ترجمة الشافعي .

وقال الذهبي : كان أبو عمرو الدمشقي زاهد الشام يقول : فرض على الولي كتمان
الكرامات لئلا يفتتن بها. وقال أبو يزيد البسطامي : لو نظرتم الى رجل أعطي من الكرامات
حتى يرفع في الهواء ، فلا تغفروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ
الحدود وآداب الشريعة . انتهى . وحكى لنا بعض أصحابنا الثقات أنه دخل على رجل
من أهل زمننا في دمشق ليزوره مع جماعة ، وكان الرجل قد أقام في بلاد الهند أعواما،
وحمل أصحابه على جمع كتاب له في كراماته وطبعه ، قال : فلما زرناه ، وأذن لنا في
الذهاب قام لوداعنا ؛ فأصاب طرف جبهته كأسا من البلور كان موضوعا على كرسي ؛
فسقط على السجادة ثم تدحرج على البلاط ولم ينكسر ، فقال أحد أحبابه : هذه كرامة
للشيخ ! فأعجب الشيخ بكلامه وتبسم وقال : لنا مثل ذلك كثير ، يعني أن كراماته

(١) كثيرا ما تقدمت كلمة جبريل في الكلام وأصلها جبرئيل كما في « اللسان » وكأن المؤلف رحمه الله

خفف الهمز وأبدله بياء لسهولة اللفظ .

لاتحصى . فانظر الى هذه الخزعات وتدبرها بعين العقل ، واياك أن تحيد عن منهج الكتاب والسنة . وبسط هذا البحث له مجال في كتبنا .

وأما الطائفة الاولى وهي من الشيعة ، فهم أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي مولى آل يقطين ، زعم أن الملائكة تحمل العرش ، والعرش يحمل الرب تعالى ؛ اذ قد ورد في الخبر أن الملائكة تئط (١) أحيانا من عظم وطأة الباري تعالى . وهو من مشبهة الشيعة ، وقد صنف لهم كتباً في ذلك، ومقالته مشهورة في كتب الملل والنحل فلا نطيل بها.

وقد تولى الزاوية اليونسية جماعة ، منهم سيف الدين الرجيجي بن سابق بن هلال ابن يونس شيخ اليونسية ، قال ابن كثير : وكانت له حرمة كبيرة عند الدولة وعند طائفته ، وكان ضخماً الهامة جداً ، مخلوق الرأس ، توفي سنة ست وسبعمائة ، وتوفي ولده عيسى سنة خمس وسبعمائة ، ودفن بالزاوية .

زاوية (بحارة الجوبان)

بناها القاضي عبد القادر بن محمد بن عمر بن عيسى بن يوسف ابن الرجيجي ابن سابق ابن هلال ابن الشيخ يونس اليونسي الشيباني الحنبلي، ولد سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ، واشتغل بالعلم ، وتولى زاوية جده اليونسية ، وكان بالمرّة ، ثم انتقل الى الصالحية وبنى بها زاوية بحارة الجوبان ، ووقف عليها وقفا .

عبد القادر
الرجيجي
٨٥٢-٠٠٠

زاوية (ابن التتمة)

هي بميدان الحصى ، بناها ابن التتمة لسبط الموصلية ، وهو كردي شهرزوري من ذرية السلطان صلاح الدين أيوب .

ابن التتمة



(١) تئط : تصوت .

الباب الحادي عشر في التربة

المراد بالتربة هنا هي (١) التربة الخاصة التي بناها أناس ليدفنوا بها ، وجعلوا لها جهات بر وصدقات ، وليس المراد بها التربة العمومية . واني سأذكرها من غير أن أفحص بنفسي عن محالها لأن هذا لافائدة فيه بعد فناء موتها .

حرف الهمزة

التربة (الأجرية)

أبو بكر البغدادي
٣٦٠-٠٠٠

هي في العقبة مقابل باب جامع التوبة الشرقي بينها وبين الجامع الطريق ، بها قبر أبو بكر محمد بن الحسن البغدادي المحدث الثقة الضابط صاحب التصانيف والسنة ، كان حنبلياً ، وله مصنفات في مذهب أحمد منها كتاب « النصيحة » ، توفي سنة ستين وثلاثمائة .

التربة (الأتابكية)

تركان خاقون
٦٤٠-٠٠٠

بسفح قاسيون بالصالحية ، أوقفها الحجة الأتابكية امرأة الأشرف موسى صاحبة المدرسة المعروفة بالتابكية (٢) توفيت سنة أربعين وستمائة .

التربة (الأخنائية)

برهان الدين
الاحنائي
٩٥٤-٠٠٠

١٥

هي تربة القاضي برهان الدين ابراهيم بن أحمد الاخنائي الشافعي الدمشقي ، كان من العلماء الرؤساء وأحد قضاة العدل ، وكانت له ديانة ومهابة ووقار . أنشأ هذه التربة قرب جامع جراح ، توفي سنة أربع وخمسين وتسعمائة ، ودفن بها .

(١) وردت في الاصل ولا لزوم لها .

(٢) وهي المدرسة الأتابكية من المدارس الشافعية .

التربة (الأرسلائية)

هي تربة مشهورة بظاهر باب توما ، ويقال لها : تربة أبي عامر المؤدب ، وهو مدفون في القبر القبلي ، والشيخ أرسلان في القبر الأوسط ، وخادمه أبو المجد في القبر الثالث ، وكان أبو عامر هذا شيخ الشيخ أرسلان .

أبو عامر المؤدب

الشيخ أرسلان

٥

قال الشيخ عبد الرحمن البصروي في « تحفة الأنام » : هو الشيخ أرسلان بن يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد الله ، أصله من قلعة جعبر ، ثم أتى الشام وكان نشارا ، وصحب أبا عامر المؤدب ، ثم اشتهر بالصلاح والزهد ، قيل : انه كان ينشر الخشب ثم يقسم أجرته أثلاثا ؛ فيجعل ثلثا للنفقة ، وثلثا للصدقة ، وثلثا للكسوة ، وكان أولا يتعبد في مسجد صغير داخل باب توما وهو معروف الآن بمقامه ، وحفر البئر الذي هناك بيده ، وكان بيته طبقة صغيرة ، والى جانب الطبقة دكان حياكة . ثم ان نور الدين اشترى دارا مجاورة للمسجد ووسعه ، وبنى له منارة ، ووقف عليه . ثم خرج الشيخ أرسلان الى ظاهر باب توما الى مسجد خالد بن الوليد وكان هذا مكان خيمته حين فتح دمشق رضي الله عنه ، فعمر هناك مسجدا ، وأقام فيه الى أن توفي بعد الأربعين وخمسمائة . وذكره صاحب « شذرات الذهب » في جملة من توفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وقال : توفي في حدودها . وقال المناوي : توفي قبل الستمائة . وترجمه المناوي ، ونقل عن تقي الدين السبكي أنه حضر سماعا عنده فكان يطير في الهواء ، وهذا ليس بصحيح لأن السبكي لم يدركه قطعا ، وأظن أن والده لم يدركه ، فكيف يصح منه نقل المشاهدة ؟ والصحيح أن الشيخ أرسلان توفي بعد الأربعين وخمسمائة ، وكان زاهدا قدوة من اكابر مشايخ الشام ، ومن كلامه : الحسد مفتاح كل شر ، والفضب يقيمك على أقدام الذل والاعتذار ، والكريم من احتمل الأذى ولم يشك عند البلوى . وله الرسالة المشهورة التي أولها : كلك شرك خفي يا ابن آدم . وشرحها القاضي زكريا الأنصاري ، والشهاب أحمد ابن الطيبي ، وعلاء الدين بن صدقة ، والشيخ عبد الغني النابلسي . ومن نظمه :

أرسلان بن يعقوب
٥٩٩-١٠٠٠

١٠

١٥

٢٠

تحت الثرى وظلام الليل منسدل
أنت الدليل لمن حارت به الحيل

يا من علا فرأى ما في الغيوب وما
أنت الفياث لمن ضاقت مذاهبه

٢٥

انا قصدناك والآمال واثقة
فان عفوت فذو فضل وذو كرم
والكل يدعوك ملهوف ومبتهل
وان سطوت فانت الحاكم العدل
وترجمه البصروي بترجمة طويلة الله أعلم بصحتها ، وغاية قولنا فيه : انه كان من
عباد الله الصالحين .

٥ التربة (الاستدارية)

شمس الدين ابن
استاذدار
٦٢٨-٠ .

جوار تربة ابن سميرك (١) بقاسيون ، أنشأها الملقب شمس الدين ابن استاذدار
الأمير استدار (٢) ، وكان كيسا متواضعا حسن العشرة ، جوادا ، من بيت مشهورا ، مات
سنة ثمان وعشرين وستمئة (٣) ، ودفن بتربته .

التربة (الأسدية)

علي الأسدي
٦١٨-٥٥٢

١٠ هي بالجبل ، أوقفها علي بن عبد القادر القرشي الأسدي الزبيري الدمشقي ، وكان
له اعتناء بالحديث ، توفي سنة ثمان عشرة وستمئة .

التربة (الأفريدونية)

أفريدون المعجمي
٧٤٩-٠٠٠

١٥ هي تربة ، وبها دار قرآن ، شرقي جامع حسان ، خارج باب الجابية بالشارع الأعظم ،
غربي خندق سور المدينة ، قريبا منه ، ومن تربة الأمير بهادر المنصوري ، ومن تربة
الأمير فرج بن منجك ، شماليهما ، أوقفها أفريدون المعجمي وكان تاجرا كبيرا ، وأوقف
ايضا المدرسة الأفريدونية بباب الجابية ، وهي مليحة جدا ، توفي سنة تسع وأربعين
وسبعمائة .

والذي ذكره النعيمي من وقفها : المزرعة المعينية جوار العديل بالمرج ، وبستان معبد
بقرية زبدین ، وخمس قطع أراضي بقينية ، وحصة من بستان يعرف بدف الجوز

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « تميرك » ، استاذدار وكذلك في « القلائد الجوهريّة » .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « شمس الدين ابن استدار الأمير » ، وفي « القلائد » :

« استاديار » .

(٣) لم ترد كلمة ستمئة في الاصل ، وقد سقطت سهوا من المؤلف .

بالجيم بأرض أرزة ، ونصف قرية مكالة من بصرى ، وبستانان بقرية عين ثرما ، وقطع أراضي تعرف بحقول العجمي بقرية كفر بطنا ، والحصّة من قاعة الحديشي بقصر حجاج ، والحصّة من خان الطحين بباب الجابية ، ومحاكمة ابن الصلاح الغزولي جوار مدرسة الباذرائية ، وقاعة النشا تجاه التربة من الغرب ، وربيع القيسارية ، وبستان تل كفرثوثا ، وبيت بزقاق الداراني ، وبيت بزقاق حمام الزين ، وقاعة واصطبل داخل باب الفراديس بزقاق الماء ، وبيتان بحارة القصاصية ، وبيتان بقرية كفرثوثا ، وشيء من تل الشعير .

٥

التربة (الأكرية)

هي قبلي تربة بهادر ، وشرقي تربة يونس الدوادار ، خارج باب الجابية ، أوقفها أكر الفخري ، وكان مملوكا اشتراه الأمير أياس وعمره سبع سنين ، ثم صار أمير طبليخانة بالشام ونائب القلعة ، وكانت مكاتباته الى مصر لا ترد ، ثم عزل عن نيابة القلعة ، وعمر تربته عمارة حسنة ، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، ودفن بتربته .

١٥

أكر الفخري
٨٣٣-٠٠٠

التربة (الأيدمرية الأولى)

بالقرب من اليفمورية بحارة السكة بالسفح ، وهي تربة الأمير أيدمر بن عبدالله الحلبي (١) الصالح ، كان من أكابر الأمراء ، وكان الملك الظاهر يستنبيه اذا غاب ، توفي سنة سبع وستين وستمائة ، ودفن بتربته . وقال في « الذيل الشافي » : أيدمر الحلبي الصالح كان ينوب عن الملك الظاهر ببيرس بالقاهرة في أسفاره ، وكان قليل الخبرة بالأمور ، ومع ذلك كان له ثروة ، وخلف من الأموال والأموال ما يستحيا من ذكره .

١٥

أيدمر الصالح
٦٦٧-٠٠٠

التربة (الأيدمرية الثانية)

هي عند الجسر الأبيض بالخانقاه العزية ، أنشأها الأمير أيدمر عز الدين الظاهري المتقدمة ترجمته في الخانقاه العزية ، المتوفى سنة سبعمائة ، وسماها العلموي بالتربة العزية .

٢٠

أيدمر الظاهري
٧٠٠-٠٠٠

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « الحلبي » .

حرف الباء

التربة (البالجية)

حسن البالجي

١٠٠٢-١٠٠٠

- ذكر المحبي هذه التربة في ترجمة البالجي فقال : حسن باشا المعروف ببالجي المدفون بالجنيانة الحمدانية تحت قلعة دمشق على حافة نهر بردى من جهة شرقها المدرسة الأيدغمشية ، كان حسن باشا أمير صفد ، سكن الشام مدة ، ثم ولي حكومة طرابلس الشام ثم القرص ، وكان من أنصف الحكام ، توفي بالقرص سنة اثنتين بعد الألف ، وحمل منها في صندوق في محفة الى دمشق ، ودفن في تربته المذكورة وكان أنشأها في حياته ، وأوقف على التربة أربعة أجزاء تقرأ بعد الظهر . انتهى . قلت : أما الجنيانة فقد ذهبت ، وأما التربة فهي موجودة الآن عن يسار الذهاب الى الجهة الشمالية على جانب نهر بردى .
- ١٠

- قال المحبي في « سلك الدرر » في ترجمة عبد الله بن محمود العباسي المعروف بمحمود زاده ، المتوفي سنة اثنتين وأربعين وألف : تولى المذكور قضاء الشام سنة ثلاثين وألف ، وجدد من ماله بها تعمير ثلاث قباب لزوجتي النبي صلى الله عليه وسلم المدفونتين بمقبرة باب الصغير وهما أم سلمة وميمونة على قول . قلت : وذلك قول شاذ مخالف لما أطبق عليه المؤرخون من أن زوجاته لم يمت أحد منهن خارج أرض الحجاز . وأما ميمونة فقد ذكر الحافظ الباجي أنها ماتت بسرف وهو ماء معروف على أميال من مكة ، ودفنت ثمة بالاتفاق ، وكان صلى الله عليه وسلم بنى بها هناك أيضا بعد عمرة القضاء .
- وبنى على قبر أبي بن كعب خارج الباب الشرقي قبتين ويليها مسجد ، وصرف على ذلك من خالص ماله مائة ألف دينار . قال : وكان المذكور وقورا له فصاحة منطق وحسن صوت ، وهو في العفة الغاية التي لاتدرك ، وكان كريما مفرط السخاء ، وكان يحسن الى المحتاجين من الفقراء والأيتام والأرامل والمساكين ، والحاصل أنه التزم أن يصرف جميع ما حصله في أيام قضاائه بدمشق على جهات الخير ، وخرج منها مديونا .
- ١٥
- ٢٠

التربة (البدرانية الحمزية)

حمزة ابن شيخ

السلامية
٧٦٩-١٠٠٠

- بسفح قاسيون عند جامع الأفرم ، أنشأها حمزة بن موسى بن أحمد بن الحسين ابن بدران الامام العلامة الحنبلي المعروف بابن شيخ السلامة ، سمع من الحجار ، وتفقه
- ٢٥

على جماعة ، ودرس بالحنبلية وبمدرسة السلطان حسن بالقاهرة ، وأفتى ، وصنف تصانيف عديدة ، وله كتاب « الاستدراكات على كتاب الاجماع » لابن حزم ، وشرح على « احكام المجد ابن تيمية » قطعة سالحة . واختار بيع الوقف للمصلحة موافقة لابن قاضي الجبل ، وكان له اطلاع جيد ونقل مفيد على مذاهب العلماء المعتبرين ، واعتناء بنصوص الامام احمد وفتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية وله فيه اعتقاد صحيح وقبول لما يقوله ، وكان ينصره ويعادي فيه ، ووقف درسا وكتبا بتربيته بالصالحية ، وعين لذلك الشيخ زين الدين بن رجب ، توفي بالصالحية ليلة الأحد حادي عشرين ذي الحجة سنة تسع وستين وسبعمائة ، ودفن عند والده وجده عند جامع الأفرم . قاله ابن مفلح في « الطبقات » وابن العماد في « الشذرات » .

التربة (البدرية الأولى)

هي بميدان الحصى فوق خان النجيبى ، أنشأها بدر الدين محمد ابن الوزير ، كان من الأمراء المقدمين ، ولديه فضيلة وخبرة ومعرفة ، وكان حاجب ميسرة ، وتكلم في الأوقاف وفيما يتعلق بالقضاة والمدرسين بمصر ، ثم نقل الى دمشق فمات بها سنة ست عشرة وسبعمائة ، ودفن بتربيته ، وخلف مالا كثيرا .

بدر الدين ابن
الوزير
٧١٦-٠٠٠

التربة (البدرية الثانية)

مقابل الشيخ أرسلان ، وهي تربة الأمير بدر الدين حسن ، بناها سنة أربع عشرة وثمانمائة ، وكان أولا معمما ، ثم خدم المؤيد شيخ نائب طرابلس الى أن صار وزيرا بمصر ، ثم انه عادى جميع المباشرين ، فأبعده السلطان ، ثم سلمه الى الأمير أرغون شاه فعاقبه بأنواع العقوبات ، وآل أمره الى أن غمره بالبسط حتى مات سنة أربع وعشرين وثمانمائة ، ودفن في تربيته ، وكان قد بناها أيام مباشرته بدمشق ، وجعل فيها مسجدا ومكتبا للأيتام .

بدر الدين حسن
٨٢٤-٠٠٠

التربة (البرسائية الناصرية)

هي بسويقة صاروجا غربى الشامية البرانية ، أنشأها وأنشأ الجامع لصيقها

برسبای الناصري
٨٥٢-٠٠٠

الحاجب الكبير بدمشق برسبای الناصري ، ووقف عليها وقتاً جيداً جليلاً ، ثم ولي نيابة طرابلس ، ثم حلب ، ثم طلب الاقالة منها فأقيل ، وتجهز الى دمشق وهو مريض ؛ فمات في الطريق بمنزلة سراقب ، فحمل منها الى دمشق ، ودفن بتربته سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة . وقال في « الذيل الشافي » : كان المترجم مشكور السيرة ، لكنه لم يشتهر بشجاعة ولا كرم ، وقال : توفي سنة احدى وخمسين وثمانمائة .

وقال السخاوي في « الضوء اللامع » : سيباي الأشرف اينال نائب غزة ، ثم حاجب دمشق ، ثم نيابة حماة ، وهو أخو قانصوه ، مات في التجريدة . انتهى .

الأمير (صاروجا)

صارم الدين
صاروجا
٧٤٣-٠٠٠

- انا لنذكر على سبيل الاستطراد باني سوق صاروجا ، فأقول : ترجمه صاحب « شذرات الذهب » ، فقال ما حاصله : الأمير صارم الدين صاروجا بن عبد الله المظفري ، كان أميراً في أول دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون بالديار المصرية ، وكان صاحب أدب وحشمة ومعرفة ، ولما أعطى الملك الناصر تنكز امرأة غزة ، جعل صاروجا هذا آغاة له وضمه اليه ؛ فأحسن صاروجا لتنكز ودربه ، واستمر الى أن حضر الملك الناصر الكرك ؛ فاعتقله ، ثم أفرج عنه بعد عشر سنين تقريباً ، وأنعم عليه بامرأة صفد فأقام بها نحو سنتين ، ونقل الى دمشق أميراً بها بسفارة تنكز نائب الشام ، فلما وصل الى دمشق عرف له تنكز خدمته السابقة وحظي عنده ، وصارت له كلمة بدمشق ، وعمر بها عمائر مشهورة منها : السويقة التي خارج دمشق الى جهة الصالحية . ولما أمسك تنكز سنة أربعين وسبعمائة ، أمسك بسببه ، وحضر مرسوم بتكحيله ، فكحل وعمي ، ثم ورد من الغد مرسوم آخر بالعفو عنه ، ثم جهز الى بيت المقدس ، فأقام به الى أن مات في أواخر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة . هذه ترجمة باني سوق صاروجا ، وللعوام فيه تأويلات كاذبة لا أصل لها .

سوق (جقمق)

حيث أننا ذكرنا ترجمة باني سوق صاروجا فلنذكر ترجمة باني سوق جقمق . قال في « الشذرات » ما حاصله :

سيف الدين جقمق
٨٢٤-٠٠٠

جقمق كان من أبناء التركمان ، فاتفق مع بعض التجار أن يبيعه ويقسم ثمنه بينهما ففعل ؛ فتنقل في الخدم حتى تقرر دويدارا ثانيا عند الملك المؤيد قبل سلطنته ثم استمر ، وكان يتكلم بالعربية لايشك من جالس له أنه من أولاد الأحرار ، ثم استقر دويدارا كبيرا الى أن قرره الملك المؤيد في نيابة الشام ؛ فبنى السوق المعروف بسوق جقمق ، وأوقفه على المدرسة التي بناها قرب الأموي ، ثم أظهر العصيان لما مات الملك المؤيد . قال المقريري : كان سيء السيرة شديدا في دوا داريته على الناس ، حصل أموالا كثيرة ، وكان فاجرا ظلوما غشوما لا يكف عن قبيح ، قتله ططر بدمشق بعد أن صدره في أمواله في أواخر شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة ، ودفن بمدرسته لصيق الكلاسة . قال ابن تغري بردي في « الذيل » : وأصله من ممالك أرغون شاه أمير مجلس . ١٠

التربة (البزورية)

محفوظ ابن
البزوري
٦٩٤-٦٣١

يسفح قاسيون . قال النعيمي : فوق سوق القطن ، أنشأها محفوظ بن معتوق البغدادي المعروف بابن البزوري ، وأوقف عليها كتبه ، وكان تاجرا سريا ، ومحدثا ، جمع تاريخا جعله ذيل على « المنتظم في تاريخ الأمم » للحافظ ابن الجوزي ، توفي سنة أربع وتسعين وستمائة ، ودفن بها . وفي « الشذرات » ، بعد أن ذكر نحو ما تقدم : روى عن ابن القسطي ، وكان نبيلا سريا ، وهو أبو الواعظ نجم الدين . ١٥

التربة (البصية)

أمين الدين
ابن البص
٧٣١-٠٠٠

خارج باب الجابية ، جوار مسجد الذبان ، تجاه وجه المار في الطريق الى القبلة ، والمئذنة شرقيه على جانب المقبرة ، وهذا المسجد شرقي التربة الركنية المنجية . قال النعيمي : وعنده مصلى على الجنائز ، وهي تربة أمين الدين ابن البص ، وكان رجلا محبا للخير . وقال البرزالي : أنفق في وجوه الخير مائتي ألف وخمسين ألفا ، وعمر خانا بالمزيريب ، ومسجد الذبان والمئذنة والتربة وغير ذلك ، ووقف عليها الأوقاف ، وقرر الوظائف . قال : ورأيت تجاه المسجد المذكور في الدائر الحجر المنحوت الفوقاني بالعتبة (١) ما صورته بعد البسملة :

(١) كذا ورد التعبير !!

جدد عمارة هذا المسجد المبارك والمئذنة والتربة العبد الفقير الى الله تعالى الحاج عثمان بن أبي بكر بن محمد التاجر السفار غفر له . ووقف على مصالح هذا المسجد والمئذنة والتربة ، وعمارته وفرشه وتنويره ، وعلى الامام والمؤذن والقيم به : جميع المعصرة وعلوها المسجد ، والطبقتين غربية ، والطبقة من شرقي المئذنة ، والطبقة شرقي المسجد ، والطباق التي من شمالي المئذنة وشرقي الأرض التي هي قبلي المعصرة ، والدكاكين التي غربي المعصرة ، يصرف على ما نطق به كتاب وقف ذلك الثابت المحكوم به، وكان الفراغ منه سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة . وتوفي الواقف سنة احدى وثمانين وسبعمائة .

التربة (البلبانية الأولى)

- ١٠ بطريق الصالحية غربي سويقة صاروجا ، أنشأها الأمير بلبان المحمودي ، وكان أتابك عساكر دمشق في زمن المؤيد ، ثم سجن بقلعتها ، ونفي الى طرابلس ، ثم أعطي مقدمة عشرين ، ثم انتقل الى مقدمة خير منها وهي التي كان ، اقطاع الحجوبية ، والقصر منها ، والمعظمية أيضا ، وكان أمير الشاميين في غزوة قبرص، وابتنى دارا حسنة، وعمر مصنعا في غباغب ، واشترى نصف البلد من السلطان ، ووقفه عليه . وقد اختلفت نسخ التاريخ التي بيدي في تاريخ وفاته اختلافا كبيرا فتركت ذكره . قال العلموي ١٥ ما خلاصته : هذه التربة كان بقربها جنيئة، ثم أخذ سيباي أحجار وجه حائطها لمدرسته . انتهى . ثم في سنة سبع وتسعين وتسعمائة جددتها عثمان آغا الطواشي دفتردار التيمار ، وعمر بجانبها تربة حسنة ومسجدا ومكتبا وسبيل ماء يجري على الطريق ؛ فصارت هذه التربة من أحسن الأماكن بعد أن كانت خربت ودثرت ، توفي سنة ثمان وتسعين وتسعمائة ، ودفن في هذه التربة . قاله العدوي في « الزيادات على مختصر العلموي » .

قلت : وقد ذهبت الآن في خبر كان ، ولم يبق منها الا اليسير .

التربة (البلبانية الثانية)

- ٢٥ جوار مئذنة فيروز ، قرب المدرسة المسمارية الحنبلية ، وهي تربة الأمير طرنا بلبان ، وكان خازندارا بالديار المصرية ، ثم صار نائبا بصفد ، ثم حصلت له فتنة اعتقل ٧٣٤-٠٠٠ طرنا

بسببها عشر سنين ، ثم فرج عنه وصار أمير مائة مقدم ألف ، وعمر تربته ، ووقف لها مقرئين ، وجعل عندها مسجدا بامام ومؤذن ، توفي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، ودفن بتربته .

التربة (البلبانية الثالثة)

- ٥ شرقي مدرسة الخبيضية ، وقبلي حمام الجيعان ، وغربي الزنجيلية ودارالاطعمة . قال النعمي : لم أقف على ترجمة واقفها . انتهى . قلت : وكل الأماكن التي ذكرها لم نعرف منها في يومنا هذا شيئا . قال العلموي : ولعل واقفها الأمير بلبان الزردكاش ، استنابه علاء الدين طبرس في غيبته لما توجه الى أنطاكية ، وكان ديناً خيراً يحب العدل والصلاح ، توفي سنة ستين وستمائة . قاله الصفدي . وقال في « الذيل الشافي » :
١٠ كان من كبراء أمراء دمشق .

التربة (البهائية)

بالقرب من اليفمورية ، والناصرية البرانية بينهما بصالحية دمشق . قال النعمي : وهي في غاية اللطافة والحسن .

ترجمة الشهاب محمود بانيها

- ١٥ هو شهاب الدين ، ويقال له : بهاء الدين ، محمود بن سليمان بن فهد الحلبي ثم الدمشقي أبو الثناء كاتب السر . قال الذهبي : هو علامة الأدب ، وكاتب السر بدمشق ، وعلم البلاغتين . وقال الحافظ ابن رجب في « طبقاته » : تعلم الخط المنسوب ، ونسخ بالأجرة بخطه الأنيق كثيرا ، واشتغل بالفقه على الشيخ شمس الدين بن أبي عمر الحنبلي المقدسي ، وأخذ العربية عن الشيخ جمال الدين بن مابك ، ثم ترقى حاله ، وطلب الى الديار المصرية ، وصار المشار اليه في الديار الشامية والمصرية ، وكان يكتب التقاليد الكبار بلا مسودة ، وله تصانيف في الانشاء وغيره ، وحدث ، روى عنه الذهبي في « معجمه » ، وقال : وكان ديناً خيراً متعبداً ، مؤثرا للانقطاع والسكون ، حسن المجاورة ، كثير الفضائل ، توفي بدمشق ليلة السبت ثاني عشرين (١) شعبان سنة خمس وعشرين

شهاب الدين
الحلي
٧٢٥-٠٠٠

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « ثاني عشرين » .

وسبعمائة ، ودفن بتربته التي أنشأها بالقرب من اليفمورية ، وولي بعده ولده شمس الدين . ومن شعره :

يا من أضاف الى الجمال جميلا لا كنت ان طاوحت فيك عذولا
عوضتني من نار هجرك جنة فسكنت ظلا من رضاك ظليلا
ومنت حين منحتني سقما به اشييت خصرك رقة ونحولا
وسلكتني في الحب احسن مسلك لم تبق لي نحو السلو سبيلا
ولرب ليل مثل وجهك بدره ودجاه مثل مديد شعرك طولا
أرسلت لي فيه الخيال فكان لي دون الأنيس مؤانسا وخليلا
ان لم أجد للوجد فيك بمهجتي لا نال قلبي من رضاك سولا

وله في حراث : ١٠

عشقت حراثا مليحا غدا في يده المساس ما أجمله

كأنه الزهرة قد أمّته النور يراعي مطلع السنبلة
وقال ابن كثير : هو الصدر الكبير الشيخ الامام العالم العلامة ، شيخ صناعة الانشاء
وليس له فيها نظير ، وله خصائص ليست لغيره ، فقد مكث في ديوان الانشاء نحو
خمسین سنة في مصر ودمشق ، ثم عمل كتابة السر بدمشق . وقال ابن مفلح بعد أن
ذكر نحو من عبارة ابن رجب : يقال : انه لم يكن بعد القاضي الفاضل مثله (١) . ١٥

التربة (البهادر آصية) (٢)

غربي مقبرة باب الصغير ، تجاه الخندق بجانب تربة أكر الفخري ، وشمال المزار
المعروف بأويس ، قبلي الأفريدونية ، وتجاه تربة الأمير فرج بن منجك ، أنشأها الأمير
بهادر آص (٣) المنصوري . قال في « الشذرات » : كان من أمراء الألف بدمشق ، وقبته
خارج باب الجابية ، ودفن بها ، وقد نيف على السبعين ، توفي سنة ثلاثين وسبعمائة .
انتهى . وفي « الذيل الشافي » : بهادر المنصوري قلاوون ولي نيابة صفد . وقال
العلموي : كان مشهورا بالصدقة . له بر ظاهر معروف . انتهى .

(١) بعد هذا يوجد في الاصل بياض قدره أربعة أسطر .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « البهادر آصية » ، نسبة الى بهادر آص .

(٣) تقدم بيانه .

أقول : وقد رأيت هذه التربة ؛ فرايتها مبنية بالحجارة الضخمة ، وهي محاطة بالعمران من جوانبها، ومكتوب حفرا في الحجر على أحد جدرانها : المسجد المعمور والتربة المباركة المعبد ، وفي الجدار الثاني : الفقير الى الله تعالى الراجي عفو ربه بهادر الملكي ، وباقى الكتابة لم أتمكن من قراءته .

التربة (البهنسية)

٥

بسفح قاسيون ، بناها المحب البهنسي وزير الملك الأشرف سنة ثمان وعشرين وستمئة ، ثم عزله الأشرف وصادره ، ولما توفي دفن في تربته ، وكان قد أجرى عليها أوقافا جيدة دارة ، وجعل كتبه وقفا عليها .

المحب البهنسي

حرف التاء

التربة (التفروشية أو التفري برمشية)^(١)

١٠

قبلي جامع يليغا ، على حافة بردى تحت القلعة ، وبجانبها الجامع المشهور هناك ، والدمشقيون يقولون : انه احدى القاعات السبع ، أنشأها دوادار نائب الشام جقمق واسمه حسين ، وسمى نفسه تفري برمش^(٢) ، وكان أولا غلاما خياطا ، ثم خدم عند قراسنقر من ممالك الظاهر ، ثم صار دوادارا لنائب الشام جقمق ، ثم صار من امراء مصر وأخذ القلعة نيابة ، وصار نائب الغيبة ، ثم ولي أميراخور كبير ، ثم انه عصى جقمق لما تسلطن ، وجرت له أمور الى أن قتل صبورا بقلعة حلب سنة اثنتين وأربعين وثمانمئة . وقال في « الذيل الشافي » ما خلاصته : تفري برمش نائب قلعة الجبل ، ثم أميراخور ، ثم نائب حلب ، اسمه حسين بن أحمد التركماني ، ولد ببهنسا ، وقتله الملك الظاهر بحلب بعد خروجه عن طاعته ، وكان عاقلا خيرا بدياه ، متجملا في احواله ، لكنه لم يشتهر بشجاعة ولا كرم .

تفري برمش
٨٤٢-٠٠٠

١٥

٢٠

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « التفربورمشية » .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « تفري ورمش » .

التربة (التكريتية)

بسوق الصالحية بسفح قاسيون . ورأيت بخط محمد بن كنان ما صورته :

- قلت : هذه التربة هي التي على بابها السقاية ، ويقابلها مسجد صغير لايفتح ، وباب التربة صغير ، والناس يقولون : هذه تربة الشيخ الذهبي ، ولعله دفن من جملة من دفن فيها فنميت اليه ، ولعله يكون أحد بني الذهبي ولا يعلم ، عن يمين الذهاب الى الجامع الجديد ، والجهاركسية تربة في السوق غيرها ، ولو كانت هي المقابلة للجامع الجديد لذكرها ، أو التي يقابلها الخمس دكاكين الملاصقة للجامع لذكرها بهذا التحديد ، فان التي تقابل الجامع تربة أيضا وليس تربة في حيطانها دكاكين غيرها ، وما ذكر من صرف الدراهم فيما يأتي في ترجمة الباني يدل على أنها هي لأنها ليست بتربة حسنة ، بل هي تربة قبور لا تربة عمارة ، وبابها صغير نحو نصف قامة فوق حارة المقدم ، وغربي الجامع الجديد من شماله وفوقه . قلت : ومن جهة الفوق عند البئر مقابل زقاق المقدم النافذ من وسط السوق تربة زمرد في وسط دكان ، ولعل المسجد الذي في السوق لها ، وكان مكتبا ثم بطل . انتهى . وهو تدقيق لطائل تحته .

أبو البقاء
التكريتي
٦٩٨-٦٢٠

- وأما واقفها فهو أبو البقاء توبة بن علي بن مهاجر التكريتي الربيعي وزير المنصور قلاوون بدمشق ، وكان ناهضا كاملا في فنه ، وافر الحشمة والغلمان ، سكن دمشق ، وشرع في الصدقات وشراء الأملاك ليوقفها ، وكان الملك الأشرف قد بعث اليه بباقة بنفسج ، فلما شمها مات سنة ثمان وتسعين وستمائة . ويمكن أن يكون الأشرف هذا (١) وورثه الأشرف مدعيا أنه ابن عمه . وخصصوا من تركته ألف درهم فاشتروا له تربة بسوق الصالحية ، وبنيت خمس دكاكين في حيطانها . قال أبو المظفر ابن الجوزي : بلغت قيمة ما خلف صاحب كمال الدين التكريتي ثلاثمائة ألف دينار ، وأراني الأشرف ٢٠ سبحة فيها مائة حبة مثل بيض الحمام وكانت من التركة . فالتربة ليست من بناء التكريتي ولكنها بنيت له بعد موته .

التربة (التنبكميقية)

لبصيق تربة أبي ذي النون ، أنشأها أولا أمير حاج أستاذدار العثماني سنة ست

(١) كذا في الاصل ، والكلام لم يتم .

تنبك ميق
٨٢٦-٠٠٠

وعشرين وثمانمائة ، ثم اغتصبها منه تنبك ميق نائب السلطنة (١) ، ودفن بها لما توفي في هذه السنة . قال في « الذيل الشافي » : تنبك العلاني الظاهري برقوق الشهير بميق ، كان أميرا خور ، ثم ولاء المؤيد دمشق ، ثم عزل عنها وصار من جملة أمراء القاهرة ، ثم وليها ثانيا من الظاهر ططر الى أن توفي بها . انتهى . وذكر له الأسدي ترجمة سيئة ، وقال : انه هم بقتل نجم الدين بن حجي ، فأماته الله عن قريب .

التربة (التنكية)

سيف الدين تنكز

بجوار جامع تنكز ، وجوار الخانقاه العصمية ، أنشأها الأمير تنكز نائب الشام وقد مرت ترجمته عند مدرسته في دور القرآن والحديث . وقال ابن تغري بردي : تنكز الحسامي الناصري محمد بن قلاوون ، ولي نيابة دمشق ، وهو الذي عمرها بعد أن هدمها التتار ، أمسكه استاذ الملك الناصر محمد بن قلاوون وحبسه بالاسكندرية الى أن قتل بها في سنة احدى وأربعين وسبعمائة ، وخلف أموالا كثيرة ، وهو صاحب الجامع بدمشق ، وكان أصله من ممالك المنصور حسام الدين لاجين .

التربة (التوروزية)

غرس الدين
التوروزي
٨٢٥-٠٠٠

هي والجامع بها برأس الشويكة شمالي قبر عاتكة ، أنشأها الأمير غرس الدين خليل التوروزي الدستاري حاجب الحجاب بدمشق ، وهي تربة عظيمة . قال الأسدي : فرغ من بنائها سنة خمس وعشرين وثمانمائة ، وبقي فيها تتمات ، ثم أشير عليه بأن يعمل الى جانبها جامعا ، فشرع في ذلك وأتمه ، وأقيمت الجمعة فيه ، وأنشأ من شرقيها حماما كبيرا حسنا ، وآجر كل يوم بأكثر من أربعين درهما ، توفي في السنة المذكورة .

حرف الجيم

التربة (الجمالية الأسنائية القوصية)

جمال الدين
الاسنائي
٦٢٥-٥٥٧

هي بجبل قاسيون ، أنشأها عبد الرحيم بن علي بن الحسين بن شيث جمال الدين

(١) يظهر من كلام صاحب « الدارس » أنه لم يفرق بين تنبك ميق وبين أمير حاج أستاذ دار العثماني المتقدم ذكره بل اعتبرهما شخصا واحدا .

الاسنائي القوصي صاحب ديوان الانشاء للملك المعظم ، ولد بأسنا سنة سبع وخمسين وخمسائة ، ونشأ بقوص ، وتفنن بها ، وبرع في الأدب وفي العلم ، وكان ديناً ورعاً ، حسن النظم والنثر منشئاً بليغاً ، ولي الديوان بقوص ثم بالاسكندرية ثم بالقدس ، ثم كتابة الانشاء ، ويقال : صار وزيراً . قال الضياء المقدسي : كان يوصف بالكرم والمروءة والاحسان الى الناس ، ما قصده أحد في شفاعته فردّه خائباً ، وكان يمشي بنفسه مع الناس في قضاء حوائجهم ، وكان القاضي الفاضل يحتاج اليه في علم الرسائل ، وكان اماماً في فنون العلم ، توفي سنة خمس وعشرين وستمائة ، ودفن بتربته . وفي « منتخب الشذرات » ان ابا المظفر كتب اليه كتاباً يتشوق اليه به ، فأجابه بقوله :

وافي كتابك وهو الروض مبتسما عن ثغر در طغا من بحرك الطامي
وكان عندي كالماء الزلال وقد تناولته يمين الحائم الظامي
لله نعمة فضل منه رحت بها نشوان أسحب أذيالي وأكمامي

التربة (الجمالية المصرية)

براس درب الريحان من ناحية الجامع الأموي ، وهي شرقي دار القرآن التنكزية ، وشرقي الصدرية الحنبلية التي هي تجاه القليجية الحنفية من قبلي الخضراء ، ولها شباك شرقي المدرسة الصدرية ، وكانت داراً للقاضي العلامة المتفنن أبي الفرج جمال الدين يونس بن بدران القرشي الشيبني الحجازي الأصل المصري مدرس الأمانة . قال ابن الحاجب : كان يشارك في علوم كثيرة ، وولي قضاء القضاة ، واختصر كتاب « الأم » للشافعي ، وصنف كتاباً في الفرائض ، توفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، ولما توفي دفن في قاعته التي هي التربة اليوم .

١٥ جمال الدين المصري
٦٢٣-٠٠٠

٢٠ التربة (الجوكندارية)

شرقي مسجد النارج ومصلى العيدين بباب الصغير ، أنشأها الأمير صارم الدين ابراهيم بن قراسنقر الجوكندار وكان نائباً في دمشق ، ودفن بها لما توفي سنة ثلاث وعشرين أو أربع وعشرين وسبعمائة ، ودفن بها ولده محمد وكان أمير عشرة مقدم خمسين ، توفي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة .

صارم الدين
الجوكندار
٧٢٣-٠٠٠

(١) التربة (الجيعانية)

شمالي تربة مختار الطواشي ، خارج باب الجابية ، يمينة الذهاب في الطريق السلطاني ، وهي الآن قبلي الجامع الصابوني ، وتجاه تربة سنبل الطواشي . قاله النعيمي . أوقفها الأمير سيف الدين الجيعاني (٢) العادلي ، توفي سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، ودفن بها .

سيف الدين
الجيعاني
٧٥٤-٠٠٠

حرف الحاء

التربة (الحافظية)

هي والمسجد بها قبلي جسر كحيل ، وشمالي التربة القيمرية بدرج الشبلية من الصالحية ، كانت بستانا لياقوت خادم تاج الدين الكندي ، فاشترته أرغون الحافظية عشيقه الملك العادل ، وكانت عاقلة ومديرة ، جمعت أموالا عظيمة . قال ابن كثير : صادرها الصالح اسماعيل فأخذ منها أربعمئة صندوق من المال ؛ وذلك لأنها كانت تبعث بالأطعمة والثياب الى الملك المغيث عمر ابن نجم الدين أيوب وهو مسجون بالقلعة . ولما توفيت دفنت بها سنة ثمان وأربعين وستمئة ، وكانت أوقفت عليها أوقافا جيدة منها بستان بصار . وقال في « مختصر شذرات الذهب » : الحافظة أرغون (٣) العادلية عشيقه الملك العادل ، وسميت بالحافظة لتربيتها للملك الحافظ صاحب قلعة جعبر ، وكانت امرأة صالحة مدبرة . ثم ذكر مصادرتها كما تقدم ، ثم قال : ووقفت دارها التي داخل باب النصر بدمشق ، وتعرف بدار الابراهيمية ، على خدامها ، وبنت بالصالحية مدرسة تحت نهر ثورا قرب عين الكرش ، وتربة كانت بستانا للنقيب غلام التاج الكندي ؛ فاشترته منه ، وبنت ذلك ، ووقفت عليه أوقافا جيدة منها بستان بصار ، وتسمى الآن بالحافظية .

أرغون الحافظية
٦٤٨-٠٠٠

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : الجيفائية .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » نقلا عن « ذيل العبر » : « الجيفاي » .

(٣) وردت قبل بضعة أسطر تحت رسم « أرغون » ، وفي « الدارس » : « أرغوان » .

حرف الخاء

التربة (الخاتونية)

عصمة الدين
خاتون
٥٨١-٠٠٠

- على نهر يزيد بالصالحية ، قبلي المدرسة الجهاركسية ، أنشأتها عصمة الدين خاتون بنت الامير معين الدين زوجة نور الدين ثم صلاح الدين ، وهي التي أوقفت المدرسة الخاتونية بدمشق ، والخانقاه التي عند جامع تنكر ، أنشأتها سنة سبع وسبعين وخمسمائة .
- ٥ قال النعمي بعد أن ذكر التاريخ وأنه قرأه من الشباك المثل على الطريق ، قال : وقد وسع هذه التربة وجعلها جامعا سليمان بن الحسين العقيري التاجر بتولية علي ابن التدمري في سنة تسع وسبعمائة ، وسمي بالجامع الجديد . ثم أنشأ الخواجة أبو بكر ابن العيني تربة له شمالي هذه ليسلك اليها من بابين أحدهما من الجامع المذكور ، وتجاههما ايوان بمحراب وأضافه الى الجامع المذكور ، ثم أوقف عليها ولده عبد الرحمن
- ١٠ ابن العيني تربة له شمالي هذه ليسلك اليها من بابين أحدهما من الجامع المذكور ، ليلة جمعة ، وشرط في المدرس والفقهاء أن يكونوا حنفية ، وأوقف كتبه عليها ، وشرط أن تكون التولية للمفتي الحنفي بدمشق . قال العلموي : ثم في سنة خمس وسبعين وتسعمائة ألهم الله عبده الصالح محمد بن محمد المترح أن يوسع هذا الجامع ؛ فاجتهد في توسعته من جهة الغرب ، ووسعه بقدره مرتين بعد أن كان ضيقا ، فصار جامعا
- ١٥ واسعا تصلى فيه الصلوات وتقام فيه العبادات والتلاوات ، وأزال الحائط الغربي ، وجعل في هذا الذي جدده محرابا ثانيا ، ورتب فيه اماما ، ووقف عليه وقفا ، وأنفق عليه من ماله ، وساعده بعض أهل الخير . انتهى .

- وترجم الذهبي الواقعة فقال : هي عصمة الدين واقفة المدرسة التي بدمشق بمحلة حجر الذهب والخانقاه التي بظاهر دمشق يعني التي شمالي جامع تنكر ، ولما توفيت دفنت بتربتها التي تجاه قبر جركس بالجبل . وقال العماد الكاتب : كانت من أعف النساء وأعصمهن وأجلهن في الصيانة وأحزمهن ، متمسكة بالعروة الوثقى ، لها أمر نافذ ، ومعروف وصدقات ورواتب للفقراء وإدارات . وفي « الكواكب الدرية في السيرة النورية » أنها نامت ليلة من الليالي عن وردها فأصبحت وهي غضبي ، فسألها نورالدين فأخبرته ، فأمر بضرب الطبلخانة في القلعة وقت السحر ليوقظ النائم ، وكذا وقت
- ٢٥ قيام الليل ، ورتب للضارب جراية وجامكية .

تربة (الخرقى)

هي مقابل جامع جراح غربى زاوية المغاربة . قال فى « شذرات الذهب » ماملخصه؛ وفى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة توفى العلامة الثقة عمر بن الحسين البغدادى الحنبلى الخرقى صاحب « المختصر فى فقه مذهب أحمد » . وقال ابن حجر: الخرقى بكسر الخاء المعجمة نسبة الى قرية خرق وهى على برىد (١) من مرو . وفى « طبقات الحنابلة لأبى يعلى الصغير » : قرأ الخرقى على المروذى وحرب الكرمانى وصالح وعبد الله ابنى الامام أحمد ، له المصنفات الكثيرة فى المذهب لم ينتشر منها الا « المختصر فى الفقه » لأنه خرج من مدينة السلام لما اشتهر فيها سب الصحابة ، فأودع كتبه فى درب سليمان ، فاحترقت الدار التى كانت فيها ولم تكن انتشرت لبعده عن البلد .

عمر الخرقى
٣٣٤-٠٠٠

التربة (الخطابية)

بسفح قاسيون ، أنشأها عز الدين خطاب بن محمود بن مرتعش العراقى ، وكان من أهل الثروة بنى خان خطاب الذى بين الكسوة وغبغب الى ناحية كتف المصرى وهو بمرج الصفر ؛ فحصل للمسافرين راحة ، وله حمام بحكر السماق ، توفى سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، ودفن بتربته .

عز الدين خطاب
٧٢٥-٠٠٠

حرف الدال

التربة (الدهستانية)

هى بالدال المهملة ، ذكرها ابن تفرى برى فى « الذيل » فقال : ابراهيم الدهستانى الجنديوشى المعتقد توفى سنة عشرين وسبعمائة ، ودفن بزاويته المعروفة به فى دمشق .

ابراهيم الدهستانى
٧٢٠-٠٠٠

حرف الذال

التربة (الدوباجية الجيلانية) (٢)

هى بسفح قاسيون شرقى الجامع المظفرى ، وهى بديعة البناء متينة الاعمار ،

(١) مسافة يقطعها الرسول ، وهى اثنا عشر ميلا تقريبا .

(٢) كذا فى الاصل ، وفى « الدارس » و « القلائد الجوهريّة » : « الدوباجية الجيلانية » .

شمس الدين ذوباج
٧١٤-٦٦٠

- وسبب بنائها كما في « تاريخ الاسلام » و « تاريخ ابن كثير » أنه في سنة أربع عشرة وسبعمائة قدم دمشق شمس الدين ذوباج بن ملك شاه صاحب جيلان بقصد الحج فمات بقباقب من ناحية تدمر ، فأتي به الى دمشق ، واشترت له أرض بسفح قاسيون شرقي الجامع المظفري عند المكارية ، فبنيت له تربة مليحة وهي مشهورة . قال في « ذيل العبر » : هي عند قبة الرقي وهو الذي هزم التتار لما رمى قطوشاه بسهم فقتله .

حرف الراء

التربة (الرحية)

عبد الرحمن الرحبي
٧٣٥-٠٠٠

- هي بالمرّة ، أنشأها عبد الرحيم بن عبد الرحمن الرحبي ، وجعل فيها مسجدا ، ووقف عليها أوقافا كثيرة ، وجعل لها صدقات . قال البرزالي : كان رجلا جيدا أمينا ، وكان من التجار المشهورين ، وأوصى من ثلث تركته بخمسين ألف درهم ليشتري بها ولده عقارا ويوقفه على الصدقات ، توفي سنة خمس وثلاثين وسبعمائة .

التربة (الرفاعية)

عبدان الرفاعي
٩٩٤-٠٠٠

- قال في « الشذرات » : وفي سنة أربع وتسعين وتسبعمائة توفي الشيخ عثمان الرفاعي وهو مدفون بمقبرة سوق صاروجا على الطريق ، مشهور ، وكان للناس فيه اعتقاد .

التربة (الركنية)

ركن الدين
منكورس
٦٣١-٠٠٠

- تقدم الكلام عليها تبعا للمدرسة الركنية ، أنشأها الامير ركن الدين منكورس مملوك فلك الدين أخي العادل ، وكان دينا صالحا عفيفا ملازما لجامع بني أمية ، وله بقاسيون مدرسة وتربة أوقف عليها شيئا كثيرا ، وأوقف عليها وعلى مدرسته قرية جرود ، وناب في الديار المصرية للملك العادل ، توفي سنة احدى وثلاثين وستمائة .

حرف الزاي

التربة (الزاهرية)

الملك الزاهر داود

هي بقاسيون على حافة نهر يزيد ، شرقي المدرسة العمرية ، أنشأها الملك الزاهر

داود بن شيركوه صاحب حمص . ورأيت على هامش كتاب « تنبيه الطالب » بخط ابن
 كنان ما صورته : وجد في زمننا آثار العمارة وآثار مسجد عظيم بزخرفة ونقوش قريبا
 من النهر شرقي العمرية ولا أعلم في ذلك الخط غيره ، ولعله كان سابقا سكنا ، فلما
 خربت تلك البيوت خرب معها ، وعدم العلم به لكونه كالبيت لا يعلم داخله فيقع النسيان
 والغلط لتباعد المدد والدهور والفناء ، وهذا على الظن اذ لا مانع من أن يكون بقرب النهر
 مكان آخر فصار حديقة أو بستانا ، لكن هذا ظاهر في هذا الخط ، وجداره باق مقلوب ،
 وباقيه خراب . انتهى . ومنه تعلم أن هذه التربة قد انطمست آثارها من زمن بعيد ،
 والآن لم نر هناك الا دورا للسكنى وبيوتا مملوكة ، ودفن بهذه التربة الأمير الكبير تقي
 الدين ابن الواقف ، وكان محدثا ذا رأي وسؤدد وفضيلة وشكل ومهابة ، كما قاله
 الصفدي . وقال البرزالي : اختص بالأفرم وولاه أمر ديوانه وأحيانا تدبير أمره ، توفي
 سنة خمس وسبعمائة . ودفن بها أيضا مظفر الدين موسى ابن الواقف سنة ثمان
 وسبعمائة .

التربة (الزوزانية)

بميدان الحصى عند مسجد الفلوس ، أوقفها خليل بن زوزان رئيس قصر حجاج .
 قال الأسدي : مات سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وخلف من العقار والعين ما يزيد عن
 مائتي ألف دينار ، وتصدق بثلاث ماله وجعله وقفا على العلماء والقراء بتربيته . قال ابن
 كثير : وكان كيسا ذا مروءة ، له صدقات كثيرة ، وله زيادة في مقابر الصوفية من جهة
 القبلة ، ولما مات دفن بتربيته .

خليل بن زوزان
٦٢٨-٠٠٠

حرف السين

مزار (سعد بن عبادة)

هذا المزار بالقرب من قرية يقال لها : المنيحة من قرى دمشق . قال المحبي في ترجمة
 قاسم بن عبد المنان الكردي الأصل نزيل دمشق : كان ناظرا على وقف سنان باشا بالشام ،
 وأحد الكبراء الصدور ، من عتقاء سنان باشا ، وكان قد نمى وقف سنان باشا ،
 وعمر مسقفاته ، وملك دار العدل المنسوب تعميرها الى السلطان نور الدين الشهيد
 بالقرب من باب السعادة ، وعمرها عمارة متقنة ، وعمر ضريح سيدي سعد بن عبادة

قاسم الكردي
١٠٥٧-٠٠٠

الصحابي رضي الله عنه بقرية المنيحة تابع وقف السنانية ، وبنى عليه قبة لطيفة ، وأحدث الى جانبه مسجدا ، وبالجمله فقد صار من أطف المتنزهات ، توفي في شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين بعد الألف .

التربة (السلامية)

- ٥ لم يبين العلموي ولا النعيمي مكانها ، وقال الذهبي في « ذيل العبر » : في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة توفي بدمشق ، ناظر الجيش الصدر قطب الدين موسى ابن أحمد ابن شيخ السلامية عن اثنتين وسبعين سنة ، ودفن بتربة مليحة أنشأها ، وكان من رجال الدهر ، وله فضل وخبرة . انتهى . وقد كان لموسى المذكور تعلق بالشيخ براق المشهور ، ونظر في أحواله . وحيث أن الشيخ براق له شهرة وطريقة مخصوصة فلا بأس ببيان شيء من أحواله هنا ، فنقول :

١٠

الشيخ براق

- قال في « ذيل العبر » : قدم الشيخ براق العجمي من الشرق سنة سبع وسبعمائة ، وتبعه جمع نحو المائة وفي رأس كل واحد منهم قرن من اللباد يشبه قرن الجاموس ، وكل منهم متقلد بحبل كقاب بقر محناة ، وعليهم الأجراس ، وثنية كل واحد منهم مكسورة ، وهم يحلقون ذقونهم ويتركون شواربهم ، ويحملون الجواكين على اكتافهم ، ومعهم طبلخانة ، فدخلوا بهيئة غريبة يجرون بشهامة ، فنزلوا بالمنبيع .

١٥

- قال الصفدي في « تاريخه » : وكان الشيخ براق على هذه الحالة ، وكان يلزم الصلاة والتعب ، فقليل له : ما هذا الشعر ؟ فقال : أردت أن أكون به مسخرة للفقراء . قال : وعلى الجملة فقد كان هو وأتباعه على أشكال عجيبه ، حتى أنهم حاكوهم في الخيال . يعني أنزلهم أصحاب قراكوذ في الأعيابهم ، ونظم فيهم الأديب السراج أشعارا ذكرها الصفدي في « تاريخه » .

٢٠

قال الذهبي : ثم انهم زاروا القدس ، وكان شيخهم من أبناء الأربعين فيه أقدام وقوة نفس ، وكان يدق نوبة ، فأنفذ اليه الأكابر غنما ودراهم . انتهى . قال الصفدي : كان مجيء براق الى دمشق في أيام الأفرم بعد قازان ، وكان أولا مريدا لبعض الشيوخ

قطب الدين ابن
شيخ السلامية
٧٣٢-٦٦٠

في البلاد الرومية ، ولما أتى دمشق تلقاه ابن شيخ السلامية الى القابون ، وعرضه مع جماعته واستسماهم ، وحلاهم ، وعدهم ، وكتب بذلك ورقة الى السلطان . فلما أرادوا الدخول على الأفرم الى الميدان ، أرسلوا على الشيخ براق نعمة قد تعاظم أمرها فلا يكاد يقاومها أحد ، فلما عرضوه لها قصدته ، فتوجه اليها وركبها ، فطارت في الميدان قدر خمسين ذراعا ، ولما قرت قال للأفرم : أطيروا بها الى فوق مرة ثانية ؟ قال : لا ! ثم أحسن تلقيه وأكرم نزله ، فطلب التوجه الى القدس ، فأعطاه الأفرم من خزانته ألفي درهم فأبأها وأخذها جماعته ، فزار وعاد ودخل البلاد ، ومات تحت السيف صحبة قطليجا نائب غازان . ولما ظهر ذلك للقان غازان ، أحضره وسلط عليه سبعا ضاريا ، فركب على ظهره ولم ينل منه شيئا ، فأعظم ذلك غازان ونثر عليه عشرة آلاف دينار ، فراح ولم يتعرض لشيء منها ، وكان معه محتسب على جماعته يؤدب كل من ترك سنة من السنن عشرين عصا على رجليه . هذا ما اتصل بنا من أخبار هذا الرجل والله أعلم بحقيقة أمره . وقال ابن تغري بردي في « الدليل » : براق المقرئ كان له طور عجيب ، وأتباع وفقراء ، وله حكايات غريبة ، توفي سنة سبع وسبعمائة .

التربة (السنبلية العثمانية)

شرقي تربة الجيعان (١) ، وشمال تربة مختار ، أنشأها الأمير سنبل بن عبد الله الطواشي عتيق الطنيفا العثماني ، وكان قد ولي الدمامة للأمير سودون ، ونظر الجامع الأموي سنة سبع وعشرين وثمانمائة .

١٥

سنبل العثماني

التربة (السنقرية الصلاحية)

على رأس زقاق شبل الدولة عند المصنع ، أنشأها شبل الدولة . قال في «منتخب الشذرات» : في سنة عشرين وستمائة توفي الأمير مبارز الدين سنقر الصلاحي . وكان مقيما بحلب ، ثم انتقل الى ماردين ، فخاف منه الأشرف وشكى حاله للمعظم ، فخدعه ووعد به بأن يوليه ما اختار ، وجهز اليه ابنه فحضر الى الشام ، فالتقاه المعظم ولم ينصفه ، وتفرق عنه أصحابه ، فمرض من شدة غبنه ، ونزل بدار شبل الدولة بالصالحية ، ومات غنبا ؛ فقام شبل الدولة بأمره أحسن قيام ، واشترى له تربة على رأس زقاق الخانقاه

مبارز الدين سنقر

٦٢٠-٥٥٥

٢٠

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « الجيفاي » .

عند المصنع ، ودفنه بها . وكان المبارز محببا الى الناس ، ولم يكن في زمنه أكرم منه . قال النعيمي : ولا أشجع منه ، له المواقف المشهودة مع صلاح الدين وغيره ، وكانت الدنيا لاتساوي عنده قليلا ولا كثيرا ، ومات ولم يخلف شيئا .

التربة (السودونية)

- ٥ فوق المعظمية بسفح قاسيون . قاله النعيمي . ورأيت بخط ابن كنان ما صورته :
لعلها التي يقال لها : قبة صبح ؛ فانها فوق المعظمية من جهة الغرب وليس فوق المعظمية
عمارة الا هي ، ولو كانت هي من تلك الترب القريبة لقال : هي لصيق المعظمية ، فعلم
أنها المسماة بقبة صبح ، ولها بعض مدخول ، ولها قارئ يقرأ ، ومحصلها نحو العشرين
قرشا في السنة ، ولا أعلم متوليها الآن . انتهى . قال النعيمي : أنشأها سودون النوروزي
وكان اسمه بين الأمراء سودون المغربي لبخله وسوء خلقه ، وكان حاجب الحجاب وأمير
الترکمان بدمشق ، وهو من بقية جماعة الظالم الغاشم نوروز الحافظي . انتهى . قال
ابن تغري بردي في « الذيل » : سودون النوروزي حاجب حجاب دمشق أصله من
ممالك الأمير نوروز الحافظي ، وترقى في البلاد الشامية الى أن ولي ذوادرية السلطان
بحلب ثم حجوبية دمشق ، توفي بها سنة سبع وأربعين وثمانمائة تقريبا ، وكان متوسط
السيرة عفا الله عنه . وقال النعيمي : توفي سنة ثمان وأربعين وثمانمائة .

سودون
النوروزي
٨٤٨-٠٠٠

١٥

حرف الشين

التربة (الشبلية)

- تقدم الكلام عليها تبعا للمدرسة الشبلية . قال في « الشذرات » ما ملخصه : وفي
سنة ثلاث وعشرين وستمائة توفي شبل الدولة كافور الحسامي طواشي حسام الدين
محمد ولد ست الشام ، له فوق جسر ثورا من صالحية دمشق المدرسة والتربة
والخانقاه ، وأوقف عليها الأوقاف ، ونقل لها الكتب الكثيرة ، ودفن بتربته الى جانب
مدرسته .

شبل الدولة كافور
٦٢٣-٠٠٠

٢٠

التربة (الشرايشية)

مقابل جامع جراح بباب الصغير ، أنشأها علي بن المجد بن محاسن الشرايشي
التاجر السفار صاحب المدرسة الشرايشية المتقدمة في مدارس المالكية ، وكان له همة
ونهضة وتودد الى الناس ، مات سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، ودفن بها ، ودفن بها
أيضا ولده أحمد .

التربة (الشهابية)

بالصالحية . قال العلموي : لم أقف على ترجمة صاحبها . ولم يذكره النعمي أيضا
ولكنه قال : قال ابن قاضي شهاب : ولي نظرها ابن غانم الموقع وكان مسرفا على نفسه
ذميم السيرة ، توفي سنة سبع وعشرين وثمانمائة .

التربة (الشهيدية)

بباب الفرياديس ، وتنسب الى ابن الشهيد وهو مدفون بها ، ودفن بها بعده فرج
ابن برقوق لما قتل سنة خمس عشرة وثمانمائة . قال الاسحاقي في « أخبار الأول » : تولى
الملك الناصر أبو السعادات فرج بعد أبيه برقوق على مصر فأقام ست سنين وخمسة
أشهر وعشرة أيام ، ثم اختفى بعد ذلك ، فكان بعده الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق
فأقام سبعة وأربعين يوما ، وظهر الملك أبو السعادات وأمسك أخاه ، وحبس بالاسكندرية
وقتل بها ثالث عشر جمادى الأولى سنة ثمان وثمانمائة . ثم عاد الملك الناصر أبو السعادات
فرج الى السلطنة فأقام ست سنين وتسعة أشهر ، وجعله ولايته أولا وثانيا ثلاث عشرة
سنة وشهران وعشرة أيام . وكان ما كان بينه وبين جنده فقتلوه شر قتلة بدمشق ،
والقي على مزبلة وهو عريان من اللباس ، يمر به الناس وينظرون الى جسده وذلك من
أعظم العبر وأكبر المحن ، الى أن جنن الله عليه بعض الناس بعد عدة أيام فحمله وغسله
وأدرجه في كفن وواراه في التراب . انتهى . وذلك سنة خمس عشرة وثمانمائة .
وقال الشرقاوي في « تحفة الناظرين » : كان أفرس ملوك الترك بعد الأشرف خليل ،
تجهز سبع مرات للخروج للشام وتمهيدها وقهر متغلبها كالمؤيد شيخ وغيره . وفي
أيامه وصل تيمورلنك لبلاد الشام فسفك دماء المسلمين ، وسبى ذراريهم ، وأسر أمير
الشام وقتله ؛ فخرج الناصر لقتاله ، فوجده قد ترك البلاد وتوجه للروم ، فرجع الناصر
الى مصر وكثرت الفتن .

حرف الصاد

التربة (الصارمية البرغشية العادلية)

صارم الدين
برغش
٦٠٨-٠٠٠

- غربي الجامع المظفري ، بناها صارم الدين برغش العادلي نائب القلعة بدمشق ، مات سنة ثمان وستمائة . قال ابن كثير : وهو الذي نفى الحافظ عبد الغني الى مصر ، وبين يديه عقد المجلس ، وكان من جملة من قام عليه ابن الزكي والخطيب الدولي والله المجازي . قال عز الدين ابن تاج الأمناء : اجتمع الشافعية والمالكية والحنفية عند المعلم عيسى والمقدم برغش سنة ستمائة وكانا يجلسان بدار العدل للمظالم ، وأحضروا الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور الجماعيلي الحافظ الزاهد ، وادعوا عليه بأنه يعتقد اعتقاد الحنابلة ويعتقد الجهة والاستواء والحرف ، فاتفق الفقهاء على تكفيره وعلى أنه مبتدع لا يجوز أن ينزل بين المسلمين ولا يحل لولي الأمر أن يمكنه من المقام بينهم ، فسأل ١٠ أن يمهل ثلاثة أيام لينفصل عن الشام فأجيب ، ثم ارتحل الى بعلبك ، ثم سار الى مصر وبها توفي سنة ستمائة .

التربة (الصصرية)

احمد ابن صصري
٧٢٣-٠٠٠

- عند الركنية بسفح قاسيون ، دفن بها الحافظ أبو المواهب واخوه أبو الفنائم ابنا صصري . ١٥

الحافظ ابن صصري

- قال في « منتخب الشذرات » : في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة توفي قاضي القضاة احمد ابن الرئيس الكبير عماد الدين محمد بن سالم بن بهاء الدين بن هبة الله ابن محفوظ بن صصري التغلبي الربيعي الدمشقي الشافعي ، سمع الحديث من جماعة ، وقرأ بالسبع ، وجود الخط على ابن المهتار ، واتقن الأقلام السبعة ، ودرس بالأمينية ٢٠ وغيرها ، واستمر على القضاء الى أن مات ، وكان حسن الملتقى متواضعا جدا له مشاركة في فنون شتى ، وعنده حظ من الأدب والنظم ، ومن نظمه :
- | | |
|-------------------------|----------------------------|
| ومهفهب بالوصل جاد تكرما | فأعاد ليل الهجر صبحا أبلجا |
| ما زلت أثم ما حواه ثغره | حتى أعدت الورد فيه بنفسجا |
- توفي ببستانه بالسهم ، وحمل الصوفية نعشه الى الجامع المظفري ، وصلى عليه ٢٥ الشيخ برهان الدين الفزاري ، ودفن بتربته بالقرب من الركنية .

التربة (الصوابية)

غربي سفح قاسيون، وشمالى دار الحديث الناصرية، بناها بدر الحبشي الصوابي. قال ابن شقدة : كان أميرا على مائة فارس بدمشق فأقام في الأمرة نحو أربعين سنة ، وكان خيرا دينا ، معمرا ، موصوفا بالشجاعة والعقل والرأي . قال الذهبي : روى لنا عن ابن عبد الدائم، وتوفي فجأة بقرية الخيارة في جمادى الاولى يعني سنة ثمان وتسعين وستمئة . وقال ابن قاضي شهبة : فحمل بعد وفاته الى قاسيون ودفن بتربته ، وهو أول من أبطل ما كان يجبى من الحجاج في كل سنة لأجل العربان وهو على كل جمل عشرة دراهم ، أقام ذلك من ماله وأبطل الجباية وذلك سنة احدى وثمانين ، فبطل ذلك الى الآن يعني الى وقته .

بدر الدين الصوابي
٦٩٨-٠٠٠

٥

حرف الطاء

١٠

التربة (الطوغانية الناصرية)

شمالى تربة ابن المزلق ، براس الزقاق شمالى مسجد الذبان والمنارة ، غربي مقبرة الباب الصغير ، وهي تجاه تربة قصره على نهر قليط ، أنشأها الأمير طوغان الناصري وكان أميرا كبيرا بصفد ، ولما مات بها جيء به الى دمشق ، ودفن بتربته ، وأرخ العلوي وفاته سنة سبع وأربعين وثمانمئة ٨٤٧ .

١٥

حرف العين

التربة (العادلية البرانية)

غربي دار الحديث الناصرية البرانية بسفح قاسيون ، غربي الرباط الناصري ، وهي تربة مليحة ذات شبايك ومنارة ، ولها أوقاف دارة على وظائف من قراءة وأذان وإمامة ، بناها الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري المعلى ، توفي سنة اثنتين وسبعمئة في حماة ، ونقل الى دمشق فدفن في تربته هذه . قال ابن شقدة : وكان في آخر الكهولة أسمر قصيرا دقيق الصوت شجاعا قصير العنق ينطوي على دين وسلامة باطن وتواضع ، تسلطن بمصر عامين ، وخلع في مصر سنة ست وتسعين فالتجأ الى صرخد، ثم أعطي حماة فمات بها . وقاله أيضا الذهبي في « الذيل » .

الملك العادل كتبغا
٧٠٢-٠٠٠

التربة (العادلية الجوانية)

الملك العادل
ابن أيوب
٦١٥-٥٣٤

- هي بالمدرسة العادلية الكبرى تجاه المدرسة الظاهرية ، أنشأها الملك العادل أبوبكر ابن أيوب بن شاذي . قال في « منتخب الشذرات » : ولد بعلبك حال ولاية أبيه عليها ، ونشأ في خدمة نور الدين مع أبيه ، وكان أخوه صلاح الدين يستشيريه ويعتمد على رأيه وعقله ودهائه ولم يكن أحد يتقدم عليه عنده ، ثم انتقلت به الأحوال واستولى على الممالك ، وسلطن ابنه الكامل على الديار المصرية ، وابن المعظم على الشام ، وابن الأشرف على الجزيرة ، وابن الأوحى على خلاط ، وابن ابنه المسعود على اليمن . وكان ملكاً جليلاً سعيداً ، طويل العمر ، عميق الفكر بعيد الغور ، جماعاً للمال ، ذا حلم وسؤدد وبر كثير ، وكان يضرب المثل بكثرة أكله ، وله نصيب من صوم وصلاة ، ولم يكن محبباً إلى الرعية لمجيئه بعد الدولتين النورية والصلاحية ، وقد حدث عن السلفي ، وخلف سبعة عشر ابناً تسلطن منهم : الكامل والمعظم والأشرف والصلاح وشهاب الدين غازي صاحب ميافارقين ، وتوفي في سابع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة وله بضع وسبعون سنة . انتهى . وقال سبط ابن الجوزي : كان العادل خليفاً بالملك ، حسن التدبير حليماً صفوحاً ، مجاهداً ، عفيفاً متصديقاً ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر . انتهى . وقال عبد اللطيف البغدادي بعد أن أطنب في مدحه : كان له نظر في العواقب ، وحب للمال ، وحفظ في النصر على الأعداء ، كثير الأكل جداً ، كم اتخذ أعداؤه الحيلة لقتله فخابوا ، وستأتي ترجمته مفصلة في القسم السياسي .
- وممن دفن في هذه التربة يعقوب ابن الملك العادل ويلقب بالملك المعز ، كان فاضلاً ، وتوفي سنة أربع وخمسين وستمائة .

٢٠

المرسي

- وممن درس بها القاسم بن أحمد بن موفق بن جعفر المرسي اللوزقي (١) المقرئ النحوي المتكلم شيخ القراء بالشام ، ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وقرأ القراءات ، وسمع الحديث ، وكان عارفاً بالأصليين والعربية ، أقرأ واشتغل مدة ، وصنف التصانيف ، ودرس بالعزيرية نيابة ، وولي مشيخة الإقراء والنحو بالعادلية ، وشرح « الشاطبية » ، توفي في رجب سنة إحدى وستين وستمائة .

٢٥

(١) كذا في الأصل ، وفي « الدارس » : « اللوزقي » ، نسبة إلى لوزقة بلدة في الأندلس .

ابن بدران

وممن درس بها محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران . قال الذهبي في «معجمه» :
هو الشيخ العلامة قاضي القضاة علم الدين ابن القاضي شمس الدين السعدي الاخنائي
المصري قاضي دمشق ، ولد سنة أربع وستين وستمائة بالقاهرة ، وسمع الكثير ، وأخذ
عن الدمياطي وغيره ، ولي القضاء بالاسكندرية ثم بدمشق ، وكان من العلماء النبلاء
وقضاة السداد ، وقد شرع في تفسير القرآن ، وشرح جملة من « صحيح البخاري » ،
وكان أحد الأذكياء ، وكان يبالغ في الاحتجاب عن الحاجات فتتعطل أمور كثيرة . وقال
ابن كثير : كان عفيفا نزها ، كثير العبادة ، محبا للفضائل ومعتظا لأهلها ، كثير الاسماع
للحديث بالمدرسة العادلية ، خيرا جيدا ، توفي سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ، ودفن
بسفح قاسيون بتربة العادل كتبغا .

التربة (العديمية)

عند زاوية الحريري غربي الزيتون على الشرف القبلي . كذا قاله العليمي (١) .
وزاوية الحريري أذهبها الزمان كما أذهب الحريري وشيعته ، أنشأها مجد الدين عبد
الرحمن بن عمر المعروف بابن العديم الحلبي ، وكان عالما بمذهب أبي حنيفة ، عارفا
بالأدب ، وهو أول حنفي درس بالظاهرية من حينما بناها الظاهر بيبرس بالقاهرة ، ولي
قضاء الشام ، وانتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر والشام ، ولد سنة ثلاث عشرة وستمائة ،
ومات في ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وستمائة . قاله السيوطي في « حسن
المحاضرة » . وقال ابن كثير : كان رئيسا وابن رئيس ، له كرم أخلاق . انتهى . وأما
والده عمر فهو صاحب « التاريخ » ، وهو كما قال السيوطي وصاحب « الشذرات » :
في ثلاثين مجلدا ، توفي سنة ستين وستمائة .

ابن العديم الحلبي
٦١٣-٦٧٧

(٢) التربة (الغزلية)

قال في « الشذرات » ما ملخصه : وفي سنة تسع عشرة وسبعمائة توفي سيف
الدين عزلو الأمير الكبير العادلي الذي استنابه أستاذه العادل كتبغا على دمشق في آخر

(١) كذا في الاصل ، وقد ذكر هذا النعيمي في « الدارس » .

(٢) سيأتي بيان هذه التربة تحت اسم « الغزلية » .

سنة خمس وتسعين وستمائة ، وكان أحد الشجعان العقلاء ، وله تربة مليحة بقاسيون ،
توفي بدمشق ودفن بها .

(العزبة) ومسجد الحلبي

ابن وداعة الحلبي
٦٦٦-٠٠٠

- ٥ هما بسفح قاسيون ، أنشأهما عبد العزيز بن منصور الشهير بابن وداعة الحلبي .
قال الصلاح الصفدي في « تاريخه » : كان يظهر النسك والدين ، ويقتصد في ملبسه
وأموره ، ولاء الناصر مشد الدواوين في دمشق وكان يعتمد عليه ، فلما تسلطن
الظاهر ولاء وزارة الشام ، فلما ولي النجيب نيابة السلطنة حصل بينه وبين المترجم وحشة
لأن النجيب كان سيئا ؛ فكتب ابن وداعة الى السلطان يطلب منه مشدا تركيا لظنه
انه يكون في حكمه ويتخلص من النجيب ، ف وقعت أمور آل أمرها الى مصادرة ابن
وداعة ، فصور وبيعت أملاكه ، وعصر وجرم بقاعة المشد ، وباع موجوده وأملاكه التي
١٠ كان وقفها وحل عنها ، ثم طلب الى مصر فذهب اليها مثقلا ، ومات بها سنة ست وستين
وستمائة .

التربة (العزبة الأيبكية الحموية)

عز الدين أيبك
٧٠٣-٠٠٠

- ١٥ بالسفح غربي زاوية ابن قوام ، أنشأها الأمير عز الدين أيبك الحموي نائب دمشق
ثم صرخد ثم حمص ، توفي سنة ثلاث وسبعمائة ، ودفن بتربته هذه ، واليه ينسب
حمام الحموي بمسجد القصب .

(١) التربة (العقيبيية)

زين الدين العقيبي
٩٥١-٠٠٠

- ٢٠ قال في « الشذرات » : وفي سنة إحدى وخمسين وتسعمائة توفي الشيخ زين
الدين عمر العقيبي العارف المسلك الحموي الأصل الدمشقي ، كان في بدايته أسكافا
يصنع النعال الحمر ، ثم صحب الشيخ علوان وبقي على حرفته ، غير أنه كان ملازما
للذكر والصمت ، ثم غلبت عليه الأحوال فترك الحرفة ، وأقبل على المجاهدات ، ولزم
خدمة أستاذه الشيخ علوان حتى أمره أن يذهب الى دمشق ويرشد الناس ، فذهب
اليها ، ولزمه الشيخ محمد الزغبى المجذوب ، وكان عيسى باشا كافل دمشق من جملة

(١) كذا في الاصل ، والاصح أن يقال العقيبيية نسبة الى العقيبي .

المعتقدين به وأخذ عنه الطريق ، توفي المترجم في السنة المذكورة ، ودفن بزاويته بمحلة العقيبة .

التربة (العلائية الأميرية)

هي بمقبرة الصوفية ، وقد درست هذه المقبرة بأجمعها ، بناها الأمير علي نائب الشام ليدفن بها ، فلم يتهيا له ذلك لأنه مات بمصر سنة احدى وثلاثين وثمانمائة ، ودفن بها سيف الدين أركماس المؤيدي .

الأمير علي
٨٣١-٠٠٠ هـ

التربة (العمادية)

شمالي تربة جركس بقاسيون ، أنشأها العماد الكاتب المشهور وتقدمت ترجمته ، وهي أول تربة بنيت بالجبل ، واسمه مكتوب على بابها .

العماد الكاتب

حرف الفين

١٠

التربة (الفزلية)

هي بقاسيون ، أوقفها سيف الدين غزلو^(١) الأمير الكبير العادلي ، استنابه استاذ العادل كتبغا على دمشق في آخر سنة خمس وتسعين وستمائة ، وكان أحد الشجعان العقلاء . قاله ابن شقدة ، قال : وله تربة مليحة بقاسيون ، توفي بدمشق سنة تسع عشرة وسبعمائة ، ودفن بتربته .

سيف الدين غزلو
٧١٩-٠٠٠ هـ

١٥

حرف القاف

التربة (القابائية)^(٢)

قبلي تربة يونس الدوادار ولصيقتها ، عمرها قان باي البهلوان نائب صفد ثم حماة ثم حلب ، توفي سنة احدى وخمسين وثمانمائة ، ودفن بها .

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « غرلية » ، نسبة الى غزلو .

(٢) أضاف النعيمي الى ذلك : « البهلوانية » .

تربة (بمسجد القدم)

ابن عماكر
٦١٠-٠٠٠

دفن فيها تاج الأمناء أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر من بيت الحديث والرواية ، توفي سنة عشر وستمائة ، ودفن قبلي محراب مسجد القدم . وفي سنة عشرين وستمائة دفن بها أبو البركات ابن المزار مجدد مسجد القدم .

التربة (القراجية الصلاحية الأولى)

قراجا الصلاحي
٦٠٤-٠٠٠

هي على جادة الطريق عند تربة ابن ميرك بالسفح ، ولها قبة ، وهي الآن في حارة الأكراد على الجادة شرقي مدرسة الصاحبة يفصل بينهما الطريق . بناها الأمير قراجا الصلاحي صاحب صرخد ، توفي سنة أربع وستمائة .

التربة (القراجية الثانية)

الأمير قراجا
٧٠٣-٠٠٠

١٠ بميدان الحصى عند النهر ، بناها الأمير قراجا أستاذدار الأفرم ، توفي سنة ثلاث وسبعمائة ، ودفن بها .

التربة (القطلوبكية)

قطلوبك الشنكير

شمالي باب الفراديس ، وهي تربة الأمير قطلوبك الشنكير الرومي ، كان من أكابر الأمراء ، ولي الحجوبة في بعض الأوقات ، وعمر القناة بالقدس .

التربة (القطينية)

أحمد ابن القطينة
٧٢٣-٠٠٠

كانت بطريق القابون . قال ابن كثير : هي بباب البستان المسمى بالموقع عند جسر ثورا ، وهي تربة هائلة بناها كبير الممولين بدمشق أحمد بن محمد ابن القطينة الزراعي وكان تاجرا ، توفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ، ودفن بها . وفي « شذرات الذهب » أنه بنى مدرسة بزورع .

التربة (القمارية)

قاري خاتون
٦٩٤-٠٠٠

بسفح قاسيون ، وهي تربة قماري خاتون بنت حسام الدين بن ضياء الدين أبي الفوارس القيمري ، ووقفت عليها الخان الذي كان لها بمسجد القصب ، توفيت سنة أربع وتسعين وستمائة .

التربة (القيمرية)

بسفح قاسيون بحارة البيمارستان القيمري ، وهي تجاهه ، ولها قبة ، أنشأها هي والبيمارستان يوسف بن موسك القيمري الكردي ، وكان من اكبر أمراء القيامة بحيث كانوا يقفون بين يديه ويعاملونه معاملة الملوك ، وكان من الأبطال ، ذا مال كثير وثروة ، توفي سنة ثلاث أو أربع وخمسين وستمئة .

حرف الكاف

التربة (الكاملية البرانية)

هي بالجبل تحت الكهف المسمى بكهف جبريل بالقرب من المدرسة العظيمة ، لم يعلم أمرها سوى أنه ولي مشيختها محمد بن ابراهيم بن غنائم بن واقد المهندس (١) الصالحي الحنفي ، اعتنى بالحديث ، ونسخ « تهذيب الكمال » مرتين ، مع الدين والتواضع ومعرفة الشروط ، وتوفي في شوال سنة ثلاث وثلاثين وسبعمئة ، ودفن بتربة والده بالقرب من العظيمة .

التربة (الكاملية الجوانية)

شرقي الخانقاه السميصاطية ، وهي الآن موجودة ، ولها باب الى جامع بني امية . قال عز الدين الانصاري الحلبي : ان الكامل لما ملك دمشق ، عمدت بناته الثلاث الى أماكن في جوار باب الناطفانيين فاشتريتها وعمرنها تربة مفتوحة الشبابيك الى الجامع ، وبها قراء .

الملك الكامل

هو الملك ناصر الدين محمد ابن العادل ابي بكر محمد بن ايوب ، ولد سنة ست وسبعين وخمسمئة ، وتملك الديار المصرية ، تحت جناح والده عشرين سنة وبعده عشرين سنة ، وتملك دمشق قبل موته بشهرين ، وتملك حران وآمد وتلك الديار ، وله مواقف مشهودة ، وكان معظما للسنة وأهلها ، محبا لمجالسة العلماء ، فيه عدل وكرم

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « واقد بن المهندس » .

وحياء ، وله هيبة شديدة ، ومن عدله أنه شنع جماعة من أجناده في أكيال شعير اغتصبوه . قاله في « العبر » . وترجمه ابن خلكان بترجمة مطولة ، فقال بعد الشناء عليه : بنى بالقاهرة دار حديث ، ورتب لها وقفا جيدا ، وبنى قبة عظيمة على قبر الامام الشافعي ، وملك دمشق سنة ست وعشرين وستمائة ، ثم أعطاها لأخيه الأشرف وأخذ بدلها حران والرها وسروج والركة ورأس عين ، توفي سنة خمس وثلاثين وستمائة ، ودفن بقلعة دمشق .

قال ابن الأهدب : وللکامل هفوة جرت منه وذلك أنه سلم مرة بيت المقدس الى الفرنجة اختياراً . وأورد له صاحب « تحفة الألباب » من الشعر قوله :

إذا تحققت ما عند عبدكمو من الغرام فذاك القدر يكفيه
أنتم سلكتم بقلبي وهو منزلکم وصاحب البيت أدري بالذي فيه

التربة (الكركية الاياسية الفخرية)

فخر الدين الكركي
٨٢٤-٠٠٠

بطريق الصالحية عند حمام الورد ، أنشأها فخر الدين اياس الكركي الحاجب ، وكان رجلا لطيفا يأخذ أموره كلها بالأضحوكة ، وكانت وطأته على الناس خفيفة ، ويداري العرب في طريق الحجاز ، تولى امرة الحج مرارا فأرضى الناس ، توفي سنة أربع وثلاثين وثمانمائة .

قال النعمي : وفرغ من انشائها سنة ثمان وعشرين وثمانمائة كما هو مرسوم عقب ذكر وقفها بالواجهة الحجر فوق الشباكين ، وأبوابها تفتح الى جهة الغرب ، وقد أحكم بناءها فجعلها قبوا مكيئا ، وله فيها فسقيتان ، وعلى هذا البناء الروح . انتهى .

التربة (الكروسية)

جمال الدين ابن
كروس
٦٤١-٠٠٠

داخل دمشق ، أوقفها محمد بن عقيل بن كروس محتسب دمشق ، وكان كيسا متواضعا صدرا رئيسا ، ودفن بها سنة احدى وأربعين وستمائة .

التربة (الكندية)

بسفح قاسيون تحت كهف جبريل ، وهي تربة العلامة أبي اليمن الكندي ، ترجمه

الصفدي في « تاريخه » ، وتقدم ذكره في مدرسة التاجية الحنفية . وفي « منتخب الشذرات » : هو زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن البغدادي المقرئ النحوي اللغوي شيخ الحنفية والقراء والنحاة بالشام ومسند العصر ، ولد سنة عشرين وخمسمائة ، وأكمل القراءات العشر وله عشرة أعوام ، اعتنى به سبط الخياط فأقرأه وحرص عليه ، وقرأ بالروايات على جماعة ، واتفق العربية ، وقال الشعر الجيد ، ونال الجاه الوافر فان الملك المعظم كان مديما للاشتغال عليه وكان ينزل اليه من القلعة ، توفي سنة ثلاث عشرة وستمائة . قاله في « العبر » بتلخيص . ومن شعره :

تمنيت في عصر الشبيبة انني	أعمر والأعمار لاشك ارزاق
فلما اتاني ما تمنيت ساءني	من العمر قد كنت أهوى واشتاق
وها أنا في احدى وتسعين حجة	لها في ارعاد مخوف وابراق
يقولون : ترياق لمثلك نافع	ومالي الا رحمة الله ترياق

التربة (الكوكبية)

أمام محكمة الباب قبلي المدرسة النورية ، وهي تربة عظيمة ، والناس يسمونها زاوية النحلاوي وهو خطأ ، بل هي تربة الست ستيتة بنت الأمير كوكباي زوجة نائب الشام الأمير تنكر . وقرأت كتابة بالحجر فوق باب تلك التربة الهائل مالفظه بعد البسملة :

ستيتة بنت
كوكباي
٧٣٠-١٠٠٠

أمر بإنشاء هذه التربة المباركة المقر الأشرفي العالي المولوي الأميري الكبير الغازي المجاهدي الملكي المخدومي السيفي سيف الدنيا والدين تنكر بدر السلطنة المعظم بالشام المحروسة عز نصره ، وكان الفراغ في شهر ذي الحجة سنة ثلاثين وسبعمائة . ١٥ هـ

وعرفها النعيمي بأنها عند باب الخواصين ، وغربي الطيبة ، وقبلي النورية الكبرى ، وبها مسجد ، ورباط النساء المسمى بالغمري الى جانبها ، وبها مكتب للأيتام وبروصلات وقراء كل ذلك أمرت به الواقعة . قاله ابن كثير . قلت : أما الباب والقبة والرباط الى جانبها فباقية ، والباقي انتحله المنتحلون فجعلوه بيوتا للسكنى أسوة بباقي المساجد والمدارس . وكانت وفاة الست ستيتة سنة ثلاثين وسبعمائة . ٢٠ هـ

حرف الميم

التربة (المؤيدية الشيخية)

كانت على الشرف الشمالي فوق المدرسة العزية ، دفنت بها مستولدة السلطان المؤيد شيخ سنة عشرين وثمانمائة ، ووقف عليها ابراهيم ابن الملك المؤيد وقفا ، ورتب لها أربعة من القراء .

٥

التربة (المؤيدية الصوفية)

لم نعلم من شأنها الا أن النعيمي وغيره قالوا : دفن بها مؤيد الدولة ابن الصوفي وزير أبق صاحب دمشق . قال الذهبي : وكان ظالما غشوما فسر الناس بموته ، توفي سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، ودفن بتربته هذه .

مؤيد الدولة
ابن الصوفي
٥٤٩-٠٠٠

التربة (الحمديّة)

هي التربة الحمديّة الأمينية الأنصارية العيشية ، شمالي الجامع المظفري بسفح قاسيون ، أنشأها الشيخ الأمين محمد بن أحمد بن ابراهيم بن أبي العيش الأنصاري الدمشقي ، توفي سنة أربع وثلاثين وستمائة ، ودفن بها ، وكان تاجرا فيه خير ودين ، وأسمع « صحيح البخاري » ، وعمر تحت الربوة مسجدا وبيوتا للطهارة وانتفع الناس بذلك ، وتكلم على جامع النيرب ، ووقف فيه ميعادا لاسماع الحديث .

١٠

محمد ابن أبي العيش
٦٣٤-٠٠٠

١٥

التربة (المختارية الطواشية)

أنشأها الطواشي ظهير الدين مختار الخاندار أحد الأمراء الكبار ، كان خيرا دينا يحفظ القرآن ويؤديه بصوت حسن ، وعليه وقار ، حسن الشكل والهيئة ، أوقف هذه التربة وهي خارج باب الجابية قبلي الصابونية الآن ، وقد آلت الآن الى الخراب ، وهو أول من عمر من التراب بذلك الخط ، ووقف عليها القريتين ، وبنى بها مسجدا حسنا ، ورتب له اماما ، ووقف مكتبا للأيتام على باب قلعة دمشق ، ورتب لهم الكسوة والنفقة ، وكان يمتحنهم بنفسه ويفرح بهم ، ولما مات دفن بتربته ، ولم يؤرخ النعيمي وفاته ولا العلموي .

ظهير الدين مختار

٢٠

التربة (المراغية)

دخل دمشق بالصاغة العتيقة في داخل زاوية الشيخ سراج الدين ، دفن بها الشيخ بهاء الدين بن عبد الرحمن بن عبد الولي الأحميني المراغي المصري ثم الدمشقي، وكان بارعا في المعقولات ، وأخذ عن القونوي ، وألف كتاب « المنقذ من الزلل في القول والعمل » ، توفي سنة أربع وستين وسبعمائة .

بهاء الدين المراغي
٧٦٤-٠٠٠

التربة (المزلقية)

بطرف مقابر باب الصغير الآخذ الى الصابونية عند باب مسجد الذبان ، أنشأها رأس الخواجكية محمد بن علي بن أبي بكر المعروف بابن المزلق ، وكان من أهل الثروة أنشأ بطريق مصر الى الشام خانات عظيمة بالقنيطرة وجسر يعقوب والمنية وعيون التجار، وأنفق على عمارتها ما يزيد عن مائة ألف دينار ، وبهذه الخانات مياه وهي في غاية الحسن ، ولم يسبقه أحد من الملوك الذين قبله والخلفاء الى مثل هذا العمل ، وهو صاحب المآثر الحسنة بدرب الحجاز ، ووقف على سكان الحرمين الشريفين الأوقاف الكثيرة الحسنة ، وعين للحجرة الشريفة النبوية الشمع والزيت في كل عام ، وكان يكاتب الملوك فيقضون له حوائجه ، وكلمته نافذة عندهم ، وكانت الأعراب تراعيه وتحفظ متاجره ، توفي سنة ثمان وأربعين وثمانمائة ، ودفن بتربيته هذه ، وكان قد وقف جميع أملاكه . قال العلموي : وكان أبوه لبانا ، ملبنته عند جامع يلبغا ، وإلى الآن ، يعني الى زمنه ، ذريته يطالبون بحكر بقعتها بجنيينة كانت هناك . ثم ان ابن المترجم سافر الى الهند مرارا فربح في مرة منها مائة ألف دينار وثمانمائة ألف درهم . والمزلق بضم الميم وفتح الزاي وتشديد اللام مكسورة .

محمد ابن المزلق
٨٤٨-٧٥٤

تربة (المسجف)

هي بالمزة . قال الذهبي : هو عبد الرحمن بن أبي القاسم بن غنائم بن يوسف الأديب الكناني العسقلاني ابن المسجف الشاعر ، توفي في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وستمائة ، ودفن عند ولده بالمزة ، وكان أدبيا شاعرا طريفا خليعا ، وكانت له رسوم على الملوك ، وأكثر شعره في الهجو سلك به طريقة ابن عنين .

عبد الرحمن ابن
المسجف
٦٣٥-٠٠٠

التربة (المعظمية)

الملك المعظم
عيسى
٦٢٤-٥٧٦

هي بالصالحية ، دفن بها الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن العادل المتوفى سنة أربع وعشرين وستمائة ، وبها قبور جماعة من اخوته وأهل بيته .

التربة (الملكية الأشرفية)

الملك الأشرف
موسى
٦٣٥-٥٧٦

- ٥ هي شمالي الكلاسة ، لها شبابيك الى الطريق والى الكلاسة ، ولم يبق منها الآن الا قبعتها ، عمرت للملك الأشرف موسى ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب ؛ وكان له مآثر وهفوات ، وفي أيامه نادى أن لا يشتغل الفقهاء بغير الحديث والتفسير والفقه ومن اشتغل بالمنطق وعلم الأوائل نفي ، والظاهر أن هذا هو الذي حمل ابن الصلاح على القول بتحريم المنطق ولم نعلم له مستندا في ذلك الا أنه لم يعلمه . وكتب الأصول في زمنه كانت مشحونة بالمنطق ، بل كتب ابن الصلاح نفسه لاتخلو من التطبيق على قواعده وإن كان ذلك أتى منه بطريق المصادفة . ومن مآثر الملك الأشرف مدرسة دار الحديث التي بالعصرونية ، ومدرسته التي بالصالحية ، وعمارة جامع التوبة ، ومسجد القصب ، ومسجد دار السعادة المسمى الآن جامع السرايا ، وجامع جراح ، وسبل المقبرة غربي خانقاه عمر شاه بالقنوات ، وجدد مسجد أبي الدرداء الذي بالقلعة ، توفي سنة خمس وثلاثين وستمائة .
- ١٥

التربة (المنكبائية)

سيف الدين منكباي
٨٢٣-٠٠٠

- ٢٠ تجاه باب المصلى ، أنشأها الأمير سيف الدين منكباي الازدمري ، وكان خيرا قوي النفس حسن الشكل ، وينسب الى شجاعة ، صار أمير طبلخانة ، ثم حاجب الحجاب ، وجرت له أمور فتنقلت به الأحوال ، توفي سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة بحماة لأنه كان نائبا بها ، ثم نقل الى تربته .

حرف النون

التربة (الناصرية)

الملك الناصر
صلاح الدين
٦٢٧-٦٥٩

بجبل الصالحية ، أوقفها الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن العزيز محمد ابن الظاهر غازي بن صلاح الدين ، تسلطن سنة أربع وثلاثين وستمائة وعمره سبع سنين ،

وذبر مملكته الوزير لولو ، ولما بلغ رشده استقل بالأمر ، ومن آثاره المدرسة الناصرية المتقدمة ، وبنى بالصالحية رباطا وتربة ومدرسة وكانت عمارة عظيمة احضر لها من الرخام والاحجار شيئا كثيرا ، ونهر يزيد يمر بها ، توفي سنة تسع وخمسين وستمائة .

التربة (النجمية)

جوار الحسامية البرانية والشامية ، بها قبر شاهنشاه والد فروخ شاه ، وتقي الدين عمر ، والست عذراء ، والملك منصور حسن ابن السلطان صلاح الدين ، وفتح الدين ابن اسد الدين شيركوه توفي سنة احدى وستين وخمسمائة ، ودفن بها الملك المنصور حسن ابن السلطان صلاح الدين سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

التربة (النشائية)

غربي الروضة بسفح قاسيون ، انشأها عماد الدين حسن بن علي ابن النشائي ، وكان أمير طبلخانة ، توفي سنة خمس وتسعين وستمائة (١) ، ودفن بها .

١٥ عماد الدين
ابن النشائي
٦٩٥-٠٠٠

حرف الهاء

التربة (الهولية)

هي قبلي دمشق خارج الميدان الفوقاني ، مزخرفة البناء واسعة ، أنشئت لهولو باشا الشهير بابن العابد ، كان والده من العرب الموالي ، ثم دخل دمشق وانخرط في الجندية ، ثم تلاه ولده هولو فتولى مناصب تمول منها ، وكان ذا سيرة استبدادية ، ولما مات سنة (٢) عمرت له هذه التربة ودفن بها .

هولو ابن العابد

١٥

وقد وقف بنا عنان القلم هنا عن تراجم التربة التي لافائدة منها سوى ذكر أصحابها، وربما توجد تربة كثيرة لم ندر تراجم أصحابها ، والمطالع يعذرنا في تركها (٣) .

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : تسع وتسعين وستمائة .

(٢) لم يذكر المؤلف سنة وفاة هولو باشا بل ترك مكانها بياضا .

(٣) كان هذا بحسب ترتيب المؤلف ، فلما رتبنا التربة بحسب التسلسل الابجدي أصبح هذا الكلام

غير وارد .

خرف الياء

التربة (اليونسية)

بباب الصغير غربي المزار المعروف بأوس بن أوس الصحابي الخزرجي لا القرلي كما يزعم بعض الناس ، أنشأها الأمير يونس خازندار ملك الأمراء سودون .

التربة (اليونسية الدوادية)

وتعرف أيضا بتربة مقبل ، قبلي تربة فرج بن منجك التي غربي تربة بهادر ، وشمال تربة قايتباي ، وغربي تربة أكر ، دفن بها جماعة ، منهم : الأمير سيف الدين حكم أمير طبلخانة توفي سنة ٨٣٦ ست وثلاثين وثمانمائة ، وأبو يزيد الناصري رأس نوبة توفي سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ، وزين الدين مقبل .

- ١٠ قال العلموي : وفي دمشق والصالحية ترب كثيرة لم يذكرها في الأصل يعني في «تنبيه الطالب وإرشاد الدارس» ، ولم يذكرها «المختصر» تبعاً له ، ولم يعلم السبب الداعي إلى ذلك مع شهرتها ولعله مجرد اختصار ، ولو ذيل عليه بقلت لكان أتم فائدة . انتهى .
- واقول : أنا لطول الزمن وبعد العهد بها وانطماس آثارها لم نقدر على سبرها وضبطها ثم ذكرها ؛ فلذلك اكتفينا بما تقدم ، على أن أكثر ما ذكره لم يبق له أثر ، وقد ذكر النعيمي تربة واحدة بعد ذلك ، فقال (١) .

١٥



(١) هي تربة مسجد القدم التي أدرجناها بحسب التسلسل الأبجدي تحت حرف القاف .

الباب الثاني عشر فيما اشتهر من الجوامع

أقول: لا يوجد في بلاد الاسلام مدينة أكثر جوامع ومساجد من دمشق حتى أنها أفردت بالتأليف ، فذكر الحافظ ابن عساكر في أوائل « تاريخه » عددا عظيما منها ، ثم تلاه ابن شداد فزاد عليه عددا وافرا ، ثم تلاهما النعمي فذكر في آخر كتابه « تنبيه الطالب وارشاد الدارس » جميع ما أوردها وزاد عليهما ، ثم جاء بعدهم يوسف بن عبد الهادي الشهير بابن المبرد فجمع كتابا سماه « ثمار المقاصد في ذكر المساجد » فزاد عليهم وأربى ، ثم قال : ان المتروك الذي لم نذكره نحن ولا ابن شداد أكثر من خمسمائة مسجد في البلد وما حولها وفي القرى ، فناهيك ببلدة تحتوي على ألف وخمسمائة مسجد فله درها ! وانما ذكرنا ما هو بواديتها فقط ، وأما ما هو محيط بمعاملتها مما وزاء جبالها فشيء كثير جدا . انتهى .

وقال ابن شداد : وكثرة تلك المساجد تدل على اهتمام أهلها بالدين ، وكثرة المصلين فيها والمتعبدين . انتهى .

وقد أوردت جميع مذكروه في كتابنا « منتخب النفائس من كتاب تحفة الطالب وارشاد الدارس » وفي كتابنا « تهذيب تاريخ دمشق » الذي ألفه الحافظ أبو القاسم علي بن عساكر الدمشقي . وقد كنت أردت أن أوردها هنا ، فتأخرت لأنني رأيت أنه لاطائل في ذكرها لأن غالبها قد اندرس ، ولأن المترجمين لها لم يذكروا بناتها ، وعرفوها بأمكنة تغيرت أسماؤها فتراهم يقولون : مسجد في زقاق صفوان سفلى لطيف ، مسجد عند حمام ابن أبي المطر بناه ابن أبي فيروز ، مسجد الأزرقى مقابل دار ابن البري وهكذا ، وهذا كان في زمن ابن شداد في عصر الستمائة ، ونحن الآن من أين لنا معرفة بزقاق صفوان وبدار ابن البري بعد مضي سبعمائة سنة ؟ فمن ثم اقتصرنا على ذكر ما اشتهر منها وعرف بانيه ، وأضربنا عن الباقي ، وأخرنا الكلام على الجامع الأموي لطول الكلام عليه **فقلنا :** (١)

(١) على الرغم من أن المؤلف قد أصر الجامع الأموي إلا أننا قدمناه مراعاة للتسلسل الأبجدي الذي التزمناه في عامة الكتاب .

حرف الهمزة

الجامع (الأموي)

- هو أعظم جوامع دمشق ، وللناس فيه قصائد وأقوال يضيق عنها الخصر ، ولهم في بانيه الأول مذاهب لا يعلم المحقق ما الثابت منها وما المخلوق لطول الزمان وبنائها على الظن والتخمين ، وأنا ذاكرون هنا ما نراه اقرب الى العقل والى طبع الزمان تاركين الباقي لأصحابه ، ومما نراه ما بين بين ما قاله عز الدين بن شداد ، قال : أخبرني أحمد ابن عبد الكريم المعروف بابن الخلال الحمصي أنه وقف على كتاب ألف لبعض الوزراء وفيه أن الوزير قال وهو بحضرة ابي العلاء المعري : ان الوليد لما هدم الحائط الشرقي حائط الجامع أمر أن يعمق أساسه ، وبينما هم يحفرون اذا بهم انتهوا الى حائط ، فأمرهم الوليد أن يحفروا أمامه ، فوجدوا فيه بابا ففتحوه ، فوجدوا خلفه صخرة عليها كتابة ، فحملت اليه فأحضر من قراها ، فاذا بها ما صورته :

لما كان العالم محدثا ثبت أن له محدثا أحدثه وصانعا صنعه ، فبني هذا الهيكل لمضي ثلاثة آلاف وسبعمائة سنة لأهل الأسطوان ، فان رأى الداخل اليه ان يذكر بانيه بخير فعل والسلام .

- ١٥ فقيل لأبي العلاء : من اهل الأسطوان ؟ فقال : لا أعرف ، ثم أنشد :
سيسأل قوم ما الحجيج وما منى كما قال قوم من جديس وما طسم ؟
يعني ان بعد العهد بالأوائل ينسي آثارهم ، ويطمس المناردون أخبارهم . ويقال :
انه رثي حجر في المئذنة الشرقية عليه كتابة باليونانية ، فترجمت الى العربية فاذا هي ما تعريبه :

- ٢٠ لما كان العالم محدثا ، والحدوث داخل عليه ، وكانت الضرورة تقود الى عبادة محدثه لا كما يقول ذو اللحيين وذو اللسانين واشباههما ، فلما دعت الضرورة الى عبادة الخالق المحدث بالحقيقة تجرد لانشاء هذا البيت والنفقة عليه محب الخير تقربا الى منشيء العالم ومبديه واشارا لما عنده ، وذلك سنة ثلاثمائة والفين لأهل الاسطوان .

فعلى صحة هاتين الحكايتين ، وسبق الاولى الثانية ، يكون بناء هذا الهيكل ايام كانت اليونان مالكة لسوريا . وايا ما كان فان المؤرخ لا يطمع في ان يعرف الزمن الذي انشئت فيه دمشق واسس جامعها ، وكل ما يقال فيه فانه تخرصات واوهام لا يقف صاحبها على حقيقة . وغاية امرنا هنا ان نذكر تاريخ جعله جامعاً ، على ان ذلك التاريخ ايضا يحار فيه الناظر فلا يقدر ان يفرق بين الصحيح وغيره لما تغشاه من المبالغات ، كما هو شأن كتب التاريخ عندنا حتى انهم اوصدوا امر هذا الجامع الى ما وراء العقول ، وذلك لأنهم ينقلون كل خبر يسمعون ، ثم لا يحكمون عقولهم في التفرقة بين جيده وروديته ، ولو اخذت اذكر جميع ما قاله المؤرخون عنه لكان موضوعنا هزءا عند اهل زماننا ، لأن التاريخ عندهم لبس ثوبا غير ثوبه الاول ، فأسس على التحقيق والتدقيق لا على التسليم بقول القائل ايا ما كان ؛ فلذلك اضربت عن كثير مما ذكره ابن عساكر وغيره من اضرابه ، واكتفيت بما تراه ، وسأهد لعذري شذرة مما قيل ليعلم المطالع ما كان عليه بعض القوم ؛ فقد قال ياقوت في « معجم البلدان » : لو عاش الانسان الف سنة ، وجعل يتردد كل يوم من ايامها الى الجامع لكان يرى في اليوم ما يراه بأمره . فتأمل هذه المبالغة التي دونها قول المتنبي :

وأخفت اهل الشرك حتى أنه لتخافك النطف التي لم تخلق !

ومثل هذا كثير فاعلم ذلك ، واليك مانرويه منسوباً لقائله :

قال الحافظ الذهبي في « مختصر تاريخ الاسلام » : ان الوليد بن عبد الملك هو الذي بنى جامع دمشق ايام سلطنته وزخرفه ، وكان نصفه الغربي كنيسة للنصارى ، والنصف الآخر مسجداً للمسلمين ، فأرضى الوليد النصارى بعدة كنائس صالحهم عليها ، ثم هدمه الا حيطانه الأربعة ، وانشأ قبة النسر والقناطر ، وحلاه بالذهب والجواهر وستور الحرير ، وبقي العمل فيه تسع سنين ، وأنفق عليه الأموال العظيمة حتى جعله نزهة للناظرين . انتهى . وكان الابتداء به سنة سبع وثمانين . وفي كتاب « فتوح البلدان » للبلاذري ان الوليد لما اراد هدم الكنيسة قال بعض النصارى : ان لها شأنًا عظيماً ، فمن هدمها جن أو أصابته عاهة ، فحنق من قولهم ، ودعا بمعول فأخذه بيده وأخذ يهدم الحيطان ، فاقتدى به الفعلة ولم يصب أحد منهم بسوء . وقال الأكفاني بعد ان روى هذه الحكاية : ان الوليد لما سمع مقاتلهم أتى بسلم فنصبه على محراب المذبح ، وصعد وضرب بيده المذبح حتى اثر فيه اثرا كبيرا ، وقال ايضا : ان الوليد اغتم يوماً ،

فدخل عليه المغيرة بن الوليد فقال : ما غمك ؟ فلم يخبره ، فالح عليه ، فذكر له أن النصارى أبوا عن بذل الكنيسة ، فقال له المغيرة : لاتهتم ، أن خالد بن الوليد قد دخل من الباب الشرقي بالسيف ، ودخل أبو عبيدة من باب الجابية بالأمان ، فنحن نماسحهم الى الموضع الذي وصل اليه السيف ، فما كان لنا به حق أخذناه ، والا داريناهم فأخذنا الكنيسة بالرضا . فقال له : فرجت عني ، فتول هذا الأمر . قال : فتولاه ، فبلغت المساحة الى سوق الريحان حتى حاذى القنطرة الكبيرة أربعة أذرع بالذراع الهاشمي ، واذا بباقي الكنيسة قد دخل بالمسجد ، فبعث اليهم وقال : هذا حق قد جعله الله لنا . فقالوا : قد أقطعنا كنائس ، وبذلت لنا من المال كذا وكذا ، فان رأيت أن تتفضل علينا فعلت ، فامتنع عليهم أولا ، ثم أعطاهم أربع كنائس . وقال النعيمي : وقد بنى الوليد جميع ما كان داخل حيطان المسجد وزاد في سمكها ، ثم انه توفي سنة ست وتسعين ، ولم يتم البناء ، فآتمه من بعد أخوه سليمان ، وتوفي سنة تسع وتسعين ، وعملت له المقصورة حين استخلف . وبنى الفضل بن صالح العباسي القبة الغربية وكانت تسمى قبة المال .

وروى ابن عساكر بسنده الى زيد بن واقد ، قال : وكلني الوليد على العمال في بناء جامع دمشق ، فبينما نحن في العمل اذ وجدنا مغارة ، فعرفنا الوليد ذلك ، فلما كان الليل وافى وبين يديه الشموع ، فنزل فاذا هي كنيسة لطيفة ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع ، واذا فيها صندوق ففتح ، فاذا فيه سبط ، وفي السبط رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام ، قال : فرد الى مكانه بأمر الوليد ، وقال : اجعلوا العمود الذي فوقه مغيرا عن بقية الأعمدة ، فجعل عليه عمود مسطط الرأس . قال زيد : قد رأيت الرأس الشريف حين أرادوا بناء الجامع ، وقد أخرج من تحت ركن من أركان القبة وشعره وبشرته لم يتغيرا ، ويقال : ان الرأس الشريف نقل من دمشق الى بعلبك ، ومنها الى حمص فحلب ، فجعل في قلعتها في جرن من الرخام ، ثم نقل منها الى الجامع لما استولى التتار عليها ، كذا قيل والله أعلم بحقيقة الأمر . وقد أطل ابن عساكر ، وأورد أقوالا متناقضة تارة تثبت شيئا وتارة تنفيه كما هي عادته في نقل كل ما يسمعه ويتصل به من غير تمحيص . ولما بنى الوليد هذا الجامع جعله أعجوبة في النقش والزينة ، وصفح جدراته بالرخام العجيب والفسيفساء وصور الأشجار حتى اندهش به الناظر ، وبناه بالقناطر المعقودة أقواسها بعضها الى بعض ، وأقام الرصاص فوقه مكان الطين ، وللناس تفنن في الارصاد

التي كانت به أقيم مقام الفكاهات. ولقد رأيت في كتاب « الأقاليم » ما نصه : وبدمشق مسجد ليس في الاسلام اعمر ولا اكبر منه بقعة ، وأما الجدار والقمة التي فوق المحراب عند المقصورة فمن بناء الصائبين ومصلاهم ، ثم صار في أيدي اليونان وكانوا يعظمون فيه دينهم ، ثم صار الى اليهود وملوك عبدة الأوثان، فقتل في ذلك الزمن يحيى بن زكريا، ونصب رأسه على باب جيرون من هذا المسجد ، ثم بعد ذلك نصب فيه رأس الحسين رضي الله عنه ، فلما كان زمن الوليد بن عبد الملك عمره ؛ فجعل أرضه رخاما مفروشا ، وجعل وجه جدرانه مجزعا، وأساطينها رخاما مذهباً، ومحرابه مذهباً مرصعاً بالجواهر، وجعل السقف كله مذهباً مكتباً ، كما يطوف بتربيع جدار المسجد ، يقال : انه أنفق في بنائه خراج الشام خمس سنين ، وجعل سطحه رصاصاً ، وسقفه خشباً مذهباً ، وجعل الماء يدور على رقعة المسجد حتى اذا انفجر فيه أنبسط على جميع أركانه بالسواء . انتهى .

ولبعض الفقهاء فيه اقوال نزلت منزلة الترغيب في الصلاة فيه ارضاء لبانيه وللعوام كما هو شأن كثير من الناس : منها ما روي عن سفيان الثوري أنه قال : الصلاة بمسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة . هكذا اتصل بنا منقطع الاسناد ، ويمكن أن يكون مفترى على سفيان لأن كثيراً من الرواة افتروا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف لا يفترّون على سفيان؟! وعلى تقدير صحة الاسناد اليه فان له معارضا وهو أن ترتيب الثواب لا يكون الا من صاحب الشرع ولم يرد عنه خبر بهذا ، والاجتهاد والقياس لا يتأتيان في أمثاله . ومثله تفسير البعض التين بجامع دمشق ، والزيتون بالمسجد الأقصى ، لكن هذا محتمل لأنه لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب ، وأما الأول فليس منشؤه الا ما كان من جهته صلى الله عليه وسلم . وفي « تحفة الأنام » للبصروي أن الذين عمروا هذا المعبد كانوا من عباد الكواكب السبعة ، وكانوا يجعلون على كل من أبوابه عيدا ، وكانوا يصلون الى القطب الشمالي ، وبابه الى جهة القبلة خلف المحراب ، وهو باب حسن من الحجارة المنحوتة ، عن يمينه وعن يساره بابان صغيران بالنسبة اليه ، وكان غربي المعبد قصر تحمله هذه الأعمدة التي بباب البريد ، وشرقيه قصر جيرون وكان دارا لمن يملك دمشق في القديم . انتهى .

وقد شاهدنا عند باب البريد قبة شاهقة تحملها عمد أربع ، وقد هدمت ، وأزيل العمودان الغربيان ، وبقي اثنان عن يمين الدرج وعن شماله .

قال ابن كثير : وفي سنة اثنتين وستمائة هدمت القنطرة التي عند الباب الشرقي من الجامع ، ونشرت أحجارها لتبليطه .

قال البرزالي : وفي سنة ست وثلاثين وسبعمائة احترق سوق النحاسين بدمشق وكان قريبا من الجامع ، فوجدوا حائط دار الخطابة متعتعا فخرّب ، فوجدوا فيه حجارة كبارا ، وظهر باب كبير مليح له أسكفة وجوانب مخرمة خلف محراب المقصورة ، فنقلت حجارته لبناء باب الفرج ، وكان زقاق هناك يسمى بزقاق القباب ، وهناك دار مسلمة ابن عبد الملك .

قال ابن كثير : وفي سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة كملت عمارة القاسارية التي بباب الزيادة ، وجددت قاساريتان أيضا ، وسكن بهما الصواغ وتجار الذهب والجوهر ، وهما حسنتان ، والكل وقف الجامع .

١٠

وروى ابن عساكر بسنده الى محمد بن أحمد بن زير القاضي انه قال : انما سمي باب الساعات هناك لساعات يعلم بها كل ساعة تمضي من النهار ، عليها عصفير من نحاس وحية منه وغراب ، فاذا تمت الساعة خرجت الحية فصفرت العصفير وصاح الغراب فسقطت حصة . انتهى . وهو اختراع غريب ان صح السند .

قال الذهبي في « العبر » : وفي سنة إحدى وستين وأربعمائة في نصف شعبان احترق الجامع كله من حرب وقع هناك ، فضربوا دارا مجاورة للجامع فقضي الأمر واشتد الخطب ، وأتى الحريق على سائر فدثرت محاسنه وانقضت ملاحظته ، ويقال : ان القبة التي فيها فوارة الماء أقيمت سنة ست وتسعين وثلاثمائة ، وقد وصفها قمر الدولة جعفر بن دواس الكناني بقوله :

٢٠	رايت بالجامع المعمور منقبة	في جلق كنت احدى من لها سمعا
	فواره كلما فارت فرت كبدي	وماؤها فاض بالأنفاس فاندفعا
	كانها الكعبة العظمى فكل فتى	من حيث قابل أنبوا لها ركما

وقيل : أنشئت سنة ست عشرة وأربعمائة أنشأها الشريف أبو يعلى ، وعمل حولها قناطر ، وعقد عليها قبة مزخرفة ، وبنى فوقها شاذروانا ، وعمله كان سنة أربع عشرة وخمسمائة ، ثم تهدم الكل وبقيت الفوارة . وأما القبة الشرقية التي في الجامع فقد بنيت سنة ستين ومائة في أيام المهدي .

٢٥

وفي سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة جددت أبواب الجامع من ناحية باب البريد بالنحاس الأصفر .

وفي سنة سبع عشرة وستمائة نصب محراب الحنابلة بالرواق الثالث بعد ممانعات كثيرة ، وصلى فيه الشيخ موفق الدين المقدسي ، ثم أخذ منهم سنة ثلاثين وسبعمائة ، وعوضوا عنه بالمحراب الغربي عند باب الزيادة .

وفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة نقض الحائط القبلي مما يلي باب الزيادة ، ثم بني ، وكان في كل ركن من الجامع صومعة تهدمت ولم يبق منها الا الموجود الآن .
وفي سنة أربعين وسبعمائة وقع حريق عظيم بدمشق احترقت فيه المنارة الشرقية من الجامع .

وفي أيام الناصر ابن الملك العزيز فرض في ماء القنوات زيادة للجامع على ماء بانياس ، وهي مقدار سبع عشرة أصبعا من أصابع الماء للكلاسة ، وللبركة المجددة بباب البريد ، وللقسطل المساق للبيمارستان الدقاقي ، ولمشهد عروة .

وفي سنة ثمان وستين وستمائة كان الجامع كأنه خان ينام فيه الناس ، وكان لكل مقيم به موضع قد أفردته واقتطعه وعمل فيه صندوقا وأحاطه بمقصورة ، حتى كان فيه ما يقرب من ثلاثمائة خزانة ومقصورة ، فأزال الملك الظاهر ركن الدين جميع ذلك ، ونظف الجامع ، وفرشه بالحصر والبسط ، وغسل رخامه وحسنه ، وكان بصحن الجامع أيضا حواصل للمنجنقات ، وحواصل للأمراء وغيرهم من خيم وشبهها فأزالها أيضا ، ورتب أوقافه للمستحقين ، وفتش على كتب الوقف التي كانت له ، فجمعها من المختلسين ، ورتبها وجلدها وأتقنها ، ولولا ذلك لجعله الناس بيوتا وأسواقا كما جعلوا غيره من الجوامع والمدارس . ورأيت في بعض التواريخ أن المنارة الشمالية المسماة بمئذنة العروس بناها الوليد ، والمنارتان الموجودتان الآن قديمتان . ثم ان الجامع احترق أيام فتنة تيمورلنك سنة ثلاث وثمانمائة ، واحترقت أبنية البلد كلها ، ثم عمر . وفي سنة أربع وثمانين وثمانمائة احترق الجامع وما حوله من الأسواق فأتى الحريق على جميعها . ذكره ابن طولون في « تاريخه » .

وفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وألف احترق الجامع أيضا فأسف الناس عليه أسفا عظيما ، ثم جمع له أهل الخير أموالا ، وأنفقت الدولة عليه جانبا حتى تم بناؤه في

سنة خمس عشرة وثلاثمائة والـ الف . وبالجملـة فان بناء الجامع الأول لم يبق منه الا مالا يذكر .

وكان في هذا الجامع من المدارس : الغزالية ، والاسدية ، والمنجائية ، والقوصية ، والسيفية ، والمقصورة الكبيرة ، والزواوية ، والشيخية . وكان له تسعة ائمة ، وأربعة وعشرون سبعة (١) ، واحدى عشرة حلقة للتدريس في الفنون ولها مقررات من مال المصالح ، وكان به ثلاث حلقات للاشتغال بالحديث . وقد حكى المحبى الدمشقى في « تاريخه » المشهور انه بعد الخمسين والـ ألف أحدثت وظيفة تدريس في الجامع الأموي تحت قبة النسر ، رتبها بهرام آغا كـتخدا والد السلطان ابراهيم ، وبنى السوق الجديد والخان قرب باب الجابية لأجلها ، وعين للمدرس ستين قرشا ، وللمعيد ثلاثين ، ولقارئ العشر عشرة قروش ، ودرس بهذه الوظيفة الشيخ سعودي ، ثم بعده تاج الدين بن أحمد المحاسنى الدمشقى .

وفي الجامع أيضا بيت الخطابة ، وكان به خزانة كتب . حكى المحبى في « تاريخه » في ترجمة علي الدفترى انه وقف كتبه ، واستودعها بيت الخطابة بالقرب من المقصورة بالجامع الأموي ، الى أن ادعى النظارة عليها بعض المفتين بالشام واحتوى عليها . وفيها نفائس الكتب . قال : وكان لـعلي الدفترى مشاركة في الفنون ، وتوفي سنة ثمانى عشرة بعد الالف . وكان بهذا الجامع جماعة من أفاضل الموقتين ، واليك تراجم بعضهم :

ابن القيسراني

محمد ابن القيسراني
٤٧٨-٤٤٨ هـ

هو محمد بن نصر بن صغير المعروف بابن القيسراني حامل لواء الشعر في زمنه ، تولى ادارة الساعات في جامع بني أمية مدة ، ثم سكن حلب ، وكان عارفا بفنون الهيئة والنجوم والهندسة والحساب ، مدح الملوك والكبار ، وعاش سبعين سنة ، ومات بدمشق . قال ابن خلكان : وكان ابن منير ينسب الى التحامل على الصحابة رضي الله عنهم ، ويميل الى التشيع ، فكتب اليه ابن القيسراني وقد بلغه انه هجاه :

حبرا أفاد الورى صوابه
فان لي أسوة بالصحابة

با ابن منير هجوت مني
ولم تضيق بذاك صدري

(١) مخرج للماء يوضع على البركة ، وغالبا يكون بشكل رأس الأسد ؛ ولذلك سمي سبعة .

ومن محاسن شعره قوله :

نشوان أمزج سلسلا بسلسال
كأنما ثفره ثفر بلا والي

كم ليلة بت من كاسي وريقته
وبات لا تحتمي عني مراشفه

وله في خطيب :

لتلقيك رحيبا
منك أم ضمخ طيبا

شرح المنبر صدرا
أترى ضم خطيبا

وله في غزال :

قمر منازل القلوب
فردها عني الجنوب
والحسن في الدنيا غريب
لما رأى جسمي يذوب
من علك ؟ قال : الطبيب

بالسفع من لبنان لي
حملت تحيته الشمال
فرد الصفات غريبها
لم أنس ليلة قال لي
بالله قل لي يافتى

توفي بدمشق سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، ودفن بباب الفراديس . وترجمه
الصفدي وقال : نشأ بقيسارية الساحل فنسب إليها ، وسكن دمشق في دولة تاج
الملوك ، ثم سكن حلب مدة ، وولي بها خزانة الكتب ، وتردد إلى دمشق وبها مات ، وأتقن
الهندسة والحساب والنجوم ، ثم أطل الكلام بسرد ماله من النظم والنثر .

ابن الشاطر رئيس المؤذنين

أقول : مرت علي سنون وأنا متشوق لرؤية شيء من تاريخ حياة هذا الرجل ، فلم
أظفر به لأن أكثر المؤرخين من الفقهاء هم أعداء لأولي العلوم الفلسفية والهندسية ،
وتمادى بي الحال إلى أن رأيت النعيمي نقل شيئا من ترجمته عن « تاريخ الصلاح
الصفدي » ولكنه لم يرو لي غليلا ، وأنا هنا أنقل ما ظفرت به ، ولعل الزمان يطلعني على
مطول أخباره . قال الصفدي : هو علي بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن حسان ابن
عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري الأوسي رضي الله عنه ، فريد الزمان ،
المحقق المتقن البارع الرضي ، أعجوبة الدهر ، رئيس المؤذنين بالجامع الأموي ، قرأ على
علي بن إبراهيم بن يوسف ، وكان يعرف بابن الشاطر ، تسمى هو بذلك ، فسألته عن

علي ابن الشاطر
٧٧٧-٧١٥

مولده فقال : في خامس عشر شعبان سنة خمس وسبعمائة بدمشق ؛ رأيت غير مرة ، ودخلت منزله في شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة لرؤية الاسطرلاب الذي أبدع وضعه ، فوجدته قد وضعه في قائم حائط في منزله داخل باب الفرديس في درب الطيار ، ورأيت هذا الاسطرلاب فأنشأ لي طربا ، وجدد لي في المعارف رأيا ، وقلت : ان من تقدمه من الأفاضل عند جبل علمه الراسخ هباء ، ولو رآه اقليدس لما كان عنده الا نقطة من خطه ، أو ارشميدس لراى شكله قطاعا في تحريره وضبطه ، فسبحان من يفيض على بعض النفوس ما يشاء من المواهب ، ويجدد في كل عصر من يحيي رسوم الفضل الذي عدم في الليالي الذواهب . وصورة الاسطرلاب المذكور : قنطرة مقدار نصف أو ثلث ذراع تقريبا يدور أبدا على الدوام في اليوم واللييلة من غير ماء على حركات الفلك ، لكنه قد رتبها على أوضاع مخصوصة تعلم منها الساعات المستوية والساعات الزمانية . هذا كلام الصفدي رحمه الله . قال النعمي : وإلى هذا الفاضل ينسب عمل المنحرفتين في مئذنة العروس . انتهى .

قلت : الذي يلوح لي أن الذي دعاه الصفدي بالاسطرلاب ليس هو الاسطرلاب المشهور ؛ لأن هذا ميزان الشمس ، واختراعه كان قبل زمنه بألوف من السنين ، ولكنه الآلة المسماة في زمننا بالساعة ، ويكون ابن الشاطر هو المخترع لهذا النوع العظيم الفائدة ، ثم ان أهل بلادنا أهملوه هو واختراعه حيناً من الدهر ، حتى ظفر بنخب أفكاره الا فرنج ، فهذبوه وأتقنوه فنسب اليهم . على أن اختراعه يزيد على ما تفننوا به بمعرفة الزمانية التي تقسم كلا من النهار والليل إلى اثني عشر قسما في جميع الفصول ، فله في خلقه شؤون . وأما المنحرفتان فقد بقيتا إلى حدود تسعين ومائتين وألف في مئذنة العروس ، وفي اثنائها كان شيخنا الشيخ محمد الشهر بالطنطاوي اماما في فن الهيئة والميقات في دمشق ، فنظر في هاتين المنحرفتين فرأى وضعهما قد اختل لمرور السنين واختلاف الرياح والأمطار عليهما ، وبينما هو يجرر وضعهما اذ بالبلاطة قد انكسرت ؛ فشرع بإنشاء منحرفتين على نمطهما حتى أتمهما ، غير أنه رسمهما على الأفق الحقيقي فاختل العمل بهما ، ولم ينتفع بهما كالأولتين ، وقد حصل له أثناء العمل معاكسات من أهل دمشق ، وهجاه بعض ذوي الخلاعة والعقل المنحرف ، ثم أنه رسم منحرفتين على الأفق المرئي ، ووضعهما في جامع الدقاق ، وكانت وفاته سنة (١) .

(١) لم يذكر المؤلف سنة الوفاة .

قلت : وله رسالة سماها « النجوم الزاهرة في العمل بالربع المجيب بلا مري ولا دائرة » ، وله « الزيج المشهور » ذكره صاحب « كشف الظنون » ، ورأيت أنه أيضا وطالعت فيه ، واختصره شمس الدين الحلبي وسماه « الدر الفاخر » ، وصححه الشيخ شهاب الدين أحمد بن غلام الله بن أحمد كاسب الكومي الديشي بجامع الملك الجديد ، وسماه « نزهة الناظر في تصحيح زيج ابن الشاطر » ، ثم اختصره وسماه « اللمعة في حل الكواكب السبعة » ، ولخصه أيضا محمد بن علي بن إبراهيم الشهير بابن زريق الخيري الشافعي الموقت ، وسماه « الروض العاطر في تلخيص زيج ابن الشاطر » وقرأت في رسالة « العمل بالربع المجيب بلا موري » تصنيف الشيخ جلال الدين محمد بن علي الجويني مالفظه : أعلم أنني لما وجدت غالب ما يحدث من الخلل في الربع المجيب الموري ، وذلك لأن الخيط إذا شد تحول الموري عن مركزه ، وكذلك إذا أرخي ، فتختلف الأعمال ولا تكون غالبا إلا تقريبية ، ولم أجد ما يفي باصلاح ذلك ، مع أن العلامة الشيخ علاء الدين ابن الشاطر رحمه الله تعالى وضع رسالة في العمل بالربع المجيب بلا موري ، لكنه قيده في غالب الأعمال بعرض دمشق ، ومع ذلك زاد في أوضاع الربع المدارات الثلاث وخطي الطول والعرض والمدارات اليومية ، ثم جاء بعده تلميذه شمس الدين الخليلي وأصلح من ذلك شيئا يسيرا ، لكن سلك في ذلك طرقا يعسر فهمها على المتدري ، ولا يفتقر إليها المنتهي ، ونقل عنه من ذلك شيئا يسيرا العلامة الشيخ بدر الدين سبط المارديني في « ستينيته » ؛ ولو اهتدى إلى هذه الطريقة التي سلكتها في هذه الرسالة لما صدر رسالته بأعمال الموري ، وقد يسر الله ، وله الحمد والمنة ، ما صعب على أولئك الأفاضل ، وعسر على كل لبيب كامل ، مع أنني سلكت في أعمال هذه الرسالة من الطرق أسهلها ، ومن الأعمال أصحها ، ومن الوجوه أقربها . هذا كلامه ، ومنه يعلم أن ابن الشاطر هو المخترع لهذا العمل ، وأن لمن بعده التهذيب والتقريب ، وكفاه بذلك افتخارا . انتهى .

أقول : ثم اني اطلعت له على رسالة مطولة سماها « تسهيل المواقيت في العمل بصندوق المواقيت » وهي آلة اخترعها ، وجعل هذه الرسالة لبيان العمل بها ، فعلمت منها أن له اختراعات كثيرة في هذا الفن ، ورأيت له رسالة تحتوي على خمس وخمسين ومائة مسألة من الأعمال الفلكية بناها على طريقة فن الجبر . وفي « كشف الظنون » أنه توفي سنة سبع وسبعين وسبعمائة .

وقال في « شذرات الذهب » في حوادث سنة خمس وسبعين وسبعمائة : علي بن إبراهيم

ابن محمد الدمشقي ابن الشاطر ، ويعرف أيضا بالمطعم الفلكي ، كان أوحده زمانه في ذلك ، مات أبوه وله ست سنين فكفله جده ، وأسلمه لزوج خالته وابن عم أبيه علي بن ابراهيم فعلمه تطعيم العاج ، وتعلم علم الهيئة والهندسة والحساب ، ورحل بسبب ذلك الى مصر والاسكندرية ، وكانت فضائله لاتنكر ، وكان لايفخر بعلومه ، وله ثروة ومباشرات ودار من احسن الدور وضعا وأغربها ، وله الزيج المشهور ، والأوضاع الغربية المشهورة ٥ التي منها البسط (١) الموضوع في منارة العروس بجامع دمشق ، يقال : ان دمشق زينت عند وضعه فيها . انتهى .

ابن رستم

رضوان بن محمد بن علي بن رستم الخراساني فخر الدين الشهير بابن الساعاتي . قال ابن أبي أصيبعة : كان مولده ومنشؤه بدمشق ، وكان أبوه من خراسان ، وانتقل الى الشام وأقام بدمشق الى أن توفي ، وكان أوحده عصره في معرفة الساعات وعلم النجوم ، وهو الذي عمل الساعات التي عند باب الجامع الأموي في دمشق ، وضعها أيام الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، وكان له منه الانعام الكثير والجامكية والجراية لملازمته للساعات ، وبقي على ذلك أيام حياته . ولم يؤرخ وفاته في « طبقات الأطباء » . وترجمه الصفدي بقريب مما تقدم ، ولم يؤرخ وفاته أيضا . وخلف ولدين : ١٥ أحدهما الشاعر المشهور بابن الساعاتي ، والثاني رضوان وكان طبيبا مشهورا بفنه ، وله مؤلفات عديدة .

الحارثي المهندس

مؤيد الدين الحارثي
٥٩٩-٥٢٩

هو مؤيد الدين أبو الفضل أحمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن الحارثي ، كان مولده ومنشؤه بدمشق ، وكان يعرف بالمهندس لجودة معرفته بالهندسة وشهرته بها قبل أن يتحلى بمعرفة صناعة الطب ، وكان في أول أمره حجارا وينحت الحجارة أيضا ، وكان تكسبه بصناعة النجارة ، وله اليد الطولى بها ، والناس كثيرا ما يرغبون في أعماله ، وأكثر أبواب البيمارستان الكبير الذي أنشأه نور الدين من نجارته وصنعتة ، ثم أنه حجب اليه العلم ، فأقبل على كتاب أوقليدس ، وكان يومئذ يشتغل في مسجد خاتون تحت المنيبيع فكان في كل غداة لا يصل الى محل شغله الا وقد حفظ منه شيئا وحله في ٢٥

(١) وأهل دمشق اليوم يسمونه البسيط .

طريقه ، وإذا فرع من العمل مساء فعل ذلك حتى حله كله وفهمه فهما جيدا وقوي فيه ، ثم أقبل على كتاب المجسطي وشرع في قراءته وحله ، واشتغل أيضا بصناعة النجوم والزيجات ، ولما أتى الشرف الطوسي الى دمشق وكان فاضلا في الهندسة والعلوم الرياضية ، قرأ عليه واخذ عنه شيئا من معارفه ، ثم أقبل على صناعة الطب ، وهو الذي أصلح الساعات التي بجامع دمشق الأموي ، وكان له على مراعاتها وتفقدتها جامكية يأخذها ، وكان له جامكية أيضا من البيمارستان النوري لكونه كان طبيا فيه ، واشتغل بالحديث والأدب والنحو ، وكان له نظم ذو درجة وسطى ، توفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة عن نحو سبعين سنة . ومن مؤلفاته : رسالة في « معرفة رمز التقويم » ، مقالة في « رؤية الهلال » ، « اختصار كتاب الأغاني الكبير » لأبي الفرج الأصبهاني في عشر مجلدات ، ووقفه في الجامع مضافا الى الكتب الموقوفة في مقصورة ابن عروة ، كتاب في « الحروب والسياسة » ، كتاب في « الأدوية المفردة على ترتيب حروف أبجد » . قاله في « طبقات الأطباء » ملخصا . وقال الصفدي : كان ذكيا ، استازا في نجارة الدف ونقش الرخام وضرب الخيط .

وله من قصيدة مدح بها القاضي محي الدين ابن الزكي :

خصصت بالأب لما ان رأيتهم	دعوا بنعتك اشخاصا من البشر	١٥
ضد النعوت تراهم ان بلوتهم	وقد نسمي بصيرا غير ذي بصر	
والنعت مالم تك الأفعال تعضده	اسم على صورة خطت من الصور	
وبالحقيق به لفظ يطابقه الـ	معنى كنجل القضاة الصيد من مضر	
فالدين والملك والاسلام قاطبة	برأيه في امان من يد الغير	
كم سن سنة خير في ولايته	وقام لله فيها غير معتذر	٢٠

هذا وكان بالجامع عدد وافر من الموقتين الا أنهم لم يشتهروا اشتهار هؤلاء ، فلذلك أضربنا عن ذكرهم ، وربما ترجمنا بعضهم أثناء تراجم المشاهير من الدمشقيين .

التكية المسماة (بالأحمدية)

أحمد شامي

حكى المحبي في « تاريخه » أن أحمد باشا المعروف بشمسي نائب الشام هو الذي بنى التكية بالقرب من سوق الأروام (١) .

٥

حرف الباء

جامع (برسباي)

برسباي الناصري

٨٥٢-٠٠٠

بمحلة سوق صاروجا ، مشهور ، والناس يسمونه جامع الورد ، أنشأه برسباي ، وفرغ من انشائه سنة ثلاثين وثمانمائة ، وتقدمت ترجمة الباني عند الكلام على التربة البرسبائية .

١٠

جامع (پرويز)

برويز بن عبد الله

١٠١٥-٠٠٠

ذكره المحبي في « تاريخه » فقال : الأمير برويز بن عبد الله الأمير الكبير أحد أعيان كبراء دمشق وأصحاب الرأي والتدبير ، وكان أميراً جليل القدر عالي الهمة ، نافذ القول محترماً ، يتردد إليه نواب الشام وقضاها ، ويصدرون عن رأيه ، وهو في الأصل من أرقاء علي جلبي دفترى الشام سابقاً الذي كان يسكن بمحلة القيمرية ، فتنقل في مراتب الأخيار حتى صار أمير الأمراء ، وتقاعد وعمر مسجداً بالقرب من داره بمحلة القيمرية ، ويعرف الآن به ، ورتب له اماماً ومؤذناً وأجزاء . وبالجملية فقد كان من أصحاب المروءات والوجاهة والمآثر الفائقة ، ولم يسمع عنه زلة ، وبلغ من العمر نحو تسعين سنة أو قارب المائة ، وقتل في محاربة علي بن جانبولاذ سنة خمس عشرة ألف .

٢٠

حرف التاء

جامع (تنكر)

تقدم الكلام عند شرح حال المدرسة التنكزية ، وهو جامع بديع الهندسة والافتقان ،

٢٥

(١) بعد هذا في الأصل بياض قدره صحيفتان وأربعة أسطر . وقد قدمنا الجامع الأموي على هذه التكية لأهميته .

سيف الدين تنكز

في أول الشرف القبلي ، وهو الآن مدرسة لتلامذة الجند العسكري (١) وفي وصفه قال ابن صدقة :

وافيت جامع تنكز فوجدته متفردا بين الرياض وحيدا
لم صرت وحدك ههنا فأجابني لما جمعت الحسن صرت فريدا

جامع (التوبة)

الملك الأشرف
موسى

هو بمحلة العقيبة ، مشهور ، بناه الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، وكان محله يعرف بخان الزنجاري ، وكان به كل مكروه من القيان وغيرهن ، فيعمره الأشرف جامعا . قال ابن شداد : ثم ولي خطابته الشيخ يحيى ابن عبد العزيز بن عبد السلام الملقب والده بسلطان العلماء ، فجدد قبلته ومحرابه ، وذهبه ، وبيض أساطينه البرانية وأروقه الشمالية ، وصانه أتم صيانة ، وجدد له ريعا ووقفه عليه . ومن النوادر المتعلقة بهذا الجامع ما حكاه في « شذرات الذهب » قال : كان بمدرسة الشامية امام يعرف بالجمال السبتي ، وكان شيخا حسنا صالحا ، وكان في صباه يلعب بملهاة تسمى بالجفانة ، ثم حسنت طريقته وصار معدودا من الاخيار ، فولاه الأشرف خطيبا ، فلما تولى مكانه العماد الواسطي الواعظ ، وكان متهما بشرب الشراب ، وكان ملك دمشق في ذلك الوقت الملك الصالح أبا الجيش ، فكتب اليه الجمال عبد الرحيم ابن الزوتينية :

يامليكا أوضح الحق لدينا وأبانه
جامع التوبة قد قلدني منه الأمانه
قال : قل للملك الصالح أعلى الله شأنه
يا عماد الدين يامن حمد الناس زمانه
قم اليّ فأنا في ضر بؤس واهانة
لي خطيب واسطي يعشق الشرب ديانه
والذي قد كان من قبل يغني بالجفانه
فكما كنت كذا صرت فلا أبرح حانه

(١) كان هذا في زمن تأليف الكتاب أما اليوم ففيه الثانوية الشرعية التي تديرها وزارة الاوقاف .

ردئي للنمط الأو ل واستبق ضمائه (١)

حرف الجيم

الجامع (الجديد)

بالعمارة مقابل خان كان يقال له : خان السيد ، ويسمى الآن بالمعلق ، ومحلّه يقال له :
بين الحواصل ، وهو جامع حسن نزه ، يصعد اليه بسلم حجر ، وهو مبني بالحجر الأبلق ،
وله منارة شاهقة تطل على بابه ، وشبابيكه تطل على نهر بردى ، وله صحن وبركة
وايوان دائرة ، وله باب ثان . وفي سابع عشر ربيع الثاني سنة ثمان وخمسين وألف
نزلت صاعقة فأصابت رأس المنارة ، فهدمت شيئا من بنائه ، فتكفل نائب الشام يومئذ
بعمارة ما خرب ولكنه لم يعده كما كان .

١٠

جامع (جراح)

خارج باب الصغير وهو معروف ، وكان من قبل مسجدا للجناز كبرا ، وفيه بئر ،

(١) كذا في الاصل . وقال النعمي في « الدارس » : « ولم يزل بها - أي العماد الواسطي - الى أن أخرج
من دمشق لأمور انكرت عليه ، وقد نظم في ذلك أبياتا شرف الدين بن عنين فقال :

يا مليكا ملا الرحمن بالمدل زمانه
جامع التوبة قد حملني منه أمانه
قال : قل للملك الأشرف أعلا الله شأنه
لي امام واسطي يعشق الخمر ديانه
والذي قد كان من قبل يغني بالجفانه
فكما كنت ومازلت ولا أبرح حانه
فأعدني النمط الأو ل واستبق ضمائه

انتهى . وأخبر المولى البهاء محمد بن النحاس أن الصدر المرحوم جمال الدين ابن زوتينية أنشده هذه
الآيات لنفسه (والبيت الاول) :

يا مليكا قد أقام العدل فينا وإبانه

وبعده :

قال قل للملك الأشرف أعلا الله شأنه
كم الى كم أنا في ذل وبؤس واهانه
والذي قد كان من قبل يغني بجفانه
فكما نحن ومازلنا وما نبرح حانه

فلما خرب جدده جراح المضحي ، ثم أنشأه الملك الأشرف موسى جامعاً سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، وجدده معه مسجداً بدار السعادة داخل باب النصر ، وأوقف عليهما قرية الرعييفية من أعمال مرج دمشق ، ثم احترق أيام الملك الصالح عماد الدين اسماعيل سنة اثنتين وأربعين وستمائة ، فجدد بناءه مجاهد الدين محمد ابن الأمير غرس الدين قليج النوري سنة اثنتين وخمسين وستمائة ، ثم دثر سنة أربع وسبعين وتسعمائة من حريق اتصل به ، ووقع الخلف بين من يعمره : أهو مصطفى باشا والي باشا ، أو سنان بك آغا الينكجيرية ، أو من مال السلطنة ؟ ثم أعرض كل منهما عن بناءه وتركاه ، فانتدب الكمال الحمراوي وحث همة أصحاب الخير ، فجمع له مبلغاً وافراً ، وضمن أنه يكمل ما ينقص من ماله ، فعمره على صورته التي هو عليها الآن .

جامع (الجوزة)

١٠

هو معروف عند المحكمة المسماة بالعونية نسبة الى قناة هناك كانت تسمى قناة العوني ، وكان من قبل صغيراً ، وفي سنة ثلاثين وثمانمائة وسعه القاضي بدر الدين ناظر الجيش وجعله جامعاً . قاله الأسدي في « تاريخه » .

حرف الحاء

جامع (الحاجب)

١٥

بسويقة صاروجا ، فرغ من بناءه سنة ثمانين وثمانمائة .

مسجد (الحسودية)

هو بمحلة الحسودية خارج دمشق بالقرب من جامع يلبغا ، بناه فضل الله بن عيسى البوسنوي الحنفي نزيل دمشق . قال المحبي في ترجمته : هو الاستاذ الشهير والامام المتفنن ، كان أحد أعيان العلماء معرفة واثقانا وحفظا وضبطا للفقهاء وتفننا في علله ، مميّزاً لصحيح الاقوال من سقيمها ، مستحضراً لكثير من الفروع على تشعبها ، وكان عارفاً بالأصلين والحديث وفنون الأدب حق المعرفة ، نظاراً كثير الاشتغال ، تولى الافتاء في بلغراد ، ثم حج سنة عشرين وألف ، ولما رجع توطن دمشق واشترى داراً داخل باب الجابية بمحلة الشيخ عمود ، ودرس بالمدرسة الأمينية ثم بالتقوية وفي الجامع الأموي ،

٢٠

وقرا عليه غالب أعيان الفضلاء في العلوم العقلية والنقلية ، وأفتى مدة طويلة بدمشق ،
وبنى المسجد المذكور ، ورتب فيه مبرات ، ووقف عليه حوانيت بسوق الرصيف قرب
المدرسة الأمينية احتكرها من وقف المدرسة المذكورة ، وكانت ولادته ببوسنه سراي في
صفر سنة تسع وستين وتسعمائة وتوفي في صفر أيضا سنة تسع وثلاثين وألف ،
ودفن بمقبرة الباب الصغير بالقرب من حضرة بلال الحبشي رضي الله عنه . ٥

جامع (الحشر)

أرغون شاه

تحت القلعة من الجانب الغربي ، وكان يسمى بالحدرد ، شمالي دار السعادة ، بناه
أرغون شاه ، وهو جامع قديم جدده سنان چاويش الينكجيرية في سنة ثمان بعد الألف
فجاء على أحسن ترتيب ، قتله الينكجيرية سنة عشر بعد الألف .

١٠

جامع (الحنابلة)

أبو عمر المقدسي

ويقال له : جامع الجبل ، والجامع المظفري ، وهو بسفح قاسيون معروف ومشهور ،
شرع في بنائه الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي سنة ثمان وتسعين
 وخمسمائة ، فأنفق عليه رجل يقال له : الشيخ أبو داود محاسن النامي ، الى أن بلغ
البناء قامة فنقد ما كان معه . ثم ان الملك المظفر كوكبوري صاحب اربل بلغه ان الحنابلة
بدمشق شرعوا في بناء جامع بسفح قاسيون فعجزوا عن العمل ، فأرسل اليهم ثلاثة ١٥
آلاف دينار أتاككية ، وأمر بأن ينفق عليه حتى يتم ، وما بقي يشتري به وقف ويوقف
عليه ، فأتم أبو عمر بناءه ، وجعل منبره ذا ثلاث درج كدرج منبر النبي صلى الله عليه
وسلم ، ثم ان المظفر أرسل الف دينار ليساق اليه الماء من قرية برزة ، فمنعهم الملك المعظم
صاحب دمشق ، واعتذر بأن في طريقه قبورا كثيرة للمسلمين ، فصنع له بئرا عليه
مدار ، ووقف عليه أوقافا تقوم به ، وهو باق الى الآن . ٢٠

الملك المظفر كوكبوري

هو أبو سعيد كوكبوري ابن الأمير زين الدين علي كوجك التركماني ، ومعنى كوجك
اللطيف القدر . ولي مظفر الدين مملكة اربل بعد موت أبيه وله أربع عشرة سنة ،

فتعصب عليه أتاك مجاهد الدين قيمار ، وكتب محضرا بأنه لا يصلح للملك لصغره ، وأقام مكانه أخاه يوسف ، فسكن حران مدة ، ثم اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين وتمكن منه ، وتزوج بأخته ربيعة واقفة مدرسة الصاحبة بشرقي الصالحية ، وشهد معه عدة مواقف ظهرت فيها شجاعته واقدامه وكان حينئذ على امرأة حران والرها ، فقدم أخوه يوسف منجدا لصلاح الدين فاتفق موته على عكا ، فأعطى السلطان صلاح الدين لمظفر الدين أربل وشهر زور ، وأخذ منه حران والرها ، ودامت أيامه الى أن توفي سنة ثلاثين وستمائة ، وكان من أدين الملوك وأجودهم وأكثرهم برا ومروفا على صغر مملكته . قاله ابن شقدة في « منتخب الشذرات » .

وقال ابن خلكان : وأما سيرته ، فله في فعل الخيرات عجائب ، ولم نسمع أن أحدا فعل في ذلك مثل ما فعله ، لم يكن شيء في الدنيا أحب اليه من الصدقة ، وكان له في كل يوم قناطير مقنطرة من الخبز يفرقها على المحاويج في عدة مواضع من البلد ، وإذا نزل من الركوب يكون قد اجتمع جمع كثير عند الدار ، فيدخلهم اليه ، ويدفع لكل واحد كسوة على قدر الفصل من الصيف والشتاء وغير ذلك ومع الكسوة شيء من الذهب ، وكان قد بنى أربع خانات للزمنى والعميان وملاها من هذين الصنفين ، وقرر لهم ما يحتاجون اليه كل يوم ، وكان يأتيهم بنفسه كل يوم اثنين وخميس بعد العصر ، ويدخل الى كل واحد في بيته ويسأله عن حاله ويتفقده بشيء من النفقة ، وينتقل الى الآخر حتى يدور عليهم جميعهم وهو يباسطهم ويخرج معهم ويجبر قلوبهم ، وبنى دارا للنساء الأرامل ، وداراً للضعفاء ، ودارا للأيتام ، ودارا للقطاء ، ورتب بها جماعة من المراضع ، وكل مولود يلتقط يحمل اليهن فيرضعنه ، وأجرى على أهل كل دار ما يحتاجون اليه في كل يوم ، وكان يدخل اليهم في كل يوم ويتفقده أحوالهم ويعطيهم النفقات زيادة على المقرر لهم ، وكان يدخل على البيمارستان ويقف على مريض مريض ويسأله عن مبيته وكيفية حاله وما يشتهي ، وكانت له دار مضيف يدخل اليها كل قادم على البلد من فقيه وفقير وغيرهما ، وإذا عزم الانسان على السفر أعطاه نفقة تليق بمثله ، ولم تكن له لذة بسوى السماع ؛ فانه كان لا يتعاطى المنكر ولا يمكن من ادخاله البلد ، وكان اذا طرب في السماع خلع شيئا من ثيابه وأعطاه للناشد ونحوه ، وكان يسيّر في كل سنة دفعتين من أصحابه وأمنائه الى بلاد الساحل ومعهم جملة مستكثرة من المال يفك به أسرى المسلمين من أيدي الكفار ، فاذا وصلوا اليه أعطى كل واحد شيئا ، وان لم يصلوا فالأمناء

- يعطونهم بوصية منه ، وكان يقيم في كل سنة سبيلا للحاج ، ويسير معهم جميع ما تدعوا اليه حاجة المسافر في الطريق ، ويسير أميرا معه خمسة آلاف دينار ينفقها في الحرمين على المحتاجين وأرباب الرواتب ، وله بمكة حرسها الله آثار جميلة ، وهو أول من أجرى الماء الى جبل عرفات وغرم عليه جملة كثيرة ، وعمل بالجبل مصانع للماء ، وأما احتفاله بمولد النبي صلى الله عليه وسلم فان الوصف يقصر عن الإحاطة به،
- كان يعمل سنة في الثامن من شهر ربيع الأول وسنة في الثاني عشر لأجل الاختلاف الذي فيه ، فاذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الإبل والبقر والغنم شيئا كثيرا يزيد على الوصف ، وزفها بجميع ما عنده من الطبول والمغاني والملاهي حتى يأتي بها الميدان ، ثم يشرعون في نحرها وينصبون القدور ويطبخون الألوان المختلفة ، فاذا كانت ليلة المولد عمل السماعات بعد أن يصلي المغرب في القلعة ، ثم ينزل وبين يديه من الشموع
- ١٠ الموكبية التي تحمل كل واحدة على بغل ومن ورائها رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل ، فاذا كان صبيحة يوم المولد أنزل الخلع والبجج وخلع على كل واحد من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء ، ودفع لكل واحد نفقة وهدية وما يوصله الى وطنه . انتهى ما أورده ابن خلكان ملخصا . وقال ابن قاضي شعبة في « تاريخ الاسلام » بعد
- ١٥ كلام طويل وثناء جميل : قال جماعة من أهل أربل : كانت نفقته على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ، وعلى الأسرى مائتي ألف دينار ، وعلى دار المضيف مائة ألف دينار ، وعلى الخانقاه مائة ألف ، وعلى الحرمين والسبيل وعرفات ثلاثين ألف دينار غير صدقة السر . انتهى كلام ابن قاضي شعبة .

- أقول :** ان للناظر في كتابنا هذا أن يقول : هذه الاموال التي كان ينفقها هل كانت من مال له خاص ، أو من مال الرعية فاستبد بها وبذرها ؟ ولِمَ لم ينفقها في مصالح المسلمين وتقوية شوكتهم مع احتياج وقته الى ذلك ؟! فرحمه الله ورحم أمثاله ، ما كان بعدهم عن مرامي السياسة ! توفي في السنة المذكورة سابقا وهي سنة ثلاثين وستمائة بقلعة أربل ، وحمل الى مكة ليدفن في الحرم ، فلما وصلوا به الى الكوفة لم يتيسر لهم الوصول ، ولم يتفق وصول الحاج اليها لقطع التتار الطريق عليهم ، فدفن عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
- ٢٥

وأنت تعلم أن البلاد في زمنه كانت في ضيق وخوف شديد من الأعداء التي تكتنفها ، ومثله مغموس في الملاهي ومحبة العظمة والأبهة ، وكان ذلك قدرا مقدورا !

جامع (الحيوطية)

علي بن حيوط
قبلي محلة قبر عاتكة . قال ابن طولون في تاريخه المسمى « بفاكهة الخلان في نوازل الزمان » : أنشأ هذا الجامع الأمير علي بن حيوط قبلي محلة قبر عاتكة ، شرقي الشويكة ، على الجانب الغربي والشمالي من بستان الصاحب ، وهو جامع حسن نزه ، أخذه من بيته وجعله جامعا ، ووقف عليه جهات عديدة ، وأقيمت به الجمعة سنة خمس وثمانين وثمانمائة .

حرف الخاء

(١) جامع (خيلخان)

نجم الدين ابن خيلخان
١٠ خارج باب كيسان من الجانب القبلي ، وقد أدخل اليوم في بستان له يقال له : بستان الأمير ، ولم يبق من آثاره اليوم إلا بعض منارته وقبر إلى جانبها ، وقد شاهدته أنا ومحمد أفندي شعيب الجندي أحد تلامذة المدرسة السلطانية بدمشق سنة ١٣٣٣ . أنشأه نجم الدين ابن خيلخان سنة ست وثلاثين وسبعمائة ، وأول من خطب به الإمام ابن القيم .

حرف الدال

جامع (داريا)

١٥ نور الدين ابن زانكي
كان هذا المسجد أولا عند قبر أبي سليمان الداراني ، فأحرقتة الفرنجة لما أخذت داريا أيام مجير الدين آبق ، فأمر السلطان نور الدين بعمارة هذا الجامع سنة خمس وستين وخمسماية ، وجعله وسط البلد ، وفي هذه السنة عمر مشهد أبي سليمان الداراني . قاله الأسدي .

جامع (الدرويشية)

٢٠ درويش باشا
٦٨٧-٠٠٠
بناه درويش باشا بالمحلة المنسوبة اليه وكانت قبلا تسمى بالاخصاصية ، قبلي دار السعادة ، وكان محله مسجدا صغيرا ، فعمره جامعا نزها ، ورتب فيه الوظائف لما كان حاكما بدمشق ، وتم بناؤه سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة . قال في « منتخب الشذرات » : وفي هذه السنة يعني المذكورة عمر درويش باشا الوزير جامعا بدمشق ، فجعل له مامية تاريخا . فقال : ٢٥

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « الحليخاني » .

في دولة السلطان بالعدل مراد
درويش باشا قد أقام معبدا
بناه خير جامع تاريخه
من قام بالفرض وأحيا السنه
وكم له أجر به ومنه
لله فاسجد واقترب بجنه

انتهى . ووقف عليه أوقافا دارة ، وجعل به مدرسين حنفيا وشافعيا ، فدرس به
من الشافعية الشيخ اسماعيل النابلسي ، ثم الحسن البوريني ، ثم الشيخ عبد الغني ابن
الشيخ اسماعيل النابلسي ، ثم ولده الشيخ اسماعيل ، وذلك بموجب شرط الواقف .
وعمر درويش باشا مقابل هذا الجامع من الجهة القبليّة مكتبا وتربة حسنة ودفن بها .
ورأيت مكتوبا في القيشاني المبني به محرابه الذي في صحن الجامع هذين البيتين :

ياحسنه من جامع ما مثله
ومن رب العرش في تاريخه
بأشرفيه رجب بهتمه
جزاؤه قصر زهى في جنته
وفي حائطه الشمالي بركة ماء مكتوب في صدرها :

هذا سبيل بل سلسبيل
وزمزم الماء فيه يجري
أجراه أجرا فادخره
يحيي عليلا يشفي غليلا
عند مقام حوى جليلا
درويش باشا بنى سبيلا

أي في سنة سبع وثمانين وتسعمائة . وقال في « شذرات الذهب » ما حاصله :
وفي سنة سبع وثمانين وتسعمائة توفي درويش باشا ابن رستم باشا الرومي ، تولى
إيالة دمشق ، وعمر بها الجامع خارج باب الجابية لصيق المغيرية ، وعمر الحمام داخل
المدينة بالقرب من الأموي ويعرف الآن بحمام القيشاني ، وعمر القيسارية والسوق
والقهوة ، ووقف ذلك فيما وقفه على جامع ، وشرط تدريسه للشيخ اسماعيل النابلسي
وكان خصيصا به ، وعمر الجسر على نهر بردى عند عين القصارين بالمرجة ، ومات ببلاد
قرمان ، ونقل تابوته الى دمشق فدفن بها . انتهى .

أقول : جميع عماراته باقية ، ولكن الحمام صار سوقا فزاد نفعه عما كان عليه .
قال العدوي : وكانت ولايته بدمشق ثلاث سنين وستة أشهر رحمه الله تعالى .

جامع (ذلك الباب)

هو بطريق الصالحية للذهاب الى الجسر الأبيض (١) .

(١) بعد هذا في الاصل بياض قدره سبعة أسطر .

حرف السين

جامع (السقيفة)

هو خارج باب توما معروف ومشهور ، بناه سنة أربع عشرة وثمانمائة رجل يقال له : خليل الطوغاني ، كان رأس نوبة في دار السعادة . قال ابن قاضي شهبه : كان محله يعرف بالسبعة ، فبناه الطوغاني ، وجعل له شبابيك على النهر فجاء حسنا ، ورتب فيه خطيبا ومؤذنين وقارئاً للحديث ، وتوفي سنة خمس عشرة وثمانمائة . قال : ودفن بدمشق ، وكان شيخا ان لم يكن من الظلمة فهو من أعوانهم .

خليل الطوغاني
٨١٥-٠٠٠

التيكة (السليمانية)

في سنة اثنتين وستين وتسعمائة بنى السلطان سليمان خان جامعا وتكية بالميدان الأخضر المسمى اليوم بالمرجة مكان قصر الملك الظاهر بيبرس ، فأخذت آلات القصر وجعلت فيه ، وأضيف إليها ما يحتاج البناء اليه ، فجمع من الآلات والأحجار والرخام الصافي والملون والقباب والصنائع والترصيص ما يحير فيه الناظر ويشرح خاطر، ويشتمل على حجرات وخلوي ، كل خلوة بقبة وأوجاق وشبابيك الى الجامع ، ومطبخ ، ومطعم ، ومئذنتين شرقية وغربية كأنهما ميلان ، وأما القبة والمنبر والمحراب ففي غاية الاتقان ، وفي الجانب القبلي من الجامع جنيحة بديعة المنظر . قاله الشيخ محمود العدوي ، وقال : ثم تجددت مدرسة الى جانب التكية السليمانية برسم التدريس سنة أربع وسبعين وتسعمائة من زوائد التكية المذكورة، فجاءت محكمة البناء حلوة الشمائل . انتهى . وهذا كله من آثار السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان الحادي عشر من ملوك بني عثمان ، المتوفى سنة أربع وسبعين وتسعمائة ، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة .

السلطان سليمان
٩٧٤-٠٠٠

مسجد (سنان آغا)

على حافة نهر بردى خارج باب الفرج ، في المحلة التي تسمى بالمناخية من الجانب الغربي ، كان في أيامه مسجدا قديما ضيقا ، وبجانبه أماكن مشعثة ومسلخ ومخازن ، فجعل سنان آغا الينكجيرية هذا المكان كله جامعا ، وضمه الى الأول وزاد فيه ، وجعل له منبرا ومئذنة لطيفين . قاله العدوي ، ولم يؤرخ أيام بنائه .

سنان آغا

جامع (السنانية)

سنان باشا
١٠٠٤-١٠٠٠

- هو مشهور معروف عند باب الجابية ، وكان موضعه أولا مسجدا يقال له : مسجد البصل ، فجده سنان باشا ، وجعله جامعا عظيما ، وتمت عمارته سنة تسع وتسعين وتسعمائة ، فجاء جامعا لجميع المحاسن جامع ، وأوقف عليه أوقافا عظيمة ، والذي بناه هو يوسف بن عبد الله سنان باشا الوزير الأعظم . قاله نجم الدين الغزي في تاريخه « لطف السحر » ، وقال : هو صاحب الخيرات الكثيرة والمبرات الغزيرة حتى قيل : انه أنشأ أربعين مسجدا جامعا يخطب على منابرهما في أقطار المملكة العثمانية غير الجسور والخانات ، وكان كل ما مات مملوك له أو مولى حفظ ما يرثه منه أو يتناوله من بعده فيعمر به مسجدا أو غيره ، وعمر بدمشق جامع السنانية خارج باب الجابية ، وعمر خارج دمشق جامعا بسعسع ، وجامعا وخانا بالقطيفة ، وجامعا بعيون التجار ، وعند كل جامع تكية مضمومة اليه ، ولي الوزارة للسلطان مراد خان ابن السلطان سليم خان ، ثم عزل عنها ، ثم أعيد وهو وزير أعظم ، وولي دمشق في أثناء ذلك في أوائل سنة خمس وتسعين وتسعمائة ، وفيها ابتداء خارج باب الجابية بعمارة السنانية ، وحضر تأسيسها ، وأحضر جمعا من العلماء والمؤذنين ، وولي على عمارتها وعمارة السوق الأمير محمد بن منجك ، وضم اليه اثنين ، ثم خرج من دمشق معزولا ، وولي بعده خسرو باشا الطواشي ، ثم أعيد سنان باشا الى الوزارة ، وبقي بها حتى مات سنة أربع بعد الألف .

مسجد (السويقة المحروقة)

محمد اليتيم الدمشقي
١٠٠٥-١٠٠٠

- قال في « سلك الدرر » في ترجمة محمد بن أبي بكر المعروف باليتيم الدمشقي العاتكي الصوفي المتوفى سنة خمس بعد الألف : كان في أول أمره يتكسب ببيع القهوة بالسويقة المحروقة ، وكانت قهوته مجمع الصالحين ، وكان الى جانبه حوش يجمع بنات الخطأ ، فاستأجره ، وأخرجهن منه ، واتخذ فيه مسجدا ، قال : وهذا هو المكان الذي بنيت فيه المرادية ، ويقال : ان داخل حرمها بناه مراد باشا نائب الشام في سنة ست وسبعين وسبعمائة .

ترجمة مراد باشا

مراد باشا
١٠٢٠-١٠٠٠

- هو مراد باشا ، كان وزيرا أيام السلطان أحمد ، ترجمه المحبي بترجمة طويلة اقتصرنا

منها على ذكر ما أنشأه وبناه لمناسبته لموضوع كتابنا ، فنقول : تولى المترجم الحكم باليمن ، وله بها آثار منها جامع في قصر صنعاء ، وأجرى له غيلا (١) من جبل تقيم وانقطع في زمن حسن باشا الوزير ، وبنى أيضا قبة عظيمة على قبور السادة بني الأهدل بزيد ، ورفع عن الرعية جملة من المظالم والبدع ، ونشر عدله في الجبال ، وكان مع ذلك سفاكا للدماء ، كان يحب العلماء ويميل الى الصلحاء ، ثم عزل عن اليمن وأعطى حكومة قرمان ، وأمر بالسفر مع الوزير الأعظم الموجه الى تبريز ، فأسرته العجم في الواقعة ، ولما تخلص من الأسر ولاء السلطان مراد نيابة دمشق ، فعمر بها السوق الذي عند باب البريد وكان يعرف بسوق الطواقية ، شرع في تعميره في أواخر اثنتين بعد الألف ، فهدم الحوانيت القديمة وجدد بناءها ، ووسع الطريق ، ورفع السقف ، وبنى على مربعة باب البريد قبة عظيمة عالية ملاصقة للعمودين العظيمين الباقيين عن يمين باب البريد وشماله ، فجاءت قبة حسنة وجاء البناء محكما حسنا ، وأخذ البيوت التي وراءه وعمرها وكالة حسنة ، وأمر أن يسكن فيه تجار سوق السباهية ، فنقلوا اليه برهة حتى مات ، ثم أعيدوا الى سوقهم ، ثم عمر الى جانبه سوقا آخر ونقل اليه تجار سوق الذراع ، وكان تمام العمارة سنة خمس بعد الألف . وقال ابو الطيب الغزي في تاريخ الوكالة :

هالك تاريخا سماه بدر هالات الغزاه
جملة الملك بهاء وسخاء وبسالة
صح في آخر شطر ضمّن الدرّ مقالاه
ولي الشام مراد فبنى خير وكاله

والوكالة اسم للخان كما هو معروف في عرف المصريين ، والدمشقيون يسمونه قيساريه . قلت : هذه الأبنية بعضها تبدلت أوضاعها وبعضها عرضة للتبديل . وأما القبة فقد هدمت سنة (٢) لما بني السوق وتبدلت أوضاعها ، ولم يبق سوى الأعمدة العظيمة التي عن يسار ويمين الداخل الى الجامع من جهة باب البريد ، وسيكون لها شأن وترتيب يحفظها لتكون أثرا قديما معمارا يدل على سعة أفكار القدماء في الفن المعماري والهندسة .

ثم ان مراد باشا وقف الجميع على الحرمين الشريفين ، ثم انفصل عن دمشق وولي حلب وديار بكر ، ثم أعطي ولاية روم ايلي مرتين ، ثم صار وزيرا وأمر بمحافظة بلغراد ،

(١) كذا في الاصل ، ولعله أراد بذلك الفل وهو الماء الذي يجري بين الاشجار .

(٢) لم يذكر المؤلف سنة هدمها .

ثم تولى الوزارة العظمى ، وتقلبت به الأحوال السياسية الى أن خرج لقتال العجم ، فلما وصل الى ديار بكر ابتداء به المرض واسترسل معه الى أن توفي سنة عشرين وألف ، وحمل مصبرا الى قسطنطينية فدفن بتربته التي أحدثها لنفسه بمدرسته المعروفة به .

جامع (السياغوشية)

- ٥ بحارة كانت تسمى بالقصاعين داخل باب الجابية . حكى المحبي في «تاريخه» ، في ترجمة حسن باشا بن عبد الله الأمير الكبير المعروف بشوربزه حسن أحد صدور دمشق وأعيانها ، أن المترجم كان منتميا الى الوزير الأعظم سياغوش باشا ، فدفع اليه مالا وأمره أن يبني له مسجدا بدمشق ، ويرتب فيه من يقوم بشعائره ، فبنى المسجد المعروف بالسياغوشية بالقرب من داره بحارة القصاعين داخل باب الجابية ، وأحسن بناءه ، وكذا فعل معه الوزير الأعظم مراد باشا فعمر له سوق المرادية بباب البريد والخان وسوق الذراع ، وجعله وقفا على الحرمين ، وقال : ان حسنا المذكور ولي وقف البيمارستان النوري ؛ فأقام شعائره بعد أن كانت اضمحلت ، وعمر أوقافه ، وأتى فيه من حسن التنمية بما لا مزيد عليه . وكذلك عمر وقف البيمارستان القيمري وأنماه ، وولي تولية الجامع الأموي بعد أن كاد وقفه يذهب ، فبذل جهده في ضبطه وتنميته ، وعمر حمام البرورية وقف دار الحديث النورية بأمر الوزير أحمد باشا الحافظ ، وصرف من ماله ١٥ مبلغا واستوفاه من أجوره ، ثم سلمه لتوليته بعد الاستيفاء ، وتوفي سنة سبع وعشرين وألف . وكذلك عمر المذكور الخان المعروف بسوق جقمق ، ووقفه مع جملة عقاراته على ذريته (١) .

حرف الصاد

٢٠ الزاوية (الصمادية) والمسجد بها

- بمحلة الشاغور بالقرب من الباب الصغير المسمى الآن بباب الشاغور . والذي يلوح من كتاب « الكواكب السائرة » للنجم الغزي أن الذي بناها محمد بن خليل الصمادي ، فإنه قال : هو محمد بن خليل بن علي بن عيسى بن أحمد بن صالح بن عيسى بن داود

(١) بعد هذا في الاصل بياض بمقدار أربعة أسطر .

ابن مسلم يفتح اللام مشددة الصمادي ثم الدمشقي الشافعي القادري شيخ الطريقة
 الصمادية بالشام ، كانت عمامته وشده من صوف أحمر كما ذكره ابن طولون . والمعروف
 من حال الصمادية وضع الشدود الحمر والتعمم بالصوف الأبيض ، ثم هم الآيتعممون
 بالعمائم الخضراء لثبوت نسبهم . وكان المترجم له مجالس حسنة ، وكان للناس فيه اعتقاد
 وخصوصا الأروام ، واجتمع بالسلطان سليم خان أثناء سفره الى بلاد الروم ، وأعطاه قرية
 كتيبة رأس الماء ، ثم استقر الأمر على أن عين له قرية كناكر التابعة لبلاد العجم ، وغلالها
 الى الآن تستوفيها الصمادية : بعضه لزاوية الشيخ محمد المذكور ، وبعضه لذريته ،
 واشتهر أمره وأمر آبائه من قبله بدق الطبول عند هيجان الذاكرين واشتداد الذكر ،
 فأنكر عليهم جماعة ، واستفتي فيه محمد بن حامد الصفدي وابن قاضي عجلون فأفتيا
 بالإباحة قياسا على طبل الحجيج وطبل الجهاد ، ثم استفتي فيه البدر الغزي فأفتى
 بالإباحة للعلة نفسها ، وكتب على السؤال مؤلفا بسط فيه القول . توفي المترجم سنة ثمان
 وأربعين وتسعمائة ، ولم يدفن في نفس الزاوية لأنه كان قد وقفها قديما ولكنه دفن
 بباوانها ، وخلف ثمانية عشر ولدا ودنيا واسعة . هذا كلام الغزي باختصار . ويظهر منه
 أن المترجم هو الذي بنى الزاوية ، وأنه أول من استوطن دمشق من هذه العائلة . هذا
 واني لأعجب من هؤلاء المفتين ومن قياسهم دق الطبل في الاذكار على طبل الجهاد
 وعلى طبل الحجيج ، ومن شرط القياس أن يكون الأصل المقيس عليه ثابتا بكتاب أو
 بسنة أو بإجماع ، ثم هو من خصائص المجتهد ، ونحن نرى مثل هؤلاء يشددون النكير
 على من يقول بعدم انقطاع الاجتهاد وينسبونه الى البدعة ، ثم هم يجتهدون فيما
 لايسوغ فيه الاجتهاد ! ثم أي داع لجعل الضرب بالطبل عبادة ؟! وهل هو الا تشريع بما لم
 يأذن الله به ؟! وان كنت في ريب من أحوال مثل هؤلاء فتأمل ما كتبه النجم الغزي في
 « الكواكب » . في ترجمة هذا الرجل ، ثم حكم العقل فيه ، تعرف مبلغه من العلم والعقل
 وبلوغه رتبة الذكاء والتنبه وفقه النفس ! فانه قال : ان جماعة الصمادية كانوا يضربون
 الطبول قديما بين يدي شيخهم في حلقته يوم الجمعة بالجامع الأموي بعد الصلاة ،
 فأمر أحد الحكام بمنعهم من ذلك ، فأخرج الطبل الى خارج الجامع ، فدخل الطبل بنفسه
 يضرب عليه ولا يرون له حاملا ولا ضاربا ، واستمر في هواء الجامع من باب البريد حتى
 انصدم ببعض عواميد الجامع مما يلي جيرون . انتهى . ويمكن أن تكون هذه الحكاية هي
 التي اتخذها هؤلاء أصلا وقاسوا عليه ما أرادوا ، فمثلهم من ينبغي لنا أن نجعلهم قدوة

ونكتب مؤلفاتهم أملا بالاستفادة منها ، فانا لله وانا اليه راجعون !

- هذا ، وقال في « الكواكب » في ترجمة محمد بن محمد بن خليل الصمادي : ورتب السلطان سليمان على الصمادية مرتبا على قرية كناكر قدره في كل سنة ثمانون غرارة من الحنطة ، منها : أربعون لزاويتهم وفقرائها وروادها ، ومنها أربعون لذرية الشيخ محمد وهي باقية بأيديهم الى الآن . توفي سنة أربع وتسعين وتسعمائة ، ودفن ٥ بزاويتهم داخل باب الشاغور . وحكى الغزي في « لطف السحر » في ترجمة مسلم ابن محمد بن خليل الصمادي أنه حصلت بينه وبين عبد الرحيم الحلبي خليفة الشيخ محمد سعد الدين منازعة عظيمة بسبب ذلك الطبل حيث ان الحلبي كان معه طبل فقال له الصمادي : ان الطبل ليس من طريقة بني سعد الدين وانما هو مخصوص بنا وبمن اخذ عنا ، ثم حميت الفتنة بينهما حتى أسكنها الحكام بدمشق ، وباليث قائلا قال للغزي ١٠ وأمثاله : هب انكم أفتيتم بجواز الطبل للصمادية دون غيرهم ؟ فله دركم ما اعلمكم بالحلال والحرام ! توفي مسلم المذكور سنة خمس عشرة وألف .

مدفن (ابن عربي الحاتمي الطائي الأنطلسي)

السلطان سليم
٨٧٢-٩٢٦

- لما دخل دمشق السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان ابن السلطان محمد خان تاسع ملوك بني عثمان ، كان على قبر ابن عربي تابوت من الخشب ، وكان بقربه مزبلة ١٥ وحمام قديم منافعه معطلة ، وكان السلطان يخبه لاشتهار مصنفاته ببلاد الروم ، فأخذ مكاني المزبلة والحمام وعمرهما جامعا بمنبر ومحراب ، وصرف عليه اموالا عظيمة ، ورتب له وظائف وقراء وأنواعا من الخيرات ، وجعل له أربعة مؤذنين وثلاثين قارئاً يقرؤون القرآن عند طلوع شمس كل يوم فيختمون ختمة ، وأوقف على ذلك أوقافا دارة منها : قرية التل ومنين ، وحرستا ، وعذرا ، وقيسارية الحرير بدمشق ، وطاحون باب الفرج ، ٢٠ وغير ذلك من الطواحين والدكاكين ، والجص المسمى بالجبصين ، والثلج ، وبني مقابل الجامع تكية يطبخ بها الطعام صباح ومساء كل يوم ، وفي كل يوم خميس يطبخ الأرز الملفل والأرز بالعسل . ثم انها احترقت سنة اثنتين وستين وتسعمائة ، ثم عمرت فصارت أحسن ما كانت أولا ، وأرخ القاضي محي الدين العدوي البناء السليمي بقوله :
سليم بنى لله خيرا ومسجدا وقد تم في تاريخه خير جامع ٢٥
وستأتي ترجمة هذا السلطان في القسم السياسي من هذا الكتاب ، ونقول هنا :

انه ولد بأماسية سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة ، وجلس على تخت السلطنة وله من
العمر ست وأربعون سنة ، وكان ملكا قهارا وسلطانا جبارا ، قوي البطش كثير السفك
للدماء ، شديد التوجه الى أهل النجدة والبأس ، عظيم التجسس على أخبار الناس وربما
غير لباسه وتجسس ليلا ونهارا ، وكان شديد اليقظة والتحفظ ، يحب مطالعة التواريخ
وأخبار الملوك ، وله نظم بالفارسية والرومية والعربية ، ومما ينسب اليه من النظم قوله :

الملك لله من يظفر بنيل منى يردده قهرا ويضمن بعده الدركا
لو كان لي أو لغيري قدر أنملة فوق التراب لكان الكل مشتركا

حمل حملة عظيمة على الشاه اسماعيل ، فالتقاه بقرب تبريز فهزمه وشتت شمله،
ثم رجع في طريقه الى جهة حلب ، فوقع المصاف بينه وبين الغوري ملك مصر والشام
بمرج دابق شمالي حلب ، فانكسر عسكر الغوري وهلك هو تحت سنابك الخيل ، فملك
السلطان سليم حلب ودمشق، ثم توجه الى مصر، وقاتل طومان باي أحد ملوك الجراكسة
فقتله ، واستولى على مصر؛ فهو أول ملوك بني عثمان الذين ملكوا البلاد العربية ، وجعل
في مصر القضاة الأربعة ، ثم استولى على الارض الحجازية وغيرها، ورتب الرواتب، وأبقى
الأوقاف على حالها ، ورتب لأهل الحرمين سبعة آلاف اردب حنطة في كل سنة ، ثم
عاد الى القسطنطينية ، فابتلي بداء الجمرة فكانت سبب موته سنة ست وعشرين
وتسعمائة .

حرف العين

جامع (العسالي)

هذا الجامع عمره أحمد باشا كوجك المتوفى سنة ست وأربعين وألف بالقرب من
قرية القدم خارج دمشق سنة خمس وأربعين وألف ، وجعل فيه تكية ، ووقف عليها
قرى من ضواحي صيدا وبعبك ، وألحق بذلك ستين جزءا بالجامع الأموي ، وتعيينات
لأهل الحرمين ، وبنى سبيلا بالقرب من تلك العمارة عظيم النفع ، وأرخه بعض الأدباء
بقوله :

أنشأ الوزير للوفود منهلا لوجه مولاه اذا وافى غدا
وأنشد الوارد في تاريخه هذا السبيل الأحمدى قد بدا

قاله المحبي في « خلاصة الأثر » . وكانت عمارته لأجل الشيخ أحمد بن علي الحريري
العسالي شيخ الخلوتية بالشام . قال المحبي : وكان العسالي عابدا زاهدا متفقا على
صلاحه ، وكان والده كردي الأصل قدم من بلاد حرير ونزل بقرية عسال من ضواحي
دمشق ، فولد له بها أحمد هذا ، فدخل دمشق في صباه وأخذ بها عن بعض صوفيتها ،
ثم ارتحل الى حلب ، ثم الى عينتاب فلقى بها الشيخ شاه ولي الخلوتي ، فأخذ عنه
الطريقة الخلوتية ، ورجع الى دمشق وسكن بصالحيتها مدة مديدة ، وكان نواب الشام
وقضاتها وأعيانها يسعون اليه ، وربما أخذ بعضهم الطريق عنه ، وأخذ عنه من أهالي
دمشق وغيرها خلائق لا يحصون ، ولما عمر له أحمد باشا كوجك تكيته المشهورة نقله
اليها سنة ست وأربعين ، فازداد اشتهارا الى أن توفي ثامن عشر ذي الحجة سنة ثمان
وأربعين وألف ، ودفن بها .

وترجمه المحبي بترجمة مطولة ، ووصفه بالعابد الزاهد ، وارتقى في مدحه الى انه
وصل الى مقام القطبية ، ثم قال : والعسالي ، بضم العين المهملة وبعدها سين مهملة وألف
ولام ، نسبة الى قرية من قرى الجبة من نواحي دمشق ، وكانت طريقته خلوتية ، قال :
والخلوتية معروفون ، ونسبوا الى الخلوة لأنها من لوازم طريقتهم ، ثم أفاض في ذكر
القطب والغوث ، ونقل كلام الاستاذ أيوب في رسالته « الاسمائية » في كيفية الخلوة ،
ولسنا الآن بصدد ذكر ذلك فليراجعه من أحب زيادة الاطلاع .

ترجمة واقفها

قال المحبي في تاريخه « خلاصة الأثر » ما ملخصه : أحمد باشا الوزير الكبير
المعروف بكوجك أحمد الأرثوودي ، أحد الوزراء المشهورين بالشجاعة وشدة البأس
وحسن التدبير ، وكان عارفا بأحوال الحروب ، كان أولا خامل الذكر ، ثم نهض به الحظ
حتى صار بكربكيا وتولى حكومة سيواس ، ثم ورد دمشق حاكما بها أولا سنة تسع
وثلاثين وألف ، وبعد ما عزل عنها ولي حكومة كوتاهية ، فنجم في بلاد الروم الياس باشا ،
وأظهر العقوق للدولة العثمانية وذلك أيام السلطان مراد ، فعينه السلطان لمحاربته ،
فسار اليه وقابله وفتك به وأسره وغنم منه غنائم كثيرة ، وعاد به الى الأبواب السلطانية ،
فأكرمه السلطان لذلك وفوض اليه ثانيا كفالة دمشق ، وكان ذلك سنة اثنتين وأربعين
وألف ، وخلع عليه خلة الوزارة ، وعينه لمقاتلة الأمير فخر الدين بن معن وقد كان خرج

عن طاعة السلطنة ، وملك كثيراً من القلاع التي في ضواحي دمشق ، وتصرف في ثلاثين حصناً ، وانضم اليه من طائفة السكبان خلق عظيم . ولما وصل المترجم الى الشام جمع أعيان العلماء وكبراء العسكر فقرأ عليهم الفرمان ، فأذعنوا لطاعته ، وانضم اليه أمراء الأطراف ونائب حلب ، فخرج بمن معه ثاني صفر سنة ثلاث وأربعين فخيم بمعسكره بالقرب من قرية الكسوة ، ولما تكامل الجمع رحل الى قره خان ، وكان بنو الشهاب يسكنون وادي تيم الله بن ثعلبة ، فأرسل شردمة من العسكر لئلا تلتهم لأنهم منبع الشقاوة ، فساروا الى جانب حاصبيا وریشيا (١) فالتقى العسكران ، وكان الأمير علي بن فخر الدين أمير صفد مع الشهابية ، وبعد حرب طويل ظفر العسكر بالشهابيين ، وقتل الأمير علي وجيء برأسه الى الوزير أحمد فسر بذلك ، وكانت الغنيمة عظيمة ، والقتلى والأسرى كثيرة ، ولم ينج الا شردمة يسيرة . ثم سار أحمد باشا بعساكره الى البقاع العزيزي ، وافتتح قلعة قبر الياس ، وكان فخر الدين في قلعة جزين ، فحاصرها الباشا ، فلما رأى فخر الدين انه مأخوذ خرج من القلعة وأتى أحمد باشا طائفاً فقبض عليه ، وأتى به الى دمشق ، ودخلها بموكب حافل وفخر الدين خلفه مقيد على فرس ، فكثر دعاء الناس للباشا ، ومدحه شعراء دمشق بالقصائد وأكثروا من التواريخ ، ثم أرسل ابن معن الى مقر السلطنة فقتل هناك ، وأحاط أحمد باشا بماله من الأملاك والعقار وأواني الذهب والفضة وآلات الحرب ، ووقف قراه وأملاكه على التكية العسالية . ثم طلبه السلطان الى محاربة العجم في قلعة روان ، وعزل عن حكومة دمشق ، ثم أعيد اليها قريباً ، وأمر بمحافظة الموصل ، وعين معه عسكر الشام فحافظوا مدة ، ثم مرض في أثناء المحافظة ، وأراد المقاومة لشاه العجم عباس شاه فما ساعده القدر ، فقتل ، وأسر غالب من معه من العساكر ، وأرسل رأسه الى دمشق فدفن في تكيته المذكورة ، وكان قتله في ربيع الثاني سنة ست وأربعين وألف رحمه الله .

حرف القاف

جامع (مسجد القصب)

هو خارج دمشق بمحلة مسجد الاقصاب ، ويقال له : مسجد ابن منجك . كان أولاً صغيراً فهدمه الأمير ناصر الدين محمد بن منجك ، ووقع بسبب ذلك بين القاضي

ناصر الدين ابن منجك

٢٥

(١) تعرف الآن براشيا .

المالكي وابن الحسيناني قاضي الشافعية بسبب ابن منجك لأنه قصد توسعته من جهة القبلة بأخذ خان كان يقال له : خان فارس، فحكم المالكي بأخذ ذلك بالقيمة قهرا ، فمانعه الشافعي ، ووقع بينهما أمور ، ثم ظهر أن الحق بيد الشافعي ، ولكن أخذ ابن منجك الأرض بغير طريق شرعي سنة إحدى عشرة وثمانمائة .

جامع (القلعة)

بناه السلطان نور الدين محمود بن زنكي ، ورممه الملك الناصر ابن قلاوون سنة خمس وثلاثين وسبعمائة .

حرف الكاف

الجامع (الكريمي)

هو جامع القبيبات . قال في « شذرات الذهب » ما خلاصته : وفي سنة أربع وعشرين وسبعمائة توفي صاحب الكبير كريم الدين عبد الكريم بن هبة الله ابن السيد المصري ، أسلم كهلا في أيام الجاشنكير وكان كاتبه ، وتمكن من السلطان غاية التمكن بحيث صار الكل اليه وبيده العقد والحل ، وبلغ من الرتبة مالا مزيد عليه ، وجمع أموالا عظيمة عاد أكثرها للسلطان ، وكان حسن الخلق ، عاقلا خيرا سمحا وقورا ، مرض مرة فزينت مصر لعافيته ، وكان يعظم أهل الدين ، وله بر وآثار ، غمر البيارات ، وأصلح الطرق ، وعمر جامع القبيبات وجامع القابون ، وأوقف عليهما الأوقاف ، ثم انحرف عليه السلطان ونكبه ، فنفي إلى الشويكة ، ثم إلى القدس ، ثم إلى أسوان فأصبح مشنوقا بعمامته ، ولما أحس بالقتل صلى ركعتين ، وقال : هاتوا ما عندكم ! عشنا سعداء ومتنا شهداء ، أعطاني السلطان الدنيا والآخرة . وشنق وقد قارب التسعين . ا.هـ . وقال النعمي : أجرى الماء في جدول إلى ذلك الجامع فعاش به الناس يومئذ ، وعمل حوضا كبيرا تجاه الجامع من الغرب لشرب الناس والدواب .

كريم الدين
المصري
٧٢٤-٠٠٠

حرف الميم

جامع (المرجاني)

كان بضواحي المزة ، بناه محمد بن أحمد المرجاني سنة تسع وستين وستمائة ، وكان ذا مآثر حسنة واشتغال بالحديث .

محمد المرجاني

جامع (الزاز)

بزايين معجمتين ، هو بالشاغور ، أنشأه عزران شاه السيد تقي الدين الزينبي (١) الجوني ، ثم خرب أيام فتنة تيمورلنك ، فجدده الطواشي مرجان خازندار الأمير شيخ ، ووقف عليه ، ورتب به وظائف ، وذلك سنة ثلاث عشرة وثمانمائة .

تقي الدين الزينبي
٧٤٩-٨٣٣

جامع (المزة)

أنشأه الوزير ابن شكر سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وهو عبد الله بن علي ابن الحسين المصري الدميري المالكي ، أصله من الدميرة بلدة بين الاسكندرية ومصر ، ولما نشأ اشتغل بالفقه والحديث ، وأخذ عنه الحافظ المنذري ، واستوزر للعادل وتمكن منه ، ثم غضب عليه ونفاه الى آمد ، ثم بعد موت العادل رجع الى دمشق ، وامتدحه السخاوي بمقامة .

عبد الله ابن شكر
٦٢٢-٠٠٠

قال المنذري : وكان موثرا للعلماء والصالحين ، كثير البر بهم والتفقد لهم لا يشغله ما هو فيه من كثرة الأشغال عن مجالستهم ومباحثتهم ، وأنشأ مدرسة قبالة داره بالقاهرة .

١٥

قال أبو شامة : وكان خليقا بالوزارة لم يتولها بعده مثله ، ألف كتابا سماه « البصائر » . وترجمه الموفق عبد اللطيف وبالف في ثلثه ، وتوفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة .

ورأيت بخط العلموي : ان ابن شكر له آثار حسنة بدمشق منها بناء المصلى بميدان الحصى وتبليط جامع دمشق وعمارة جامع الفوارة وتجديد جامع حرستا وغير ذلك . ورأيت في هامش « تنبيه الطالب » نقلا عن النعيمي ما حصله أن هذا الجامع قد خرب وبطلت الصلوات فيه مدة سنين ، الى أن أمر السلطان سليمان بعمارة جامعته والتكية

٢٠

(١) كذا في الاصل وفي « الدارس » : « الزيني » .

مكان قصر الملك الظاهر سنة خمس وستين وتسعمائة ، فأخذت آلات هذا الجامع الى عمارته ، وأخذت أيضا آلات جامع النيرب ، ولم يبق بالمرزة جامع غير جامع المرجاني فقط .
ومثله جامع الأفرم وقد كان غربي الصالحية ، بناه الأفرم نائب السلطنة سنة ست وسبعمائة ، ورتب له خطيبا يخطب فيه ، وقد أصبح اليوم لا أثر له ، وكان تجاه الرباط الناصري . وكل منهما يسلم على الآخر سلام الوداع .

جامع الأفرم

جامع (المصلى)

الملك العادل
سيف الدين

قبلي البلد من خارج بمحلة الميدان ، أنشأه الملك العادل سيف الدين أبو بكر ابن أيوب سنة ست وستمائة ، وجعله لصلاة العيدين ، ولم يتهيأ له وقف : قال أبو شامة : وقد بنى له أربعة جدر مشرفة ، وجعل له أبوابا صونا لمكانه من نزول القوافل ، وجعل له محرابا من حجارة ومنبرا منها ، وعقدت فوقه قبة ، ثم عمل بعد ذلك في قبلته رواقان ومنبر من خشب .

جامع (الملاح)

المصاحب أميرال

خارج الباب الشرقي جوار المزار المنسوب لسيدنا ضرار بن الأزور رضي الله عنه ، بالقرب من محلة الملاح وهي القعاطلة ، أنشأه المصاحب أميرال سنة إحدى وسبعمائة ، وكان غير مسلم أولا ، ثم أسلم وتولى نظر الدواوين . وكان الأليق بي أن لا أذكر هذا الجامع هنا لأنه قد تهدم ، ولم يبق منه الا بعض جدران واقفة وبعض الأعمدة ، ولكنني ذكرته هنا للاستبصار .

جامع (ابن منجك)

الأمير ابراهيم
ابن منجك

بآخر ميدان الحصى ، بناه الأمير ابراهيم ابن سيف الدين منجك ، وقال فيه بعض الأدباء حينما أمر بحمل حجارة البناء على العجل من أرض العمارة :

لنا ملك على البنيان مقتدر قلوب صم الحصى من خوفه وجله
ذو همة لو نأى في أمره جبل أتى به مسرعا في الحال بالعجلة

والظاهر أن بناءه كان قبل الثمانمائة والله أعلم .

المنارة البيضاء

هي المنارة المبنية عند كنيسة النصارى داخل دمشق بمحلة الخراب . حكى المحبي في « تاريخه » في ترجمة أحمد بن يونس العيثاوي أن الذي بناها علاء الدين ابن الحجيج وكان تاجرا كبيرا ، ولما أراد بناءها في ذلك المحل اختلف علماء وقته في جوازه ؛ فأفتى الشيخ اسماعيل النابلسي الشافعي بعدم جواز بنائها حذرا من أن يكون اشهار الأذان بها سببا لسب النصارى دين الاسلام ، وأفتى العيثاوي الشافعي بجواز البناء ، فمال القاضي مصطفى بن بستان الى قوله ، ومال نائب الشام حسن باشا الى فتوى النابلسي ، ثم بنيت بأمر القاضي بعد أن بذل النصارى للوزير مالا جما لمنع بنائها ، وألف العيثاوي رسالة استند بها على ما قاله ، وكان ذلك قبل التسعين وستمائة .

علاء الدين
ابن الحجيج

٥

حرف النون

١٠

جامع (النحاس)

كان شرقي الركنية بالصالحية ، وقد صار الآن بستانا يقال له : بستان النحاس ! والذي بناه عماد الدين عبد الله بن الحسين بن النحاس ، كان أولا له خدمة في دولة زمانه ، ثم أقبل على الزهد والعبادة والانقطاع الى مسجده الجامع ، توفي سنة أربع وخمسين وستمائة ، ودفن بسفح قاسيون في تربة كانت تنسب اليه .

عماد الدين
ابن النحاس
٦٥٤-...

١٥

جامع (النيرب)

لم نذكر هذا الجامع الا للتذكاري ، والا فما الفائدة في ذكر جامع صار بستانا؟! ولقد كان بالقرب من الربوة على حافة نهر بردى ، وكان هناك سوق . والنيرب من محاسن دمشق تابع بيت لها . ويقال : ان شرقي هذا الجامع قبر حنة أم مريم ، والذي بناه محمد بن أحمد الشهير بابن أبي العيش الأنصاري الدمشقي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، وقد أذهبت الأيام والليالي ، فسبحان من تفرد بالبقاء ! وكان بالربوة أيضا جامع فاندرست آثاره أيضا . وكان بدرب الصالحية الآخذ الى الجسر فوق جامع برسباي جامع يقال له : جامع العنبري ، فهدم سنة ثمانين وتسعمائة فلم يبق له اثر !

محمد الأنصاري

٢٠

حرف الواو

مسجد (وائلة بن الأسقع)

هو ، في سوق باب الصغير ، مسجد كبير ، وله أوقاف .

حرف الياء

جامع (يلبغا)

على شاطئ نهر بردى معروف مشهور ، وهو الآن مكتب للعسكرية (١) ، وكان محله تلا يشنق عليه المجرمون كما حكاه ابن ناصر في كتابه « توضيح المشتبه » ، فأخذه سيف الدين يلبغا ، وأنشأ فيه هذا الجامع سنة سبع وأربعين وثمانمائة .

سيف الدين يلبغا
٧٤٨-٠٠٠

- ويلبغا هذا ، كما قاله الحسيني في « ذيل العبر » ، كان نائبا بدمشق يعني واليا ، وفي السنة المذكورة جاء أمر السلطنة اليه بالقبض على جماعة من أمراء مصر كانوا بدمشق ، فجمع يلبغا الأمراء واستشارهم في ذلك ، فاختلفوا عليه ، فكاتب أرغون شاه نائب حلب فأجابه بالطاعة وهم بالعصيان ، وتحول بخزائنه وأهله الى القصر الظاهري فأقام به أياما ، ثم جاء الأمر السلطاني بتولية أرغون على دمشق ، فغضب لذلك ورد الرسول بلا جواب ، وخرج من البلد ، فأقام ثلاثة أيام بالقيبات ، ثم نودي بالبلد بأنه من تأخر عن مقاومة يلبغا يشنق على باب داره ، فتأهب الناس للخروج وساروا لأمساكه ، فلما علم بذلك ١٥ جهز ثقله وزاده وما خف عليه من أمواله وركب بمن أطاعه ، فوافاه الجيش عند ركوبه ، فنهب الناس امتعته وخيامه وما قدروا عليه ، وتبعه العسكر من خلفه ففر بين أيديهم ، فأحاطت به العرب في الطريق والجوؤه الى واد بين حمص وحماة ، فلم يسعه الا الاستجارة بنائب حماه فأجاره وأكرم نزله ، وكتب الى الملك المظفر يعلمه بذلك ، فجاءه الجواب بالقبض عليه ، فقيده وأرسله محفوظا . فلما وصل الى قاقون خنق هناك ، وأخذ رأسه ٢٠ الى القاهرة ، واحتيط على جميع أمواله وأموال من معه من الأمراء . فتأمل الاستبداد والسيئات التي كانت في ذلك الزمن ما أفظعها ! وقال البدرى في كتابه « نزهة الأنام في محاسن الشام » : جامع يلبغا من أحسن الجوامع ترتيبا ومتنزها ، بصحنه بركة ماء مربعة ، داخلها فسقية مستديرة بها نوفرة يصعد منها الماء قامة ، ومن فوقها مكعب عليه عريشة عنب ملون يصل الماء الى قطوفها الدانية ، وبجانبيها حوضان فيهما من ٢٥

(١) كان هذا في زمن تأليف الكتاب . وأما الآن فنصفه مسجد ونصفه الآخر مدرسة ثانوية .

أنواع الفواكه وأجناس الرياحان ، وله شبابيك تطل على جهاته الثلاث . انتهى . وهذا كان وصفه الأول ، وأما الآن فقد تحول وتبدل ، وقد ولع الشعراء قديما بوصفه ، فقال القاضي كريم الدين الطاراني :

عرج لساحة يلبغا تنظر به ما يبتغى
من قال في الدنيا له مثل يكون فقد لغا

وقال أبو الفتح المالكي :

كم نزهة في يلبغا تبتغى ومدرج لم يخل من دارج
فياله من جامع جامع فاق على الزوراء في عالج
يموج في بركته مأؤه تحت منار ليس بالمائج
مئذنة قامت على بابه تشهد للداخل والخارج

ولابن حبيب وهو أول من مدح هذا الجامع :

يمم دمشق ومل الى غربيها والمح محاسن حسن جامع يلبغا
من قال من حسد رأيت نظيره بين الجوامع في البلاد فقد لغا

وقال درويش الطالوي :

الم اذا هم عراك يلبغا واعطف لمقصفه تنل ما يبتغى
فوحق كوثر مائه من قال في جنات عدن مثله فقد لغا

جامع بالقرب من مسجد الأقصاب

لم أدر من تاريخه سوى اني رأيت مكتوبا على أسكفة بابه : أنشأ هذا المسجد المبارك الفقير الى الله تعالى عبد الله بن الأتيملي ، أوقفه على مذهب الامام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه ، وأوقف عليه جميع الدار والخوانيت التي تجاورها ، وشرفية ، وبصرى ، وريعها الى امام فقيه وأيتام ومؤذن وخادم حسب كتاب الوقف سنة اربع وسبعين وسبعمائة . انتهى .

عبد الله ابن
الأتيملي

٢٠



خاتمة بما كان في دمشق من المتنزهات المشهورة

(دير مران)

كان قديما من المتنزهات الدمشقية . قال الشيخ عبد الرحمن بن شاشو في كتابه الذي ضاهى به « نفحة الريحانية » : هو دير بدمشق بسفح قاسيون بالقرب من الربوة ، وهو أحد الديارات (١) المذكورة في الشعر :

أولها هذا الدير ، وفيه يقول الشهاب ابن عبد الرحمن العمادي الدمشقي :
 أيا دير مران سقاك غمام تروح وتغدو عيشهن سلام
 وحيالك من دير وحيأ معاها لمغناك ما ناح الزمان حمام
 وقفت على رسم بهراح دارسا وقد فاح من عرف الرياض خزام
 فقلت ولي فيه رسيس صباة وفي القلب مني لوعة وغرام
 كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم تهرق هناك مدام

وهذا يدل على أنه أصبح خرابا قبل زمن العمادي .

والثاني دير القائم الأقصى على شاطئ الفرات ، وفيه يقول هاشم بن محمد الخزاعي :

بدير القائم الأقصى غزال شادن أحوى
 برى جسمي له حبي ولا يدري بما ألقى
 وأخفي حبه جهدي ولا والله لا يخفى

والثالث دير عبدون ، وهو بظاهر المطيرة ببغداد ، وفيه يقول ابن المعتز :
 سقى الجزيرة ذات الطل والشجر ودير عبدون هطال من المطر

والرابع دير مارت يعني مريم ، وهو بالشام ، وفيه يقول ابن هرmez :
 نعم المحل لمن يسعى لذته دير لمريم فوق الظهر معمور
 ظل ظليل وماء غير ذي أسف وقاصرات كأمثال الدمى حور

(١) كذا في الأصل ، وصوابها « أديار ، وأديرة ، وديورة » .

والخامس دير العذارى ، وهو بسر من رأى ، وفيه يقول جحظة :
الا هل الى دير العذارى ونظرة الى من به قبل الممات سبيل ؟

وقد تفنن الشعراء في وصف هذه الديارات ، كما تفننوا في وصف الجامع الأموي ؛ فقد رايت كثيرا منهم أطنبوا في مدحه ، فأحبيت أن أضم بعضا منها لما هنا لأن الكلام عليه سابقا كان تاريخيا بحثا ، وهذه الخاتمة أدبية ، والشيء انما ينظم مع ما يماثله .
فمن ذلك قول بدر الدين حسن بن حبيب الحلبي :

معبد الشام يجمع الناس طرا واليه شوقا تميل النفوس
كيف لا يجمع الورى وهو بيت فيه تجلى على الدوام العروس (١)
وله أيضا :

يا راغبا في غير جامع جلق هل يستوي المتنوع والمتنوع
أقصر عناك وفي غلوك لاتزد ان الزيادة (٢) بابها مفتوح

وقد أخذ هذا المعنى من كلام جمال الدين ابن نباته وهو :
أرى الحسن مجموعا بجامع جلق وفي صدره معنى الملاحمة مشروح
فان يتغالى في الجوامع معشر فقل لهم باب الزيادة (٢) مفتوح

وقال صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي :
تقول دمشق اذ تفاخر غيرها بمعبدها الزاهي البديع المشيد
جرى ليباهي حسنه كل معبد وما قصبات السبق الا لمعبد (٣)

والأصل في ذلك قول برهان الدين القيراطي :
سقى بدمشق الفيث جامع نسكها وروضا به غنى الحمام المفرد
اذا ما زهى للعين من ذاك معبد لذكر حلا في السمع من ذاك معبد (٣)

ومن معانيه اللطيفة قوله :
دمشق لها في الحسن منصب (٤) عال وذكر في الملا شائع
فخل من قاس بها غيرها وقل له ذا الجامع المانع

(١) فيه تورية باسم منارة العروس بالجامع الأموي .
(٢) فيه تورية باسم باب الزيادة وهو من أبواب الجامع الأموي .
(٣) فيه تورية بمعبد المغني .
(٤) كذا في الأصل ، « وفي نزهة الانام » : « دمشق في الحسن لها منصب » .

وله أيضا :

في الجامع الأموي الحسن مجتمع وبابه فيه للأحداق لذات
دقائق الحسن يحويها له درج فحبذا منه بالساعات (١) سباعا
وحبذا معبدكم أطربت أذنا فيه من الذكر نغمات وأصوات
جلا العروس على الرائيين قطعتها (٢) تزفها من بدور التم طارات

ومن لطائفه أيضا :

يقول لنا نسر بجامع جلق أنا الطائر المحكي والآخر الصدي
وقد أطرب الأسماع مطرب جنكها وغنى به من لا يغني مفردا

وقال القاضي شمس الدين البارزي الحموي :

دمشق لها منظر رائع فكل الى وصلها يابق
فأنى يقاس بها بلدة أبى الله والجامع الفارق

وللشباب الطريف في غلام يتمشى بصحن الجامع الأموي :

تمشى بصحن الجامع الشادن الذي على قده أغصان بان النقى تشني
فقلت وقد لاحت عليه حلاوة الا فانظروا هذي الحلاوة في الصحن

١٥ أنهار دمشق المحفورة للشرب وسقي الزرع والأشجار

روى الحافظ ابن عساكر في « تاريخه » بسنده الى زفر قال : سألت مكحولا عن
نهر يزيد ، وكيف كانت قصته ؟ قال : سألت مني خبيرا ، أخبرني الثقة انه كان نهر
صغير بناطيا يجري شيئا ، يسقي ضيعتين في الغوطة (لقوم) يقال لهم : بنو فرقا ، ولم يكن
فيه لأحد شيء غيرهم ، فماتوا في خلافة معاوية ولم يبق لهم وارث ، فأخذ معاوية
ضياعهم وأموالهم ، فلم يزل كذلك حتى مات معاوية في رجب سنة ستين وولي ابنه
يزيد ، فنظر الى أرض واسعة ليس لها ماء وكان مهندسا ، فنظر الى النهر فاذا هو
صغير ، فأمر بحفره ، فمنعه من ذلك أهل الغوطة ودافعوه ، فلطف بهم الى أن ضمن لهم
خراج سنتهم من ماله ، فأجابوه الى ذلك ، فاحتفر نهرا في سعة ستة أشبار ، وغرضه

(١) فيه تورية باسم باب الساعات من ابواب الجامع الأموي .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « جلا العروس على الرائي فطلعتها » .

وعمقه ستة أشبار ، وله ملء جنبته ، وكان على ذلك كما شرط لهم ، فهذه قصة نهر يزيد . ومات في رجب سنة أربع وستين ، حتى ولي هشام بن عبد الملك ، فسأله أهل قرية حريستا شرب شفاههم وماء لمسجدهم ، فكلم فاطمة بنت عاتكة بنت يزيد في ذلك فأجابته ، على أنه احتفر نهرا صغيرا يجري الى مسجدهم للشرب لا لغيره ، وفتح الحجر الذي يمر منه الماء لقرية حريستا فترا في فتر مستديرا ، ويجري لهم من الأرض على مقدار شبر من ارتفاع بطن النهر . وسأله عبد العزيز مولى هشام أن يجري له شيئا يسقي ضيعته ، فأجابه بعد أن سأل في أمره ، فصيرت له ماصية فتحها شبر في أقل من شبر . ثم سأله خالد أن يسقي ضيعته ، فأجابه لما طلب ، وفتحت له ماصية كحكاية هذه الماصية . واقام رجل من أهل دمشق ، يقال له : جرجة بن قعرا ، عند سليمان بن عبد الملك شاهدين يشهدان أن له في النهر قناة تجري الى حمام له يريد ، وزعم أنها كانت من قبل ، فسجل له عبد الملك سجلا بذلك وهو رطل من الماء يجري في سيلون في ديره .

وقل الماء في ولاية سليمان بن عبد الملك حتى لم يبق في بردى الا شيء يسير ، فشكوا ذلك الى سليمان ، فأرسل عبيد بن أسلم مولاه ومعه جماعة لكرائتها ، فلما باشروا العمل اذا هم بباب من حديد مشبك يخرج الماء من كوى موجودة فيه ، يسمعون داخلها صوت ماء كثير ، ويسمعون صوت اضطراب السمك فيها ، فكتبوا الى سليمان بذلك ، فأمرهم أن لا يحركوا شيئا وأن يكرؤا قدامه ، ففعلوا ما أمرهم ، ولم يزل كذلك الى ولاية هشام بن عبد الملك ، فلم يكن فيه أكثر من ذلك ، فشكى اليه أهل بردى قلة الماء ، فأمر القاسم بن زياد أن يميز لهم الماء فمازه لهم ، فأعطى أهل نهر يزيد ست عشرة مسكبة ، والفرق الكبير خمس مساكب ، والفرق الصغير أربع مساكب ، ونهر داريا ست عشرة مسكبة ، ونهر ثورا اثنتين وأربعين مسكبة ، ونهر بانياس ثلاثين مسكبة ، ومسكبة حملت فيه تصب ليزيد بن أبي مريم مولى سهل بن الحنظلية ، وثلاث مساكب للفضل ابن صالح الهاشمي حملت فيه من بعده ، ونهر مجذول اثنتي عشرة مسكبة ، ونهر داعية ثلاث عشرة مسكبة ، ونهر حيوة وهو نهر الزلف اثنتي عشرة مسكبة ، ونهر التومة العليا خمس مساكب ، ونهر التومة السفلى أربع مساكب ، ونهر الزابون أربع مساكب ، ونهر الملك أربع مساكب ، والقناة لم تمز يومئذ بل تركت تأخذ ملء جنبها ، وكان الوليد ابن عبد الملك لما بنى المسجد اشترى ماء من نهر السكون يقال له : الوقية ، فجعله في

القناة الى المسجد ، والحجر شبر ونصف في شبر ونصف ، وثقب الثقب شبر في أقل من شبر ، على أنه اذا انقطعت القناة أو اعتلت ليس لأحد أن يأخذ من ماء الوقية شيئاً ، ولا لأصحاب القساطل فيها حق ، فاذا جرت يأخذ كل ذي حق حقه ، ويفتح القساطل على الولاء ، وقال يزيد : أنا أدركت القناة يدخل فيها الرجل ، يسير فيها وهي مسقوفة ، يمد يديه ولا ينال سقفها ، وليس فيها شيء مثلوم . هذه قصة نهر يزيد .

قال ابن عساكر بعد أن روى ما تقدم عن طريقين : فهذه الأنهار التي ينتفع بها الداني والقاصي ، وينقسم منها الماء الى الأرضين في الجداول من المواصي ، ويدخل من بعدها الى البلد في القني فينتفع به الناس الانتفاع العام على الوجه الهني ، ويتفرق الى البرك والحمامات ، ويجري في الشوارع والسقايات ، وذلك من المرافق الهنية ، والمواهب الجزيلة السنية ، والفضيلة العظيمة التي عدت من فضائل هذه المدينة اذ الماء في اكثر البلاد لا ينال الا بالثمن وهو الذي تحصل به حياة النفوس وازالة الدرن . ورأيت في كتاب « صور الأقاليم » ما نصه : مخرج مياه دمشق من تحت كنيسة يقال لها : الفيحة . وأول ما يخرج يكون ارتفاعه مقدار ذراع في عرض باع ، ثم يمشي في شعب تتفجر منه العيون ، فيأخذ منه نهر عظيم أجراه يزيد بعرض الدجلة ، ثم يستنبط منه نهر المزة ونهر القناة ، ويظهر عند الخروج من الشعب بموضع يقال له : النيرب ، ثم يبقى من هذا الماء عمود النهر فيسمى بردى ، وعليه قنطرة في وسط مدينة دمشق لا يعبرها الراكب غزارة وكثرة ، فيفيض الى قرى الغوطة ، ويجري الماء في عامة دور دمشق وسككهم وحماماتهم . انتهى .

القلعة

بناؤها قديم جدا ، وربما يذكر في القسم السياسي ، ونذكر الآن ما اتصل بنا من وصفها ملخصا من كتاب « نزهة الأنام في محاسن الشام » لتقي الدين البدري المصري قال : ان هذه القلعة قدر مدينة ، وبها ضريح الصحابي الجليل أبي الدرداء ، وبها جامع وخطبة وحمام وطاحون وبعض حوانيت لبيع البضائع ، وبها دار الضرب التي تضرب بها النقود ، وبها الدور والحواصل ، ولها طارمة كأنها أفرغت بقالب من شمع تسامت رؤوس الجبال يقال : ان تيمورلنك لما حاصرها وعجز عنها ، أمر أن تنقب وتقطع

الأشجار وتعلق بها ، حتى إذا تم تعليقها أشعلها باطلاق الناس فيما تحتها من الخشب
ظنا منه أنها تتفسخ بذلك وتسقط شذر مذر فيملك القلعة ، فلما علقت النار فيما
تحتها بركت كما يبرك الأسد ولها صوت مزعج فسموها بالأسد المبارك ، وهي الآن على
الثلثين من علوها ، وبالقلعة آبار ومجار للماء ومصارف بحيث اذا وقع الحصار وقطع
الماء كان لها من الماء ما يكفيها ، وبها يمر نهر بانياس فينقسم قسمين : أحدهما يبقى
ظاهرا على حاله ، والآخر تنسحب عليه الأوساخ والأقذار وهو المسمى بقليط يمر تحت
الأرض بنحو قامتين ، والماء الطاهر يتشعب فوقه يمينا وشمالا ، ولايزال قليط سائرا
الى أن يخرج من الباب الصغير ويتصل بمحلة المزاز ، وهناك يعد لسقي الاراضي
الزراعية . هذا نعتها كان أيام البدري ، وأما الآن فقد تغيرت بعض أوصافها ؛ فهدم
بابها الغربي وجعل مكانه دكاكين ، وذهب خندقها وابتني أسواقا ، وربما يأتي زمان
لا يبقى لها فيه أثر لعدم نفعها وتبدل الاسلحة التي كانت قديما بغيرها ، وتغيرت أيضا
الدور والحواصل ودار الضرب ، وانما نذكر أمثال ذلك تنبيها على ما كانت عليه دمشق
في سالف عهدها ومجدها .

ومما كان قديما ملعبا ومرتعا تحت القلعة فانه كان منهلا للغريب ، وكان ساحة
تحفها الدور وتعلوها القصور ، وبها كل ما تطلبه الشفة واللسان فسكانها لا يحتاجون
لشيء من المدينة ، وبها دار البطيخ التي تباع بها جميع الفواكه ، وهناك العين المشهورة
المجمع على برودة مائها وعدوبته وخفته ، وكان هنا سوق للأقمشة وللغراء وللعبى
وللنحاس وللسكاكين ولجميع الأصناف التي كانت مشهورة في ذلك الزمن ، وكان هناك
سوق الرقيق ، هذه هي الأبنية التي كانت هناك وأما الساحة فانك لاتستطيع أن ترى أرضها
لكثرة ما بها من المتعيشين والوظائفية ، ويتخلل بينهم أصحاب الحلق والمغالبة والمضحكون
وأصحاب الملاعب والحكوية والمسامرون ، وبها كلما يلذ للسمع وتشتهيه النفس ، وهم
على هذه الحال لايفترون صباحا ولا مساء ، لكنهم في المساء أكثر منهم اجتماعا ،
ويستمرون الى طلوع الثلثين : وهو عبارة عن ثلاثة طبول متفرقة على القلعة ، يضربون
في الثلث الأول كل واحد منهم ضربة ، وفي الثلث الثاني من الليل يضربون كل واحد
ضربتين ، وفي الثلث الآخر من الليل يطلع المؤذن على مؤذنة العروس بالجامع الأموي
ويلق لهم قنديل الإشارة ، فيضرب كل طبل من الطبول الثلاثة ثلاث ضربات ، ويشتغل
في المنارات بالتسبيح والأذان . وكان بهذه الساحة خطبتان : أحدهما بصدرها في

جامع يلبغا ، وثأيتهما بآخرها بالمدرسة المؤيدية . قال البدرى : وبذلك الساحة شجرة حور يحتاط بها أربعة رجال فلا ينظر أحدهم لمن يقابله لعظم ساقها . ا.هـ . وتلك آثار اندرست فلم يبق منها الا جامع يلبغا وتلك الشجرة والعين ، وأما الساحة فقد صارت أسواقا ودورا ، وانقطع أثر الطبول لعدم الاحتياج اليها ، وبقي القنديل الذي يعلق في مئذنة العروس ، وليته انقطع لأنه لا فائدة فيه مع وجود الساعات ، ولكل زمان عوائد ورجال .

بين النهرين

هو مبتدا الوادي ، كان مشتملا على فرجة سماوية بها دور وقصور ، وسويقة بها حانوت طباخ وصاجاتي وقطفاني وفقاعي وحواصري وفاكهاني وأمثالها ، وعدة مقاعد للجلبية ، وحمام يشرح الصدر ، وقنطرة يتوصل منها الى جزيرة لطيفة من رأسها ١٠ ينقسم نهر بردى فيصير نهرين ، والمقسوم منه هو نهر الشيخ أرسلان ، وبها مقصفتان للبطالين فيما بين المقسمين ، وكان في قبالتهم زاوية يقال لها : زاوية الشاب التائب ، يقام بها يومي السبت والثلاثاء أوقات للوعظ ، ويتوصل منها الى زقاق الفرايين المشتمل على قاعات وأطباق ، وكم غرفة بها وكم رواق يطلون بها على ما بين النهرين ، ولكل من هؤلاء ناعورة يستلذ صاحبها بأنينها ، وبها يقول ابن تميم :

١٥

وناعورة قالت وقد ضاع قلبها وأضلعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبي لأنني فقدته وأمادموعي فهي تجري على جسمي

ولبعضهم :

٢٠

لقد كنت غصنا في الرياض منكما أميس ونصبي في أمان من الخفض
فصيرني صرف الزمان كما ترى فبعضي لما لا قيت يبكي على بعضي

وللعلاء ابن القضيائي :

وذاش شجو أسالت مدامعا لم تصنها
تبكي بفرط دموع ويضحك الروض منها

الشرفان

ان الأقدمين شبهوا دمشق في حسن وضعها بالباز ؛ فجعلوا الهامة هامته، واختاروا موضعاً سموه صدر الباز ، وشبهوا سفح قاسيون بالجنح الأيسر ، وخصوا قطعة منه باسم الشرف الأعلى ، وهي من سوق ساروجا حتى صدر الباز ، وشبهوا القسم الثاني، وهو من سراي العسكرية فما فوقه الى الغرب ، بالجنح الأيمن وخصوه باسم الشرف الشمالي ، وشبهوا البلد ببطنه ، ومما يليها الى الشرق بالذنب ، وبذلك علم موقع كل واحد من الشرفين . وكان بكل من هذين الشرفين عدة من المدارس والمساجد ، ولكل منها ما يكفيه من الأوقاف التي استولت عليها أيدي المتشبهين بالفقهاء فأظهروا فيها أنواع المفاسد ، ثم تصرفوا فيها بمقتضى أهوائهم ، وكل من الشرفين يطل على الشقراء ، والقصر الأبلق الذي كان في الماضي من الزمن وبنيته التكية السلیمانية والسلیمية موضعه ، وعلى المرجة ذات العيون والفدران . وقد أكثر الشعراء في وصف هاتيك الرياض ، فقال النواجي :

الا ان وادي الشام أصبح جنة (١)
وان شرفت بالنيل مصر فلم تزل
محاسنه ما بين أهل النهى تتلى
دمشق لها بالغوطة الشرف الأعلى

وقال علي بن شرف الدين المارديني في غلام اسمه علي من الشرف الأعلى :
حبي (٢) علي ولكن وجهه حسن
بدر من الشرف الأعلى له نسب
وقال ابن الشهيد :

لم يحك جلق في المحاسن بلدة
ولئن غدوت مسابقا في غيرها
قول صحيح ما به بهتان
ها بيننا الشقراء والميدان

ومن تحرير القيراطي :
سربي الى الشقراء من جلق
فيها جنان لو رأى حسنهما
وانزل بواديها الذي نشره (٣)
واثن الى الخضراء منك العنان
أبو نواس لها عن جنان
مسك وحسبها النهر منه جمان

(١) كذا في الأصل ، وفي « نزهة الانام » للبدرى : « آية » .

(٢) كذا في الأصل ، وفي « نزهة الانام » : « جنى » .

(٣) كذا في الأصل ، وفي « نزهة الانام » : « تربه » .

المرجة

قال البدرى : ومن جملة محاسن دمشق طاحون الشقراء ظاهر قصر الملك الظاهر بيبرس بالقرب من زاوية الأعجام ، ويليها قصبة سوق فيه احدى وعشرون حانوتا ، وبأعلاها طباق تطل على المرجة ، وبآخر السوق المسجد المطل على نهر بردى . قال البدرى : وقد أدركتها غير دائرة ، ثم هدمت في أوائل حكم الملك الأشرف قايتباي . انتهى . فعلى هذا فان المرجة كانت عامرة آهلة ، وهي من المحاسن التي لا تدرك ، وبها يقول التقي محمد الحموي :

ذكرت أحبتي بالمرج يوما
فصرت أكابد الأحزان وحدي

فقوت أدمعي نيران وهجي
وكل الناس في هرج ومرج

وللقاضي مجير الدين بن عبد الظاهر :
ومرجة واد يروكك حسنهما (١)
بها فاض نهر من لجين كأنه
تلاحظها عين تفيض بأدمع
وكم غازلت فيها الغزالة (٢) مقلّة
إذا فاخرته الريح ولت عيلة
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا

ولا سيما ان جاد غيث مبكر
صفائح أضحت بالنجوم تسمر
يرقرها منه هنالك محجر
تسارق أوراق الفصون فتتنظر
بأذيال كثران الربى تتعثر
به الروض يحيا وهو لاشك جعفر

النيبع

هي متنزه كان به سويقة وحمام وأفران ، وكان به المدرسة الخاتونية وهي من أعاجيب الدهر ، يمر بصحنها نهر بانياس ، ونهر القنوات على بابها ، ولها شبابيك تطل على المرجة بها ألواح رخام لم يسمح الزمان بنظيرها ، وعدة خلاوى للطلبة . وللنواجي في هذا المتنزه البديع :

أيا سادة اهدوا محاسن جلق
منيبع جفني فوق ربوة جبهتي

لطرفي ففاضت بالبكا عبرات
يزيد ودمعي بعدكم قنوات (٣)

(١) في « نزهة الانام » : « ومرجة في واد يروكك روضها » .

(٢) في « نزهة الانام » : « وكم غازلته للغزالة مقلّة » .

(٣) فيه تورية بمحلة « النيبع » ومتنزهي « الربوة والجبهة » ، ونهري « يزيد والقنوات » .

البهجة

ويقال لها : الجبهة

هي متنزه أيضا ، وهي أرض مربعة قدر فدانين ، كانت لها سقائف تظلها من غير طين بين شجر الصفصاف والجوز والحوار ، وكل مفرش حصير تحتاط به جداول الماء من أربع جهاته ، مع البرك والبحيرات بالنوافر ، وهي بجانب نهر بردى ، وكان بها حوانيت الشرايحية والجزارين والطباخين والحوامضية والأقسماوية والفاكهانية وغير ذلك ، وكان بها مسجد ومدرستان ومربط للدواب ، ومقاصفية واقفين في خدمة الناس وغندهم اللحف والأنطاع والعبي لمن يبيت عندهم أو ينام . وفي البهجة قال ابن حجة الحموي ولكنه سماها الجبهة :

لما ملأ الجبهة بالأنوار
قال اصرفوا لي الاسم من بلدتكم (١)

لما على ذلك خوف العار
فجبهتي منازل الأعمار

وبها يقول علي بن سعيد :

ان للجبهة في قلبي هوى
برقص الماء بها من طرب
وتود الشمس لو باتت بها

ساكن (٢) عندي للوجه الجميل
ويميل الفصن للظل (٣) الظليل
فلذا تصفر في وقت الأصيل

ويعلوها نهر القنوات وبانياس وينحدر الماء منهما إليها ، ومن فوق النهر حمام النزهة ، وإلى جانبه مقصف بحوانيت فيها اليضائع ، ويمر وسطه نهر قنوات ، ويتوصل منه إلى زاوية الحريري ، وقد كانت مشهورة ، ولم يك في وقتها أبدع منها ، وينحدر الماء إلى متنزه كان اسمه قطية ، وهو مقصف كان بجانب نهر بردى ، وعليه نواعير ، متشعبة أراضيها بجداول الماء والبرك والبحيرات ، وبه قصبة حوانيت يعلوها أربع طباق ومربط للدواب ، وعند المقاصفي العبي والأنطاع حتى الأطباق والملاعق لمن يأكل . قال البدري : وهذا مما لا يوجد في بلد من البلدان . انتهى . وذلك بحسب زمانه فان المطاعم كانت لا توجد الا في دمشق ، ثم عمت البلدان والأقطار . وفي

(١) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » « قال انصرفوا سئمت من بلدتكم » .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « لم يكن » .

(٣) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « في الظل » .

ذلك المتنزه يقول القاضي أحمد الكنائي :

أيا حسن سلسال على مرج (١) قطية
تهددنا (٢) أغصانها برؤوسها
إذا ما جرى فيه نخوض ونلعب
فينظر من طرف خفي ويرهب (٣)

البنسية

- ٥ هي روض بين أشجار وفواكه وثمرات مع عيون من الماء ، وتظهر منه الى مرجة جسر
بناه رجل يقال له : حسن بن شواش ، وكان هناك مقاصفي وبيع وشراء ، ويتوصل منه
الى اراضي حميص ما بين رياض وغياض ، ويعلوها محلة النيريين وهي من اعظم المحلات
واخضرها وانضرها ، حسنة الثمرات ، كثيرة الأزهار ، وكان بها سويقة ، وحمام يقال له :
حمام الزمرد ، وجامع بخطبة ، وكانت فيما سلف سكن الرؤساء والأعيان ، ومنها
يتوصل الى أرض الربوة ، وكان الخارج من باب يلغا يمشي بين أشجار وأثمار ومياه
١٠ وظل الى الربوة فلا يرى الشمس الا اذا قصد رؤيتها ، وبذلك يقول البدر بن لؤلؤ
الذهبي :

- رعى الله وادي النيريين فانه (٤)
دري أنني قد جئته متنزها
وأوحى الى الأغصان قربي فأرسلت
١٥ وأخذ مني الماء القراح وحيثما اتجهت رأيت الماء في خدمتي يجري
وقال الوداعي :

وصبا صبت من قاسيون فسكنت
خاضت مياه النيريين عشية
بهوبها وصب الفؤاد البالي
فأتك وهي بليلة الأذبال

٢٠

الربوة

سميت بذلك لأنها مرتفعة مشرفة على غوطتها ومياهها ، وكل راب مرتفع على ما

-
- (١) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « نهر » .
(٢) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « تهدده » .
(٣) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « ويرهب » .
(٤) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « فاني » .
(٥) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « دری أنني قد جبته متنزها فمد لاقدامي ثيابا من الزهر » .

حوله يقال له : ربوة ، وبها مغارة لطيفة بسفح الجبل الغربي ، وبها صفة محراب ، وكان بها جامع وخطبة ومحل للدرس وعدة مساجد ، وكان بها قاعات وأطباق وسويتان يشقهما نهر بردى ، وكان بها صيادون للسماك يصطادون والقلايون على جنب النهر يقلون ، ويذبح بها كل يوم خمسة عشر رأسا من الغنم ، وذلك غير ما كان يجلب اليها من اللحم من المدينة ، وبها عشرة شرايحية ليس لهم شغل غير الطبخ والغرف في الزبادي والصحون وكل ما تشتهي النفس ، وكان بها فرنان وثلاثة حوانيت برسم عمل الخبز التنوري ، وأما الفواكه فلا قيمة لها بها . قال البدرى : ولقد اشتريت رطل التوت منها بربع درهم ، ومثله الرطل الدمشقي من المشمش والتفاح . قال : وبها حمام ليس له نظير على وجه الأرض لكثرة مائه ونظافته ، وله شبابيك تطل على الأنهر من فوقه ومن تحته ، وبها طارمة المسجد الديلمي الذي جدده نور الدين الشهيد ، وله أوقاف على قارئ قرآن ومدرس بخاري ومؤذن وبواب وقيم ووقاد وغير ذلك .
وللتاج الكندي في وصفها :

ان نور الدين لما رأى عمر الربوة قصرا شاهقا	في البساتين قصور الأغنياء نزهة مطلقة للفقراء
وقال مجير الدين ابن تميم :	
ياحسن طارمة في الجو شاهقة نزه لجاظك في طاقاتها لترى ترى محاسن واد يحتوي نزها وربوة قد سمت حتى تخال لها ما بين روض وأنهار سلسلة كم بت فيها وخذني شادن غنج أشكو اليه الذي القى ومقلته حتى رأيت نجوم الليل قد غربت بتنا(٢) نجرر أذيال العفاف بها لاخير في لذة تمضي ويعقبها	ما أن تمل بها العينان من نظر أصناف ما خلق الرحمن للبشر لذاذة السمع والأبصار والفكر سرا تحدثه للأنجم الزهر تجري وتحمل أنواعا من الثمر حلو التثني كفصن البانة النضر تشكو الي الذي تلقى(١) من السهر عنا وهبت علينا نسمة السحر والله يعلم منا (٢) صحة الخبر خطيئة تسلك الانسان في سقر

(١) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « يلقي » .
(٢) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « قمنا » .
(٣) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « منها » .

وقال السيد محمد ابن السيد كمال الدين بن حمزة :

رعى الله أوقات الربيع بخلق وحيا الحيا أرجاء ربوتها الغنا
إذا حركت أدواحها شجو عاشق تحاكيه بالحن العنادل اذ غنا
ويذكو بها نشر النسيم اذا سرى فتذكو بتاريخ الغرام الذي جنا
وتطرد الأنهار فيها كأنها سوابق أفراس أعتها تثنى
فكيف يلام الحازم الرأي ان صبا الى ظلها الأملى وقد أشبهت غدنا

وتلك القاعة التي بناها نور الدين هي على شعب جبل منحوتة بألواح من خشب ،
سقفها نهر يزيد ، وأساسها من تحتها نهر ثورا ، ومنظرها من الغايات التي لاتدرك ،
ومقابلها في الجبل الغربي بذيله دف الزعفران والجبل الشرقي في رأسه مثل الجنك (١)
وقد اظنبت الشعراء في وصفها ، فقال ابن نباتة :

في الجنك (٢) من مغنى دمشق حمائم في ورق أغصان تشوف بلطفها (٣)
فاذا أشار لها الشجي بكأسه غنت عليه بجنكها وبدفها

وقال الصلاح الصفدي :

انهض الى الربوة مستمتعا تجد من اللذات ما يكفي
فالطير قد غنى على عوده في الروض بين الجنك والدف

وقال ابن الوردي :

دمشق قل ما شئت في وصفها واحك عن الربوة ما تحكي
فالطير قد غنى على عوده في الروض بين الدف والجنك
ومن لطائفه قوله :

يا ربوة اطربتني وحسنت لي هتكي
اذ لست أبرح فيها ما بين دف وجنك

ولابن حبيب :

كم تحت جنك الربوة الفيحاء من دف زهت أشجاره بشنوفها
سقيا لها من ربوة من حل فيها طربته بجنكها ودفوفها (٤)

(١) آلة من آلات الطرب .

(٢) الجنك اسم متنزه في رأس الجبل الشرقي .

(٣) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « في دف أشجار تشوق بلطفها » .

(٤) نسب البدرى في « نزهة الانام » هذين البيتين الى شعبان الاناري .

ولشعبان الأثاري :

بربوة الشام ربت منيتي وقر قلبي وهي دار القرار
وطيرها المطرب في جنكه غنى على ناي وعود وطار(١)

وللشريف القواس :

أود بأني لو رأى الجنك ساعة وانفق فيها كل ما أنا مملك
فليس لنفسي سوى الجنك مطلب ودعهم يقولوا فيه للصب مهلك

وقال أيضا :

سر بي الى الوادي وقف متنزها فالجنك غنت فوقه الأطياف
لو لم تكن هي(٢) جنة المأوى لنا ما كان تجري تحتها الأنهار

وللقراطي :

سقى الجنك منهل الرباب فشوقنا لطيب المغاني منه لم يأتها حصر(٣)
وحيا بقطر الشام أنهارها التي على شهدها بالدمع من مقلتي قطر
وجادت سماء الفيث أرض سماءها(٤) غصون رياض الزهر آفاقها زهر
فكم جاءني منها نسيم ممسك وعرفها للقادمين بها العطر

١٥ وحكى أن الشيخ شمس الدين الخياط الشهير بضفدع خرج مع القاضي ابن خلكان
الى الربوة ، فرأيا غلمانا يعومون ويلعبون في نهر نور الدين(٥) تحت التخوت المعروفة
بالمنيقة ، فأنشد ضفدع قوله :

لربوتنا واد حوى كل بهجة فعيش الورى يحلو لديه ويعذب
تزف لنا الأنهار من تحت جنكها(٦) فلا عجب أنا نخوض ونلعب

(١) نسب هذين البيتين البدرى الى الشرف القواس .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « لو لم يكن هو » .

(٣) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « لطيب مغاني أرضه ماله حصر » .

(٤) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « أرضا سماؤها » .

(٥) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « نهر ثورا الذي » .

(٦) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « ترق لنا الأنهار من تحت جنكه » .

وانشد ابن خلكان :

وسرب ظباء في غدير تخالهم
يقول خليلي والغرام مصاحبي
ففي دمك المطلول خاضوا كماترى
بدورا بأفق الماء تغدو (١) وتغرب
أمالك عن هذى (٢) الصبابة مذهب
فقلت له دعهم يخوضوا ويلعبوا

المقسم

هو المحل الذي ينقسم فيه النهر الى سبعة انهار ، وحواصله من ينابيع عين التوت .
والنهر المذكور معروف مشهور ، يمر بالقرب من قرية الزبداني الى أن يلتقي بعين الفيحة ،
فيسيران معا الى المحل الذي يقال له : المقسم ، ومنه يتشعب الى السبعة انهار .

ولبرهان الدين القيراطي :

عندي بأرض الشام فرط صبابة
وعيوننا لفراق شمشها حكت
وللقيراطي :

دمشق وافى بطيب
وصح قول البرايا
نسيمها المتداني
من عاشر الزبداني

وهذه الأنهار السبعة منها : يزيد ، وثورا بطن الجبل الشرقي ، ويشق نهر بردى
بطن الوادي ، ونهر بانياس ، ونهر القنوات ، ونهر المعنية (٣) ، ونهر الداراني بذيل الجبل
الغربي ، وينزل الى المقاسم بنحو عشرين درجة كالشاذروان ؛ فرؤيته تذهب الهم
والحزن . وما الطف قول صدر الدين الآدمي :

قالوا فؤادك بردا (٤) عن محبتهم
بردت قلبي عن الأحباب مذ رحلوا
فقلت نار الجوى لا تنطفي أبدا
بما يزيد وما ثورا وما بردا

وللشيخ شعبان الآثاري :

شوقي يزيد وقلب الصب ما بردا
وبان يأسى من المعشوق حين غدا

(١) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « تبدو » .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « عهد » .

(٣) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « القناية » .

(٤) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « برء » .

وأدمعي قنوات والعذول حكى ثورا يلوم الفتى في عنفه أبدا (١)
على مغنية بالجنك جاوبها شبابة كم بها من عاشق شهدا
فالبدر جبهتها والدف (٢) ربوتها وخالها مات من خلخالها كمدا

هذا ما كان في القديم من متبزهاتها ، وهي موجودة الى الآن ، الا أن ابنيتهاتغيرت،
وأوضاعها تبدلت ، وقال البدرى : انه كان من ظاهر باب السلامة الى ظاهر باب توما
ثلاثمائة وستون عينا تجري الى القبة ، قال : ورأيت غالبها ، وارتويت من أعذبها .
انتهى . ونحن لم نر منها شيئا ، والأرض لله يقلبها كيف يشاء !

الحواكير

هي كالحدائق في سفح قاسيون ، والفاصل بينها وبين جبل الربوة عقبة دمر التي
بجانبها قبة السيار ، وقد تضاربت الآراء في هذه القبة ؛ فحكى البدرى في « نزهة
الأنام » في شأنها حكاية ملتقطة من أفواه العوام مدعيا صحتها وهي لأصل لها ، قال :
ان نصرا وسيارا كانا أخوين في الله ، وابتنى كل واحد منهما قبة يتعبد فيها ، وكانا
إذا اشتاق أحدهما لصاحبه مشى اليه في الهواء ، وهذه كما ترى موضوعة ملفقة .
وزعم كتاب الجرائد في عصرنا أن قبة السيار مرصد للفلك وليس بصحيح ، والأقرب
للصحة ما رواه ابن عساكر في « تاريخه » بسنده الى أحمد بن الخير الوارق الدمشقي ،
قال : لم تزل ملوك بني العباس تخف الى دمشق طلبا للصحة وحسن المنظر ، منهم المأمون
فانه أقام بها ، وأجرى اليها قناة من نهر منين في سفح جبلها الى معسكره بدير مران ،
وبنى القبة التي في أعلى جبل دير مران ، وصيرها موقدا توقد النار في أعلاها لكي ينظر
الى ما في معسكره اذا جن عليه الليل ، وكان ضوؤها وضياؤها يبلغان الى ثنية العقاب
والى جبل الثلج . انتهى . وهاتان القبتان : أحدهما في الجبل الغربي عن الصالحية
وهي الآن باقية ، والثانية على قمة جبل قاسيون في الجانب الشمالي وقد تهدمت
ولم يبق منها الا بعض آثار .

وهنا انتهى ما أردنا إيراده في هذا السفر المبارك بعد تجشم مشاق في التنقيب

(١) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « في عشقه حسدا » .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « والردف » .

- على تلك الآثار ، وكثرة عناء في مشاهدتها عيانا لانطماسها ، وتبدل أوضاعها كما يعلم مما تقدم ، وتعب في استحصال بعض الكتب التاريخية لأن بعضها في ديارنا أصبح معدوما وهو القسم المعول عليه ، والبعض يتعسر الوصول اليه ، والبعض الآخر لا يوجد لدينا الا ناقصا . ولنذكر هنا الكتب التي استحضرتها لهذا المقصد الجليل ، وهي :
- ٥ « تنبيه الطالب وارشاد الدارس » لآحوال مواضع الفائدة بدمشق كدور القرآن والحديث والمدارس للشيخ عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي ، و « مختصره » للشيخ عبد الباسط العلموي ، و « ذيله » لمحمود العدوي ، و « مختصره » أيضا للبقاعي ، و « ثمار المقاصد في الجوامع والمساجد » ليوسف بن عبد الهادي المعروف بابن المبرد ، و « تحفة الأنام في فضل الشام » للبصروي ، و « نزهة الأنام في محاسن الشام » للبدري ، و « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » للسخاوي ، و « بهجة الناظرين الى تراجم المتأخرين » لرضي الدين محمد الغزي العامري ، و « تاريخ دمشق » للحافظ علي ابن عساكر ، و « منتخب شذرات الذهب » لعبد الرحيم بن شقده ، والنصف الأول من « الذيل الوافي على المنهل الصافي » ليوسف بن تغري بردي ، وكتاب « مورد اللطافة » له وكتاب « صور الأقاليم » و « المقصد الأرشد في طبقات أصحاب الامام أحمد » لابراهيم بن مفلح ، و « طبقات الحنابلة » للحافظ عبد الرحمن بن رجب ، و « الطبقات » للكمال بن حمزة ، و « الكواكب السائرة » للنجم الغزي ، وذيلها « لطف السحر » له أيضا ، و « طبقات الشافعية » لابن السبكي ، و « طبقات الحنفية والشقاق النعمانية » لطاش كبري ، و « تاريخ عبد الرحمن بن شاشو » الذي ضاهى به « نفحة الريحانة » و « تاريخ ابن الأثير » ، وكتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان ، و « فوات الوفيات » للصلاح الصفدي . فهذه الكتب التي كنت أعنتني بمراجعتها أثناء التأليف ، وكنت أراجع غيرها
 - ١٥ أحيانا من الكتب المطبوعة « كتاريخ مصر » للاسحاقي ، و « تحفة الناظرين » للشرقاوي ، و « تاريخ المحبي » ، و « تاريخ المرادي » ، وغير هؤلاء من بعض قطع من تاريخ ابن كثير والصفدي والذهبي وغيرهم ، والله تعالى أسأل أن يجعل به النفع عاما ، وأن يحيي آثارنا كما عينا باحياء آثار من قبلنا ، وأن يغفر لنا زلاتنا ، ويستر عوراتنا ، ويسهل أمورنا ، ويشرح صدورنا ، وأن يعيننا على اتمام ما قصدناه بمنه تعالى وكرمه ، وقد
 - ٢٥ كان الفراغ من تبليغه في أوائل شهر ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحية ، على يد ناظم عقده وناسج برده الفقير اليه تعالى عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد الشهير كأسلافه بابن بدران الدمشقي عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه وعن جميع المسلمين آمين .

ملحق شعري

هذا ملحق شعري أضافه المؤلف الى آخر كتابه
وضمنه أشعاراً في وصف بعض متنزهات دمشق ،
أثبتناه كما أورده .

بعد كتابة ما تقدم ظفرت بخمس وأربعين ورقة من أول كتاب « البرق المتألق في محاسن جلق » للشيخ محمد كمال الدين الغزي العامري الدمشقي (١) فالتقطت منه ما يتعلق بمتنزهات دمشق التي طمس الدهر آثار أكثرها ، وقد صدر ذلك الفاضل كتابه بأرجوزة مطولة من نظمه واليك هي بتمامها ، قال :

٥	الحمد لله مفيض النعم مكون الأكوان بالاتقان بلا مثال سابق قد صورا ففيه أكبر شاهد التوحيد فكم بقاع خصها بالشرف وبلدة حوت رياضاً وزهراً وبلدة من عاصفات الحر وقرية ربت من الأمطار مشيئة قد شاءها الرحمن هذي دمشق الشام دار اللهو حاكت جنان الخلد عند العرض بل شامة الدنيا وعين الملك أنهارها عد النجوم الزهر وكل روض في مثال الجنة فان ترم تفصيل ذا قم واستمع بعد التحيات الفزار الجملة ٢٠ وآله الانجاد ثم الصحب هاك استمع مني حديث الشام قد خصها الرحمن بالأنهار وخصها المولى بذاك الجبل	مولد لمن شاء صنوف الكرم صنع حكيم مبدع متقان هذا الوجود فكن بذا معتبرا ولقوة الايمان كالتشييد وأختها قضى لها بالسخف وورودا يانعات ونهر ظمأى وسقيا أرضها من بئر تسقى بماء الديمة المدرار بكفه الاعطاء والحرمان فاسند حديثي عن ربها وارو بل قيل عنها جنة في الأرض ويعرف الدينار عند السبك وليس الا في رياض تجري واق لآخوان الصفا كالجنة سهل القريض أخا الذكاء الممتنع تهدي لخير الخلق مهدي الأمة وكلهم في فضله كالسحب دار التصابي والنعيم السامي وطيب الأرواح والأزهار وقل أن يخلو مكان من ولي
---	---	--

(١) توفي سنة ١٢١٤ للهجرة .

فكم نبي ضمه قاسون
 وكم صحابي بها استشهدا
 ودير مران على قاسون
 وتحتة تلك الرياض الغضة
 غنت بها الأطياف في الأفنان
 كذا الحواكير (١) التي ينساب
 كم أن دولاب عليه وشكى
 وقطر الدموع في الحياض
 وقرية النخل (٢) مكان الصلحا
 بالصالحية سميت يا صاح
 تحفها القصور والجواسق
 تظلمها الأدواح كالاعلام
 وكل طير آخذ في مغنى
 وموكب الأزهار في المكافحة
 فلو ترى الريحان بين الآس
 كذلك المنشور والسوسان
 وحلقه المحبوب بين الزهر
 وفاق عرف الطيب عرف الديك
 للياسمين الفض عطر ذاكي
 وعنده النسرين ثم الفاغية
 كذاك زهر الأرغوان الباهي
 شقائق النعمان في الأزهار
 وسنبل في اللون كالفيروزج
 ونرجس بالطل عين شكرى

وكم ولي عنده مدفون
 وفي خبايا أرضها قد الحدا
 كأنه في ملك أفريدون
 وبينها الأمواه مثل الفضة
 ٥ فمالت الأغصان كالنشوان
 فيها يزيد السلسل المطياب
 وشاقه عهد الرياض فبكى
 وباح بالأسرار للرياض
 فكم بها قصد نزيل نجحا
 ١٠ بل منتدى اللذات والأفراح
 كأنها بين الربى سرادق
 تزورها الأرواح للسلام
 وكل حزب منهم في معنى
 ونافحات الطيب منها نافحة
 ١٥ واصفر الخيري كالنبراس
 وعنده خشخاشة الوان
 حاكت سنا الياقوت فوق النجر
 له مقام السبق كالتمليك
 يحكي ضياء الزهر في الأفلاك
 ٢٠ قد أشبها في الطيب نفح الغالية
 وثم عنبر بوي زهر زاهي
 كجلنار (٣) فاح في الأسحار
 وزنبق يزهو بوجه أبلج
 باتت تناجينا بعين شهرا

(١) جمع حاكورة وهي في عرف أهل الشام بستان فيه أشجار التين الشوكي «الصبار» أو البرشومي»
 وقد انقرضت هذه الحواكير من على جوانب نهر يزيد بعد أن غزاها العمران ولا تزال في بعض سهول المزة .
 (٢) لاتعرف الآن الا بالصالحية كما ذكرت في البيت التالي .
 (٣) زهر الرمان .

وغيابة الأمال زهر المضعف
وأطيب الأزهار بعد الورد
زهر الأقاحي حقة من تبر
وعند زهر البان لذ القصف
وكم منادي الشوق فينا لعلع
كذلك البلسان زاكي العطر
ان البنفسج فضله لا ينكر
وزهر أزيون في الأزهار
وعند مرزنجوش طاب النشر
ومبهم الأسما زهور شتى

١٠

وفعله في الروض فعل القرقف
زهر القرنفل عطره كالند
كذا البهار قطعة من صفر
وطاب لي فيه الثنا والوصف
لدى زهور سميت باللعع
بالليلك أنعم ياله من زهر
وعرفه الذاكى كذا اللينوفر (١)
يحكي عبر المسك في الأسحار
فلا تقل ذرين لا والشحر
ولم أقل في وصف شيء حتى

ذكر متزهاتها

وانظر الى السهمين والميطور
والنيرب الأعلى محل الأنس
ونزهة الدنيا أراضى سطورا
وان تصيب جحفل الأطيوار
تمشي بها الأمواه مشي الصل (٢)
وفرشها الياقوت والزمرد
فكم بها روض وكم من مغنى
وفي رياض السفح واللوان
والجبهة الغرا محل البسط
واذكر رياض القصر والخلخال
مسارح الآرام والغزلان
محاسن الدنيا رياض الغوطة

١٥

٢٠

تراها جنات بلا محظور
كذلك الأدنى حياة النفس
لم تلق الا روضة او نهرا
ومجمع الأزهار والأنهار
وحليها الزهر ونقش الطل
وفوقها شحرورها يقرد
طير التصابي في رباها غنى
هبت رياح الشيخ والجودان
وشرحة الوادي مكان الشط
والفيجة الخضراء والسلسال
معاهد للهور والولدان
لما غدت في حسننها مغبوبة

(١) كذا في الاصل ، وصوابها « النيلوفر » ويقال : « اللينوفر » ، وهو ضرب من النبات ينبت في المياه الراكدة له أصل كالجزر وساق أملس يطول بحسب عمق الماء فاذا ساوى سطح الماء أورد وأزهر .
(٢) الصل : الحية الخبيثة جدا .

تشقها الأنهار والخلجان
 وأين منها الشعب يابوان (١)
 ومجمع الأمواه جسر الفيضة
 ملتفة الأغصان بالأغصان
 ومنتدى الأفراح وادي الربوه
 تجري به الأنهار كالكواكب
 قد ساقها حكيمها المهندس
 وكلهم قد جاوز الرياضا
 فقسما من بعضها أقساما

وكل نهر منهم سيحان
 وما حوى الخابور والميدان
 وحيث ما يمت تلق روضه
 ومرتع الأطياف والغزلان
 واد حباه ربه بالحظه
 لكنها تمشي على المراتب
 وخطها فوق الرئيس الأكيس
 وبره عليهما قد فاضا
 وخصصوها للقري سهاما

١٠ تفصيل أنهارها

أولها أصل النهر بردى
 وعند ثورها يشور الوجد
 كذا يزيد أطيب الأنهار
 يا طيب ماء القنوات العذب
 وصنوه في فعله باناس
 يتلوه نهر اسمه الداراني
 وجدول يسمى قناة المزه
 هذي النهور السبعة الأصول
 أما أبو الأنهار زاهي البهجة
 المرجة الخضراء (٢) ذات الشرف
 هو مثل السهم كالجتاز
 وقد جرى في ذلك الميدان
 تضمه قناطر من جلمد
 هناك يلقي جدولا قد عذبا

كم شوق محرور لديه بردا
 غداؤه القيصوم ثم الرند
 اذ جريه في داخل الأحجار
 اذ خصصوه أهلها للشرب
 نهر زها في حسنه ياناس
 يمشي كمشي الواله الحيران
 مقامه فيهم مقام العزه
 اسمع فدتك النفس ما أقول
 يشق جوف الأرض تحت المرجه
 وقد زهت اكفافها بالفرف
 حتى يرى قد شق صدر الباز
 كأنه سابور في الايوان
 ترنو كالحاظ الغزال الأغيد
 سماه أهل الشام نهر عقربا

(١) شعب بوان : أحد متنزهات الدنيا في بلاد العجم وقد خلده المتنبي بنونيته المشهورة .

(٢) هي الملعب البلدي الآن وأرض معرض دمشق الدولي ، وقد كانت وقفا على الحيوانات .

وبلعه من للتصابي داعيه
ثم المنحي جدول كبير
كذلك نهر اسمه الزيديني
وتم نهر اسمه الوسطاني
يا مجمع الأحباب يا درمينا
ويا حياة النفس نهر الماصية
ولست أنسى الجدول البalani
يمشي رويدا صنوه الزابون
كذا خليج اسمه الشيداني
وبيت نائم نهرها قد عظما
و جدول يسمى الى الغريفة
وآخر يسقي رياض المتبن
وللبلاية خصوا جدولا
وما بقي يجري الى العبادة

٥

١٠

نموه من أنهارها بداعية
كأنه من بينهم أمير
يسير بين الورد والنسرين
ومقسم الغربي نهر ثاني
كم ذا بأشراك الهوى ترمينا
والحاجبي نهر سما في الساميه
يسير سير الأبق الولهاني
كذلك نهر الملك المصون
ونهر تل الذهب الساماني
و جدول يسقي أراضي حزرما
يمشي كخود شيق مهفهفه
يمشي اليها كالحكيم المتقن
يمشي الى صحرائها مهرولا
يسعى كسعي الحية المرتاده

الذي ينقسم من نهري المنحي والداعيانى

١٥

الجامعي نهر بها قد عرفا
و جدول يسمى بنهر البيره
و جدول المراز ثم الشق
وراق ماء الجدول السلطاني
وفاقه في الحسن نهر الزلف
و جدول يسعى الى الخياره
ولاتدع يا صاح نهر الشبعا
كذا كليباً جدول معروف
الى كفر بطننا خليج يجري
و جدول يجري الى حموريا

٢٠

٢٥

وراق حسنا مأؤه فوق الصفا
يا حسن روضات به معموره
غنت عليهم صادحات الورق
كم سار من روض الى بستان
قد أتحت أدواحه بالطرف
وجريه في رونق الاماره
كذا البلاطي جدول كالأفعى
وعين ترما نهرها موصوف
ونهر جسرين كذوب القطر
سقياً لأوقات مضت فيه ليا

ونهر سقبا في صفا اللجين
والأفتريس القرية المصطاف
الزهر والأرواح في بيت سوا
هذا الذي قد قسموا من بردى
أما الذي قسمته يادارا
نهر العرا والذيب والشراك
والحجر الدائر شعب خامسه
فقسموه عندهم يا صاح
نهر الكريمي ثم نهر الغربي
وقسمت قنوات يا مسرور
وجدول الأشعاب نهر طامي
ونهر ثورا قسموه فاستمع
أولها الانصار نهر طافح
ونهر بشر جدول سلسال
وغالب نهر سليم القلب
كذلك نهر بالمحلات اشتهر
كذلك الشباك نهر زاخر
ونهر قلبين ونهر الزينبي
كذلك عليتا خليج منه
ومن يزيد جدول الشجريه
فهذه الأصول بالأقسام
مواهب الله العلي الأعلى

كانه الأسفنت (١) في الدثئين
يجري اليها جدول خطاف
لها خليج كالخباب اذا التوى
فاسمع وكن في قولنا معتمدا
يا من تخيرت الفيافي دارا
كذلك نهر الملقون الذاكي
وجداول قد خص بالكفارسه
يا من سناه في ضيا المصباح
أبو عباد جدول كالقضب
نهر القصير حظه التصغير
يخد وجه الأرض كالصمصام
نظما حلا في الدهن ثم المسمع
يجري ونشر الزهر منه فائح
والماء فيه قرقف جريال
وماؤه عذب لذيد الشرب
وصنوه السرداب نهر معتبر
كذا الفراديس الذكي العاطر
ونهر باب الثلث عذب المشرب
حديث عطر الروض يروى عنه
ونهر مهدي فرقة فضيه
وكلها تجري على الدوام
نالتها جلقنا فكانت اهلا

ذكر أوديتها

ولنشرع الآن بذكر الأودية
اذ كلهم في دوحه المعطار

اللاتي لأمراض القلوب أدوية
بالطيب يحكي جونة العطار

(١) الأسفنت : الطيب من عصر العنب خاصة .

تُخاله يختال كالعرائس
 وكلهم في حسنه تياه
 أولهم يا صاح وادي بردي
 تجري عليه بالدموع الأعين
 ثانيهم وادي حياة النفس
 وادي المكرم عنده كيوان
 بالقرب منهم وادي الجنادله
 وادي السفرجل منظر فتان
 وادي الحمصي صديق الروح
 واذكر محل الشطح وادي الشقرا
 يظله الشرفان من طرفيه
 وادي الصفيرا موسم اللذات
 وأشرف الوديان وادي برزه
 لحرنة وادي ووادي معربا
 ووادي التل الرفيع القدر
 وادي منين أنضر الوديان
 وادي الدريج الطيب الأرواح
 ووادي حلبون سقاء القطر
 ونزهة الدنيا بديع السیما
 ووادي الخضرا محط الرحل
 يا صاحباي نار شوقي هيجا
 وأطربا سمعي بذكر الوادي
 ونهره الطامي البهي المنظر
 ووادي الشرق عروس الدنيا

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

في حلل الديباج والأطالس
 تحفه الأزهار والأمواه
 واد ترى للأنس فيه مددا
 اذ قصرت عما حواه الألسن
 الربوة الغنا محل الأنس
 كلاهما في حسنه غمدان
 دع عنك في أوصافه المجادله
 أنهاره في وسطه غدران
 كم ذا يغني طيره للدوح
 فأين وادي آش أين الزهرا
 يفاخر المريخ في شرفيه
 أوقاته من أطيب الأوقات
 فيه بقاع الفضل حتى أرزه
 كلاهما عن حسنه قد أعربا
 يضوع نشرا من عبير الزهر
 أطياره تشدو على العيدان
 قد غص بالأمواه والأدواح
 على غنا الطير فاح العطر
 وادي التصابي والهنا بسيما
 كم ذا شددنا نحوه من رحل
 وعرجا بي نحو وادي الفيجا
 واد سمي يا صاح بالعراء
 وليس مرأى العين مثل المخبر
 اذ بينهم بالحسن نال العليا

ذكر الأعين

وقاها رب الشام شر الأعين

ونتبع الذكرى بذكر الأعين

أشهرها في الحسن عين صاحب
وفي صفا الراوق عين الخضرا
كذلك عين اسمها سيافه
وأجل صدا قلبي بعين منين
يا عين ذاك الروض يا فتانه
ولا تسل عن لطف عين الكرش
وكم جمعنا الشمل في الوراقه
يا عين يا من بالزينية عرفت
وعند عين الشرش روض زاهي
وانعم بعين اللذة الفضية
وعين قرقوز سقى عهدي بها
وعين أقلايا حكّت بالرصف
عين حروش كالزلال الصافي
فهذه العيون ذات القدر
فالبعض منها قارب المدينه
وما سواها صاح ليست بحصى
فانهض وشمر للتصابي باعا
فهذه الدنيا وهذا العيش
الا مناط العز والتمكين
واد حباه الله بالتشريف
وعنده الأوزار حقا تطرح
وبلدة المختار عين الملك
قد صحت الأقوال عند السنه
ونالت العليا بخير الخلق
وصنوه الفاروق محي الدين
هو اطل الرضوان فيها تهمي

تفوق بالمشور نثر صاحب
ماء كذوب الدر حاز الفخرا
وماؤها في غاية اللطافه
بين الربي والتين والزيتون
يا من سميتي عندهم مرجانه
ماء قراح لؤلؤي الفرش
عين تراها بالصفاء براقه
من لي بأوقات لديك سلفت
تأوي اليه زمر الملاهي
قد سميت يا صاح بالرقيه
كم للتصابي بعث غايات النهي
ضياء مرآة بروض القصف
قد أحرزت محاسن الأوصاف
اذ سقيها الرياض سقي النهر
وبالبعض منها للقرى معونه
ولا تروم العداء والاستقصا
قد خص بالحرمان من أضاء
وغير ذكر الشام عندي طيش
ومهبط القرآن والتبيين
وخصه بالسعي والتعريف
وفيه للغفران نعم المطمح
حامي حمى الاسلام ماحي الشرك
في أن فيها من رياض الجنه
وخيركم بعدي خدين الصدق
وثالث الخلفاء ذو النورين
وبالرضا والعفو أرجو ختمي

أنهارها

نهر يخرج من قرب الزبداني ؛ وآخر يخرج من صدع جبل الفيحة من
نهاية أسفله ، وقد عقد على مخرج الماء منه عقد قديم يظهر أنه روماني ، ثم ترفده
منافع في مجرى النهر ، ويسمى هذا الماء بنهر بردى . ثم يقسم ذلك النهر على
أربعة أنهر غربية وهي : نهر داريا ، ونهر المرة ، ونهر القنوت ، ونهر بانياس ، واثنان
شرقيان وهما : نهر يزيد ، ونهر ثورا ، ونهر بردى ممتد بينهم . فأما بانياس والقنوت
فهما نهرا المدينة مسلمان على دورها : يدخل نهر بانياس القلعة ، ثم ينقسم قسمين :
قسم للجامع الأموي ، وقسم للقلعة ، كل قسم منهما على أقسام كثيرة ، ويتفرق في
المدينة بأصابع معدودة معلومة . وكذلك ينقسم نهر القنوت في المدينة ولا مدخل
له في الجامع ولا في القلعة ، ويمشي الماء في قني مدفونة تحت الأرض الى أن يصل
الى مستحقها بالدور والأماكن على حسب التقسيم .

من متنزهاتها مذكره الشيخ عبد الفني النابلسي من قصيدة :
لم أنس بالنوروز محفلها الذي بسروره قلب الحزين تعلقا
جمع الأنعام أكابرا وأصاغرا وحوى الملاح مقرطقا وممنطقا
أيام قطع النهر وصل شملنا بأحبة الفوا الخلاعة مطلقا

ومن المحال المدبوحة فيها الجنك ، وبه يقول القيراطي :
سقى الجنك (١) منهل الرباب فشوقنا لطيب مغاني أرضه ماله حصر
وحيا بقطر الشام أنهارها التي على شهدها بالدمع من مقلتي قطر

وقال الشيخ شمس الدين الأسدي من قصيدة :
وسقاك ياسطرا (٢) ومقرى (٢) صيب لرعوده في الزجر هطل شيق
وحباك يا أطلال جوسق وأصلا أطراف جديا مستهل مشفق

(١) كتب المؤلف على الحاشية بحبر بنفسجي ما يلي : الجنك بأراضي كفرسوسة وكذا : الديلمات ،
السلسال ، اللوان ، وهي من وادي البنفسج غربي دمشق .
(٢) كتب المؤلف فوقها الكلمتين التاليتين : قرية غربي الزينانية ، ماصية .
(٣) كتب المؤلف فوقها كلمة : طاحون .

جوسق وجديا هما من متنزهات الشام .

لله سرحة ذلك الوادي الذي
ومنها :
قلبي يهيم به وذاك الجوسق

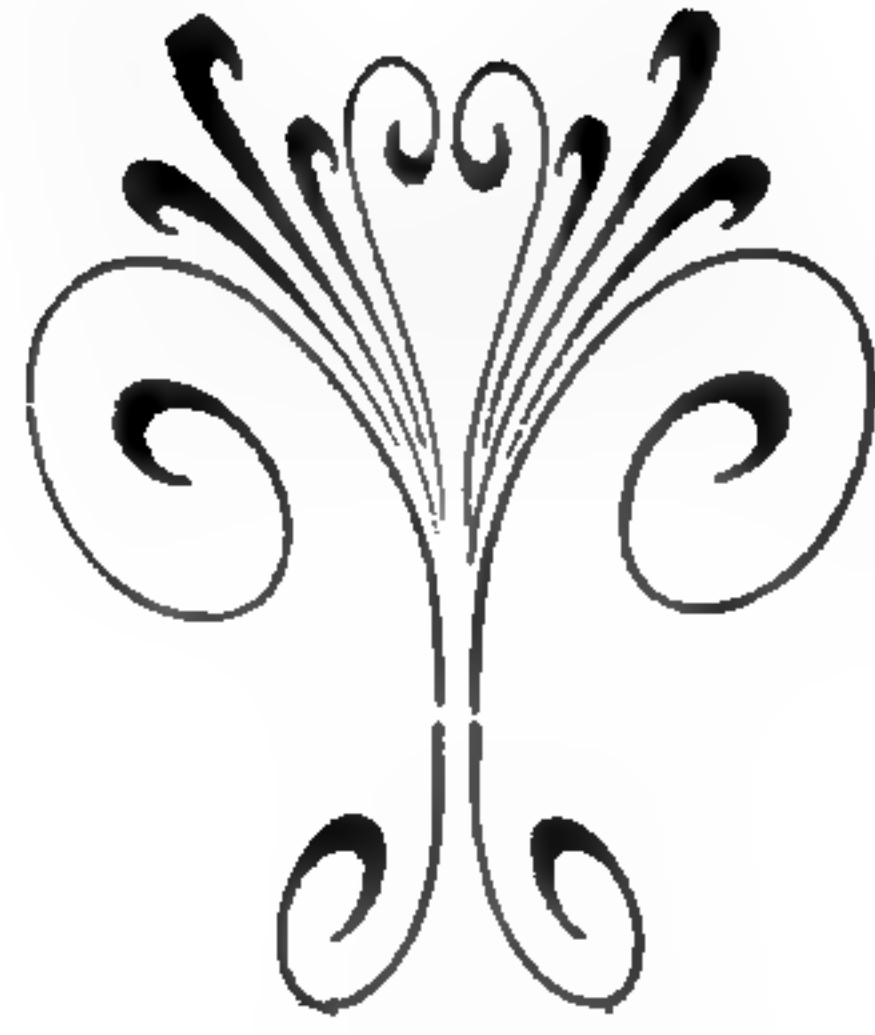
والقصر والشرفان والميدان
والشقاء عشق للذي لايعشق

وقال الأديب محمد بن سعيد السمان من قصيدة :

ورشفت بالخلخال حيث مقاسم الأنهار يجري مأوها الرقراق
ولثمت جبهتها وفي أطرافها
لك لذ من تلك الشذا استنشاق

• • •

تم الكتاب



الفهرس

١ — فهرس الاقسام الرئيسية

٢ — الفهرس العام

٣ — فهرس الاماكن حسب الحروف الالبجدية

٤ — د الاعلام د د د

فهرس أقسام الكتاب الرئيسية

رقم الصفحة	الموضوع
هـ	مقدمة الناشر
ح	التعريف بالكتاب للعلامة الشيخ محمد بهجة البيطار
ل	ترجمة المؤلف
ص	رواميز للمخطوطات
١ - ٤	المقدمة وخطبة الكتاب
٥ - ٢٣	دور القرآن الكريم
٢٤ - ٦٤	دور الحديث الشريف
٦٤ - ٧٠	دور القرآن والحديث معاً
٧١ - ١٥٠	مدارس الشافعية
١٥١ - ٢٢٣	مدارس الحنفية
٢٢٤ - ٢٢٦	مدارس المالكية
٢٢٧ - ٢٥١	مدارس الحنابلة
٢٥٢ - ٢٦٢	مدارس الطب والحكمة
٢٦٣ - ٢٧١	خاتمة في ذكر ما انشئ في دمشق من المعاهد العلمية وذكر ما هو موجود منها الآن مما تقدم ذكره .
٢٧٢ - ٢٩٤	الخوانق
٢٩٥ - ٢٩٨	الربط في دمشق
٢٩٩ - ٣١٦	الزوايا
٣١٧ - ٣٥٥	الترب
٣٥٦ - ٣٩٢	ما اشتهر من الجوامع
٣٩٣ - ٤٠٩	خاتمة بمتنزهات دمشق وأنهارها
٤١٠ - ٤٢١	ملحق شعري يحوي أرجوزة الكمال الغزي في أنهار دمشق ورياضها

الفهرس العام

لكتاب منادى الوطن ومسامرة الخيال

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
١	مقدمة	٣٥	دار الحديث الحمصية
٤ و ٣	أبواب الكتاب	٣٥	دار الحديث الدوادية والمدرسة والرباط
	القسم الاول في دور القرآن الكريم	٣٦	ذكر حال الولاة في زمن دولة قلاوون
٥	دار القرآن الخضرية	٣٧	ترجمة علم الدين سنجر
٦	ترجمة محمد الخيزري		أبواب دمشق :
٩	دار القرآن الجزرية	٣٩	باب الفرع
١٠	ترجمة شمس الدين محمد ابن الجزري	٣٩	باب الجابية
١١	خبره مع تيمورلنك	٤٠	باب كيسان
١٤	دار القرآن الدلامية	٤١	الباب الشرقي
١٥	ترجمة بانيها وسبب بنائها	٤١	باب توما
١٦	دار القرآن الرشائية	٤١	باب الجنينق
١٧	ترجمة علي السنجاري	٤١	باب السلامة
١٧	دار القرآن الصابونية	٤٢	باب الفراديس
١٨	ترجمة أحمد الشهابي المعروف بالصابوني	٤٢	باب الجنان
٢٠	الجبرتية وحال بلادهم	٤٣	تمثيل الأقدمين للكواكب على أبواب دمشق
٢٢	دار القرآن الوجيهية	٤٤	المدرسة السامرية
٢٢	ترجمة وجيه الدين ابن المنجا	٤٤	ترجمة سيف الدين السامري
	القسم الثاني في دور الحديث الشريف :	٤٥	دار الحديث السكرية
٢٤	دار الحديث الأشرفية الاولى	٤٦	بناء محمد التدمري لدار الحديث السكرية
٣٠	ترجمة الشيخ يوسف البيباني الشهير بالمغربي	٤٦	دار الحديث الشقشقية
٣٢	دار الحديث الأشرفية الثانية	٤٧	ترجمة نجيب الدين ابن الشقشقة
٣٤	دار الحديث البهائية	٤٧	دار الحديث العروية

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٤٨	ترجمة شرف الدين بن عروة	٧٧	ترجمة تركان خاتون بنت عز الدين
٤٨	دار الحديث الفاضلية	٧٨	المدرسة الأسعدية *
٤٩	ترجمة القاضي الفاضل	٧٩	ترجمة ابراهيم الأسعدي
٥١	دار الحديث القلانسية	٧٩	المدرسة الأسدية
٥٢	ترجمة عز الدين ابن القلانسي	٨٠	ترجمة أسد الدين شيركوه
٥٣	مسامرة خيال والحديث عن سرقة الاوقاف	٨٠	المدرسة الأصفهانية
٥٤	حديث ابن بطوطة عن أوقاف دمشق وعادات أهلها	٨١	المدرسة الاقبالية
٥٦	ترجمة اسماعيل التكريتي	٨٢	ترجمة جمال الدولة اقبال
٥٧	دار الحديث القوصية	٨٢	المدرسة الأكرية
٥٧	دار الحديث الكروسية	٨٤	المدرسة الأغلبكية
٥٨	جمال الدين ابن كروس	٨٤	المدرسة الأمجدية
٥٨	دار الحديث النورية	٨٤	ترجمة الملك الأمجد بهرام شاه
٥٩	ترجمة نور الدين بن زنكي وأسماء مدرسي دار الحديث النورية	٨٦	المدرسة الأمينية
٦٠	دار الحديث النفيسية	٨٦	باب الساعات
٦١	ترجمة أبي النفيس بن صدقة	٨٧	ترجمة أمين الدولة كمشتكين
٦١	دار الحديث الناصرية	٨٧	المدرسة الباذرائية
٦٢	ترجمة الملك الناصر صلاح الدين	٨٨	ترجمة نجم الدين الباذرائي
	دور القرآن الحديث :	٨٩	المدرسة البهنسية
٦٤	دار القرآن والحديث التنكزية	٨٩	ترجمة مجد الدين البهنسي
٦٦	ترجمة سيف الدين تنكز وما ترك من آثار	٩٠	المدرسة التقوية
٦٨	جامع تنكز	٩١	ترجمة الملك المظفر عمر ابن شاهنشاه
٦٨	دار القرآن والحديث الصبائية	٩٣	المدرسة الجاروخية
٦٩	ترجمة شمس الدين ابن الصباب	٩٤	ترجمة المجير الواسطي
٦٩	دار القرآن والحديث المعبدية	٩٥	ترجمة الأردبيلي
	القسم الثالث في مدارس الشافعية :	٩٥	المدرسة الحمصية
٧١	مقدمة في تاريخ ونشوء المذاهب وانحصارها في أربعة مذاهب	٩٦	المدرسة الحلبيه
٧٧	المدرسة الأتابكية	٩٦	ترجمة شهاب الدين بن عبد الخالق
		٩٦	المدرسة الخبيصية
		٩٧	المدرسة الخليلية
		٩٧	ترجمة سيف الدين بن بكتمر
		٩٧	المدرسة الدماغية
		٩٧	ترجمة عائشة الدماغ
		٩٨	المدرسة الدولعية

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٩٨	ترجمة الدولي الكبير	١٢١	ترجمة الملك الظاهر بيبرس
٩٩	ترجمة جمال الدين الدولي	١٢٢	ترجمة الملك السعيد
٩٩	المدرسة الركنية الجوانية	١٢٣	المدرسة العادلية الكبرى وسبب بنائها
١٠٠	المدرسة الرواحية	١٢٦	ترجمة الملك العادل سيف الدين
١٠١	الكلام على معنى « الرحمن على العرش استوى » والصفات الالهية	١٢٧	المدرسة العادلية الصغرى
١٠٢	ترجمة زكي الدين بن رواحة	١٢٧	ترجمة بابا خاتون بنت أسد الدين
١٠٣	الزاوية الخضراء	١٢٨	المدرسة العذراوية
١٠٣	المدرسة السيفية	١٢٨	ترجمة الست عذراء بنت صلاح الدين
١٠٣	المدرسة الزبدانية	١٢٩	المدرسة العزيزية
١٠٤	المدرسة الشامية البرانية	١٢٩	ترجمة أسامة بن منقذ
١٠٥	(تنبيه واستبصار) عادات العلماء في التدريس	١٣٠	ترجمة الملك العزيز ابن صلاح الدين
١٠٦	المدرسة الشامية الجوانية	١٣١	المدرسة العسرونية
١٠٨	ترجمة الخاتون ست الشام	١٣٢	ترجمة شرف الدين بن أبي عصرون
١٠٩	المدرسة الشاهينية	١٣٣	المدرسة العمادية
١٠٩	المدرسة الشومانية	١٣٤	المدرسة الغزالية
١٠٩	المدرسة الشريفة	١٣٥	المدرسة الفارسية
١١٠	المدرسة الصالحة	١٣٦	ترجمة سيف الدين فارس
١١٠	ترجمة الملك الصالح اسماعيل	١٣٦	المدرسة الفتحية
١١١	المدرسة الصارمية	١٣٧	المدرسة الفخرية وهي مدرسة عامة
١١٢	المدرسة الصلاحية	١٣٧	المدرسة الفلكية
١١٣	تنبيه على ما سمي باسم الصلاحية من المدارس	١٣٨	ترجمة فلك الدين سليمان
١١٤	المدرسة التقطائية	١٣٨	المدرسة القليجية
١١٥	المدرسة الطبرية	١٣٩	المدرسة القواسية
١١٥	المدرسة الطيبة	١٣٩	ترجمة عز الدين ابن القواس
١١٦	المدرسة الظبيانية	١٤٠	المدرسة القوصية
١١٦	المدرسة الظاهرية البرانية	١٤٠	ترجمة شهاب الدين القوصي
١١٧	ترجمة ابن قاضي عجلون	١٤٠	المدرسة القيمرية الكبرى
١١٧	ترجمة الملك الظاهر غازي	١٤١	ترجمة ناصر الدين القيمري
١١٩	المدرسة الظاهرية الجوانية	١٤٢	ترجمة شمس الدين السهروردي
١٢٠	ذكر خزائن الكتب التي ألفت المكتبة الظاهرية	١٤٢	المدرسة القيمرية الصغرى

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
١٤٣	ترجمة سيف الدين القيمري	١٦٠	المدرسة الجقمقية
١٤٣	المدرسة الكروسية	١٦١	نهاية الأمير جقمق
١٤٤	ترجمة جمال الدين بن كروس	١٦٢	ترجمة سيف الدين جقمق
١٤٤	مدرسة الكلاسة	١٦٣	المدرسة الجهاركسية
١٤٥	ترجمة الشهاب الغزي	١٦٤	ترجمة فخر الدين جهاركس
١٤٦	الحلقة الكوثرية	١٦٤	المدرسة الجوهريّة
١٤٦	المدرسة المجاهدية الجوانية	١٦٥	المدرسة الحاجية
١٤٦	ترجمة مجاهد الدين الجلالى	١٦٦	ترجمة ناصر الدين بن مبارك
١٤٧	المدرسة المجاهدية البرانية	١٦٧	المدرسة الخاتونية البرانية
١٤٨	المدرسة المسرورية	١٦٩	ترجمة الست خاتون أم شمس الملوك
١٤٨	ترجمة مسرور الطواشي	١٦٩	المدرسة الخاتونية الجوانية
١٤٩	المدرسة الناصرية الجوانية	١٦٩	ترجمة خاتون بنت معين الدين أنر
١٤٩	المدرسة المجنونة	١٧١	المدرسة الدماغية
١٥٠	ترجمة شرف الدين بن الزرزاري	١٧١	المدرسة الركنية
١٥٠	المدرسة المتكلانية	١٧١	ترجمة ركن الدين منكورس
١٥٠	المدرسة النجيبية	١٧٢	المدرسة الريحانية
١٥١	ترجمة أقوش الصالحي	١٧٢	ترجمة ابن النحاس الحلبي
القسم الرابع في مدارس الأئمة الحنفية :		١٧٣	ترجمة جمال الدين ريحان
١٥٢	المدرسة الأسدية	١٧٣	المدرسة الزنجارية
١٥٢	المدرسة الاقبالية	١٧٤	ترجمة عز الدين الزنجيلي
١٥٢	المدرسة الأمدية	١٧٥	المدرسة السفينية
١٥٣	المدرسة البدرية	١٧٥	المدرسة السيائية
١٥٣	ترجمة بدر الدين ابن الداية	١٧٦	ترجمة نائب الشام سيباي
١٥٤	ترجمة شمس الدين سبط ابن الجوزي صاحب مرآة الزمان	١٧٦	المدرسة الشبلية البرانية
١٥٥	المدرسة البلخية	١٧٧	ترجمة شبل الدولة كافور
١٥٦	ترجمة برهان الدين البلخي	١٧٨	المدرسة الشبلية الجوانية
١٥٦	المدرسة التاجية	١٧٨	المدرسة الصادرية
١٥٧	ترجمة تاج الدين الكندي	١٧٩	ترجمة شجاع الدولة صادر
١٥٨	المدرسة التاشية	١٧٩	المدرسة الطرخانية
١٥٨	المدرسة الجلالية	١٨٠	المدرسة الطومانية
١٥٩	المدرسة الجمالية	١٨٠	ترجمة طومان النوري
		١٨١	المدرسة الظاهرية الجوانية البيبرسية

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
١٨٢	ترجمة الجوبري	٢٠٥	المدرسة الماردانية
١٨٢	المدرسة العذراوية	٢٠٥	ترجمة عزيزة الدين أخشاحتون
١٨٣	المدرسة العزيزية	٢٠٦	المدرسة المقدمة الجوانية
١٨٣	ترجمة الملك العزيز ابن العادل	٢٠٧	ترجمة شمس الدين بن المقدم
١٨٣	المدرسة العزية البرانية	٢٠٨	المدرسة المقدمة البرانية
١٨٥	ترجمة عز الدين آيبك	٢٠٩	ترجمة ابراهيم بن عبد الملك
١٨٥	ترجمة فخر الدين ابن الفصيح	٢٠٩	المدرسة المنجية
١٨٦	المدرسة العزية الجوانية	٢١٠	ترجمة سيف الدين منجك
١٨٦	المدرسة العزية أيضا	٢١١	ترجمة شرف الدين الانطاكي
١٨٦	المدرسة العلمية	٢١١	المدرسة الميطورية
١٨٦	المدرسة الفتحية	٢١٢	المقصورة الحنفية
١٨٧	ترجمة الملك الغالب فتح الدين	٢١٢	المدرسة النورية الكبرى
١٨٨	ترجمة فتحي الحنفي	٢١٣-٢١٤	ترجمة نور الدين بن زنكي
١٩٠	المدرسة الفرخشاهية	٢١٣	ترجمة الملك الصالح اسماعيل
١٩١	ترجمة عز الدين فرخشاه	٢٢٢	المدرسة النورية الصغرى
١٩٢	ترجمة ابن الحريري	٢٢٣	المدرسة اليفمورية
١٩٢	المدرسة القجماسية	٢٢٣	ترجمة جمال الدين بن يغمور
١٩٣	ترجمة قجماس الاسحافي		القسم الخامس في مدارس
١٩٤	ترجمة قايتباي		المالكية :
١٩٤	المدرسة القصاعية	٢٢٤	الزاوية
١٩٥	المدرسة القاهرية	٢٢٤	ترجمة ابن الحاجب
١٩٥	المدرسة القليجية	٢٢٥	المدرسة الشرايشية
١٩٧	ترجمة سيف الدين بن قليج	٢٢٦	المدرسة الصلاحية
١٩٧	ترجمة محمد جلبى	٢٢٦	المدرسة الصمصامية
١٩٨	ترجمة احمد بن الصواف		القسم السادس في مدارس
١٩٨	المدرسة القيمازية		الحنابلة
١٩٨	ترجمة صارم الدين قايماز	٢٢٧	المدرسة الجوزية
١٩٩	ترجمة عماد الدين الطرسوسي	٢٢٧	ترجمة محي الدين ابن الجوزي
٢٠٠	المدرسة المرشدية	٢٢٨	حادثة بغداد ودخول التتار
٢٠٠	ترجمة خديجة بنت الملك المعظم	٢٢٩	ترجمة الجمال المرداوي
٢٠١	المدرسة المعظمية	٢٣٠	ترجمة ابن قاضي الجبل
٢٠١	ترجمة الملك المعظم عيسى	٢٣١	ترجمة شمس الدين النابلسي
٢٠٣	المدرسة المعينية	٢٣٢	ترجمة عز الدين الخطيب
٢٠٤	ترجمة معين الدين أنر	٢٣٢	ترجمة القاضي عز الدين

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٢٣٢	ترجمة برهان الدين بن مفلح	٢٥٤	ترجمة السويدي
٢٣٣	المدرسة الجاموسية	٢٥٤	ترجمة ابن النفيس
٢٣٤	المدرسة الشريفة الحنبلية	٢٥٥	المدرسة الدنيسرية
٢٣٤	ترجمة شرف الاسلام الشيرازي	٢٥٥	ترجمة محمد الدنيسري
٢٣٥	ترجمة عثمان بن المنجا	٢٥٧	المدرسة اللبودية
٢٣٥	ترجمة ابن شيخ السلامية	٢٥٧	ترجمة نجم الدين بن اللبودي
٢٣٦	ترجمة الحافظ ابن رجب	٢٥٩	تتمة في ذكر البيمارستانات
٢٣٧	مدرسة الصاحبة	٢٥٩	البيمارستان الصغير
٢٣٨	ترجمة العالمة أمة اللطيف	٢٥٩	البيمارستان النوري
٢٣٨	ترجمة ربيعة خاتون	٢٥٩	البيمارستان القيمري
٢٣٨	ترجمة ابن عبد القوي	٢٦٠	ترجمة سيف الدين القيمري
٢٣٩	المدرسة الصدرية	٢٦٠	أوبد وضم شوارد تليق بالمقام
٢٣٩	ترجمة صدر الدين بن المنجا		في أولية فن الطب .
٢٣٩	ترجمة ابن عبد الهادي	٢٦٣	خاتمة في ذكر ما انشئ في
٢٤٠	ترجمة ابن ابن القيم		دمشق من المعاهد العلمية وذكر
٢٤٠	ترجمة ابن القيم		ما هو موجود منها الآن مما
٢٤٢	المدرسة الضيائية		تقدم ذكره
٢٤٣	ترجمة ضياء الدين المقدسي	٢٦٤	المدرسة المرادية
٢٤٣	المدرسة الضيائية المحاسبية	٢٦٤	ترجمة مراد الحسيني
٢٤٤	المدرسة العمرية الشيخية	٢٦٥	الزاوية الخلوتية
٢٤٧	ترجمة الشيخ أبي عمر المقدسي	٢٦٥	ترجمة منصور الخلوتي
٢٤٨	المدرسة العالمية	٢٦٦	المدرسة السليمانية
٢٤٩	المدرسة المسمارية	٢٦٦	المدرسة السليمانية
٢٤٩	ترجمة الحسن الهلالي	٢٦٦	أوقافها
٢٥٠	ترجمة اسعد بن المنجا	٢٧٠	مدرسة عبد الله باشا العظم
٢٥١	المدرسة المنجائية	٢٧١	التيكة الأحمدية
٢٥١	تتمة في بيان بعض مدارس		
	الحنابلة وحلقاتهم		
	القسم السابع في مدارس الطب:		القسم الثامن في الخواثق :
٢٥٢	المدرسة الدخوارية	٢٧٢	الخاتقاه الأسدية
٢٥٢	ترجمة المهذب الدخوار	٢٧٢	الخاتقاه الاسكافية
٢٥٣	ترجمة الرخي	٢٧٢	الخاتقاه الاندلسية
٢٥٤	ترجمة الموصلي	٢٧٣	الخاتقاه الباسطية
		٢٧٤	الخاتقاه الحسامية
		٢٧٤	الخاتقاه الخاتونية

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٣٢٦	التربة البلبانية الثالثة	٣٣٧	ترجمة الشيخ براق
٣٢٦	التربة البهائية	٣٣٨	التربة السنبلية العثمانية
٣٢٦	ترجمة الشهاب محمود	٣٣٨	التربة السنقرية الصلاحية
٣٢٧	التربة البهادر آضية	٣٣٨	ترجمة مبارز الدين سنقر
٣٢٨	التربة البهنسية	٣٣٩	التربة السودونية
٣٢٨	التربة التقروشية أو التفري	٣٣٩	ترجمة سودون النوروزي
	برمشية	٣٣٩	التربة الشبلية
٣٢٩	التربة التكريتية	٣٤٠	التربة الشرايشية
٣٢٩	ترجمة أبي البقاء التكريتي	٣٤٠	التربة الشهابية
٣٢٩	التربة التنبكميقية	٣٤٠	التربة الشهدية
٣٣٠	التربة التنكزية	٣٤٠	ترجمة ابن الشهيد
٣٣٠	التربة التوروزية	٣٤١	التربة الصارمية البرغشية
٣٣٠	التربة الجمالية الأسنائية		العادلية
	القوصية	٣٤١	التربة الصصرية
٣٣٠	ترجمة جمال الدين الاسنائي	٣٤١	ترجمة الحافظ ابن مصري
٣٣١	التربة الجمالية المصرية	٣٤٢	التربة الصوابية
٣٣١	ترجمة جمال الدين المصري	٣٤٢	ترجمة بدر الدين الصوابي
٣٣١	التربة الجوكندارية	٣٤٢	التربة الطوغانية الناصرية
٣٣٢	التربة الجيعانية	٣٤٢	التربة العادلية البرانية
٣٣٢	التربة الحافظية	٣٤٣	التربة العادلية الجوانية
٣٣٢	ترجمة أرغوان الحافظية	٣٤٣	ترجمة الملك العادل ابن ايوب
٣٣٣	التربة الخاتونية	٣٤٣	ترجمة المرسى
٣٣٣	ترجمة عصمة الدين خاتون	٣٤٤	ترجمة ابن بدران
٣٣٤	تربة الخرقى	٣٤٤	التربة العديمية
٣٣٤	التربة الخطابية	٣٤٤	ترجمة ابن العديم الحلبي
٣٣٤	التربة الدهستانية	٣٤٤	التربة الغزلية
٣٣٤	التربة الذوباجية الجيلانية	٣٤٥	التربة العزية ومسجد الحلبي
٣٣٥	التربة الرحبية	٣٤٥	ترجمة ابن وداعة الحلبي
٣٣٥	التربة الرفاعية	٣٤٥	التربة العزية الأيبكية الحموية
٣٣٥	التربة الركنية	٣٤٥	التربة العقيبية
٣٣٥	التربة الزاهرية	٣٤٦	التربة العلالية الأميرية
٣٣٦	التربة الزويزانية	٣٤٦	التربة العمادية
٣٣٦	مزار سعد بن عبادة	٣٤٦	التربة الغزلية
٣٣٧	التربة السلامية	٣٤٦	التربة القانبائية

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٣٤٧	تربة بمسجد القدم	٣٦٣	ترجمة ابن القيسراني
٣٤٧	التربة القراجية الصلاحية الاولى	٣٦٤	ترجمة ابن الشاطر رئيس المؤذنين
٣٤٧	التربة القراجية الثانية	٣٦٧	ترجمة ابن رستم
٣٤٧	التربة القطلوبكية	٣٦٧	ترجمة الحارس المهندس
٣٤٧	التربة القطينية	٣٦٩	التكية الأحمدية
٣٤٧	التربة القمارية	٣٦٩	جامع برسباي
٣٤٨	التربة القيمرية	٣٦٩	جامع برويز
٣٤٨	التربة الكاملة البرانية	٣٦٩	ترجمة برويز بن عبد الله
٣٤٨	التربة الكاملة الجوانية	٣٦٩	جامع تنكر
٣٤٨	ترجمة الملك الكامل	٣٧٠	جامع التوبة
٣٤٩	التربة الكركية الاياسية الفخرية	٣٧١	الجامع الجديد
٣٤٩	التربة الكروسية	٣٧١	جامع جراح
٣٤٩	التربة الكندية	٣٧٢	جامع الجوزة
٣٥٠	التربة الكوكبائية	٣٧٢	جامع الحاجب
٣٥١	التربة المؤيدية الشيخية	٣٧٢	مسجد الحشودية
٣٥١	التربة المؤيدية الصوفية	٣٧٣	جامع الحشر
٣٥١	التربة المحمدية	٣٧٣	جامع الحنابلة
٣٥١	التربة المختارية الطواشية	٣٧٣	ترجمة الملك المظفر كوكبوري
٣٥٢	التربة المراغية	٣٧٦	جامع الحيوطية
٣٥٢	التربة المزلقية	٣٧٦	جامع خليخان
٣٥٢	ترجمة محمد بن المزلق	٣٧٦	جامع داريا
٣٥٢	تربة المسجف	٣٧٦	جامع الدرويشية
٣٥٣	التربة المعظمية	٣٧٧	جامع دك الباب
٣٥٣	التربة الملكية الاشرفية	٣٧٨	جامع السقيفة
٣٥٣	التربة المنكبائية	٣٧٨	التكية السليمانية
٣٥٣	التربة الناصرية	٣٧٨	مسجد سنان آغا
٣٥٤	التربة النجمية	٣٧٩	جامع السنانية
٣٥٤	التربة النشابية	٣٧٩	ترجمة سنان باشا
٣٥٤	التربة الهولية	٣٧٩	مسجد السويقة المحروقة
٣٥٥	التربة اليونسية	٣٧٩	ترجمة مراد باشا
٣٥٥	التربة اليونسية الدوادارية	٣٨١	جامع السياغوشية
	القسم الثاني عشر فيما اشتهر	٣٨١	الزاوية الصمادية والمسجد بها
	من الجوامع :	٣٨١	ترجمة محمد بن خليل الصمادي
٣٥٧	الجامع الأموي	٣٨٣	مدفن ابن عربي الحاتمي الطائي

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٣٨٣	ترجمة السلطان سليم	٣٩١	ترجمة سيف الدين يلبغا
٣٨٤	جامع العسالي	٣٩٢	جامع بالقرب من مسجد الأقباط
٣٨٥	ترجمة أحمد كوجك		خاتمة بما كان في دمشق من
٣٨٦	جامع مسجد القصب		المتنزهات المشهورة :
٣٨٧	جامع القلعة	٣٩٣	دير مران
٣٨٧	الجامع الكريمي	٣٩٥	أنهار دمشق
٣٨٧	ترجمة كريم الدين المصري	٣٩٧	القلعة
٣٨٨	جامع المرجاني	٣٩٩	بين النهرين
٣٨٨	جامع المراز	٤٠٠	الشرفان
٣٨٨	جامع المزة	٤٠١	المرجة
٣٨٨	ترجمة عبد الله بن شكر	٤٠١	المنبيع
٣٨٩	جامع الأفرم	٤٠٢	البهجة (الجبهة)
٣٨٩	جامع المصلى	٤٠٣	البهنسية
٣٨٩	جامع الملاح	٤٠٣	الربوة
٣٨٩	جامع ابن منجك	٤٠٧	المقسم
٣٩٠	المنارة البيضاء	٤٠٨	الحواكير
٣٩٠	جامع النحاس	٤٠٩	بعض مصادر الكتاب بقلم المؤلف
٣٩٠	جامع النيرب	٤١٠	ملحق شعري في وصف بعض
٣٩١	مسجد وائلة بن الأسقع		متنزهات دمشق
٣٩١	جامع يلبغا	٤٨٣	تصويبات

فهرست الاماكن حسب الحروف الابجدية

الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة
فهرست بأسماء مدارس القرآن الكريم :		المدرسة الأغلبكية	٨٤
المدرسة الجزرية	٩	المدرسة الاقبالية	٨١
المدرسة الخيضرية	٥	المدرسة الأكرية	٨٢
المدرسة الدلامية	١٤	المدرسة الأمجدية	٨٤
المدرسة الرشائية	١٦	المدرسة الأمينية	٨٦
المدرسة الصابونية	١٧	المدرسة الباذرائية	٨٧
المدرسة الوجيهية	٢٢	المدرسة البهنسية	٨٩
فهرست بأسماء مدارس الحديث الشريف		المدرسة التقطائية	١١٤
المدرسة الأشرفية الاولى	٢٤	المدرسة التقوية	٩٠
المدرسة الاشرفية الثانية	٣٢	المدرسة الجاروخية	٩٣
المدرسة البهائية	٣٤	المدرسة الحمصية	٩٥
المدرسة الحمصية	٣٥	المدرسة الحلبيه	٩٦
المدرسة الدوادارية	٣٥	المدرسة الخبيصية	٩٦
المدرسة السامرية	٤٤	المدرسة الخليلية	٩٧
المدرسة السكرية	٤٥	المدرسة الدماغية	٩٧
المدرسة الشقشقية	٤٦	المدرسة الدولعية	٩٨
المدرسة العروية	٤٧	المدرسة الركنية الجوانية	٩٩
المدرسة الفاضلية	٤٨	المدرسة الرواحية	١٠٠
المدرسة القلانسية	٥١	المدرسة الزبدانية	١٠٣
المدرسة القوصية	٥٧	المدرسة السيفية	١٠٣
المدرسة الكروسية	٥٧	المدرسة الشامية البرانية	١٠٤
المدرسة الناصرية	٦١	المدرسة الشامية الجوانية	١٠٦
المدرسة النفيسية	٦٠	المدرسة الشاهينية	١٠٩
المدرسة النورية	٥٨	المدرسة الشرفية	١٠٩
فهرست بأسماء مدارس القرآن والحديث		المدرسة الشومانية	١٠٩
المدرسة التنكزية	٦٤	المدرسة الصارمية	١١١
المدرسة الصبابية	٦٨	المدرسة الصالحية	١١٠
المدرسة المعيدية	٦٩	المدرسة الصلاحية	١١٢
فهرست بأسماء المدارس الشافعية		المدرسة الطبرية	١١٥
المدرسة الأتابكية	٧٧	المدرسة الطيبة	١١٥
المدرسة الأسدية	٧٩	المدرسة الظاهرية البرانية	١١٦
المدرسة الأسعردية	٧٨	المدرسة الظاهرية الجوانية	١١٩
المدرسة الأصفهانية	٨٠	المدرسة الظبيانية	١١٦
		المدرسة العادلية الصغرى	١٢٧

الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة
المدرسة العادلية الكبرى	١٢٣	المدرسة الجلالية	١٥٨
المدرسة العذراوية	١٢٨	المدرسة الجمالية	١٥٩
المدرسة العزيزية	١٢٩	المدرسة الجهاركسية	١٦٣
المدرسة العسرونية	١٣١	المدرسة الجوهريّة	١٦٤
المدرسة العمادية	١٣٣	المدرسة الحاجية	١٦٥
المدرسة الفزالية	١٣٤	المدرسة الخاتونية البرانية	١٦٧
المدرسة الفارسية	١٣٥	المدرسة الخاتونية الجوانية	١٦٩
المدرسة الفتحية	١٣٦	المدرسة الدماغية	١٧١
المدرسة الفخرية	١٣٧	المدرسة الركنية	١٧١
المدرسة الفلكية	١٣٧	المدرسة الريحانية	١٧٢
المدرسة القليجية	١٣٨	المدرسة الزنجارية	١٧٣
المدرسة القواسية	١٣٩	المدرسة السفينية	١٧٥
المدرسة القيمرية الصفري	١٤٢	المدرسة السيائية	١٧٥
المدرسة القيمرية الكبرى	١٤٠	المدرسة الشبلية البرانية	١٧٦
المدرسة القوصية	١٤٠	المدرسة الشبلية الجوانية	١٧٨
المدرسة الكروسية	١٤٣	المدرسة الصادرة	١٧٨
مدرسة الكلاسة	١٤٤	المدرسة الطرخانية	١٧٩
الحلقة الكوثرية	١٤٦	المدرسة الطومانية	١٨٠
المدرسة المجاهدية البرانية	١٤٧	المدرسة الظاهرية الجوانية	١٨١
المدرسة المجاهدية الجوانية	١٤٦	البيبرسية	
المدرسة الجنونية	١٤٩	المدرسة العذراوية	١٨٢
المدرسة المسروية	١٤٨	المدرسة العزية	١٨٦
المدرسة المنكلانية	١٥٠	المدرسة العزية البرانية	١٨٣
المدرسة الناصرية الجوانية	١٤٩	المدرسة العزية الجوانية	١٨٦
المدرسة النجيبية	١٥٠	المدرسة العزيزية	١٨٢
فهرست بأسماء المدارس الحنفية :		المدرسة العلمية	١٨٦
المدرسة الامدية	١٥٢	المدرسة الفتحية	١٨٦
المدرسة الاسدية	١٥٢	المدرسة الفرخشاهية	١٩٠
المدرسة الاقبالية	١٥٢	المدرسة القاهرية	١٩٥
المدرسة البدرية	١٥٣	المدرسة القجماسية	١٩٢
المدرسة البلخية	١٥٥	المدرسة القصاعية	١٩٤
المدرسة التاجية	١٥٦	المدرسة القليجية	١٩٥
المدرسة التاشية	١٥٨	المدرسة القيمازية	١٩٨
المدرسة الجقمقية	١٦٠	المدرسة الماردانية	٢٠٥

الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة
المدرسة المرشدية	٢٠٠	فهرست بأسماء البيمارستانات	
المدرسة المعظمية	٢٠١	البيمارستان الصغير	٢٥٩
المدرسة المعينية	٢٠٣	البيمارستان النوري	٢٥٩
المدرسة المقدمة البرانية	٢٠٨	البيمارستان القيمني	٢٥٩
المدرسة المقدمة الجوانية	٢٠٦	مدارس عامة	
المدرسة المنجية	٢٠٩	المدرسة السليمانية	٢٦٦
المدرسة الميطورية	٢١١	مدرسة عبد الله باشا العظم	٢٧٠
المدرسة النورية الصغرى	٢٢٢	المدرسة المرادية	٢٦٤
المدرسة النورية الكبرى	٢١٢	فهرست بأسماء الخوانق	
المدرسة اليعمورية	٢٢٣	الخانقاه الأسدية	٢٧٢
		الخانقاه الاسكافية	٢٧٢
فهرست بأسماء المدارس المالكية		المدرسة الأندلسية	٢٧٢
الزاوية	٢٢٤	الخانقاه الباسطية	٢٧٣
المدرسة الشرايشية	٢٢٥	الخانقاه الحسامية	٢٧٤
المدرسة الصلاحية	٢٢٦	الخانقاه الخاتونية	٢٧٤
المدرسة الصمصامية	٢٢٦	الخانقاه الدويرية	٢٧٥
فهرست بأسماء المدارس الحنبلية		الخانقاه الروزنهارية	٢٧٦
المدرسة الجاموسية	٢٣٣	الخانقاه السمساطية	٢٧٦
المدرسة الجوزية	٢٢٧	الخانقاه الشبلية	٢٨٠
المدرسة الشريفة الحنبلية	٢٣٤	الخانقاه الشريفة	٢٨١
المدرسة الصاحبة	٢٣٧	الخانقاه الشنباشية	٢٨١
المدرسة الصدرية	٢٣٩	الخانقاه الشهابية	٢٨٠
المدرسة الضيائية	٢٤٢	الخانقاه الشومانية	٢٨٠
المدرسة الضيائية المخاسنية	٢٤٣	خانقاه الطاحون	٢٨٢
المدرسة العالة	٢٤٨	الخانقاه الطواويسية	٢٨٢
المدرسة العمرية الشيخية	٢٤٤	الخانقاه العزية	٢٨٣
المدرسة المسمارية	٢٤٩	الخانقاه القصاعية	٢٨٤
الزاوية المنجائية	٢٥١	خانقاه القصر	٢٨٤
فهرست بأسماء مدارس الطب		الخانقاه الكججانية	٢٨٥
المدرسة الدخوارية	٢٥٢	الخانقاه المجاهدية	٢٨٥
المدرسة الدنيسرية	٢٥٥	الخانقاه الناصرية الاولى	٢٨٨
المدرسة اليهودية	٢٥٧	الخانقاه الناصرية الثانية	٢٨٩

الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة
الخانقاه النجمية	٢٨٧	زاوية ابن التتمة	٣١٦
الخانقاه النجيبية	٢٨٦	زاوية بحارة الجوبان	٣١٦
الخانقاه النحاسية	٢٨٧	الزاوية الحريرية	٢٩٩
الخانقاه النهرية	٢٩٣	الزاوية الاعفوية	٣٠١
الخانقاه اليونسية	٢٩٣	الزاوية الحصنية	٣٠١
خانقاه مجهولة	٢٩٤	الزاوية الخلوتية	٢٦٥
		الزاوية الداودية	٣٠٢
فهرست بأسماء الرباطات		الزاوية الدهستانية	٣٠٤
رباط أسد الدين شيركوه	٢٩٧	الزاوية الدينورية	٣٠٤
رباط البخاري	٢٩٧	الزاوية الدينورية الشيخية	٣٠٥
رباط بدر الدين عمر	٢٩٧	الزاوية الرفاعية	٣٠٥
رباط أبي البيان	٢٩٥	الزاوية الرومية الشرفية	٣٠٥
رباط التكريتي	٢٩٦	الزاوية السراجية	٣٠٦
رباط جاروخ التركماني	٢٩٦	زاوية الشيخ أبي السعود	٣٠٦
رباط الحبشة	٢٩٧	الزاوية السيوفية	٣٠٦
رباط بنت الدفين	٢٩٧	الزاوية الشرفية	٣٠٧
رباط الدوادار	٢٩٧	الزاوية الطالبة	٣٠٧
رباط زهرة	٢٩٦	الزاوية الطيبة	٣٠٧
رباط السقلاطوني	٢٩٧	الزاوية العمادية المقدسية	٣٠٨
رباط صفية	٢٩٦	الزاوية الفسولية	٣٠٨
رباط طومان	٢٩٦	الزاوية الفرثية	٣٠٨
عذراء خاتون	٢٩٧	الزاوية الفقاعية	٣٠٩
رباط العرس	٢٩٧	الزاوية القلندرية الحيدرية	٣٠٩
رباط بنت عز الدين مسعود	٢٩٧	الزاوية القلندرية الدركزينية	٣٠٩
رباط غرس الدين خليل	٢٩٦	الزاوية القوامية البالسية	٣١١
رباط الفقاعي	٢٩٧	زاوية الموصلية	٣١٢
رباط الفلكي	٢٩٧	زاوية بميدان الحصى	٣١٢
رباط القصاعين	٢٩٧	الزاوية الوطية	٣١٢
رباط المهراني	٢٩٦	الزاوية اليونسية	٣١٣
رباط الوزراء	٢٩٧		
رباط داخل باب السلام	٢٩٧		
فهرست بأسماء الزوايا		فهرست بأسماء الترب	
الزاوية الأرموية	٢٩٩	التربة الآجرية	٣١٧
		التربة الأتابكية	٣١٧
		التربة الأخنائية	٣١٧

الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة
التربة الأرسلانية	٣١٨	التربة الخطابية	٣٣٤
التربة الأستدارية	٣١٩	التربة الدهستانية	٣٣٤
التربة الأسدية	٣١٩	التربة الذوباجية الجيلانية	٣٣٤
التربة الأفريدونية	٣١٩	التربة الرحية	٣٣٥
التربة الاكزية	٣٢٠	التربة الرفاعية	٣٣٥
التربة الأيدمرية الاولى	٣٢٠	التربة الركنية	٣٣٥
التربة الأيدمرية الثانية	٣٢٠	التربة الزاهرية	٣٣٥
التربة البالجية	٣٢١	التربة الزويزانية	٣٣٦
التربة البدرانية الحمزية	٣٢١	مزار سعد بن عبادة	٣٣٦
التربة البدرية الاولى	٣٢٢	التربة السلامية	٣٣٧
التربة البدرية الثانية	٣٢٢	التربة السنبلية العثمانية	٣٣٨
التربة البرسبائية الناصرية	٣٢٢	التربة السنقرية الصلاحية	٣٣٨
التربة البزورية	٣٢٤	التربة السودونية	٣٣٩
التربة البصية	٣٢٤	التربة الشبلية	٣٣٩
التربة البلبانية الاولى	٣٢٥	التربة الشرايشية	٣٤٠
التربة البلبانية الثانية	٣٢٥	التربة الشهابية	٣٤٠
التربة البلبانية الثالثة	٣٢٦	التربة الشهيدية	٣٤٠
التربة البهائية	٣٢٦	التربة الصارمية البرغشية	٣٤١
التربة البهادر آضية	٣٢٧	العادلية	
التربة البهنسية	٣٢٨	التربة الصصرية	٣٤١
التربة التقروشية أو التفري	٣٢٨	التربة الصوابية	٣٤٣
برمشية		التربة الطوغانية الناصرية	٣٤٢
التربة التكريتية	٣٢٩	التربة العادلية البرانية	٣٤٢
التربة التنبكميقية	٣٢٩	التربة العادلية الجوانية	٣٤٣
التربة التنكزية	٣٣٠	التربة العديمية	٣٤٤
التربة التوروزية	٣٣٠	التربة الغزلية	٣٤٤
التربة الجمالية الأسنائية	٣٣٠	التربة العزية ومسجد الحلبي	٣٤٥
القوصية		التربة العزية الأبيكية الحموية	٣٤٥
التربة الجمالية المصرية	٣٣١	التربة العقيبيبية	٣٤٥
التربة الجوكندارية	٣٣١	التربة العلائية الأميرية	٣٤٦
التربة الجيعانية	٣٣٢	التربة العمادية	٣٤٦
التربة الحافظية	٣٣٢	التربة الغزلية	٣٤٦
التربة الخاتونية	٣٣٣	التربة القانبائية	٣٤٦
تربة الخرقى	٣٣٤	تربة بمسجد القدم	٣٤٧

الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة
التربة القراجية الصلاحية الاولى	٣٤٧	جامع تنكر	٣٦٩
التربة القراجية الثانية	٣٤٧	جامع التوبة	٣٧٠
التربة القطلوبكية	٣٤٧	الجامع الجديد	٣٧١
التربة القطينية	٣٤٧	جامع جراح	٣٧١
التربة القمارية	٣٤٧	جامع الجوزة	٣٧٢
التربة القيمرية	٣٤٨	جامع الحاجب	٣٧٢
التربة الكاملية البرانية	٣٤٨	مسجد الحسودية	٣٧٢
التربة الكاملية الجوانية	٣٤٩	جامع الحشر	٣٧٣
التربة الكركية الاياسية الفخرية	٣٤٩	جامع الحنابلة	٣٧٣
التربة الكروسية	٣٤٩	جامع الحيوطية	٣٧٦
التربة الكندية	٣٥٠	جامع خيلخان	٣٧٦
التربة الكوكبائية	٣٥١	جامع داريا	٣٧٦
التربة المؤيدية الشيخية	٣٥١	جامع الدرويشية	٣٧٦
التربة المؤيدية الصوفية	٣٥١	جامع دك الباب	٣٧٧
التربة المحمدية	٣٥١	جامع السقيفة	٣٧٨
التربة المختارية الطواشية	٣٥٢	التيكة السليمانية	٣٧٨
التربة المراغية	٣٥٢	مسجد سنان آغا	٣٧٨
التربة المزلقية	٣٥٢	جامع السنانية	٣٧٩
تربة المسجف	٣٥٣	مسجد السويقة المحروقة	٣٧٩
التربة المعظمية	٣٥٣	جامع السياغوشية	٣٨١
التربة الملكية الأشرفية	٣٥٣	الزاوية الصمادية والمسجد بها	٣٨١
التربة المنكبائية	٣٥٣	مدفن ابن عربي الحاتمي الطائي	٣٨٣
التربة الناصرية	٣٥٤	الأندلسي	
التربة النجمية	٣٥٤	جامع العسالي	٣٨٤
التربة النشابية	٣٥٤	جامع مسجد القصب	٣٨٦
التربة الهولية	٣٥٤	جامع القلعة	٣٨٧
التربة اليونسية	٣٥٥	الجامع الكريمي	٣٨٧
التربة اليونسية الدوادارية		جامع المرجاني	٣٨٨
فهرست بأسماء الجوامع		جامع المراز	٣٨٨
الجامع الأموي	٣٥٧	جامع المزة	٣٨٨
التيكة المسماة بالأحمدية	٣٦٩، ٢٧١	جامع المصلى	٣٨٩
جامع برسباي	٣٦٩	جامع الملاح	٣٨٩
جامع بروين	٣٦٩	جامع ابن منجك	٣٨٩
		المنارة البيضاء	٣٩٠

الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة
جامع النحاس	٣٩٠	البهنسية	٤٠٣
جامع النيرب	٣٩٠	بين النهرين	٣٩٩
مسجد وائلة بن الأسقع	٣٩١	الحوكير	٤٠٨
جامع يلبغا	٣٩١	دير مران	٣٩٣
جامع بالقرب من مسجد الأقصاب	٣٩٢	الربوة	٤٠٣
فهرست بما كان في دمشق من المتنزهات المشهورة		الشرفان	٤٠٠
		القلعة	٣٩٧
		المرجة	٤٠١
أنهار دمشق	٣٩٥	المقسم	٤٠٧
البهجة	٤٠٢	المنبيع	٤٠١



فهرست بأسماء الأعلام البناة أو الواقفين والمدرسين (١)

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٣٢٠	أكر الفخري	٧٩	ابراهيم الأسعدي
٣٤٤	ابن بدران	٢٠٩	ابراهيم بن عبد الملك
١٥٨	التاش الدقاقي	٣٨٩	الامير ابراهيم بن منجك
١٥٣	بدر الدين بن الداية	٣٣٤	ابراهيم الدهستاني
٢٣٨	العائلة أمة اللطيف	٢٨٥	ابراهيم الكججاني
٣٢٩	أمير حاج أستاذ دار	٢٤٠	ابن ابن القيم
٨٧	أمين الدولة كمشتكين	٣٢٩	أبو البقاء التكريتي
٣٢٤	أمين الدين بن البص	٦١	أبو النفيس بن صدقة
٢٨٠	أيديكين الشهابي	١٥	أحمد بن دلالة
٣٢٠	أيدير الصالحي	١٩٨	أحمد بن الصواف
٣٢٠	أيدير الظاهري	٣٤١	أحمد بن مصري
١٢٧	بابا خاتون بنت أسد الدين	٣٤٧	أحمد بن القطينة
٣٧٢	القاضي بدر الدين	٣٨٥، ٣٨٤	أحمد باشا كوجك
١٥٣	بدر الدين بن الداية	٣٠١	أحمد الحريري
٣٢٢	بدر الدين بن الوزير	١٥٩	أحمد الرازي
٣٢٢	بدر الدين حسن	٣٦٩	أحمد شمسي
٣٤٢	بدر الدين الصوابي	١٨	أحمد الشهابي المعروف بالصابوني
٣٣٧	الشيخ براق	٣١٨	أرسلان بن يعقوب
٣٦٩، ٣٢٣	برسبائي الناصري	٣٣٢	أرغوان الحافظية
٣١٧	برهان الدين الاخنائي	٣٧٣	أرغون شاه
١٥٦	برهان الدين البلخي	٢٧٢، ٨٠	أسد الدين شنيركوه
٢٣٢	برهان الدين بن مفلح	٣١١	ابن اسرائيل
٣٦٩	بروين بن عبد الله	٥٦	اسماعيل التكريتي
٣٠٤	أبو بكر بن أبي داود	٣٧٠، ٣٥٣، ٣٤	الملك الأشرف موسى
٣١٧	أبو بكر البغدادي	١٣٩	أفريدون العجمي
٣٠٥	أبو بكر الدينوري	١٥١	أقوش الصالحي
٣١٢	أبو بكر بن قوام		
٣١٢	أبو بكر الموصلي		
١٩٨	بلبان المحمودي		
٣٥٢	بهاء الدين المراغي		
٣٤	بهاء الدين المظفر		
٣٢٧	بهادر آض المنصوري		
٢٩٥	أبو البيان بن الحوراني		

(١) عمدنا في هذا الفهرست الى اهمال كلمة (أبو
أو ابن) والاعتماد على الاسم بعدها ، الا اذا لم تكن
كنية فاننا أثبتناها في حرف الهمزة ، كما أننا اعتمدنا
على اللقب المشهور أكثر من اعتمادنا على الاسم فالملك
العادل كتبنا أدرجنه تحت حرف العين ، والملك الأشرف
موسى تحت حرف الهمزة .

الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة
تاج الدين الكندي	٣٥٠	درويش باشا	٣٧٦
تتش	٢٨٢	الشيخ الدهستاني	٣٠٤
ابن التتمة	٣١٦	ربيعة خاتون	٢٣٨
تركان خاتون بنت عز الدين	٧٧	ابن رستم	٣٦٧
تركان خاتون	٣١٧	الرخي	٢٥٢
تغري برمش	٣٢٨	ركن الدين منكورس	٣٣٥، ١٧١، ١٠٠
تقي الدين الحصني	٣٠١	الملك الزاهر داود	٣٣٥
تقي الدين الزينبي	٣٨٨	زكي الدين بن رواحة	١٠٢
تنبك ميقي	٣٣٠	زين الدين العقيبي	٣٤٥
جراح المضحي	٣٧٢	ستيتة بنت كوكباي	٣٥٠
جمال الدين الأسنائي	٣٣٠	أبو السعود بن هنفري	٣٠٦
جمال الدولة اقبال	٨٢	السلطان سليم	٣٨٣
جمال الدين أقوش	٢٨٧	السلطان سليمان	٣٧٨
جمال الدين بن كروس	٣٤٩، ١٤٤، ٥٨	سليمان العظم	٢٦٦
جمال الدين بن يغمور	٢٢٣	سنان آغا	٣٧٨
جمال الدين الدولعي	٩٩	سنان باشا	٣٧٩
جمال الدين ريحان	١٧٣	سنبل العثماني	٣٣٨
جمال الدين المصري	٣٣١	سنجر الهلالي	١٦٠
جمال الدين يوسف	١٥٩	سنقر الموصللي	١٨٠
الجمال المرداوي	٢٢٩	سودون النوروزي	٣٣٩
الحارثي المهندس	٣٦٧	سياغوش باشا	٣٨١
حسن البالجي	٣٢١	سيباي	١٧٦
أبو الحسن الروزنهاري	٢٧٦	سيف الدين بن بكتمر	١٠٣، ٩٧
الحسن الهلالي	٢٤٩	سيف الدين تنكر	٣٧٠، ٣٣٠، ٦٦
حمزة ابن شيخ السلامية	٣٢١	سيف الدين جاروخ	٩٥، ٩٣
الست خاتون أم شمس الملوك	١٦٩	سيف الدين جقمق	١٦٢
خاتون بنت شومان	١١٥، ١٠٩	سيف الدين الجيعاني	٣٣٢
خاتون بنت معين الدين أنر	١٦٩	سيف الدين السامري	٤٤
الخاتون ست الشام	١٠٨	سيف الدين عزلو	٣٤٤
الخاتون فاطمة	٢٨٤	سيف الدين غزلو	٣٤٦
خديجة بنت الملك المعظم	٢٠٠	سيف الدين فارس	١٣٦
خطلشاه بنت كوجا	١٩٤	سيف الدين بن قليج	١٩٧
خليل بن زوزان	٣٣٦	سيف الدين القيمري	٢٦٠، ١٤٣
خليل الطوغاي	٣٧٨	سيف الدين منجك	٢١٠

الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة
سيف الدين منكباي	٣٥٣	طرناه بلبان	٣٢٥
سيف الدين يلبغا	٣٩١	طوغان الناصري	٣٤٢
شاهين الشجاعي	١٠٩	طومان النوري	١٨٠
شبل الدولة كافور ١٧٧، ١٧٨، ٢٨٠، ٣٣٩		طه المصري	٣٠٧
شجاع الدولة صادر	١٧٩	الملك الظاهر بيبرس	١٢١
شرف الاسلام الشيرازي	٢٣٤	الملك الظاهر غازي	١١٧
شرف الدين بن أبي عصرون	١٣٢	ظهر الدين شومان	٢٨٠
شرف الدين بن الزراري	١٥٠	ظهر الدين مختار	٣٥١
شرف الدين بن الاسكاف	٢٧٢	عائشة الدماغ	٩٧
شرف الدين بن عروة	٤٨	الملك العادل سيف بن أيوب ١٢٦، ٣٤٣، ٣٨٩	
شرف الدين الرومي	٣٠٥	الملك العادل كتبغا	٣٤٢
شمس الدين ابن أستاذ دار	٣١٩	أبو عامر المؤدب	٣١٨
شمس الدين محمد بن الجزري	١٠	عبد الرحمن بن أبي داود	٣٠٢
شمس الدين بن الصباب	٦٩	عبد الرحمن ابن المسجف	٣٥٢
شمس الدين بن المقدم	٢٠٧	عبد الرحمن الرجي	٣٣٥
شمس الدين بن النحاس	٢٨٧	عبد القادر الرجحي	٣١٦
شمس الدين ذوباج	٣٣٥	عبد القادر الموصللي	٣١٢
شمس الملوك دقاق	٢٨٤	عبد الله الأرموي	٢٩٩
شهاب الدين بن عبد الخالق	٦٩	عبد الله الأتمليشي	٣٩٢
شهاب الدين الحلبي	٣٢٦	عبد الله ابن شكر	٣٨٨
شهاب الدين الشرايشي	٢٢٥	أبو عبد الله الشنباشي	٢٨١
شهاب الدين الفقاعي	٢٨١	عبد الله الفسولي	٣٠٨
شهاب الدين القوصي	١٤٠	عثمان الرفاعي	٣٣٥
ابن الشهيد	٣٤٠	ابن العديم الحلبي	٣٤٤
صارم الدين برغش	٣٤١	الست عذراء بنت صلاح الدين ١٢٨	
صارم الدين الجوكندار	٣٣١	عز الدين أيبك ١٨٥، ٣٤٥	
صارم الدين جوهر	١١١	عز الدين أيدمر	٢٨٤
صارم الدين قايماز	١٩٨	عز الدين بن القلانسي	٥٢
الملك الصالح اسماعيل	٢١٣، ١١٠	عز الدين بن القواس	١٣٩
صلاح الدين الأيوبي	٢٨٩، ٢٢٦، ٢٢٤	عز الدين خطاب	٣٣٤
صلاح الدين بن المنجا	٢٣٩	عز الدين الزنجيلي	١٧٤
ضياء الدين محاسن	٢٤٣	عز الدين فرخشاہ	١٩١
ضياء الدين المقدس	٢٤٣	الملك العزيز ابن صلاح الدين ١٣٠	
طالب الرفاعي	٣٠٧	الملك العزيز ابن العادل ١٨٣	

الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة
عزيزة الدين اخشا خاتون	٢٠٥	قجماس الاسحاقي	١٩٣
٢٧٤، ٣٣٣ عصمة الدين خاتون		الأمير قراجا	٣٤٧
علاء الدين بن الحجيج	٣٩٠	قطب الدين ابن شيخ السلامية	٣٣٧
علاء الدين بن معبد	٦٩	قطلو بك الششنكير	٣٤٧
علاء الدين ابن وطية	٣١٢	قماري خاتون	٣٤٧
علم الدين سنجر	٣٧	كریم الدين المصري	٣٨٧
الأمير علي	٣٤٦	مؤيد الدولة بن الصوفي	٣٥١
علي الأسدي	٣١٩	مبارز الدين سنقر	٣٣٨
علي بن حيوط	٣٧٦	مجاهد الدين بن اونها	٢٨٦
علي الحريري	٢٩٩	مجاهد الدين بن قليج	١٣٩
علي السنجاري	١٧	مجاهد الدين الجلاي	١٤٧، ١٤٦
علي الشرايشي	٣٤٠	مجد الدين البهنسي	٨٩
علي الفرثي	٣٠٨	المحب البهنسي	٣٢٨
عماد الدين بن النحاس	٣٩٠	محفوظ بن البزري	٣٢٤
عماد الدين ابن النشابى	٣٥٤	محمد بن أبي العيش	٣٥١
عماد الدين الطرطوسي	١٩٩	محمد بن خليل الصمادي	٣١
العماد الكاتب	٣٤٦	محمد بن القيسراني	٣٦٣
العماد المقدسي	٣٠٨	محمد بن المزلق	٣٥٢
عمر الخرقى	٣٣٤	محمد الأنصاري	٣٩٠
عمر الدينوري	٣٠٤	محمد الحسيني	٣٠٧
الشيخ أبو عمر المقدسي	٣٧٣، ٢٤٧	محمد الخيزري	٦
غرس الدين التوروزي	٣٣٠	محمود الدنر كزيني	٣١٠
فاطمة خاتون بنت السلار	٢١١	محمد الدينسري	٢٥٥
فتح الدين بن المعدل	١٠٣	محمد المرجاني	٣٨٨
فتحى الحنفى	١٨٨	محمد المنكلاني	١٥٠
فخر الدين جهاركس	١٦٤	محمد اليتيم الدمشقي	٣٧٩
فخر الدين الكركي	٣٤٩	محي الدين ابن الجوزي	٢٢٧
أبو الفرج حمد	٢٧٥	مراد باشا	٣٧٩
فضل الله البوسنوي	٣٧٢	مراد الحسيني	٢٦٤
فلك الدين سليمان	١٣٨	مسرور الطواشي	١٤٨
أبو القاسم السميساطي	٢٧٨	الملك المظفر عمر بن شاهنشاه	٩١
قاسم الكردي	٣٣٦	الملك المظفر كوكبوري	٣٧٣
القاضي الفاضل	٤٩	الملك المعظم عيسى	٣٥٣، ٢٠١
قان باي البهلوان	٣٤٦	معين الدين أنر	٢٠٤

الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة
ابن المنجا	٢٣٥	هولو بن العابد	٣٥٤
منصور الخلوتي	٢٦٥	وجيه الدين بن المنجا	٢٥٠، ٢٢١
المهذب الدخوار	٢٥٢	وجيه الدين التكريتي	٢٩٦
ناصر الدين بن مبارك	١٦٦	ابن وداعة الحلبي	٣٤٥
ناصر الدين بن منجك	٣٨٦	يوسف الفقاعي	٣٠٩
ناصر الدين القيمري	١٤١	يوسف القيمري	٣٤٨
الملك الناصر	٣٥٣، ٢٨٨، ١٤٩، ٦٢	الأمير يونس	٣٥٥
يوسف صلاح الدين			
نجم الدين ابن خليخان	٣٧٦	فهرست بأسماء أبواب دمشق المشهورة	
نجيب الدين ابن الشقيشقة	٤٧	باب توما	٤١
نجم الدين ابن اللبودي	٢٥٧	باب الجنيق	٤١
نجم الدين أيوب	٢٨٧	باب السلامة	٤١
نجم الدين الباذرائي	٨٨	باب كيسان	٤٠
نجم الدين الجوهري	١٦٥	باب الفراديس	٤٢
نجم الدين السيوفي	٣٠٦	باب الجنان	٤٢
الصاحب نمريال	٣٨٩	باب الجابية	٣٩
	٢٨٢، ٢٥٩، ٢١٤، ٢١٣، ١١٣، ٥٩	باب الصغير	٤٠
نور الدين بن زنكي	٣٨٧، ٣٧٦	الباب الشرقي	٤١



جدول بالخطأ والصواب

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
١	١٥	الذمن	الدمن
٢	٧	أحبائك	أحباءك
٣	١٤	نبأ	نبا
٦	الهامش	محمد الخضري	محمد الخيضري
١٣	٩	غايات النهايات	غاية النهاية (١)
١٣	١٢	مختصرة	مختصره
١٣	١٣	أفه	أفه
٢٣	١٥	وواحد	وواحدة
٣٧	٨	ربعة	ربعة
٤٠	١٢	والقبر	والقبر
٤٢	١٢	بقى عى	بقي على
٤٣	٢٠	ورديون	وردتون
٤٤	٨	دار	داراً
٥٣	١٣	الأثر	الأثر
٦٦	الهامش	سيف دين	سيف الدين
٦٩	١٨	وتصفت	وتصحفت
٧٤	٣	وهيشم	وجوده
٧٨	٢ من الحاشية (ربعين		أربعين
٨٧	٣ من الحاشية منشأها		منشئها
٩٧	٢	بكتمو	بكتمر
١٠٦	١٧	احدى	أحد
١٠٨	١٥	شفده	شقده
١١٣	٢٠	دارا لبترك	دار البطرك
١١٧	٢٤١	(تقدم السطر الثاني على الأول خطأ)	
١٢٥	٢٤	عليهما	عليها

(١) أورد المؤلف اسم الكتاب « غايات النهايات » والاسم الذي طبع فيه الكتاب هو « غاية النهاية مختصر نهاية الدرايات » .

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
١٥١	٦	(سقط سطر من المطبعة) ونصه : قال الصفدي : كان أقوش هذا شافعي المذهب ، كثير الصدقة ، حسن الاعتقاد . وذلك بدل السطر السادس فهو مكرر .	
٢١٤	٧	مسعود	مسعوداً
٢١٥	١١	قامية	فامية
٢١٧	٣	أسرة	أسره
٢١٩	١٦	رعا	دعا
٢١٩	٢٤	بیمارستان	بیمارستاناً
٢٢٠	١	بغير	يغير
٢٢١	٧	فعبیها	فتبيعها
٢٢٣	٥	٥٦٩	٥٩٩
٢٢٥	٢٤	خارب	خارج
٢٣٦	١١	٧١٦ - ٧٦٩	٧٠٦ - ٧٩٥
٢٦١	٢٠	لذي	لدوي
٢٦٣	٧	لكنه خاصاً	لكنه كان خاصاً
٢٦٧	١٩	نهو	نهر .
٢٦٩	١٧	يشتری بهار	يشتری بها بهار
٣٠٢	٣	باب	الباب
٣٠٦	٦	اسراج	السراج
٣٠٩	٢	« الزيارات »	« الزيادات »
٣١٢	٢	« الزيارات »	« الزيادات »
٣١٢	٨	»	»
٣٢٠	٩	ایاس	ایاس
٣٣٢	٩	عشيقه	عتيقة
٣٥٤	٥	قیر	قبر
٣٥٨	١٣	مایراه	مالایراه
٣٦٠	٣	الصائبین	الصائبین
٣٧٥	٢	تدعوا	تدعو
٢٧٦	٢٢	٦٨٧	٩٨٧

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطا	الصواب
٣٧٦	٢٦	الخليخاني	الخليخاني
٣٨٢	٣	الآ	الآن
٣٩٦	١	جنبته	جنبته
٣٩٨	٢١	كلما	كل ما
٤٠٠	١٦	عليّ	عليّ
٤٠١	١٣	يرقرها	يرقرها
٤٠٣	٢٤	« ويرهب »	« ويهرب »
٤٠٥	٢٤	طربته	أطربته
٤٠٨	١٥	الوارق	الوراق

